الحقُّ المُبين

في معرفةِ المعصومين عليهم السَّلام

بحوثٌ مستفادة من محاضرات المرجع الدِّيني الوحيد الخُراساني مدَّظلّه

بقلم

علي الكوراني العاملي



الحقُّ المُبينُ

في معرفةِ المعصومين عليهم السَّلام

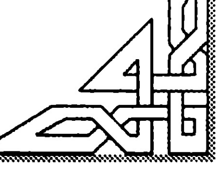
بحوثٌ مُستفادَة مِن مُحاضرات المرجع الدِّيني الوَحيد الخُراساني مُدَّ ظِلُّه

بقلم

علي الكوراني العاملي



الطبعة الأولى ـ ١٤٢٣ ـ ٢٠٠٢



مقدمة

بســـم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم السلام

على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

المرجع الخراساني وفهم النبي وآله ﷺ

عرفت المرجع الوحيد الخراساني في الكويت قبل نحو ثلاثين سنة ، لكني لم أعرف منهجه في فهم النبي وآله المعصومين ﷺ حتى اطلعت على محاضراته وآرائه في قم المشرفة ، فوجدت فيها ضالتي التي كنت أبحث عنها ، والبراهين على قناعاتي الكامنة ، بل وجدت في عمق فهمه للنبي والأئمة صلوات الله عليه وعليهم، ما لم أجده إلا عند القليل القليل ممن عايشته من علمائنا المعاصرين .

فما دام الأئمة المعصومون عليهم السلام مشروعاً ربانياً تولى وضع خطته وتنفيذها الحكيم الخبير عز وجل ، فلا يصح حصر دورهم في عصر دون عصر ، ولا تلخيصه في العمل لتصحيح مسار الأمة وتسلم السلطة ، ولا اختصاره في

بيانهم لبعض العلوم ، ورقابتهم على بعض الأوضاع .

إن قضيتهم عليهم السلام أعمق من ذلك وأوسع ، لابد أن نؤمن بعمقها وإن لم نصل الى غورها ، فنحن نرى أن عمل صاحب مشروعهم عز وجل في هذا الكون الوسيع والطبيعة التي حولنا ، بلغ أقصى درجات الإعجاز والإتقان! فمن الغباء أن نبسط أيَّ جزءٍ من صنعه ، ونسطِّح فيزياءه وقوانينه ! ومن الغباء الأكبر أن ننظر بسطحية الى مشروع النبي والأئمة عليهم السلام الذي هو أعمق من فيزياء الطبيعة بكثير فهم حجج الله تعالى على خلقه بعلمهم ومعجزاتهم ، وهم نوره في أرضه ، هذا النور الذي حدثنا عنه سبحانه في سورة النور (آية:٣٥) وقال لنا إنه موجود في بيوت في الأرض عندكم: **اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ، يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ، زَيْتُونَةٍ لاشَرْقِيَّةٍ وَلاغَرْبِيَّةٍ، يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ. يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ. وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** . فالنبي وآله المعصومون صلى الله عليه وآله نور الله في أرضه ، والرابط بينه وبين خلقه ، لايصح أن يقاس بهم أحد: لا بعلمهم ، ولا بأفعالهم ، ولا بأرواحهم ، ولا بأجسادهم.. ولابفريضة ولايتهم وطاعتهم عليهم السلام !

وليس كل من ادعى الفهم فاهماً ، ولامن ادعى العلم عالماً ، ولامن تعاطى الطب طبيباً ، ولا كل من ورد بحر فهم الأنبياء والمعصومين عليهم السلام سبَّاحاً ، فإن بحوث معرفة شخصياتهم المقدسة عليهم السلام بحرٌ النجاةُ فيه في اللجة ، والغرق فيه في الشاطئ، وهو يحتاج الى فهم الفقيه، وعمق الفيلسوف ، وفهم المعصوم من كلام معصوم، ويحتاج بعد ذلك الى نبض قلب وإشراقة روح.. وتلك ميزات وهب الله منها الكثير الى المرجع الأستاذ دام ظله .

فهم الفقيه

إذا قرأت نصاً لعقد عمل أو إنشاء شركة ، فسوف تفهمه، أو تفهم منه ٠ لكن لو أعطيته الى خبير قانوني ليقرأه ، فسوف يفهمه بشكل أعمق .

إن الفرق بين فهم الحقوقي المتخصص وفهم الشخص العادي ، مثلٌ تقريبي لنعرف به الفرق بين فهم الفقيه وغير الفقيه .

والفقيه بمستوى مراجعنا الكبار ، أدق من الحقوقي الذي قضى عمره في القانون ، لأن منهجهم في البحث أصح ، وجهدهم أكثر .

غير الفقيه يقرأ بالجملة ، والفقيه يقرأ بالمفرد .

غيره يقرأ بالطول ، وهو يقرأ في العمق .

غيره يقرأ الكلمات والجمل ويفهم منها ، وهو يتأمل في اختيار الكلمة وصيغتها في نفسها ، وتركيبها مع أخواتها ، ونوع الربط والرابط بينهن .

غير الفقيه يفهم المعنى الظاهر الذي تدل عليه الألفاظ ، والفقيه يفهم الظاهر ولوازمه وأبعاده ، ويفهم العمق ، وأبعاده وإشاراته .

غير الفقيه يفهم العقيدة بقطع النظر عن معمارية الشريعة المقدسة ، في مفرداتها وقواعدها وأهدافها ، فقد يلائمها في فهمه ، وقد يصطدم بها .

والفقيه يفهم وهو مستحضر لمنظومة الشريعة بكل أحكامها ، فيجئ فهمه لصرح العقيدة غنياً بفهمه لصرح الشريعة ، متسقيْن ، متناسقيْن .

غير الفقيه يكون فهمه عادةً في معرض الإشكال والنقض والرد والبدل ، والفقيه يفهم بعقلية الأصولي الذي عايش لسنين طويلة أبحاث أصول الفقه الدقيقة العميقة ، وقتلها بحثاً وتعمقاً وتشقيقاً وإشكالاً وردّاً ، من

أول بحث الوضع والمعنى الحرفي الى آخر بحوث التعارض والتراجيح .
نقل لي أحدهم أن الكاتب المصري أحمد أمين عندما زار النجف الأشرف سأل المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قدس سره عن علم أصول الفقه ، فأحضر له المجلد الأول من كفاية الأصول للخراساني قدس سره، فقرأ فيه أحمد أمين ، ثم قرأ .. وقال: لم أفهم !
فقيل له : نعم ، لأنك لم تدرس ، وهذا علم يحتاج الى دراسة !

عمق الفيلسوف

يحترم الناس الفلاسفة بقطع النظر عن عقائدهم ، بسبب مستوياتهم الذهنية العالية . فالذي يستطيع أن يفهم مصادر الفلسفة القديمة اليونانية وما طور فيها الفلاسفة المسلمون، من منظومة السبزواري وإشارات ابن سينا وشفاءه مثلاً ، أو يفهم الفلسفة الحديثة كفلسفة كانت ، وديكارت ، وبراتراند راسل ، لابد أن يكون فهيماً صاحب مستوى ذهني عال .

والمرجع الوحيد الخراساني بهذا الميزان ، من أصحاب هذه الذهنيات العالية ، حيث درس وقرأ أمهات كتب الفلسفة ، فهو أستاذ فيها وإن كان وزن الفلسفة والفلاسفة عنده خفيفاً كما نرى عند تعرضه لبعض نظريات الشيخ الرئيس ابن سينا ، فهو إنما يحترمه لأنه وصل في آخر عمره الى اليأس من الفلسفة ، وتوجه بفكره ليقتبس من القرآن الكريم .

من هنا كانت خبرته الفلسفية عاملاً مساعداً في فهمه للنبي وآله صلى الله عليه وآله توجب مزيد الإطمئنان لأولئك الذين يُكْبِرون الفلسفة .

فهم شخصية المعصوم من كلام المعصوم

كلما تقدمت المعرفة بالفلاسفة والمفكرين والعلماء ، اكتشفوا أبعاداً جديدة في كلام النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وعرفوا قيمته وقيمتهم أكثر ، وعرفوا أن شخصية المعصوم يجب أن تفهم من كلام المعصوم عليه السلام !

صحيح أن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وآله قل للناس أنا بشر مثلكم: **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** (سورة فصلت:٦) ، لكنه قال لنا بذلك إن النبي مثلنا وليس مثلنا ! وإن شخصيته مركبة من جنبة بشرية يعاملنا بها ، وجنبة غيبية يتلقى بها الوحي والعلم من رب العالمين ! وأنى لنا أن نفهم بفكرنا وعقولنا جنبة الغيب في شخصيته ، إلا بكلام المعصوم الذي له نافذة مفتوحة على الغيب؟!

بل حتى المثلية في قوله تعالى: **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ** فهي تعني أنه من وسطكم يعرف تفكيركم وشعوركم ويدرك مشكلاتكم ، ولاتعني أنه مثلنا بمستوانا ونوع تفكيرنا ومشاعرنا ، فإن له صلى الله عليه وآله تفكيره ومشاعره وعالمه الأعلى الذي لانرتقي اليه ، كما أنه لا ينزل الى عوالمنا الدنيا !

فالنبي إذن بسبب رقيٍّ فكره ومشاعره ، ليس مثلنا . وبسبب أن شخصيته مفتوحة على الغيب، ليس مثلنا! فماذا بقي من المثلية التي تمكننا من الإحاطة بحقيقة شخصيته صلى الله عليه وآله؟! وكذلك هي شخصيات المعصومين من عترته عليهم السلام .

وعلى هذا الأساس كان من منهج المرجع الأستاذ أن فهم المعصوم لايمكن إلا من كلام المعصوم عليه السلام، وقد طبقه في محاضراته خير تطبيق ، وكشف عن أبعاد جديدة في شخصياتهم ومقاماتهم عليهم السلام لم تكن تتيسر لولا هذا المنهج .

نبض القلب وإشراقة الروح

أقصد بنبض القلب: التفاعل الإنساني العقلي والعاطفي مع الحقائق التي تهز العقل والقلب ، الحيَّيْن الحَيَويَّيْن .

وبإشراقة الروح: تلك الإنارة التي ينعم الله بهاعلى الإنسان فتضئ له الأمر فيراه على واقعه ، أو قريباً من واقعه .

وهما أمران يتوقفان على عدة عوامل تكوينية وسلوكية يتفاوت فيها الناس كثيراً ، وتختلف تبعاً لها إشراقة أرواحهم ، ونبض قلوبهم !

فبعض الناس تراه قطعة عاطفة، ينفعل من رمشة العين، ويطير كالريشة الخفيفة في الهواء الذاري! تراه انفعالياً كأنه لم يطرق سمعه أن الإنسان له عقل يفكر فيه ويصل به الى نتائج نظرية وعملية مهمة !

وبعض الناس تراه كأنه عقلٌ رياضي محض، كل شئ عنده معادلة جافة إما معادلة مالية حسابية ، أو معادلة أحداث وقعت أو سوف تقع ، ثم لاشئ غير ذلك ! لا قلب ينبض ، ولا عاطفة تجيش !

تراه يواجه حدثاً تهتز منه أحجار المقابر فلايرفُّ له جفنٌ من شعور ، فكأنه في حياته لم يبتسم ، ولا سمع بمن يضحك ويبكي ويغضب !

وبين هذين النموذجين درجات كثيرة . .

وتكامل الشخصية وتميزها إنما يكون بما يحققه صاحبها فيها من تعادل قوى العقل والعاطفة ، وما يكسبه من استشراف الروح وإشراقتها .

وإذا نظرنا الى شخصية الشيخ الوحيد الخراساني بهذا الميزان، يبدو لنا أنها أقرب الى شخصيات أصحاب المعادلات الرياضية ، الذين لايعجبهم

العجب ولايهتمون بأكثر الأمور والقضايا التي يهتم بها الناس !

لكن يكفي أن تسأله مسألة تتعلق بالله تعالى أو بالنبي وآله الأطهار صلى الله عليه وآله حتى تعرف أن اهتمامه هنا ، وليس هناك !

أو تسمع له محاضرة عنهم عليهم السلام ، لترى هذا الساكن الساكت عالَماً يموج بالإيمان ، وقلباً نابضاً بالأفراح والأحزان ، وروحاً مشرقة بنور النبي والزهراء والأئمة عليهم السلام .

كنت نويت أن أكتب سيرته الذاتية حفظه الله في مقدمة هذا الكتاب ، وطلبت منه أن يخصص وقتاً للإجابة على أسئلتي التي أحتاجها لكتابة الموضوع، فأوعدني خيراً واستمهلني أن يكمل عملاً بيده، فصبرت حتى أكمله ، لكنه فكر فرأى سيرته الذاتية أمراً غير مهم فاعتذر عنها !

قالت له موازينه ومعادلاته إنها حديث عن الذات والذات غير مهمة ، وإنما المهم الحديث عن النبي وآل النبي صلى الله عليه وآله .

ميزة هذا الكتاب

وجدت في هذه الدروس، ما أعتقده في فهم النبي وآله صلى الله عليه وآله، فهي بمادتها العلمية وتحليلها تؤصل للمنهج الصحيح في معرفتهم ، وبمادتها الولائية العملية تمثل أنشودتي التي أحب أملأ بها جنبات عقلي وروحي ، وأحملها معي الى قبري ، وألاقي بها ربي عز وجل ، وأشنِّفَ بها أسماع الموالين من إخواني الشيعة الذين يعرفون نبيهم وأئمتهم عليهم السلام بهذا المنهج وهذا الفهم التقليدي الأصيل ، ويعيشون به معهم في ليلهم ونهارهم ، وتزهر به قلوبهم كالمصابيح ، وإن لم يستطيعوا أن يعبروا عنه بشرح وبرهان! فهؤلاء هم الذين

وصفهم الإمام الصادق عليه السلام ووصف أضدادهم بقوله: (**تجد الرجل لايخطئ بلام ولا واو ، خطيباً مصقعاً ، ولقلبُه أشدُّ ظلمةً من الليل المظلم! وتجد الرجل لايستطيع يعبِّر عما في قلبه بلسانه، وقلبه يزهر كما يزهر المصباح**). (الكافي:٢/٤٢٢)

والحمد لله أن الكثيرين عرفوا قيمة هذه الجواهر التي أفاضها شيخنا الأستاذ في مركز تدريسه العامر ، قاعة المسجد الأعظم بقم المشرفة ، خاصة العلماء الفضلاء من تلاميذه ، الذين تخرَّج منهم على يده المئات وربما الألوف ، وفيهم من هو بمستوى المرجعية والحمد لله ، وقد انتشرت أشرطة هذه الدروس بشكل واسع ، وقام الفاضل الشيخ عباس بن نخي بترجمة اثني عشر درساً منها الى العربية بعنوان (**عبقات ولائية**).

لكني أردت أن أترجمها كاملة ، وأستخرج مصادر أحاديثها ونصوصها ، وأشرح بعض مواردها ، وأقدمها الى شيعة أهل البيت الطاهرين عليهم السلام بصيغة تضمن المحافظة على أفكارها ، وتتميز بحرية التعبير وسلاسة الأسلوب وانسيابه.. فكان هذا الكتاب الذي أرجو أن يكون ذخراً ليوم حشري ، وأن يكتبني الله تعالى به فيمن دافع عن التشيع الأصيل لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام في عصر كثرت فيه الكتابات عن أنواع من التشيع ، منها الأصيل المشرق ، ومنها البائس الهزيل ، ومنها الإلتقاطي الهجين ، ومنها التحريفي الممسوخ .

أسأله تعالى أن يجزي أستاذنا المرجع خير الجزاء بما أوضح من معالمَ ولاية أهل البيت الطاهرين عليهم السلام وعرَّفَ بمقاماتهم ، ونَصر قضيتهم ، قضية الإسلام ، وأن يكتب لي سهماً في عمله ، ويشمله وإياي بشفاعتهم عليهم السلام .

حرره بقم المشرفة ، في العشرين من ربيع الأول ١٤٢٣

علي الكوراني العاملي

تمهيد في الإتجاهات المعاصرة في فهم النبي وآله صلى الله عليه وآله

الإتجاهات الخمسة في فهم النبي وآله صلى الله عليه وآله

تنحصر المذاهب والإتجاهات الإسلامية المعاصرة في فهم النبي وآله صلى الله عليه وآله في خمسة: المذهب السني ، والشيعي الإمامي ، والزيدي ، والإسماعيلي ، وأخيراً الإتجاه الشيعي الإلتقاطي .

ولابد لنا أن نستبعد الغلاة الذين يؤلهون أحداً من أهل البيت النبوي عليهم السلام بأي نوع من التأليه ، ونستبعد النواصب الذين ينصبون العداء لأهل البيت النبوي عليهم السلام، لأنهما اتجاهان خارجان عن الإسلام ، لايصح عدهما من المذاهب أو الإتجاهات الإسلامية في فهم النبي وآله المعصومين صلى الله عليه وآله .

١- الإتجاه السني في فهم النبي وآله صلى الله عليه وآله

يرى أتباع المذاهب السنية أن النبي صلى الله عليه وآله معصوم في تبليغ الرسالة فقط ، دون بقية سلوكه العام ، ولا في سلوكه الشخصي .

هذا من ناحية نظرية ، أما ناحية عملية فإن مصادرهم تزعم أن النبي صلى الله عليه وآله ارتكب أخطاء عديدة ! وأن بعضها كان يصححه له جبرئيل عليه السلام، وبعضها كان يصححه له عمر بن الخطاب ، وكان الوحي يؤيد آراء عمر !

وزعمت مصادرهم أن منها أخطاءً حتى في تبليغه رسالة ربه،كقصة الغرانيق والصلاة على المنافقين ، وغيرها !

وكذلك لايرون عصمة أهل بيت النبي وعترته ، علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ويقولون لهم أخطاءً كما لهم فضائل، ولايعترفون بأنهم معينون من الله تعالى أوصياء للنبي صلى الله عليه وآله وأئمة للأمة ، ولذا يؤولون الآيات والأحاديث التي تدل على عصمتهم وإمامتهم عليهم السلام،ويجعلون درجة علي عليه السلام رابع الصحابة لأنه كان الخليفة الرابع ، ويفضل أكثرهم عليه أبا بكر وعمر وعثمان ، وقد يفضلون عائشة على فاطمة الزهراء عليها السلام، كما يفضلون بعض التابعين العاديين على أئمة أهل البيت عليهم السلام أمثال الإمام زين العابدين ، والإمام محمد الباقر ، والإمام جعفر الصادق عليهم السلام !

ويترتب على هذا الفهم أمور عديدة ، تظهر في المعالم التالية:

الأول: أن النبي توفي بزعمهم بلا وصية، والصحابة هم الأصل بعد النبي صلى الله عليه وآله، وهم الأفضل من جميع الأمة عبر أجيالها ، وعنهم يتلقون دينهم ، ولايهتمون بالرأي المخالف لهم ، بل يعتبرونه انحرافاً عن الإسلام حتى لو كان صادراً من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله! بل تراهم يقرنون الصحابة بالنبي في الصلاة عليه صلى الله عليه وآله، وقد يحذفون منها آل النبي ويكتفون بالصلاة عليه وعلى صحابته ، مع أنهم رووا في صحاحهم أن النبي صلى الله عليه وآله أمرهم أن يقرنوا به آله عليهم السلام فقط !

الثاني: عندما يقولون (الصحابة) فلا يقصدون المئة ألف شخص وأكثر ، الذين رأوا النبي صلى الله عليه وآله وسموهم صحابة ، ولايقصدون أهل بيته علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام الذين هم أهل بيت وصحابة !

بل هم عملياً يقصدون أربعة رجال من الصحابة هم: أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية ، ومن وافقهم ، ومعهم امرأتان هما: عائشة وحفصة ، ومن وافقهما .
أما باقي الصحابة فهم مقبولون عندهم بشرط أن يوافقوا هؤلاء الستة ، ولا عبرة بقول جميع الصحابة إن خالفوا الستة ، أو خالفوا عمر وحده !

الثالث: لايقول السنيون نظرياً بعصمة هؤلاء الصحابة الستة ، لكنهم عملياً يرون عصمتهم كمجموع ، بل يرون عصمة عمر وأبي بكر خاصة ، فهم لا يقبلون أن يوجه اليهما أي نقد ! ويحاولون تصحيح أفعالهما وأقوالهما حتى في مقابل النبي صلى الله عليه وآله! ويحكمون بضلال من ينتقدهما ، أو بكفره !

الرابع: أن تاريخ الإسلام في رأيهم صحيح على عمومه ، ونظام الخلافة الذي أسسه أهل السقيفة نظام شرعي، وما ارتكبوه من إقصاء أهل البيت عليهم السلام وما اقترفوه في حقهم وفي حق من عارضهم، من بطش وتقتيل وتشريد وحروب كلها طبيعية ومغفورة ، والحق فيها مع الصحابة ككل!
فإن لم يمكن جعل الحق معهم كلهم ، فالحق مع أبي بكر وعمر ، والخطأ والضلال في من يقابلهم !

كما أن الدعوة الى إقامة نظام إسلامي في عصرنا ، تعني عندهم الدعوة الى تطبيق فقه المذاهب الأربعة ، وإعادة أمجاد نظام حكم الخلافة الإسلامية عبر العصور ، وخاصة خلافة أبي بكر وعمر .

٢- الإتجاه الشيعي في فهم النبي وآلهصلى الله عليه وآله

نعتقد نحن الشيعة بإمامة الأئمة الإثني عشرعليهم السلاموعصمتهم ، وأنهم أئمة مفروضةٌ طاعتهم ، لأنهم معينون من الله تعالى ورسولهصلى الله عليه وآله ، بل هم أفضل الخلق بعد نبيناصلى الله عليه وآله، ولهم مقاماتٌ عظيمة خصهم الله تعالى بها في نشأتهم في هذه الدنيا وقبلها، ولهم مع جدهم مقام الشفاعة العظمى في الآخرة . وقد يعبر علماؤنا عن النبي وآلهصلى الله عليه وآلهبأنهم وسائط العطاء والرحمة والفيض الإلهي.

ويترتب على هذا الفهم أمور عديدة ، تظهر في المعالم التالية:

الأول: أن العصمة التي يعتقد بها الشيعة للنبيصلى الله عليه وآلهعصمةٌ كاملة عن جميع المعاصي الكبائر والصغائر ، قبل البعثة وبعدها ، في تبليغ الرسالة وغيره . وكذلك عصمة الأئمة من عترتهعليهم السلام، مع أنهم أئمة وليسوا أنبياء .

الثاني: أن أهل البيت المعصومينعليهم السلامهم مصدر التلقي الوحيد للكتاب والسنة بعد النبيصلى الله عليه وآله ، والميزان الوحيد لصلاح جميع الصحابة والأمة أو انحرافهم عن الإسلام ، فهم الأفضل وهم الأصل، ولاعبرة بقول من خالفهم من الصحابة وغيرهم ، وذلك لثبوت عصمتهم والأمر باتباعهم والتلقي منهم وحدهم ، بنص القرآن والسنة .

والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة كقولهصلى الله عليه وآله:**إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تاركٌ فيكم الثقلين، كتاب الله عز وجل وعترتي كتاب الله حبل ممدودٌ من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي. وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروني بِمَ تخلفوني فيهما .** (مسند أحمد:٣ /١٧).

وقال السرخسي: **قال عليه السلام : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ، إن تمسكتم بهما لم تضلوا بعدي. وقال تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ**

الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. (أصول الفقه:١/٣١٤)

الثالث: أن مذهب أهل البيت عليهم السلام هو الإسلام كما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو استمرار خط النبوة بالأئمة الذين أمر النبي الأمة باتباعهم بعده . ويصح وصف التشيع بأنه مذهب ، لكن بمعنى أشمل من المذاهب الفقهية والكلامية التي أنشئت في القرن الأول والثاني ، في العصرالأموي والعباسي .

الرابع: أن قضية أهل البيت النبوي عليهم السلام هي لبُّ الإسلام ، وظلامتهم هي ظلامة الإسلام ، وفضائلهم فضائل الإسلام ، وأن الأولوية في العمل الإسلامي لتعريف المسلمين والعالم بهم ، ورد الشبهات عنهم وعن شيعتهم ، والدفاع عن حقهم ودفع ظلامتهم ، وتطبيق الإسلام الذي تلقيناه منهم .

الخامس: أن مسار تاريخ الإسلام على عمومه غير صحيح ، ما عدا ما أمضاه الأئمةالمعصومون من أهل البيت عليهم السلام وأقروه من الفتوحات، التي خطط لفتحها النبي صلى الله عليه وآله وأدار فتوحها علي عليه السلام وقادها تلامذته .

ونظام الحكم الذي أسسته قبائل قريش في السقيفة غير شرعي ، ما عدا خلافة أمير المؤمنين ، وخلافة الإمام الحسن عليه السلام التي عاشت ستة أشهر .

والذي صنعته قبائل قريش وارتكبته مع النبي وأهل بيته صلى الله عليه وآله هو أسوأ أنواع الإنقلابات التي قامت بها أمة في حياة نبيها وبعده، ضده وضد أوصيائه! وقد فتحوا بذلك أبواب الظلم والصراع في الأمة ، وحرفوا مسيرة الإسلام عن خطها الصحيح ، حتى يظهر المهدي عليه السلام فيعيد الحق الى نصابه !

ومن هنا كانت البراءة من ظالمي أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله من أصول مذهبنا الى جنب ولايتهم ومودتهم وطاعتهم عليهم السلام .

٣- الإتجاه الزيدي في فهم النبي وآله صلى الله عليه وآله

وهم يعتقدون أن الإمامةفي ذريةعلي وفاطمة عليهما السلام، وأن الإمام بعد الحسين هو الإمام زين العابدين عليه السلام ، وبعده زيد بن علي بن الحسين ، ثم يضعون ثلاثة شروط للإمام الواجب البيعة والطاعة عندهم وهي: أن يكون من ذرية علي وفاطمة عليهما السلام، وأن يكون عالماً ، وأن يقوم بالسيف . ولكنهم يعتقدون بعصمة أهل الكساء عليهم السلام، دون بقية أئمتهم .

٤- الإتجاه الإسماعيلي في فهم النبي وآله صلى الله عليه وآله

يرى المذهب الإسماعيلي أن الإمامة في ذريةعلي وفاطمة عليهما السلام، ويشتركون معنا في إمامة الأئمة من العترة الطاهرة الى الإمام الصادق عليه السلام ، ثم يقولون بإمامة ولده إسماعيل بن الإمام الصادق ، ثم بإمامة العشرات من أئمتهم ، ومنهم كل الخلفاء الفاطميين . وبعضهم يعتقد بعصمتهم جميعاً .

٥- الإتجاه الشيعي الإلتقاطي في فهم النبي وآله صلى الله عليه وآله

وهو الإتجاه المتأثر بأفكار السنيين وأحياناً بأفكار الغربيين ، وقد توسعنا فيه لأنه يتصل بموضوعنا مباشرة . وأصحاب هذا الإتجاه ليسوا فرقة متميزة عن الشيعة ، بل هم أفرادٌ أو كتلة في أوساطهم ، ويظهر اتجاههم من أقوالهم وبعض كتاباتهم . وأبرز معالم هذا الإتجاه في الأمور التالية :

الأول ، أن أصحابه ينكرون عدداً من فضائل الأئمة ومقاماتهم عليهم السلام، مثل أن الله خلق نورهم قبل خلق العالم ، وأنهم وسائط عطاء الله تعالى وفيضه ، وأن لهم ولاية تكوينية على العالم.. الخ. ويحرصون على تقديم شخصياتهم عليهم السلام بعيدةً عن عناصر الغيب التي فيها ، كأنهم مجرد أئمة مذهبٍ من المذاهب!

بينما هم عليهم السلام أئمةٌ ربانيون معينون من الله تعالى ، وعلمهم منه سبحانه ، فهم ورثة الكتاب والعلم الإلهي ، وعندهم مواريث الأنبياء عليهم السلام، وهم ملهمون من الله تعالى ، فلا يقاس بهم أحد ، ولا تقاس شخصياتهم بغيرهم ، ولا مذهبهم ببقية مذاهب الدول التي اضطهدتهم وأقامت مقابلهم علماء أسسوا لها هذه المذاهب ، وجمعوا أصولها وفروعها خليطاً من مصادر الإسلام ، ومقولات أهل الكتاب ، وظنون مؤسسيها !

الثاني: يدعو أصحاب هذا الإتجاه الشيعة الى تركيز اهتمامهم على الولاية دونَ البراءة ، وأن يكتفوا بذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام دون ذكر مظالمهم والبراءة من أعدائهم وظالميهم ، حتى لايثيروا بذلك حساسية أتباع المذاهب السنية ، وغيرتهم على أئمتهم وحكامهم الذين ظلموا أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله !

وقد يفرط بعضهم في التنازل عن ظلامة أهل البيت عليهم السلام فيعتبر أنها مسألة تاريخية لايصح أن نهتم بها كثيراً ، لأن الإهتمام بالقضايا العامة أولى منها !

الثالث: يشارك أصحاب هذا الإتجاه السنيين في نظرتهم الى تاريخ الإسلام على العموم ، ويرون أن الدعوة الى إقامة النظام الإسلامي في عصرنا تعني الدعوة الى إعادة ما يسمى بأمجاد الحضارة الإسلامية ، وأمجاد نظام حكم الخلافة الإسلامية في صدر الإسلام ، وتطبيق ما يختاره الحاكم من فقه المذاهب الأربعة أو الخمسة .

كما أن نظرتهم الى نظام الخلافة الذي أسست بطون قريش في السقيفة ، وما نتج عنه من صراعات الخلفاء على الحكم ، أقرب الى نظرة السنيين . وإذا ذكرت أمامهم الجرائم التي ارتكبها الخلفاء مع أهل البيت عليهم السلام، فقد يقرون بهولها ، لكنهم يريدون الإغماض عنها وترك مناقشتها !

والأمر الأسوأ في آرائهم أنهم يريدون من الشيعة أن يقدموا أهل البيت عليهم السلام الى الأمة ويربُّوا أبناءهم على أنهم شخصيات قيادية ضمن المسار العام للأمة وكأن الأئمة عليهم السلام ارتضوا هذا المسار وعملوا في تقويته ! مع أنهم أدانوا كل المسار ، وحكموا بأنه انحراف عن الإسلام ، وتعاملوا معه من باب الضرورة ، لحفظ كيان الأمة ، وما يمكن حفظه من الإسلام ، وتثبيت خطه الصحيح !

الرابع: يتبنى أصحاب هذا الإتجاه مفهوماً خاطئاً للوحدة الإسلامية ، فيتصورون أنها تعني الوحدة الفكرية بين المسلمين على القواسم المشتركة بين المذاهب في العقيدة والفقه ، وأنه يجب إهمال ماعدا المشتركات!

مع أن الوحدة بهذا المعنى هدف خيالي لايمكن تحقيقه إلا بالتنازل عن مجموعة من عقائد المذاهب وأحكامها !

والوحدة الإسلامية الصحيحة هي وحدة المسلمين السياسية في مواجهة أعدائهم ، ووحدتهم بتعاونهم لتحقيق النهوض بشعوبهم ، وهذا لايتنافي مع المحافظة على حرية المذهب ، وحرية البحث العلمي المذهبي مع حفظ الأدب الاسلامي ، ولا مع العمل لبيان ظلامة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

لهذه الأسباب وغيرها ، صحت تسميتهم أصحاب الإتجاه الإلتقاطي التركيبي.

○ ○

تجربتي في فهم المعصومين عليهم السلام

أحمد الله تعالى حيث وفقني في نشأتي لأن أعيش في أجواء المرحوم آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره، فقد كان يقضي شهور الصيف في قريتنا ياطر من جنوب لبنان ، وكان يفيض على القرية والمنطقة من روحانيته الصافية ، وعمق ولائه لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام.

وكان من فضله علي رحمه الله أن شجعني على طلب العلم في سن مبكرة ، وهيأ لي أستاذي آية الله الشيخ ابراهيم سليمان حفظه الله ، الذي كان يعيش نفس أجواء السيد شرف الدين قدس سره في الولاء ، فدرست عنده نحو ثلاث سنوات .

ثم عشت في الحوزة العلمية في النجف الأشرف في أجواء هذا الفهم والولاء لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام، وكنت مهتماً الى جانب دراستي ، بقراءة سيرتهم عليهم السلام والتعرف عليهم أكثر ، فكنت أقضي ساعات طويلة في مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام في قراءة السيرة من كتاب البحار وغيره ، وكنت أشاهد العلامة الأميني قدس سره مشغولاً في تأليف موسوعة الغدير ، أو أراه في حرم أمير المؤمنين عليه السلام مستغرقاً في الصلاة أو في الزيارة .

في تلك الفترة عايشتُ في النجف الصراع الضاري بين الحوزة الدينية وموجة الشيوعيين(١٣٧٧-١٣٨١هجرية ١٩٥٨_١٩٦٢ميلادية) ، وشاهدت معاناة الشعب العراقي منهم، وتحملتُ بعض ما تحمله المتدينون وطلبة الحوزة خاصة من تحديات وإذلال وخطر ، الى أن استطاع المرجع السيد الحكيم قدس سره أن يصدر فتواه في الشيوعية ، ويحدث ضدهم موجةً شعبيةً قويةً .

ثم رأيتُ كيف اتجهت الحوزة بعد فتواه قدس سره لانتهاج طرق جديدة في التوعية الإسلامية ، لمواجهة الأخطار الشرسة على الدين والمتدينين .

فقد تصدى الناس والحوزة بكل فئاتها لهذه المهمة ، التقليديون منهم والمثقفون أو الواعون كما كنا نسميهم ، لكن الذين واصلوا العمل شخصيات من المثقفين يكثر فيهم الإتجاه التركيبي في فهم الأئمة عليهم السلام ، وكنت أتأثر بهم في بعض المفاهيم ، وأناقشهم في بعضها .

ولعلي أول من اقترح على أستاذنا الشهيد الصدر قدس سره أن يخصص أيام التعطيل في مناسبات الأئمة عليهم السلام للبحث في سيرتهم ، وكنت معجباً ببعض أفكاره عنهم حيث ألقى علينا في تلك المحاضرات رؤيته قدس سره لشخصياتهم وسيرتهم عليهم السلام، وفيها لفتاتٌ مهمة ، لكني قبلتها يومذاك على تأمل في بعضها ، ولم تُقنع أعماقي بسبب ما فيها من إسقاط في تصور أدوارهم وعملهم عليهم السلام، فكنت في داخلي أبحث عن رؤية أكثر إقناعاً .

○ ○

كانت رحلتي في البحث عن الفهم الصحيح للنبي والمعصومين عليهم السلام من أصعب الرحلات الفكرية ! لأني قطعت مسافتها وأنا في وسط يتبنى الإتجاه الإلتقاطي ويعمل به !

وقد أنعم الله تعالى عليَّ بحب القراءة ، فقرأت الكافي بمجلداته الثمانية ، والبحار بمجلداته المئة ، وكتب الصدوق كلها ، وعشرات الدورات في التفسير والحديث والتاريخ والكلام ، من مصادر الشيعة والسنة ، مضافاً الى الكتب الجديدة ، التي قرأت أكثرها ، أو تصفحته !

كنت يوماً أقرأ في روضة الكافي حديثاً عن الإمام محمد الباقر عليه السلام يفسر قوله تعالى: **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**.(سورة الأنبياء:٣٠) يقول فيه الإمام الباقر عليه السلام: **إن الله تبارك وتعالى لما أهبط آدم إلى الأرض كانت السماوات رتقاً**

لاتمطر شيئاً، وكانت الأرض رتقاً لاتنبت شيئاً ، فلما أن تاب الله عز وجل على آدم أمر السماء فتقطرت بالغمام، ثم أمرها فأرخت عزاليها ، ثم أمر الأرض فأنبتت الأشجار وأثمرت الثمار وتفهقت بالأنهار، فكان ذلك رتقها وهذا فتقها .

قرأت ذلك فقلت في نفسي: ما أغبانا ! ركضنا وراء ثقافة الإخوان المسلمين وابتعدنا عن ثقافة أهل البيت الطاهرين عليهم السلام الذين عندهم علم الكتاب !

لقد مضى علينا سنين ونحن نأخذ بقول سيد قطب وأمثاله ، ونفسر الآية في تدريسنا ومحاضراتنا بأن السماء والأرض كانتا قطعة واحدة ، ففصَّلَهما الله تعالى الى أرض ونجوم وكواكب... الخ .

تأملْ في الآية لتراها تنطق بصحة تفسير الإمام عليه السلام لأن المخاطب فيها الكفار لينظروا فصول السنة ، وموضوع الآية نظام التبخير والإمطار ، ولا علاقة له بفصل الأرض عن السماء ، فانظر الى قوله: **فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ..!**

وقد جاء كلام الإمام الباقر عليه السلام هذا ضمن هذه الرواية التي أوردها لفوائدها :

في الكافي:١٢٠/٨بسنده عن أبي الربيع قال: حججنا مع أبي جعفر(أي الإمام الباقر عليه السلام) في السنة التي كان حج فيها هشام بن عبد الملك وكان معه نافع مولى عبدالله بن عمر بن الخطاب (من علماء النصارى وكان ناصبياً يميل الخوارج) ، فنظر نافع إلى أبي جعفر في ركن البيت وقد اجتمع عليه الناس ، فقال نافع: يا أمير المؤمنين من هذا الذي قد تداكَّ عليه الناس؟!

فقال: هذا نبيُّ أهل الكوفة ، هذا محمد بن علي !

فقال: إشهد لآتينه فلأسألنه عن مسائل لا يجيبني فيها إلا نبي أو ابن نبي أو وصي نبي ! قال: فاذهب إليه وسله لعلك تخجله ! فجاء نافع حتى اتكأ على الناس ثم أشرف على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا محمد بن علي إني قرأت التوراة

والإنجيل والزبور والفرقان ، وقد عرفت حلالها وحرامها ، وقد جئت أسألك عن مسائل لايجيب فيها إلا نبي أو وصي نبي أو ابن نبي! قال: فرفع أبوجعفر عليه السلام رأسه فقال: سل عما بدا لك. فقال:

أخبرني كم بين عيسى وبين محمدمن سنة؟ قال: أخبرك بقولي أو بقولك؟ قال: أخبرني بالقولين جميعاً . قال: أما في قولي فخمسمائة سنة ، وأما في قولك فستمائة سنة. قال: فأخبرني عن قول الله عز وجل لنبيه: **وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ.** (سورة الزخرف:٤٥) مَن الذي سأل محمدٌ وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة؟ قال: فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية: **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ،** فكان من الآيات التي أراها الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وآله حيث أسرى به إلى بيت المقدس ، أن حشر الله عز ذكره الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرئيل عليه السلام فأذن شفعاً وأقام شفعاً ، وقال في أذانه: **حي على خير العمل،** ثم تقدم محمد صلى الله عليه وآله فصلى بالقوم، فلما انصرف قال لهم: **على مَ تشهدون ، وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله أخذ على ذلك عهودنا ومواثيقنا !**

فقال نافع: صدقت يا أبا جعفر ، فأخبرني عن قول الله عز وجل: **أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَئٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ؟** قال: إن الله تبارك وتعالى لما أهبط آدم إلى الأرض وكانت السماوات رتقاً لاتمطر شيئاً ، وكانت الأرض رتقاً لاتنبت شيئاً ، فلما أن تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام أمر السماء فتفطرت بالغمام ، ثم أمرها

فأرخت عزاليها ، ثم أمر الأرض فأنبتت الأشجار ، وأثمرت الثمار ، وتفهقت بالأنهار ، فكان ذلك رتقها وهذا فتقها .

قال نافع: صدقت يا ابن رسول الله ، فأخبرني عن قول الله عز وجل: **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَالأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّار** (سورة ابراهيم:٤٨) أي أرض تبدل يومئذ ؟ فقال أبو جعفرعليه السلام: أرض تبقى خبزة يأكلون منها حتى يفرغ الله عز وجل من الحساب ! فقال نافع: إنهم عن الأكل لمشغولون؟ فقال أبو جعفرعليه السلام: أهم يومئذ أشغل أم إذ هم في النار؟ فقال نافع: بل إذ هم في النار. قال: فوالله ما شغلهم إذ دعوا بالطعام فأطعموا الزقوم ، ودعوا بالشراب فسقوا الحميم ! قال: صدقت يا ابن رسول الله ولقد بقيت مسألة واحدة ، قال: وما هي؟ قال: أخبرني عن الله تبارك وتعالى متى كان؟ قال: ويلك متى لم يكن حتى أخبرك متى كان ؟! سبحان من لم يزل ولا يزال ، فرداً صمداً ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً .

ثم قال: يا نافع أخبرني عما أسألك عنه ، قال: وما هو ؟ قال: ما تقول في أصحاب النهروان؟ فإن قلت: إن أمير المؤمنين قتلهم بحق فقد ارتددت ، وإن قلت: إنه قتلهم باطلاً فقد كفرت؟!

قال: فولى من عنده وهو يقول: أنت والله أعلم الناس حقاً حقاً ! فأتى هشاماً فقال له: ما صنعت؟ قال: دعني من كلامك ! هذا والله أعلم الناس حقاً حقاً وهو ابن رسول الله حقاً ، ويحق لأصحابه أن يتخذوه نبياً) . انتهى.

وقد ذكر سيد قطب تفسير الآية بفتق الأرض عن السماء في عدة مواضع من تفسيره: قال في أحدها (ص٢٣٧٦) : (وقد يشير القرآن أحياناً إلى حقائق كونية كهذه الحقيقة التي يقررها هنا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما ،

ونحن نستيقن هذه الحقيقة لمجرد ورودها في القرآن ، وإن كنا لانعرف منه كيف كان فتق السماوات والأرض أو فتق السماوات عن الأرض، ونتقبل النظريات الفلكية التي لاتخالف هذه الحقيقة) انتهى. وقد أخذ سيد قطب هذا التفسير من مفسري الدولة الأموية ، كما تجده في مصادره !

إن تفسير هذه الآية ما هو إلا نموذج بسيط ليس فيه معاناة تذكر ، لكن المعاناة كانت عندما تصطدم النصوص بتصورنا الذي غرسناه في أذهاننا عن الأئمة عليهم السلام! فكم فكرت في مشروع فهمهم كما قدمه أستاذنا الشهيد الصدر قدس سره، فلم أستطع تطبيقه على نصوص سيرتهم عليهم السلام، ولاعلى أصول فعل الله تعالى العليم بعلمه المطلق ، الحكيم بحكمته المطلقة .

نظرية الأدوار الثلاثة للأئمة عليهم السلام

خلاصة الدراسة التي تبناها الأستاذ الشهيد قدس سره في محاضراته ، وساعدناه على استخراج النصوص المؤيدة لأفكارها ، وفرحنا بها وحملناها الى الناس: أن الأئمة الإثنا عشر عليهم السلام أئمة مختارون من الله تعالى، وأن حياتهم تنوعٌ في الأدوار ووحدةٌ في الهدف ، والهدف هو نفس هدفنا ومشروعنا في الدعوة وإقامة دولة الاسلام العالمية . أما الأدوار فثلاثة فهي:

الدور الأول: تكميل مرحلة التغيير والإنقلاب في الأمة وتثبيت أسس الإسلام في أذهانها لأن النبي صلى الله عليه وآله لم يستكمل هذه المرحلة! وقد واصلها بعده الإمام أمير المؤمنين والأئمة: الحسن ، والحسين ، وزين العابدين عليهم السلام.

والدور الثاني: بناء الكتلة الواعية من الأمة وتحديدها وتمييزها ، أو الفرقة الناجية ، لا فرق . وقد قام بهذا الدور الأئمة: محمد الباقر ، وجعفر الصادق ، وموسى الكاظم عليهم السلام.

والدور الثالث: العمل لتسلم السلطة ، وقد قام بهذا الدور الأئمة: الرضا ، والجواد ، والهادي ، والعسكري عليهم السلام، فلم يتيسر لهم بلوغ هدفهم ! وسيتحقق هدفهم على يد الإمام المهدي عليه السلام، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً .

الملاحظة الأولى على هذه النظرية

أن المنهج العلمي الذي قامت عليه ضعيف ، فهو منهج يضع أمامه مسبقاً مشروعنا في فهم الإسلام والدعوة اليه ، ويعتبره أمراً مفروغاً عنه في حياة الأئمة عليهم السلام ويحاول تطبيق حياتهم عليه ! والدليل على ذلك أن مواد الإستدلال فيه انتقائية ، لأنا لم نكلف أنفسنا جمع النصوص في الموضوع ، ثم تقسيمها الى طوائف ، ثم دراسة التعارض بينها للوصول الى نتيجة ، كما نصنع في أبحاث الفقه المعمقة ! بل كنا نكتفي بانتقاء المواد من الروايات والتاريخ ، بقطع النظر عن أسانيدها وعن إشاراتها المخالفة أحياناً ، وهذا يشبه انتقائية خصوم الشيعة في بحوثهم !

ويكفي دليلاً على ضعف مشروعنا أنه بَشَّرَ بدراسة حياة الأئمة عليهم السلام التكاملية المجموعية ، ونعى منهج الدراسة التجزيئية الإفرادية ، ومع ذلك أهمل أكثر الأحاديث التي تتحدث عن مشروعهم التكاملي وخطة الله تعالى فيهم بعد النبي صلى الله عليه وآله الى ظهور قائمهم عليه السلام، مثل حديث اللوح الذي نزل به جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله هديةً الى الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، وفيه أسماء الأئمة من أولادها عليهم السلام وخلاصة دور كل منهم وما يجري عليه. وهو حديث معتبر السند ومن أهم الأحاديث لمن أراد أن يدرس عقيدة الشيعة في الأئمة عليهم السلام.

الملاحظة الثانية

أن إثبات أصل هذ الأدوار الثلاثة والتمييز بين أعمال الأئمة عليهم السلام الذين سميناهم لكل دور منها، فيه مناقشات جذرية ، كافية لزعزعة أسس الدراسة!

فما معنى **(تكميل مرحلة التغيير والإنقلاب في الأمة..الخ.)** ؟

سمعت من أستاذنا الشهيد الصدر قدس سره أن النبي صلى الله عليه وآله توفي ولم يكن الإسلام كدين قد تثبت في أذهان الأمة ، فكان بحاجة الى جهود لتثبيت مفاهيمه في أذهانها ونفوسها .

فهل معنى هذا أن المشكلة في انحراف الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله مشكلة نظرية هي نقص فهمها للإسلام ، بسبب قصر مدة النبوة ، وليست تعمد الإنحراف والبغي بينهم طمعاً في الحكم كما في قوله تعالى:**وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إلا مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** (سورة الجاثية:١٧) وقوله تعالى: **(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)** (سورة البقرة:٢٥٣)

وهل معناه أن مدة حياة الأئمة الى الإمام زين العابدين عليه السلام لو تسلموا الحكم كانت ستكفي لوصول الأمة الى فهم الإسلام ، فلا تنحرف عنه بعدهم ؟!

وهل معناه أن عمل الأئمة الى الإمام زين العابدين عليه السلام قد ثبَّتَ الإسلام كدين في أذهان الأمة ، فتهيأت للإنتقال على يد الإمام الباقر عليه السلام الى الدور الثاني؟!

وكيف يكون الإسلام قد ثبت في أذهان المسلمين ، ورسخ في قلوبهم ، وقد استطاع عبد الملك بن مروان في زمن الإمام زين العابدين عليه السلام أن ينقل الحج من مكة الى بيت المقدس عندما غلبه عبدالله ابن الزبير على الحجاز ،

فأمر الناس بالحج الى بيت المقدس فأطاعوه وحجوا وطافوا حول قبة الصخرة وذبحوا أضاحيهم هناك ؟! (النهاية لابن كثير: ٨ / ٣٠٩)

وكيف يمكن القول إن الأئمة من الإمام الرضا الى العسكري عليهم السلام عملوا للوصول الى الحكم والسلطة ، مع أنهم عليهم السلام أخبروا مراراً بأن دولتهم آخر الدول ، في آخر الزمان ، وأن أحداً منهم لن يحكم غير الإمام المهدي عليه السلام ؟!

وما هو الفرق الحقيقي في وضع المسلمين الفكري والسياسي ، بين عصر الإمام الكاظم والإمام الرضا عليهما السلام وهل هو فرقٌ يبرر القول بأن الإمام الرضا عليه السلام بدأ بدور جديد هو العمل لتسلم السلطة ، بينما لم يقم به الإمام الكاظم عليه السلام ؟! مع أن الناظر في سيرة الإمام الكاظم عليه السلام يجد أنه أقرب الى الثورة على هارون الرشيد من الإمام الرضا عليه السلام على الرشيد أو المأمون ؟!

وهل يمكننا أن نتعقل أن أربعة أئمة معصومين عليهم السلام عملوا في الدور الأول لتثبيت الإسلام كدين في الأمة ، ثم عمل بعدهم واستثمر جهودهم ثلاثة أئمة معصومون من أبنائهم عليهم السلام في بناء الكتلة الواعية ، ثم عمل بعدهم أربعة أئمة معصومون عليهم السلام لتسلم السلطة.. فعجزوا عن تحقيق ما عملوا له ؟!!

هل يعقل ذلك في تلك الظروف المؤاتية للأئمة عليهم السلام أكثر من غيرهم ، فقد امتدت شعبيتهم في زمن الأمويين وطبقت شهرتهم الآفاق ، وكان الحكام الأمويون يعبرون عن الإمام الباقر عليه السلام بأنه نبي أهل العراق ، في حين أن أناساً مغمورين كالعباسيين عملوا مدة قصيرة للوصول الى الحكم ، ووصلوا ؟!

إن هذا الكلام لايعقل في حق معصوم واحد ، مُوجَّه من رب العالمين ، في تخطيطه وتنفيذه ، فكيف بأحد عشر إماماً عليهم السلام عملوا في ثلاثة قرون ؟!

الى آخر التساؤلات والإشكالات التي لايتسع لها هذا التمهيد .

الملاحظة الثالثة

يبدو أن حاجتنا الى التنظير الى حركة معينة ، دفعتنا دفعاً الى افتراضها في شخصيات الأئمة عليهم السلام وسيرتهم ، فقد كنا نرى ولو باللاشعور أنا ملزمون بربط عملنا الإسلامي بالأئمة عليهم السلام لنثبت للناس أن عملهم عليهم السلام كان من نوع عملنا ! لكن إصرارنا على هذا الربط أوقعنا في خطئين كبيرين:

أولهما، المنهج الإسقاطي ! **وثانيهما**، أنا تجاوزنا الفقه كمصدر للعمل الحركي مع أنا ننادي بأنه المصدر لكل عمل !

بينما كان علينا أن نستوعب أن الأئمة عليهم السلام لايقاس بهم أحد ، فلا يصح أن نقيسهم بنا فنختزل كل عظمتهم والمخطط الإلهي فيهم ، الضارب في التاريخ والمستقبل ، ونجعلهم أصحاب مشروع كمشروعنا !

وكان علينا أن نفهم عملياً لا نظرياً ، أن المنطلق للعمل الإسلامي لايصح أن يكون فهماً معينا للأئمة عليهم السلام من بين أفهام متعددة ، أوتصوراً فرضياً من بين فرضيات متعددة لشخصياتهم وسيرتهم وأهدافهم عليهم السلام!

وأنه يجب أن يكون أساس العمل الإسلامي: الفقه ، والشريعة التي ندرسها صباحاً ومساء ، ونقضي أعمارنا في أبحاثها ، وندعو الأمة لأن تجعلها منطلقها في سلوكها ، والتي يُدَوِّن مراجعنا نتيجة أعمارهم من بحوثها في فتاوى محددة ، مضبوطة المعنى والعبارة ، في رسائلهم العملية.

فبدل التنظير الضعيف لعملنا بإسقاطه على الأئمة عليهم السلام، كان يجب أن نتجه الى التأسيس الفقهي لمشروعنا من ألفه الى يائه ، ما يجب من العمل للإسلام وما يحرم ، وما يجب في دولته وما يحرم..الخ.

وهذا ما لم نقم به مع الأسف ، بل قامت نظرتنا الى الإسلام على الأدبيات

والعواطف! والتعامل العاطفي مع القضايا جيد بشرط أن يتقن أساسه العقلي والفقهي ، أما بدون أساسه العقلي فهو عاطفة في الهواء لاتستند الى أرض صلبة! كنا نكتفي بالتلقي من الأستاذ والمسؤول بدون بحث فقهي ، ثم ندرّس ما نتلقاه الى تلاميذنا ودعاتنا ، فيتلقوه منا بدون مناقشة !

فالاسلام في فهمنا دينٌ ومشروعٌ سياسي معاً ، لكنا لم نبحث حدود هذا المشروع ولا مواصفاته ، وهل هو مشروع مباح للعموم كالماء والكلأ والرمل والحصى، فيحق لكل مكلف أن يجتهد فيه ويدعو الأمة اليه ، ويتصدر لقيادتها ، أو هو خاص بالمعصوم عليه السلام، أو بمرجع التقليد ؟

والأسس التي كتبها الشهيد الصدر قدس سره وأعجبتنا كثيراً ، لم يكن فيها بحثٌ فقهي ولو مختصر عن وجوب إقامة الدولة الاسلامية في عصر الغيبة، ولا عن مشروعية إنشاء التنظيم لذلك ، أو شرعية قيادته وشروطها وحدودها ، مع أنها مشروع لقيادة كل الأمة ، بمن فيها الفقهاء والمراجع !

فتلك الأسس وّما تلاها من مواد ثقافية اعتبرت هذا الموضوع أمراً مفروغاً عنه كأنه متفق عليه ، مع أنه موضوع خطير ، يدعي دعاوي فقهية كبيرة ! فهو يطرح الولاية والبراءة بمستوى من المستويات من كل فئات الأمة ، على أساس موقفها من هذه الدعاوي وأصحابها !

فما هو الدليل الفقهي على أن العمل الإسلامي لإقامة الدولة ، فريضة على المراجع والحوزة والعلماء والناس ؟ وأنه حق شرعي لكل أحد حتى لو كان حافياً من الفقه ، فله أن يرفع صيصيته ، ويوالي الناس ويعاديهم على رأيه ؟!

وما هو الحكم الشرعي لإنشاء تنظيم لهذا الغرض؟ والعمل لأن يقود التنظيم الأمة ؟ وما هو الحكم في حالة تعارض تنظيمين أو عشرين تنظيماً...الخ ؟

بل ما هي صيغة نظام الحكم الاسلامي أساساً وكيفية إدارة الدولة ، والموقف الفقهي من أهم القضايا الداخلية والخارجية..الخ ؟

لايتسع المجال للإفاضة في هذا الموضوع ، وإنما غرضنا أن نبين مدى الفراغ الفقهي والفكري الذي ساد الحوزة في النجف بسبب الهجمة الشيوعية التي أنتجت الإندفاع للعمل ، وما وقعنا فيه من إسقاط في فهمنا للأئمة عليهم السلام!

وبسبب هذا الفراغ والإسقاط ، صِرْتَ لاتجد إجابةً واحدةً عند المندفعين للعمل الإسلامي إذا سألتهم عن فقه عملهم وشرعية قيادتهم للأمة ، ولاتصوراً موحداً عندهم لشخصيات الأئمة عليهم السلام وسيرتهم !

وهذا يعني أن مشروع العمل حمل معه (جينات) الإنقسام في أصحابه ، سواء في العقائد أو أساليب العمل ، وهذا ما وقع ويقع مع الأسف !

وهذا يعني أن ردة فعلنا المتحمسة على الموجة الشيوعية الطاغية ، دفعتنا الى مغامرة على كل صعيد، حتى صعيد الفكر والفقه والعقائد ، وقد كان خيراً لنا من خوض هذه المغامرة المأساة أن نحافظ على الفهم التقليدي للمذهب والأئمة عليهم السلام، وأن نسير في خط المعارضة المطلبية ، الذي انتهجه مراجعنا الذين كانوا أعمق منا فقهياً ، بل فكرياً ، رحم الله الجميع !

الملاحظة الرابعة

كان إيماننا بوحدة الأمة الإسلامية ، من العوامل الأساسية التي دفعتنا مع أستاذنا الشهيد الصدر قدس سره الى تبني هذا الفهم العملي السياسي للأئمة عليهم السلام.

فقد كنا نفكر كأصحاب مشروع للنهوض بالأمة الإسلامية كلها ، أنا لابد أن نخاطبها إسلامياً بعموم الإسلام ، ولايصح أن نخاطبها مذهبياً. وبما أن

أئمتناعليهم السلام أئمة لكل الأمة ، فيجب أن نقدمهم الى المسلمين بصفتهم قادة عملوا لإغناء المسار الإسلامي وتصحيحه . لكنه تصور ترد عليه إشكالات:

منها: أن مخاطبة الأمة بالإسلام بدون مذهب أو بإخفائه ، قد يصح من شخص يحتاج الى إخفاء مذهبه مثل السيد جمال الدين الأفغاني ، لأن إظهار مذهبه يضر بهدفه الذي نذر له حياته ، وهو المحافظة على الأمة من الغزو الغربي ، والعمل لتقوية قيادتها المتمثلة بالخلافة العثمانية .

أما الحركة التي تنطلق من علماء في الحوزة العلمية في النجف ، وتعمل في وسط شيعي ، وأحياناً نادرة في وسط سني ، فلا يمكنها أن تواصل مخاطبتها للأمة بدون مذهب إلا مدة قصيرة ! لأن مذهبها معروف من سلوك أفرادها ، وسوف ينظر أتباع المذاهب الأخرى بريبة الى أسلوبهم في إخفاء مذهبهم ، ويطلبون منهم تحديد موقفهم من المذاهب .

وهذا ما حدث بالفعل ، فقد تم تصنيف الحركات الإسلامية المرتبطة بعلماء الشيعة الى حركات مذهبية ، سواء من الحكومات أو الجمهور السني ، وصار ذلك لازمةً لها لاتنفك عنها ، ولم ينفعها ابتعادها عن إعلان مذهبها ، ولا تحاشيها الخطاب المذهبي في ثقافتها !

ومنها: أن من أقوى عوامل نجاح الوحدة بين المسلمين ، صدق الداعية الى الوحدة في طرحه وممارسته ، فداعية الوحدة سيكون أقدر على تحقيق هدفه إذا أظهر مذهبه الذي يعتقد به ، فقال إني شيعي أتبع مذهب أهل البيتعليهم السلام أو إني سني أتبع المذهب الشافعي ، ومع ذلك أدعو وأعمل لوحدة المسلمين وتآخيهم ، للنهوض بواقعهم الى واقع أفضل .

فهذا الصدق في الشخصية ، في الشخص أو الحركة ، أدْعَى الى ثقة الموافق

والمخالف.. بينما إخفاء المذهب أو تعويمه ، يعني وجود ظلال مبهمة تؤثر سلبياً على الثقة ، وقد يخطر في بال الذين يدعوهم الى الوحدة والتعاون ، أن هذا لو كان مخلصاً لمذهبه لأظهره ، وحيث لم يظهره ولم يكن صادقاً مع مذهبه ، فكيف يكون صادقاً في دعوته لوحدة المسلمين؟!

ومنها: كنا نقول إن أئمتنا عليهم السلام أئمةٌ لكل المسلمين ، وأنهم حملوا همَّ الإسلام والأمة كلها ، مَنْ وافقهم منها ومن خالفهم ، وعملوا لمصلحة الجميع . وأننا يجب أن نقدمهم الى الأمة بأفضل صيغة ، وأحسن أسلوب .

وهذا كله صحيحٌ، لكنه لايجيز لنا بحال أن ننسب الى هؤلاء المعصومين الطاهرين المطهرين عليهم السلام أنهم أقروا مسار الأمة المنحرف ، أو نحمِّلهم شيئاً من أوزار أنظمتها وجرائم طغاتها في صراعهم على السلطة ، أو نحملهم سهماً من أنهار الدماء التي أجراها الحكام من أوداج ملايين المسلمين ، ممن لم يسبح بحمد السلطان !

وكيف يجوز لنا أن نحمِّل المعصومين الأطهار عليهم السلام ، الذين دفعوا حياتهم ثمناً للمعارضة ، شيئاً من أوزار الإنحرافات الخطيرة عن الإسلام ، التي سببت أسوأ الكوارث في الأمة ، وفي الشعوب التي كانت تحت نفوذها ، حتى أدت الى انهيار كيانها بالكامل ، وتسليط الغربيين على شؤونها ومقدراتها ؟!

الملاحظة الخامسة

إن أحد الأسباب التي دفعتنا الى تبني هذه الرؤية للأئمة عليهم السلام هو تضخيمنا لتاريخ الأمة وأمجادها ، وتصورنا أنه يجب علينا العمل لإعادتها !

ومن جهة أخرى تقليلنا من مقام الإمام المعصوم عليه السلام وقضية أهل البيت عليهم السلام وموقعها في منظومة الإسلام كما أنزله الله تعالى !

كانت أنشودتنا الفكرية هي النظرة السنِّية الىأمجاد تاريخ الاسلام في فتوحاته وشمول دولته لكل آسيا وإفريقيا ووصولها الى فرنسا ، وإقامته الحضارة (الاسلامية).. هذه النظرة التي تكاد تعتبر كل ما حدث صحيحاً بل معجزة ، وتقول إن الأمة ابتعدت عن ذلك الإسلام الصحيح، فتسلط عليها أعداؤها وقوضوا كيانها السياسي المتمثل بالخلافة ، وأن علينا إعادة دولة الخلافة مجدداً ، مع تحسينات تجعلها تتسع لجميع مذاهبه .

سألت أستاذنا الصدر قدس سره عن الشخصيات التي أثرت في تكوين وعيه في نشأته وشبابه ـ وكنت أكثر تلامذته أسئلة له عن القضايا الفكرية بما فيها مكونات شخصيته ـ فتحدث عن إعجابه بالخطيب الشيخ كاظم آل نوح رحمه الله وأن مجالسه في صحن الحرم الكاظمي قد أثرت في نشأته المبكرة كثيراً ، وأن صداها ما زال يرن في أذنه الى الآن ، حيث كان الخطيب رحمه الله يتحدث عن أمجاد تاريخ الاسلام في دولته وحضارته ، وكيف شملت أكثر العالم، وحققت أعظم الإنجازات، وأننا في الحضارة والمدنية آصل من غيرنا وأقدم .

لقد كنا جميعاً متأثرين بأسلوب الإعتزاز بمفاخر التاريخ الإسلامي وأمجاده، فهذا الفكر أو الشعور كان هو السائد عند المتدينين في مطلع القرن العشرين، على أثر انهيار الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٥ميلادية ، وقد بلغ أوْجَهُ على يد الإخوان المسلمين في أواسط القرن ، وما زال هو جواب المتدينين في العالم الإسلامي للغربيين والمتأثريتن بهم وللشيوعيين عندما ينتقدون المسلمين .

لكن هذا الفكر إن صح جواباً في مواجهة الثقافة الغربية والشيوعية ، فلا يصح أن يؤثر علينا فنعطي الشرعية لمسار هذا التاريخ وأنظمته ، وننتقص من مقام أهل البيت النبوي الطاهرين عليهم السلام بصفتهم أصحاب المشروع البديل لكل التاريخ الإسلامي ، وإن لم يطبق مشروعهم بعدُ .

فلا بد لنا أولاً أن نركز على قضيتهم عليهم السلام بصفتها البرنامج الرباني الذي تركته الأمة ، فتخبطت في صراعاتها وضلالها ، وعانت من النتائج ، أكثر مما نَعِمَتْ بما بقي فيها من زخم نبوي وهداية، سلمت من شر برنامجها الأرضي!
ولابدلنا أن نتعامل بدقةمع مفردات الفتوحات والإنجازات المدنية والحضارية التي حققتها الأمة قبل أن تضعف وتنهار ، فننظر الى كل مفردة على حدة ونقيمها بميزان الإسلام من وجهة نظر أهل البيت عليهم السلام.

مثلاً دخول النعمان بن مقرن رحمه الله على كسرى يزدجرد ، ودعوته له الى الإسلام أو الجزية ! أمرٌ يعتز به كل مسلم ، فإنَّ من أمجاد الإسلام أنه جعل واحداً من شيوخ قبيلة مزينة الصحراوية كالنعمان يخاطب رئيس ثاني أمبراطورية في العالم بهذا الخطاب القوي الواثق ! (تاريخ اليعقوبي:٢/١٤٣).

وقصةُ الحمامة التي عششت على خيمة للجيش الإسلامي الذي فتح مصر ، فتركوا لها الخيمة عندما أرادوا أن يرحلوا ، فسميت المنطقة بفسطاط مصر ! هذه القصة أيضاً من أمجاد الإسلام لأنها رمزٌ للتحول الإنساني الذي أحدثه في نفوس العرب الذين كانوا يدفنون بناتهم وهن أحياء ! (معجم البلدان:٤/٢٦٣)

وحقيقةُ أن المسلمين كانوا أرحم الفاتحين ، حتى أن كثيراً من أهل البلاد المفتوحة والتي كانت مستعمرة للروم والفرس ، طلبوا منهم فتح بلادهم !
هذه أيضاً من أمجاد الإسلام التي تخفف من الأخطاء ، والقتل ، والنهب ، التي ارتكبها المسلمون في عمليات الفتح .

وعلى صعيد الحضارة ، والمدنية ، والقوة السياسية للدولة الإسلامية في القرون الثلاثة الأولى وفي العهد العثماني ، تكثر قائمة الإنجازات الإيجابية...
لكن ذلك لايجيز لنا أن نغمض عيوننا عن السلبيات الكبرى في تاريخ الإسلام ، التي جرَّت الأمة الى أسوأ نتائج الضعف والإنهيار !

ولو لم يكن منها إلا مواجهة الأمة لنبيها صلى الله عليه وآله في حياته ، ورفضها التعهد بتنفيذ كتابه الذي يؤمنها من الضلال والإنحراف والإنهيار.. لكفى !

ولو لم يكن منها إلا رفض الأمة منظومة الترتيب الإلهي للحكم بعد نبيها صلى الله عليه وآله وإقصاؤها آل نبيها صلى الله عليه وآله عن الحكم ، وجعلها الخلافة لقبائل قريش ، لمن غلب منها بالسيف.. لكفى !

ولو لم يكن منها إلا الحكم الديكتاتوري ومصادرة حريات الأمة ، وتشريع بيعة الحاكم بالتهديد بالسيف ، من يوم السقيفة الى يومنا هذا.. لكفى !

أليس عجيباً أن نقول إن الإسلام أعطى الإنسان قيمته الإنسانية ، وضمن له حرياته المشروعة ، ثم نرى أنه بمجرد أن أغمض النبي صلى الله عليه وآله عينيه صادروا حريات المسلمين في سقيفة قريش ، وبدأوا سُنَّة البيعة بالإجبار والتهديد بالقتل وحرق البيوت! فلم نجد بعد ذلك اليوم في تاريخ الأمة حاكماً لم يجبر المسلمين على بيعته غير الإمامين علي والحسن عليهما السلام !

خلاصة الأمر:

أنا عندما ننظر الى أمجاد الإسلام العظيمة ، علينا أن نرى أيضاً ما قابلها من جرائم عظيمة ، أدت الى تبخير كل ذلك الكيان ، وجعله حكايةً في خبر كان! فعندما نتحدث عن أزهى عصور الإسلام وقوة دولته في عصر هارون الرشيد، علينا أن نعرف أيَّ سفاح كان هذا الخليفة ، الذي رأى كرامات الإمام الكاظم عليه السلام ومعجزاته وشاهد آيات الله على يديه ، فازداد قلبه قسوة ولم يقنع بسجنه الطويل ، حتى قتله !

هذا الشخص(الخليفة الرشيد) الذي ظل يتلذذ بسفك الدماء وتقطيع الناس الى أشلاء ، الى آخر دقيقة من حياته كما يرويه محبوه وليس مبغضوه !

قال الطبري في تاريخه:٥٢٥/٦: (عن ابن جامع المروزي عن أبيه قال: كنت فيمن جاء إلى الرشيد بأخ رافع ، قال فدخل عليه وهو على سرير مرتفع عن الأرض بقدر عظم الذراع، وعليه فرش بقدر ذلك أو قال أكثر ، وفي يده مرآة ينظر إلى وجهه ، قال فسمعته يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون ، ونظر إلى أخ رافع فقال: أما والله يا ابن اللخناء إني لأرجو أن لا يفوتني خامل ، يريد رافعاً، كما لم تفتني !

فقال له: يا أميرالمؤمنين قد كنت لك حرباً وقد أظفرك الله بي ، فافعل ما يحب الله ، أكن لك سلماً ، ولعل الله أن يلين لك قلب رافع إذا علم أنك قد مننت عليَّ! فغضب وقال: والله لو لم يبق من أجلي إلا أن أحرك شفتي بكلمة لقلت أقتلوه ! ثم دعا بقصاب فقال: لاتشحذ مداك ، أتركها على حالها! وفَصِّلْ هذا الفاسق وعجل لايحضرنَّ أجلي وعضوان من أعضائه في جسمه ! ففصله حتى جعله أشلاءً ! فقال: عُدَّ أعضاءه ، فعُدَّت له أعضاؤه فإذا هي أربعة عشر عضواً ! فرفع يديه إلى السماء فقال: اللهم كما مكنتني من ثأرك وعدوك فبلغت فيه رضاك ، فمكني من أخيه! ثم أغمي عليه وتفرق من حضره!).انتهى.

إن الذين حكموا الأمة من مخالفي أهل البيت عليهم السلام مَثَلُهُمْ كقراصنة بحرٍ سَطَوْا على سفينة نبيٍّ ، فاعتقلوا ربانها ومعاونيه ، وأبحروا بالسفينة وأهلها وحاربوا لصوصاً آخرين في طريقهم ، وحققوا عليهم انتصارات .

وفي المقابل اضطهدوا أهل السفينة ، واتخذوا بعضهم أعواناً ، لكنهم لم يوصلوا السفينة الى الساحل ، بل اختلفوا فيما بينهم وتقاتلوا فرسَوْا بها في جزيرة ، فاستلمها لصوص أجانب غنيمةً باردة !

نتائج فهمنا الخاطئ للأئمة عليهم السلام

١- الخلل في فهمنا لتشيع :

من الطبيعي أن يؤثر فهمنا للأئمة عليهم السلام سلبياً على فهمنا للتشيع والعمل له . فقد تعاملنا مع التشيع على أنه مذهب كبقية مذاهب المسلمين ، وليس على أنه منهج متكامل في فهم الاسلام ، فقد كان المهم عندنا العمل للإسلام كما نفهمه ، وقد تصورنا أن أساليب العمل وأولوياته ، لايختلف أمرها سواء كان التشيع منهجاً في فهم الاسلام ، أو مذهباً عادياً كبقية المذاهب .

فلم نبحث يوماً موقف الأئمة عليهم السلام من الخروج على الحاكم ، بل لعل طلبة العلم منا لم يقرؤوا رواياته المانعة والمجيزة ، ولا فتاوى الفقهاء في المسألة ! فقد اعتبرنا أن الثورة بالاسلام فريضةٌ متفقٌ عليها، وأن الذين لايرونها فريضةً موالون للسلطات، أو خائفون لايملكون الشجاعة ، أو من الخط المجمِّد للطاقات ، كما كان يعبر عنهم أستاذنا الشهيد الصدر قدس سره.

ولهذا السبب كانت نظرتنا الى البحث العلمي المذهبي سلبية ، لأنها في تصورنا إشغالٌ للأمة ببعضها ، ناتجٌ عن عدم الوعي ، أو عن تحريك أعداء الإسلام ، وأنّ واجبنا الإبتعاد عنها ، ونُصح أصحابها ، وأحياناً مقاومتها !

وبما أننا لانستطيع منع حملات الأعداء والخصوم على مذهب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وتعمدنا أن نترك مقاومتها ، فقد اتجهنا عن قصد وغير قصد، الى مقاومة الدفاعات المتواضعة من علماء الشيعة وكتّابهم ، ومنها كتاب فدك الذي كان ألفه الأستاذ الشهيد قدس سره في مطلع شبابه (قبل مرحلة الوعي) !

بل اتجه بعضنا الى منع المناقشات العقيدية من عوام الشيعة ، بحجة أنها

أعمال مذهبية تضر بمسيرة الأمة نحو وحدتها ومقاومة أعدائها وإقامة حياتها على أساس الاسلام! وبذلك لم تقتصر خسارتنا على فقداننا الكثير من ثقافتنا المذهبية اللازمة، بل تحولنا عن غير قصد الى عامل مساعد يعضد تلك الحملات الضارية التي يشنها النواصب والأجانب على مذهب أهل البيت عليهم السلام وأتباعه ، بمن فيهم نحن !!

٢- تكبير مشكلة الغلو وتصغير مشكلة التقصير:

يتصور البعض أن المشكلة الوحيدة في قضية أهل البيت عليهم السلام هي الغلو ، مع أن الغلو محصورٌ في حفنة من الناس غَلَوْا في بعض أهل البيت عليهم السلام وأَلَّهُوهُمْ مع الله تعالى، والعياذ بالله ! وقد حسم المسلمون موقفهم منهم وأجمعوا على كفر كل من أَلَّهَ مخلوقاً ، أو أشركه مع الله تعالى.

لقد غفل هؤلاء أو تغافلوا عن أن المشكلة في قضية أهل البيت عليهم السلام ليست الغلو، بل هي تقصير المسلمين في أداء فرائض الله تعالى في حقهم، من وجوب ولايتهم ومحبتهم ، ومعرفتهم ، والتلقي منهم ، والإهتداء بنورهم ..

فالمشكلة في الحقيقة أن أكثر المسلمين أعرضوا عن عمد أو عادة ، عن أهل بيت نبيهم صلى الله عليه وآله وابتعدوا عن ولايتهم ، وحتى عن فهمهم ، وابتلوا بمرض حب مخالفيهم وظالميهم وأعدائهم !

والأسوأ من التقصير أن بعض المقصرين أخذوا على أنفسهم محاربة المسلم الذي يؤدي فريضة ربه في حق أهل بيت نبيه صلوات الله عليه وعليهم ! فتراهم يصفون محبيهم وشيعتهم بالضلال والغلو ، وقد يحكمون عليهم بالكفر! فقد توارثوا هذا الموقف الظالم للشيعي الصريح ، من أسلافهم

أتباع الخلافة القرشية ، كما وصفهم الشاعر الكميت رضي الله عنه ، بقوله:

وطائفةٌ قد كفَّرتْني بحُبِّكُمْ ... وطائفةٌ قالوا مسيءٌ ومذنبُ

فما ساءني تكفيرُ هاتيكَ منهمُ ... ولا عيبُ هاتيكَ التي هي أعْيَبُ

يعيبونني من خِبِّهم وضلالهمْ ... على حبكم ، بل يسخرونَ وأعجب

وقالوا ترابيٌّ هواهُ ورأيهُ ... بذلك أدعى فيهمُ وألَقَّبُ

فلا زلتُ منهم حيث يتهمونَني ... ولا زلتُ في أشياعكمْ أتقلب

وأحمل أحقادَ الأقارب فيكم ... وينصب لي في الأبعدين فأنصب

بخاتمكم غصباً تجوز أمورهم ... فلم أرَ غصباً مثله حين يغصب

فقل للذي في ظل عمياءَ جونةً ... ترى الجور عدلاً أين لاأينَ تذهب

بأي كتاب أم بأية سنة ... ترى حبهم عاراً عليَّ وتحسب

فما ليَ إلا آلَ أحمدَ شيعةٌ ... وما ليَ إلا مذهبَ الحق مذهب

يقول هؤلاء المعترضون أن اعتقادنا بمقامات أهل البيت عليهم السلام وكلامنا فيها يشبه كلام الغلاة ، لأنه يخرج بهم عن حدود البشرية التي أكد عليها الله تعالى بقوله: **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**(سورة فصلت:٦) .

لكن الأولى بهم أن يتهموا فهمهم ، ويحكموا على أنفسهم بالسذاجة ، حيث أخذوا الجزء الأدنى من وصف الآية للنبي صلى الله عليه وآله: **بَشَرٌ مِثْلُكُمْ** ، وتركوا جزءَهُ الأعلى: **يُوحَى إِلَيَّ** !

نعم إنه صلى الله عليه وآله بشر مثلنا ، تجري عليه القوانين التي تجري علينا إلا ما شاء الله، لكن هذه جَنْبَةٌ من شخصيته فقط ، أما الجَنبة الأخرى فهي أن له قدرةً على تلقي الوحي من رب العالمين سبحانه! وهل هي حقيقة بسيطة أن يكون إنسانٌ مثلنا فيه القدرة على تلقي العلم من خالق السماوات والأرضين ؟!

كأنهم لم يؤمنوا بأن شخصية المعصوم عليه السلام ذات جنبتين، بإحداهما ينفتح على الغيب ويتلقى ، وبالثانية يتعامل مع البشر فيهديهم! وأنَّى لأحدنا ولجميع أهل الأرض، أن تكون في شخصيته نافذة على خالق الكون يتلقى منه؟!

وقد يتصور بعضهم أن هذا الوصف يختص بشخصية النبي صلى الله عليه وآله فلايصح توسيعه الى الأئمة عليهم السلام، لكن فاتهم أن اختصاص وحي النبوة بخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله لاينفي أن يكون للأئمة المعصومين من عترته عليهم السلام جنبة انفتاح على الغيب والتلقي من الله تعالى بما يشاء من وسائل غير وحي النبوة .

فاتهم أنهم أوصياء النبي الربانيون الذين بَشَّرَ بهم ، وأمر الأمة بمودتهم وطاعتهم ، وجعلهم عِدْلَ القرآن في وجوب التمسك بهم !

لقد حاول الحكام القرشيون أن ينكروا هذه الجنبة في شخصيات الأئمة عليهم السلام لكنهم عجزوا! لقوة نصوصها وقوة واقعها، فقد واجهتهم معجزات الأئمة عليهم السلام وأفحمتهم، ومازالت تواجه أتباعهم،حتى يظهر الله خاتمهم الموعود عليه السلام فيعيد به الحق الى نصابه ، ويظهر به دينه على الدين كله !

٣- التنقيص من مقام المعصوم عليه السلام:

توجد مسألتان متقدمتان رتبةً على دراسة حياة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام وهما مسألة مقام الإمام المعصوم عليه السلام، والعلاقة الجدلية بين الأئمة عليهم السلام وبين خلافة أبي بكر وعمر خاصة . وقد أهمل فهمنا للأئمة هاتين المسألتين ، أو قررنا أن نتجاوزهما لعدم الحاجة اليهما في عملنا ، أو لضرر طرحهما على مخاطبنا الذي هو كل الأمة الإسلامية !

لعلنا كنا نتصور أن فهم مقام المعصومين عليهم السلام وعلاقتهم بالخلافة القرشية ، سوف لايؤثر على فهمنا الذي توصلنا اليه لحياتهم وأدوارهم عليهم السلام!

فاتنا أن فهم مقام المعصوم يعني فهم برنامج عمله الرباني . وأن فهم موقفه من نظام حكم أبي بكر وعمر ، يعني مفردات تطبيقه لبرنامج عمله الرباني ! وكلاهما يؤثران على فهم شخصية المعصوم عليه السلام وعمله ، أبلغ التأثير!

المعصوم عليه السلام إنسان اختاره الله تعالى بعلمه المطلق ، وحكمته المطلقة ، وجعله إماماً للناس ، وحجةً على خلقه ، وعصمه من الخطأ والهوى !

فماذا تعني للمسلم الشيعي هذه الصفات الثلاث المتفق عليها في مذهبنا ؟!

إنها تعني أن حلم جميع المفكرين والعقلاء ، والمعذبين في الأرض ، قد تحقق ! وقد انحلت مشاكلهم الفكرية والعملية ، وأن علينا جميعاً أن نترك فذلكاتنا ونعطل فلسفاتنا ونطيعه ، ونطيف حول بيته الذي أذن الله أن يرفع ، ونؤدي فروض الإحترام لمقامه الشامخ ، ونتفكر فيه لعلنا نفهمه !

تعني أن علينا أن نفتح عقولنا وقلوبنا لقول المعصوم عليه السلام وفعله وسلوكه ، حتى الفتات منها إن كان عنده فتات ، ففتاته خير من كل خبزنا !

أجل ، ما دام ثبت لنا بالنص القطعي وبدليل العقل القطعي ، أن الله تعالى قد اختار ، فقد انتهى الأمر ، وانحسمت القضايا ، وبدأ ما يجب علينا ! وأول ما علينا أن نرضى بالذي اختاره رب العالمين وجعله علينا إماماً ، ونحبه ، ثم نفهمه ، ونصغي اليه ونطيعه مهما كلفنا ذلك ، ثم لانلتفت الى من خالفه كائناً من كان شخصه ، وكائناً ما كان موقعه ، فكل شخص مقابله وكل مقام بعد الذي اختاره الله رب العالمين ، هوى وهواء وهباء !

المعصوم ، ليس قضية صغيرة ، بل هو أكبر قضية عملية للأمة بعد نبيها !

إمامٌ مفتوحةٌ له نوافذ الغيب ، مهديٌّ من ربه ، يملك الخريطة للبشرية ، وليس كمن أضاعوا قضية خلقهم ، وخريطة طريقهم ، أو ضاعوا فيها !

الإمام عالمٌ يملك العلم القطعي ، وليس كعلماء الأرض ومفكريها ، الذين جمعوا بضاعتهم من الظنون والإحتمالات ، وقليل قليل منها اليقين !

كثيراً ما كنت أفكر كيف لم نهتم بفهم شخصية المعصوم عليه السلام ؟! وكيف نبني فكرنا بقطع النظر عن مقامه ، ونحن نعتقد أن مشروع المعصومين من عترة النبي صلى الله عليه وآله ، مازال موجوداً فعلاً ولم ينته بعدُ ، فلم يتركه الله تعالى بسبب ترك الأمة له ! فما زال سبحانه يقول: **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**.. وما زال قراره تعالى أن يملأ الأرض بخاتمهم قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً.. وما زال هذا الإمام موعوداً من ربه وجده ، حياً يرزق ، مدَّ الله في عمره ، فهو يعمل في برنامجه مع الخضر وجنود الله في الغيب ، حتى يأذن الله له ربه بالظهور ، فيكمل مشروع الاسلام ، ويظهره على الدين كله ، ويعيد مسيرته الى نصابها..

ما دام الأمر كذلك ، فرؤيتنا للتاريخ تختلف كثيراً ، وللمستقبل أيضاً !

ومشروعنا في الدعوة الى الاسلام لابد أن يكون منسجماً مع المشروع الالهي للإسلام الذي نعتقده في المعصومين من العترة عليهم السلام وأن يكون مشروعاً ممهداً لخاتمهم الموعود صلوات الله عليه. ومن أول شروط الإنسجام أن ينص المشروع على مقام المعصوم عليه السلام في ثقافته .

ما دمنا نعتقد أنه قد وجد هذا المعصوم عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله ، وأن النبي دل الأمة عليه وأعلنه لها ولياً وإماماً ، وأخذ منها البيعة والمواثيق على اتِّباعه ، فالمسألة تختلف كثيراً ! ولو أردنا أن نضرب لها مثلاً مصغراً ، لقلنا إن مثلها كجماعة في صحراء قاحلة ، فيهم شخص واحد يملك الخريطة لنجاتهم ويجيد قراءتها ، فائتمروا عليه وعزلوه ورفضوا خريطته ، واتخذوا بدله أئمة

ضلال تاهوا بهم يميناً وشمالاً، تيهاً بعد تيه، وضلالاً في ضلال، حتى شتتوهم في كل واد ، ومزقوهم شر ممزق !

ونترك بيان مقام الإمام المعصوم عليه السلام لهذا الكتاب القيم .

٤- عدم فهم العلاقة بين المعصومين عليهم السلام وغاصبي سلطتهم:

من الواضح أن الجدلية بين نبي صادق عليه السلام ومُدَّعٍ للنبوة ، أو بين إمامٍ مختارٍ من ربه عليه السلام وبين غاصبٍ لسلطته ، لايمكن أن تكون إلا جدلية النفي التام !
فالقيادة المعصومة والغاصبة ضدان يستحيل أن يجتمعا . ومهما بدا لنا من إمضاء المعصوم عليه السلام لوضعٍ من الأوضاع ، فلا بد أن يكون رحمةً بالأمة من أجل تقليل الضياع، وتأخير الإنهيار، وحفظ ما يمكن من المهدور، وتصريف ما يجب تصريفه من الأمور . ومحالٌ أن يكون إعطاءَ روحٍ لميت ، أو منحَ شرعيةٍ لغاصب !

لكن هذه الرؤية كانت غائبةً عن بنائنا الفكري مع الأسف ، فقد كنا مع أستاذنا الشهيد الصدر قدس سره نرغب في العبور عن نقاطها ، وعن الوقوف عند محطاتها ! بل لعل أستاذنا قدس سره كان يتصور أن بيعة المعصوم لحاكم عصره بالإجبار ، وإمضاءه عليه السلام لبعض الأمور ، يعتبر إعطاء نوع من الشرعية بالعنوان الثانوي أو الأولي لخلافة أبي بكر وعمر! فبهذا فقط يمكننا أن نفسر كلامه الشبيه بكلام سيد قطب عن جيل الصحابة الفريد ، وعن الخلافة الراشدة ، واندفاعه بالقول إن علياً عليه السلام، كان جندياً تحت قيادة أبي بكر ، مع أنه لايوجد نص واحد يدل على ذلك، بل لايوجد نص صحيح يدل على أن علياً عليه السلام صلى خلف أبي بكر ولا عمر ولا عثمان !

قال قدس سره كما نقله السيد الحائري في مباحث الأصول:١/ق١٥٠/٢:(إن الحكم

السني الذي مثله الخلفاء الراشدون ، والذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل ، حمل عليٌ السيف للدفاع عنه ، إذ حارب جندياً في حروب الردة تحت لواء الخليفة أبي بكر).

وقال قدس سره في كتابه بحث حول الولاية ص٥٩:(إن الدعوة عملية تغيير ، ومنهج حياة جديد ، وهي تكلف بناء أمة من جديد واقتلاع كل جذور الجاهلية ورواسبها من وجودها. والأمة الإسلامية ككل لم تكن قد عاشت في ظل عملية التغيير هذه إلا عقداً واحداً من الزمن على أكثر تقدير، وهذا الزمن لايكفي عادة في منطق الرسالات العقائدية والدعوات التغييرية لارتفاع الجيل الذي عاش في كنف الدعوة عشر سنوات فقط إلىدرجة من الوعي والموضوعية والتحرر من رواسب الماضي ، والإستيعاب لمعطيات الدعوة الجديدة ، تؤهله للقيمومة على الرسالة وتحمل مسؤوليات الدعوة ومواصلة عملية التغيير بدون قائد . بل إن منطق الرسالات العقائدية يفرض أن تمر الأمة بوصاية عقائدية فترة أطول في الزمن، تهيؤها للإرتفاع إلى مستوى تلك القيمومة . وليس هذا شيئاً نستنتجه استنتاجاً فحسب ، وإنما يعبر أيضاً عن الحقيقة التي برهنت عليها الأحداث بعد وفاة القائد الرسول(ص) وتجلت بعد نصف قرن أو أقل من خلال ممارسة جيل المهاجرين والأنصار لإمامة الدعوة والقيمومة عليها، إذ لم يمض على هذه القيمومة ربع قرن حتى بدأت الخلافة الراشدة والتجربة الرسالية التي تولى جيل المهاجرين والأنصارقيادتها، تنهار تحت وقع الضربات الشديدة التي وجهها أعداء الإسلام القدامى ، ولكن من داخل إطار التجربة الإسلامية لامن خارجها ، فاستطاعوا أن يتسللوا إلى مراكز النفوذ في التجربة بالتدريج ، ويستغلوا القيادة غير الواعية ، ثم صادروا

بكل وقاحة وعنف تلك القيادة ، وأجبروا الأمة وجيلها الطليعي الرائد على التنازل عن شخصيته وقيادته، وتحولت الزعامة إلى ملك موروث يستهتر بالكرامات، ويقتل الأبرياء، ويبعثر الأموال، ويعطل الحدود ، ويجمد الأحكام، ويتلاعب بمقدرات الناس ، وأصبح الفئ والسواد بستاناً لقريش ، والخلافة كرةً يتلاعب بها صبيان بني أمية . فواقع التجربة بعد النبي صلى الله عليه وآله وما تمخض عنه بعد ربع قرن من نتائج يدعم الإستنتاج المتقدم ، الذي يؤكد أن إسناد القيادة والإمامة الفكرية والسياسية لجيل المهاجرين والأنصار عقب وفاة النبي صلى الله عليه وآله مباشرة، إجراء مبكر وقبل وقته الطبيعي ، ولهذا ليس من المعقول أن يكون النبي صلى الله عليه وآله قد اتخذ إجراء من هذا القبيل). انتهى .

وإنما أسمح لنفسي بأن أناقش كلامه قدس سره لأن الأمر يتعلق بالأئمة المعصومين عليهم السلام الذين هم أعز على الإنسان من نفسه وأستاذه ووالديه ! وقد كان قدس سره يشجعنا على الإشكال على المطالب ويقول: مَرِّرُوا الموضوع على ذهنكم عشر مرات ، فربما وصلتم في المرة العاشرة الى إشكال مهم عليه !

لاحظ قوله قدس سره:(بل إن منطق الرسالات العقائدية يفرض أن تمر الأمة بوصاية عقائدية فترة أطول في الزمن ، تهيؤها للإرتفاع إلى مستوى تلك القيمومة) فهو يتصور أن الأمة يمكن أن تصل بعد وصاية عقائدية من النبي صلى الله عليه وآله لمدة من الزمن ، الى درجة القيمومة على الرسالة ، وقد سمعته يعبر عن ذلك بمستوى (عصمة الأمة) !

ومن الواضح: أن ذلك فرض نظري محض، فلا الأمة وصلت الى مستوى العصمة ولايمكن أن تصل! ومن هنا كانت القاعدة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وآله:أن الأرض يستحيل أن تخلو من حجة ، نبي أو إمام .

على أن الأمر الأهم رأيه قدس سره في أن جيل الصحابة كان بمستوى الإمامة والقيمومة على الدعوة ، لكن شحنته كانت قليلة ، فلم تستمر إلا نصف قرن أو ربع قرن ، حتى نَفَذَ بنو أمية أعداء الاسلام القدامى الى مراكز السلطة وأسقطوا دولة الدعوة النبوية! وهذا نفس مذهب حسن البنا وسيد قطب ، وهو يعني على الأقل إعطاء نوع من الشرعية للسقيفة ودولة أبي بكر وعمر ، وحتى لدولة عثمان ، لولا أنه سلط عشيرته بني أمية على الدولة والأمة !

لاحظ قوله رحمه الله: (من خلال ممارسة جيل المهاجرين والأنصار لإمامة الدعوة والقيمومة عليها، إذ لم يمض على هذه القيمومة ربع قرن حتى بدأت الخلافة الراشدة والتجربة الرسالية التي تولى جيل المهاجرين والأنصار قيادتها تنهار تحت وقع الضربات الشديدة التي وجهها أعداء الإسلام القدامى) . انتهى .

وما أدري كيف ينسجم هذا القول مع إسٍّ أساس المذهب الذي هو بيعة الغدير ، وبقية نصوص النبي صلى الله عليه وآله القاطعة على إمامة علي عليه السلام والعترة الطاهرة وعصمتهم عليهم السلام، أومع موقف أمير المؤمنين والصديقة الزهراء وجميع الأئمة عليهم السلام الذي يؤكد على أن كل ترتيب يزعمه أحد في قبال المعصوم فهو ردٌّ على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وآله ومَعْلَمٌ من معالم الضلال البشري في مقابل الهدى الإلهي ، وخطٌّ انحرافٍ في مقابل الصراط المستقيم .

إن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام مهما أمرونا أن نسكت على نظام حكم من غصبهم سلطانهم الرباني ، أو أن نتعاون معه في المشتركات ، فلم يجيزوا لنا أن نعطي نظامه حرفاً من الشرعية ، إلا ما جاز في خوف وتقية .

٥- النقص الذريع في التعمق في مصادر المذهب:

من الآثار الخطيرة لهذا الإتجاه على ثقافة أتباعه ضعف اطلاعهم على مصادر التشيع ، خاصة في الحديث والتفسير والكلام ، مع أن بعضهم كثير القراءة والمطالعة لأنواع الكتب ، لكنه منصرف عن دراسة مصادرنا وقراءتها ، ومغرم بأجواء ثقافية مشبعة بالمفاهيم السنية والغربية!

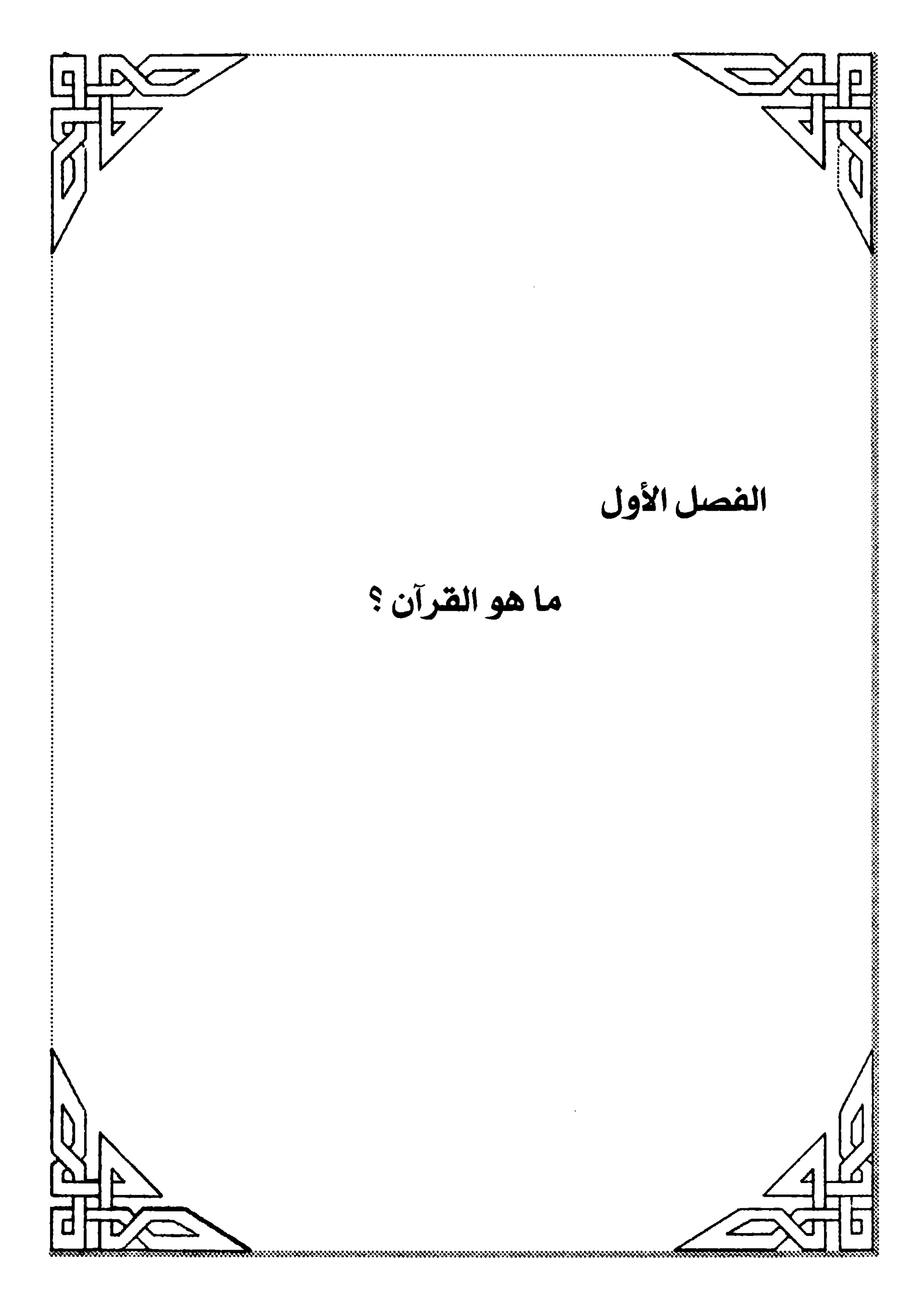
وبعضهم مشكلته شخصية فهو صغره لم يستوعب من أسرته ومحيطه مذهب التشيع وعقيدته في الأئمة المعصومين عليهم السلام، وعندما كبر لم يتدبرفي أن التدين والمذهب يوجب عليه أن يبذل جهداً لاستيعابه من مصادره وعلمائه ، فاختار تركيبية متضادة ، والتقاطية متناقضة !

ومن الواضح أن درجة استيعاب أي مذهب ومنه التشيع ، تتبع المستوى العلمي للشخص ، وتدينه ، ومعايشته الفكرية والروحية للمعصومين عليهم السلام.

٦- استناد خصوم الشيعة الى آراء أصحاب هذا الإتجاه

ومن نتائج هذا الإتجاه السيئة على التشيع ، أن بعض السنيين والسلفيين وخصوم مذهب أهل البيت عليهم السلام وأتباعه ، أخذوا آراء أصحابه على أنها تمثل مذهب علماء الشيعة ! وهاجموا بها التشيع والشيعة ، وأثاروا بها الشبهات !

مع أنهم يعرفون أن الملاك في آراء المذهب ليس فهم عوامه ، ولا فهم الشاذ من أتباعه ، بل الميزان ما دَوَّنه مراجع المذهب وفقهاؤه المعترف بعلمهم ومرجعيتهم ، وما هو ثابت من سيرة المتشرعين من أتباعه جيلاً فجيلاً ، وصولاً الى جيل الرواة والفقهاء من تلاميذ الأئمة عليهم السلام.



الفصل الأول

ما هو القرآن ؟

لقد تجلى الله لخلقه بكلامه ولكنهم لا يبصرون !

(بتاريخ: ١٣شعبان المعظم ١٤١٤- ١٩٩٤/١/٢٦- ١٣٧٢/١١/٦)

بســم الله الرحمن الرحيم

قبل أسبوع ذكرنا فكرةً عن القرآن بمناسبة قوله تعالى: **وَلله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائه سَيُجْزَوْنَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ**.(سورة الأعراف:١٨٠) ومع أن قلوبنا كالحجارة ، فقد احتج علينا أحدهم بحجة كانت نتيجتها أن نتكلم هذا الأسبوع حول القرآن ، القرآن الذي نعترف بظلمنا له، لعل الله تعالى يعاملنا بفضله ..

على أنا نتخوف من الدخول في هذه المباحث بسبب قلة الباع ونقص الإطلاع ، وعدم لياقة الباحث ، فليس هذا من مباحث الفقه والأصول التي نتسلط عليها ، بل هو من المباحث المسلطة علينا ، التي نتحدث فيها بخوف وهيبة ، معترفين بالعجز عن الخوض في أعماقها !

توجد كلمة في القرآن للإمام الصادق عليه السلام وما أدراك من هو؟ بها نعرف القرآن ونعرف الإمام الصادق عليه السلام.. فلنتوجه جميعاً بأدب وحضور قلب ، الى روح الإمام الصادق المقدسة ، لعله يتفضل ويفيض علينا من بركة الله فيه ، فنفهم شيئاً من هذه الفقرة التي تجلى فيها عليه السلام.

والكلمة هي: **(لقد تجلى الله لخلقه بكلامه، ولكنهم لايبصرون)**.[١]

إنه أمرٌ محيرٌ واقعاً ، أن يتجلى الله بكلامه لخلقه ولكنهم لايبصرون ! وهذه الجملة في عالم العلم معجزة ، فالمعجزة للعوام تختلف عن المعجزة للخواص ، والإنسان الذي وصل الى درجة البلوغ العقلي يعرف منها أن الإمام الصادق متحدٌ بكله مع القرآن ، وبهذا الإتحاد متحدٌ مع تجلي الله تعالى في القرآن ، فهو حكيم قرآني.

ومن هذه الجملة نفهم أن الإمام الصادق قصد بالتجلي كلام الألوهية التكويني ، لا الرحمانية ، ولا الرحيمية ، ولا العليمية ، ولا السميعية .. ! فقد اختار من الأسماء الحسنى اسم الله تعالى وقال: **لقد تجلى الله**، ولم يقل تجلى العلي العظيم مثلاً ، ليفهمنا ما هو القرآن ، الذي لم نفهم ما هو !

لقد تجلى الله.. هذا هو القسم الأول ، وفي اسم الله تعالى ميزةٌ على التسع وتسعين إسماً ، ميزةٌ في المسمى ، وفي الإسم ..

أما في المسمى فإن المسمى به الله مقام يجمع كل الأسماء الحسنى والصفات العليا ، من الجمال ، والكمال ، والجلال.

وأما في الإسم ، فإن خصوصية اسم الله تعالى من بين أسمائه كلها ، أن حقيقة غيب الغيوب مندرجةٌ فيه ، وحقيقة المالكية الربوبية ، وحقيقة بساطة الذات ، الحاكية عن الوحدة الحقة الحقيقية .. كلها مندرجة فيه !

نحن عندما نقرأ كلام الإمام الصادق، لانستطيع أن نستفيد منه كما ينبغي ، لأنا لم نصل الى عظمة ذلك الإمام الذي صدر عنه ! نعم ، نحن نقبل كلامه بدليل التعبد والتقديس لشخصيته صلوات الله عليه ، لكنا مع الأسف لانبذل جهدنا في فهمها ، بل ترانا نولي أهمية أكثر لسطور الشفاء ، وكلمات الأسفار ، وتأملات نهاية الدراية ، والمنظومة ، والكفاية !

يُثَبِّتُ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا بالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفي الآخِرَةِ ، وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ . (سورةابراهيم:٢٧)

o o

وعندما ننظر من عالَم الحروف المبني بحكمة ، نجد أن اسم الله تعالى يتكون من الألف في أوله ، وهو أول حروف الهجاء ، أما آخره فهو الهاء التي هي آخر حروف الهجاء. والألف له الأولية والإستقامة والبساطة ، وهو يحكي عن الوحدة الحقة الحقيقية،وقائل هذه الكلمة ومبينها وشارحها هوالإمام عليه السلام، والذي أول حرف من اسمه الألف أيضاً !

وإذا رفعنا الألف ، صارت الكلمة (لله) **لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنيُّ الْحَمِيدُ.** (سورة لقمان: ٢٦)

وإذا رفعنا اللام، صارت **(له) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.** (سورة الحديد: ٢)

وإذا رفعنا اللام الثانية ، بقيت الهاء **(هو) قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ.** (سورةالإخلاص:١)

هذه رشحة من خصوصيات الإسم والمسمى ، فالقرآن إذن جلوةٌ لهذه الذات المقدسة ، بكل أسمائها الجمالية والكمالية ، وكل أسمائها الجلالية للخلق.. فهل فهمنا القرآن هكذا ، وهل عرفنا ماذا في أيدينا ؟!

وهل عرفنا معنى قول النبي صلى الله عليه وآله عندما قال: **كأني قد دعيت فأجبت ، وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله عزوجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، فإنهما لن يزالا جميعاً حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.** (كمال الدين ص٢٣٨) ، وأنه بذلك سلم بأيدينا عصارة وجوده! فالقرآن حرف الربط بين الخالق والخلق ، وهو تجلي الألوهية بتمامها ! فما الذي يجب علينا عمله لنستفيد منه ؟

الخطوة الأولى أن نعرف ما هو ؟ وأنتم أيها الفضلاء لستم عواماً ، فالقرآن للعوام عبارات ، لكنه للخواص إشارات . أرجو أن تنتبهوا الى هذا الموضوع لأنفسكم وغيركم ، فكل واحد منا مسؤول حسب سهمه في القرآن.

لاحظوا أنه تعالى يستعمل صيغة (تبارك) في موارد خاصة كقوله تعالى: **إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ، أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.** (سورة الأعراف: ٥٤)

دققوا في التعبير، فعندمايجمع الله الخلق والأمر فقد جمع الملك والملكوت أي لب الكون وقشره ، وهنا يقول (تَبَارَكَ) .

وعندما ينهي الملك والوجود اليه تعالى يقول أيضاً (تَبَارَكَ)، **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** . (سورة الملك:١)

ثم لاحظوا أنه عندما يصل العالم الى ثمرته ، وتجتمع عصارة العالم في آدم وذريته.. من نطفة الى علقة الى مضغة ، ثم يكسو العظام لحماً ، ثم ينشؤه خلقاً آخر.. يعبر عنه بقوله (تَبَارَكَ): **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.** (سورة المؤمنون: ١٤) **اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ، وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** .(سورة غافر: ٦٤).

ثم لاحظوا أنه سبحانه استعمل كلمة (تَبَارَك) في كلامه عن تنزيل الكتاب على عبده: **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً**.(سورة الفرقان:١)

وذلك ليفهمنا أن الله الذي له الملك والملكوت ، والذي جعل عصارة العالم وخلاصته الإنسان هو: **الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ !**

وليحرك أذهاننا لنفهم ماذا في القرآن ، وماذا يجب أن نعمل لكي نفوز به ، ولانضيع عمرنا ولانصل اليه فنقول: **يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا**.(سورة الأنعام:٣١)

روحي وأرواح العالمين فداء لصاحب تلك النفس المقدسة الذي قال: **لقد تجلى الله ، لقد تجلى الله** ! الكلمة التي كلما كررها الإنسان ، وجد منها فيضاً جديداً.. **لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكنهم لايبصرون.**

○ ○

الجملة الثانية: **ولكنّهم لايبصرون..** والسؤال: أنه مادام الله تعالى قد تجلى في القرآن فلماذا لانرى تجليه فيه؟! والجواب هنا للقرآن نفسه ، لأن الكلام في هذا الموضوع للقرآن وليس لابن سينا وغير ابن سينا من الفلاسفة ، فالمكان الذي يتكلم فيه جعفر بن محمد ، يتطاير هؤلاء كالهباء في الهواء !

والقرآن يخبرنا أنا لانراه لأن القرآن نفسه بصرٌ وبصيرة ، فلا بد أن نبصره ببصيرته ، وهذا هو المهم والمعجزة ! نحن البشر عندنا البصرأما البصيرة فهي موجودة في القرآن: **هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** (سورة الجاثية: ٢٠) **قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ** (سورة الأنعام : ١٠٤) فأين نجد تلك **البصيرة** التي نبصر بها التجلي الإلهي في القرآن؟

نختصر الموضوع وأرجو أن يوفقني الله تعالى أنا وأنتم لأن نجعل ما قلناه وفهمناه برنامج عمل لنا ، أن يوفقنا عندما نفهم المشروط أن نعمل على تحقيق شرطه في أنفسنا !

هذه البصيرة المطلوبة تحدث عنها الله تعالى في قوله: **لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاًمِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**. (سورة آل عمران: ١٦٤) .

وفي دعاء ابراهيم عليه السلام للأمة الخاتمة: **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**(سورة البقرة: ١٢٩)، وفي كل القرآن نجد التأكيد على هذا الشرط: **قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**. (سورة المائدة : ١٥- ١٦)

إن البصيرة المطلوبة لرؤية التجلي الإلهي في القرآن، تكمن في هذه الجملة: **وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ!** فماذا نعمل لكي نصل اليها ؟!

لاتضيعوا وقتكم ، فليست المسألة دراسةً ولا بحثاً وتحصيلاً ، ومهما ألقيتُ عليكم دروساً فلا أثر لها هنا أصلاً ، ومهما درستم وقرأتم لتصير الزجاجة الموجودة في داخل الرمل والصخر مصباحاً ، ويتصل المصباح بالكهرباء ، ويضيء ، فلا أثر لقراءتكم ! لأن المسألة ليست فكرية ! ليست كتاب الكفاية ، ولا نهاية الدراية ، ولا جواهر الكلام ، لتدرسوها عند أستاذ !

الطريق هنا طريق آخر.. فلا بد أن يتم صهر صخرنا أو رملنا في أتون حتى يذوب ، ثم يفصل المعدن الذائب عن تفالته ، ثم يصنع منه المصباح .. وبعد ذلك يحتاج الأمر الى (**يد**) تصله بتيار الكهرباء حتى يضيء !

إن تيار الكهرباء ومنبعه من عند الله تعالى: **اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ، يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاشَرْقِيَّةٍ وَلاغَرْبِيَّةٍ، يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**. (سورة النور: ٣٥)، فأنا وأنت زجاجة مصباح ، وذلك هو مصنع الكهرباء ، ونحن في باطن الرمل والصخور. ، فلا بد أن نخرج منها ، وأن

ننصهر بدرجة حرارة عالية فنذوب ، ثم ننفصل عن بقية موادنا الزائدة ، ثم ندخل الى المصنع ، ليصنع صاحبه منا زجاجة مصباح .

أما صاحب ذلك المصنع ، فهو الحجة بن الحسن عليه السلام فهو الذي يملك أن ينفخ فينا بإذن ربه ، لاغيره !

نعم ، إننا وجهاً لوجه أمام ذلك النور الإلهي عليه السلام ولانحتاج الى عمل آخر ولا الى الذهاب الى شرق أو غرب ، فهو عليه السلام حاضر دائماً ، وما علينا إلا أن نخرج معدن زجاجنا ونهيئه لصانع المصابيح ، ليتفضل بصنع مصباحنا منه ، ويصله بتيار الكهرباء ، وينتهي الأمر !

من أين يبدأ هذا الطريق ..؟

يبدأ من هنا.. تأملوا فيما يقوله الله تعالى في قرآنه الذي هو فوق كلام البشر: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ. قُمِ اللَّيْلَ إلا قَلِيلاً. نِصْفَهُ أَوانْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً . إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً . إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً.** (سورة المزمل: ١-٦) .

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ.. مَن يتكلم مع مَن ؟

المفتاح هنا، فلنقرر جميعنا من هذه الليلة أن نطبق: **قُمِ اللَّيْلَ** ، فكل ما يوجد مخزون في ذلك الوقت، فلنحرص عليه مهما كلفنا أمره !

إن هذه الآيات برهان ولا أقوى منه، فأول السورة خطاب موجه الى شخص النبي صلى الله عليه وآله: **قُمِ اللَّيْلَ..** ثم قال له: **وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً.**

إن كل هذا التأكيد من الله تعالى على صلاة الليل له سرٌّ ، وهو محسوبٌ بحساب، وهو تأكيدٌ على خير كبير .. وطريق الله لابد أن نتعلمه من الله تعالى ومن المعلمين الذين عينهم لنا .

لاحظوا أنه في آخر سورة المزمل وجه الله تعالى خطابه للنبي صلى الله عليه وآله الذي له حساب خاص لأنه النبي الخاتم ، ثم وجه الخطاب لأمته معه: **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ . عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى ، وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ ، وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَاقْرَأُوا مَاتَيَسَّرَ مِنْهُ، وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً ، وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** . (سورة المزمل:٢٠)

ليفكر أصحاب الفكر هنا أن الخطاب كان في أول السورة خاصاً للنبي صلى الله عليه وآله وصار في آخرها عاماً: **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ** ، وهذا هو الإعجاز ، وهذا هو القرآن ، كتاب العلم والحكمة الذي نتحسر لأنه لم يفسر . . ولو تركوا مفسره يفسره للناس ، لعرفوا أبواباً من هذا الخير !

المهم هنا أيها الفضلاء: **وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ، فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**.. أما بعد قراءة **مَا تَيَسَّرَ** منه ، فصلاة الليل هي المفتاح ، فبها فافتحوا الأقفال !

فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ.. لتصلوا به وبصلاة الليل الى مطلوبكم! والمطلوب من أول القرآن الى آخره هو الوصول الى الله تبارك وتعالى: **وإذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا**. (الكافي:٩٢/١) .

فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ.. ثم أعادها: **فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**.. إن في هذه الآية آياتٌ لمن كان له لب !

وإذا أكمل الإنسان هذا الطريق ، يصل رويداً رويداً الى مستوى أن يفهم ماذا تعني: ق. **وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ** ، وماذا تعني: ص. **وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ**، وماذا تعني: يس. **وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**.

يصل الى معنى: **الحكيم والمجيد والذكر**.. ثم يواصل ليفهم الأحرف الثلاثة من الإسم الأعظم الربوبي ، ثم يفهم الربط بين حرف القاف في أول سورة قاف ، والقاف في إسم القرآن الكريم. . وبعد ذلك يمكن أن يسير رويداً رويداً حتى يكون من أهل: **لَوْأَنْزَلْنَاهَذَا الْقُرْآنَ عَلَىجَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**. (سورة الحشر: ٢١)

ثم يترقى الى درجة أعلى فيكون من أهل: **وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ للهِ الأَمْرُ جَمِيعاً. أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً، وَلايَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**.
(سورة الرعد: ٣١)

○ ○

هوامش

(١) روى هذا الحديث ابن أبي جمهور الأحسائي في عوالي اللئالي:١١٦/٤، وفيه: (تجلى لخلقه في كلامه) . ونقله في البحار:١٠٧/٨٩ ، عن أسرار الصلاة . والبهائي في مفتاح الفلاح ص٢٩٢ ، وفيه: **(تجلى الله لعباده في كلامه)**.

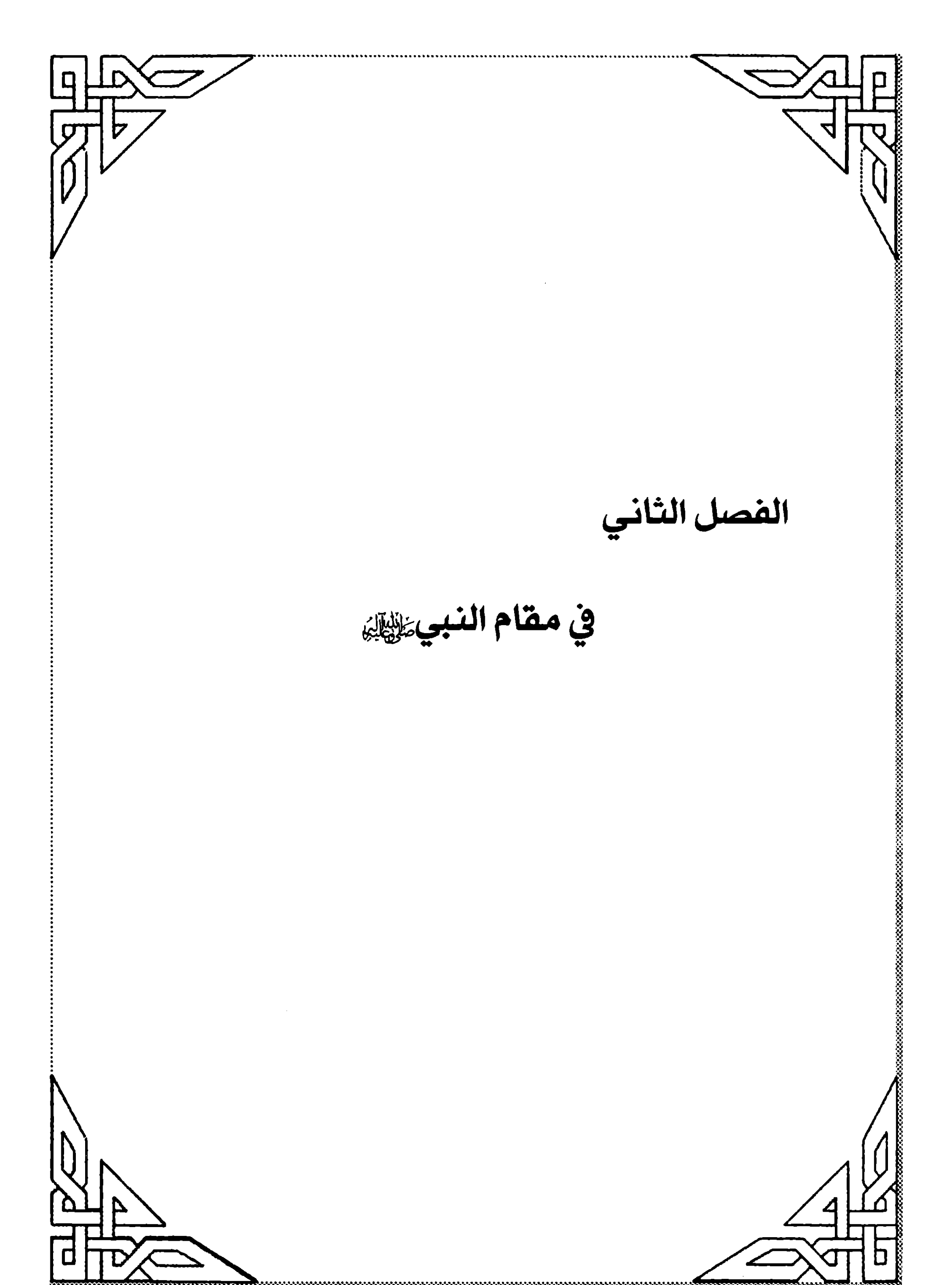
○ **وقال الزركشي في البرهان:٤٥٢/١ ، في أنواع القراءة:** (الأول ، من يشهد أوصاف المتكلم في كلامه ومعرفة معاني خطابه ، فينظر إليه من كلامه وتكلمه بخطابه..... لأن الكلام ينبئ عن معاني الأوصاف، ويدل على الموصوف.وهذا مقام العارفين من المؤمنين لأنه لا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ، ولا إلى تعلق الإنعام به ، من حيث أنه منعم عليه ،

بل هو مقصور الفهم عن المتكلم ، موقوف الفكر عليه ، مستغرق بمشاهدة المتكلم ، ولهذا قال جعفر بن محمد الصادق: **لقد تجلى الله لخلقه بكلامه ولكن لا يبصرون)**.

○ **وقال الفيروزآبادي في هامش العروة الوثقى:٤٣٤/٢**:(الظاهر أن أميرالمؤمنين وأولاده الطيبين سلام الله عليهم أجمعين ، لهم درجات أخرى فوق هذه ، بأن يعبدوه من غير أن يجعلوا شيئاً غاية يقصد ، ويكون لهم أمر زائد ملحوظ بالتفصيل يكون هو المحرك دون أن يلاحظ طلب وأمر ، بل المحرك مشاهدة جلال الله وجماله وشمول عنايته. قال عليه السلام: وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك. وقال عليه السلام: **والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكن لايبصرون)** .

○ **وفي توحيد الصدوق ص١١٥**: (أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله ، عن إبراهيم بن هاشم ، عن ابن أبي نجران ، عن محمد بن سنان ، عن إبراهيم والفضل ابني محمد الأشعريين ، عن عبيد بن زرارة ، عن أبيه ، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك ، الغشية التي كانت تصيب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أنزل عليه الوحي ؟ فقال: **ذاك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد ، ذاك إذا تجلى الله له ، قال ثم قال: تلك النبوة يا زرارة**).

○ ○



الفصل الثاني

في مقام النبي صلى الله عليه وآله

من هو النبي صلى الله عليه وآله وما حققه للبشرية

(بتاريخ: ١٥ صفر ١٤٢٢- ٢٠٠١/٥/٩- ١٣٨٠/٢/١٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة العشرة الأخيرة من شهر صفر ، أيام رحلة الشخصية الأولى في عالم الوجود صلى الله عليه وآله،وبمناسبة سفر العديد من العلماء،من أهل الجد في تحصيل مرضات الله تعالى، أسأل الله أن يوفقهم في سفرهم التبليغي الى هداية أيتام آل محمد صلى الله عليه وآله.

تصل أخبار من عدة مناطق أن الملحدين وأصحاب الشبهات يعملون بشكل واسع لنشر دعاياتهم المسمومة ، بين الناس البعيدين عن المناطق العامرة بالعلماء والمبلغين ! وفي مثل هذه الظروف يجب على القادرين من الفضلاء العجم والعرب ، أن يؤدوا ما عليهم من مسؤولية في المناطق التي يؤثرون فيها، مسؤولية إنقاذ النفوس وصيانة عقائد الإسلام.

نعم إن راحة الإنسان ببقائه في بيته عند أهله وعياله ، لأن سفره الى المناطق الأخرى خاصة النائية فيه تعب ومشقة، لكن ينبغي لأحدكم أن يفكر أن هجرته وسفره لكي يبلغ الدين بعيداً عن عائلته ، ويهدي الضائع ويرشد

الجاهل ، سفره لكي يقيم معروفاً ، أو يزيل منكراً ، هو بلا شك حركةُ سير في سبيل الله تعالى ، وقد قال الله تعالى عن أهل هذه الحركة: **(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَأُونَ مَوْطِئاً يُغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)** . (سورة التوبة:١٢٠) .

فكل مايصيبكم ، من أدنى تعب الى أشده، مكتوبٌ في سجل أعمالكم عند الله تعالى ، وقد بلغت أهمية المسألة عند الله تعالى أنه هو سبحانه كاتب الأجر فيها ، وهو الضامن لصلاح هذا العمل وجزائه ! وفي مقابل هذا الأجر العظيم ، فإن الإنسان يتقبل متاعب سفره وعمله .

وبهذه المناسبة أذكر أموراً ينبغي مراعاتها لتحقيق الإخلاص في النية الذي هو الجهاد الأكبر ، وتحقيق التوفيق في عملكم في إخراج الناس من الضلال الى الهدى ، الذي هو التأويل الأعظم لقوله تعالى: **(وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً)** . (سورة المائدة:٣٢) .

الأمرالأول: كونوا على وضوء في كل مجلس تبليغ أو خطابة ، فالوضوء بنفسه نور، ومضافاً الى ذلك فإن لمجالسكم خصوصية فيمن يحضرها ، فقد يحضر في المجلس شخصٌ كادٌّ على عياله يعمل من الصبح الى المغرب لكي يوفر لقمة عيش لزوجته وأطفاله، وهذا كالمجاهد في سبيل الله بكد يمينه وعرق جبينه ، يأتي الى مجلسكم مدفوعاً بالإيمان والعشق لرسول الله صلى الله عليه وآله، أو سبطه الإمام الحسن عليه السلام أو الإمام الرضا عليه السلام.

أو تحضر مجلسكم عجوزٌ مستضعفة، تحملت المتاعب في حياتها، وجاءت الى هذا المجلس مع ضيق معيشتها ، بسبب محبتها وعشقها للصديقة الطاهرة

الزهراء عليها السلام. أو يحضره طفل يتيم فقد والديه ، وجاء ضيفاً الى مجلس رسول الله ﷺ .

في مثل هذه الحالات يستحيل على الشخص الأول في العالم ﷺ أن لاينظر الى ذلك المجلس بعين عطفه ، ليس من أجلي وأجلك بل من أجل هؤلاء ! وإذا نظر الى المجلس فسوف يشملك شعاع نظره ، فكن في كل مجلس على وضوء.. هذا أولاً .

والأمرالثاني: بعد أن تفتتحوا مجلسكم بالقرآن ، إفتتحوه بزيارة آل ياسين ، فاقرؤوا أصل الزيارة وإن لم تقرؤوا الدعاء الذي بعدها ، لأن صاحب الزمان عليه السلام يقول: (**إذا أردتم التوجه بنا إلى الله والينا، فقولوا كما قال الله تعالى: سلام على آل ياسين**) . (١)

إن هذه الزيارة إذا قرئت في مجلس وتلي فيها التسليم على صاحب الزمان عليه السلام، فإن أثرها أن تتوجه القلوب اليه ، والله تعالى يقول:(**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوا لِي وَلاتَكْفُرُونِ**).(سورة البقرة: ١٥٢) وصاحب الزمان صلوات الله عليه حجة الله علينا ، ومركز نور الله في أرضه ، وهو متخلق بأخلاق الله تعالى ، فلا يمكن أن نذكره ولا يذكرنا .

والأمرالثالث: لاتختموا أي مجلس من مجالسكم إلا بعد أن تكونوا ذكرتم فيه الإمام صاحب الزمان عليه السلام فهو واسطة فيض الوجود ، ونحن به نستيقظ من نومنا ، وبه نريد ، وبه نفهم ، وبه نقول ، وبه نحيا ، وبه نموت .. نعم عقيدتنا أن كل ذلك وكل النعم من الله تعالى ، والإمام عبدٌ مخلوقٌ مملوكٌ لله تعالى ، لايملك بذاته لنفسه نفعاً ولا ضراً ، ولكن هذه الجزئيات من الله به عليه السلام.. ومادامت منه بهذا المعنى فإن شكر واسطة الفيض تستوجب عقلاً ونقلاً أن

تتوجه اليه القلوب في المجالس .

والأمر الرابع: أقدم لكم حديثاً عن الإمام الباقر عليه السلام، أنا عاجزٌ عن شرحه ، وكل أفكار البشر أصغر من أن تدرك عمقه! **ففي الكافي:٢٢٠/٣،عن أبي جعفر الباقر** عليه السلام أنه قال لعمرو بن سعيد الثقفي: (**إن أُصبتَ بمصيبة في نفسك، أو في مالك، أو في ولدك، فاذكر مصابك برسول الله ، فإن الخلائق لم يصابوا بمثله قط**). والذي يحير العقل هنا هو تعليله ووصفه عليه السلام للمصاب بالنبي صلى الله عليه وآله بأن الخلائق لم تصب بمثله! **والخليقة** عنوان عام يشمل كل مخلوق ، فكيف بجمعه **الخلائق**؟ وهو محلى بألْ ، فهو يشمل حتى الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين عليهم السلام ومايرى وما لايرى فكل هؤلاء لم يصابوا بمثل رسول الله صلى الله عليه وآله وهو تعليل لايفهمه إلا خواص العلماء ، الذين يدركون من هو النبي ، وماذا فعل ، وماهي مصيبة فقده ، ومن الذين أصيبوا به صلى الله عليه وآله ؟!

توجد كلمتان تعرفان كل وجود الشخص هما: من كان، وماذا فعل؟ والإمام الباقر نفسه عليه السلام يعلم ويدرك أن هذه المصيبة كانت مصيبة بشخص لم يكن أحدٌ مثله، ولم يكن عملُ أحد مثل عمله، لأنه هو الذي قال: **فإن الخلائق لم يصابوا بمثله قط**، يعني لافي الماضي ولافي الحاضر ولافي المستقبل! فماذا كان عمل النبي صلى الله عليه وآله، وماذا أعطى للعالم ؟!

هذا بحر محيط لايمكننا التوصل الى قعره ، فخوضه مقصور على الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، فهم يدركون أي أمواج انطلقت من بحره صلى الله عليه وآله ؟!

سأقدم لكم أربع كلمات ، تقال في كل صلاة ، تكفي لأن نفهم ما عمله رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي: (**سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله، والله أكبر**) .

إن لكل واحدة من هذه الكلمات قدرها وحسابها الخاص.. ولنتأمل في أول

كلمة منها: **سبحان الله**، ولنتجول بفكرنا في شرق العالم وغربه وشماله وجنوبه في كل الأديان والمذاهب بلا استثناء.. لندرك أنه لو لم تكن هذه الكلمة موجودة ، فلا يوجد ارتباط في العالم بين الخالق والمخلوق !

العمل الذي قام به رسول الله ﷺ: **أنه ربط الخلق بخالقهم!** فلو لم يكن النبي موجوداً ، ولا دينه ، فلا وجود لحرف يربط بين الخالق وخلقه ! ولكان العالم كله يدور في زوبعةٍ من الضلال ، ما بين مشبهٍ وملحدٍ وعابدٍ لغير الله تعالى !

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: **(إلى أن بعث الله سبحانه محمداً ﷺ رسولاً لإنجاز عدته ، وتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه ، مشهورةً سماته، كريماً ميلاده. وأهل الأرض يومئذ مللٌ متفرقة، وأهواءٌ منتشرة ، وطوائفُ متشتتة ، بين مشبِّهٍ لله بخلقه ، أو ملحدٍ في اسمه ، أو مشيرٍ إلى غيره .. فهداهم به من الضلالة ، وأنقذهم بمكانه من الجهالة)** . (نهج البلاغة:١ /٢٤)

كان العالم كله في تلك الدوامة العاصفة ، بين مشبِّهٍ لله بخلقه ، أو ملحدٍ في اسمه، أو مشيرٍ إلى غيره ، فجاء ﷺ وأخذ منجله النبوي فحصد كل ذلك الحشيش التافه ، وغرس بدله شجرة التسبيح الطيبة ، وأضاء شجرة التهليل والتوحيد، وأنار في العالم مشعل التسبيح والتحميد وأوصل البشر الى مستوى أن يقولوا: **(الله أكبر.. من أن يوصف) !**

نفس: **سبحان الله**، ماذا تعني؟ هنا تتحير عقول الكمَّل من البشر.. فقد أوصل النبي المعرفة الى هنا! أوصل التنزيه الى هنا.. تنزيهٌ عن الجسم، وتنزيهٌ عن صفات عالم الكون ، وهذا هو التنزيه الإبتدائي لعامة الناس !

قال النبي **سبحان الله** ، فهدى عقول الألوف كعقل ابن سينا ، بل إن ابن سينا لاقيمة له هناك، لقد هدى النبي ﷺ ألوف العقول النيرة كعقول الأنبياء عليهم السلام الى

أقصى مايمكنهم أن يجدوا اليه طريقاً في دائرة الوحي وإمكانيات العقل البشري ، والى أدق معاني قوله: **كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه ، فهو مخلوق مصنوع مثلكم ، مردود إليكم!** ولا غرو فهو صلى الله عليه وآله نبي الأنبياء عليهم السلام! (٢)

نعم ، هذه هي كلمة: **سبحان الله** التي أتى بها! وهذا هو العمل الذي عمله في تعريف البشر بالله تعالى! فكل ما في هذا العالم من تسبيح لله تعالى ، فإنما هو من كلمات شفتيه ، وكل ما في العالم من تحميد لله تعالى ، فأصله من لفظ لسانه الشريف. وكل ما فيه من توحيد فمنبعه من نطق فمه المبارك. وكل ما فيه من تكبير، فمنطلقه من صوته النبوي .

هذا ما عمله النبي صلى الله عليه وآله في تعريف الخلق بخالقهم تبارك وتعالى .

أما ما عمله مع خلق الله تعالى ، فإن النموذج الواحد منه يحتاج شرحه الى كتاب! في ذلك الوقت الذي انهزم المسلمون في أحد ، وتركوا النبي صلى الله عليه وآله وحده مع علي أمام سيوف قريش الحاقدة ، فقاتل صلى الله عليه وآله ومعه علي عليه السلام فقط ، قاتلا بعد أن جرح أبو دجانة لساعات يردّان هجمات المشركين المستميتة لقتل النبي صلى الله عليه وآله حتى جرح في جبهته الشريفة وكسرت مقدمة أسنانه، وهذا ما لم يحدث له في كل حياته ، فأي جبهة جرحت يومئذ، وأسنان أي فم كسرت؟ لقد تزلزلت أركان العالم ، فالعالم قشرٌ والنبي لبه ، وإذا تضرر اللب فما قيمة القشر ؟!

في ذلك الظرف ، قالوا له: يارسول الله أدع عليهم.. في ذلك الوقت وقد سال ذلك الدم المقدس من جبهته وفمه ، فوق قميصه الخام ، ذلك القميص الذي لم يفتح إلا عندما لبسه النبي صلى الله عليه وآله يومها ، ثم طواه ليفتحه بيده ولده الموعود الإمام المهدي عليه السلام! قيل له: أدع عليهم فرفع يديه الى السماء وقال: **اللهمَّ اهْدِ قومي، فإنهم لايعلمون !**

هذا ماعمله للخلق: إلهي أريد منك لهؤلاء بدل العذاب الذي يستحقونه أن ترحمهم وتنعم عليهم ! بأي نعمة ؟ بنعمة الهداية التي هي أغلى جوهر في العالم ! ولمن طلبها النبيﷺ؟ لهؤلاء الذين أصروا وما زالوا مصرين على قتله ، وجرحوه في جبهته وفمه الشريف !

ثم لم يقلﷺ: اللهم اهدهم فقط ، بل قال: **إهْدِ قومي** ! فأضافهم الى نفسه ليجر الرحمة الإلهية من المضاف اليه الى المضاف !

أيها الرسول العظيم ! ماذا فعلت ، ومن كنت ؟! وبماذا جئت ؟!

قال: يارب هؤلاء قومي ، وبحث لهم عن عذر أمام الله: **فإنهم لايعلمون**، فاقبل مني يا رب عذر هؤلاء الجهال ، لعلهم يعلمون !!

هذا مافعله النبي لمعرفة الخالق ، ولخدمة الخلق !

(**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**). (سورة الأنبياء: ١٠٧)

○ ○

وأختم حديثي بهذه الحادثة :

عندرحلتهﷺجاءته أحب عترته اليه الصديقة فاطمةالزهراءعليها السلام وجلست عنده ، وقد روت مصادر الحديث عند الفريقين أجزاء من الحديث الذي دار بينهما ، منها هذا الرواية ، أرجو أن تتأملوا في كلماتها خصوصاً في ختامها ، واشرحوا للناس وبينوا لهم أن النبيﷺهو هذا ، وأن دينه الإسلام هو هذا، عرفوهم بالدين وبصاحب الدينﷺ، حتى يشملكم صاحب الزمانعليه السلام برضاه وعنايته . عرفوهم من هو نبيناﷺ، وكيف كان يعيش، وما حققه وأنجزه للبشرية، وأبعدوا الأوهام عن وجه هذا الدين الجميل المشرق، حتى يعرف الناس ما هو ، ومن هو الذي أتى بهﷺ؟!

قالت له فاطمةعليها السلام: يا أبَهْ ، أنا لا أصبر عنك ساعة من الدنيا ، فأين الميعاد

غداً ؟ لا أصبر عنك ساعة ، يعني أستطيع أن أفارق الحسن ، وأن أفارق الحسين ، وزينب ، لكني لا أستطيع فراقك !

فبشرها بأنها ستلتحق به عما قريب .. قال لها: **أما إنك أول أهلي لحوقاً بي...** قالت: يا أبت فأين ألقاك يوم القيامة؟ قال: انظري عند الميزان وأنا أنادي: رب أرجح من شهد أن لا إله إلا الله . قالت: فإن لم أرك هناك؟ قال: على جسر جهنم . قالت: يا أبه أليس قد حرم الله عز وجل جسمك ولحمك على النار؟ قال: بلى، ولكني قائم حتى تجوز أمتي. قالت: فإن لم أرك هناك؟ قال: تريني عند القنطرة السابعة من قناطر جهنم ، أستوهب الظالم من المظلوم . قالت: فإن لم أرك هناك؟ قال: تريني في مقام الشفاعة وأنا أشفع لأمتي). (٣)

إن العقل ليتحير لهذا الرسول الشفيع الشفيق ! **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)** . (سورة الأنبياء: ١٠٧) هذا مافعله ويفعله رسول الله للبشر صلى الله عليه وآله !

(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماًمَحْمُوداً) (الإسراء: ٧٩)

٥ ٥

هوامش

(١)في الإحتجاج للطبرسي رحمه الله:٣١٥/٢: (وعن محمد بن عبدالله بن جعفر الحميري أنه قال: خرج التوقيع من الناحية المقدسة حرسها الله ، بعد المسائل:

بسم الله الرحمن الرحيم ، لا لأمره تعقلون ، ولا من أوليائه تقبلون ، حكمةٌ بالغةٌ فما تغني النذر عن قوم لا يؤمنون . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

إذا أردتم التوجه بنا إلى الله وإلينا ، فقولوا كما قال الله تعالى: سلام على آل يس . السلام عليك يا داعي الله ورباني آياته . السلام عليك يا باب الله وديان دينه . السلام عليك يا خليفة الله وناصر خلقه . السلام عليك يا حجة الله ودليل إرادته . السلام عليك يا تالي كتاب الله وترجمانه . السلام عليك يا بقية الله في أرضه . السلام عليك يا ميثاق الله الذي

أخذه ووكده . السلام عليك يا وعد الله الذي ضمنه . السلام عليك أيها العلم المنصوب ، والعلم المصبوب ، والغوث والرحمة الواسعة وعداً غير مكذوب . السلام عليك حين تقعد. السلام عليك حين تقوم. السلام عليك حين تقرأ وتبين . السلام عليك حين تصلي وتقنت. السلام عليك حين تركع وتسجد. السلام عليك حين تكبر وتهلل . السلام عليك حين تحمد وتستغفر. السلام عليك حين تمسي وتصبح.السلام عليك في الليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى . السلام عليك أيها الإمام المأمون . السلام عليك أيها المقدم المأمول . السلام عليك بجوامع السلام .

أشهدك يا مولاي أني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله، لاحبيب إلاهو وأهله، وأشهد أن أميرالمؤمنين حجته، والحسن حجته، والحسين حجته، وعلي بن الحسين حجته، ومحمد بن علي حجته، وجعفر بن محمد حجته، وموسى بن جعفر حجته، وعلي بن موسى حجته، ومحمد بن علي حجته، وعلي بن محمد حجته، والحسن بن علي حجته ، وأشهد أنك حجة الله .

أنتم الأول والآخر ، وأن رجعتكم حق لا شك فيها ، يوم لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، وأن الموت حق ، وأن ناكراً ونكيراً حق ، وأشهد أن النشر والبعث حق ، وأن الصراط والمرصاد حق ، والميزان والحساب حق ، والجنة والنار حق ، والوعد والوعيد بهما حق .

يا مولاي شقي من خالفكم وسعد من أطاعكم ، فاشْهَدْ على ما أشهدتك عليه ، وأنا وليٌ لك ، بريءٌ من عدوك، فالحق ما رضيتموه، والباطل ما سخطتموه، والمعروف ما أمرتم به، والمنكر ما نهيتم عنه . فنفسي مؤمنةٌ بالله وحده لا شريك له ، وبرسوله ، وبأمير المؤمنين ، وبأئمة المؤمنين وبكم يا مولاي ، أولكم وآخركم ، ونصرتي معدة لكم ، فمودتي خالصة لكم . آمين ، آمين.

الدعاء للإمام عقيب الزيارة

بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إني أسألك أن تصلي على محمد نبي رحمتك ، وكلمة نورك، وأن تملأ قلبي نور اليقين ، وصدري نور الإيمان، وفكري نور الثبات،

وعزمي نور العلم ، وقوتي نور العمل ، ولساني نور الصدق ، وديني نور البصائر من عندك ، وبصري نور الضياء ، وسمعي نور وعي الحكمة ، ومودتي نور الموالاة لمحمد وآله صلى الله عليه وآله، حتى ألقاك وقد وفيت بعهدك وميثاقك ، فلتسعني رحمتك يا ولي يا حميد.

اللهم صل على حجتك في أرضك، وخليفتك في بلادك ، والداعي إلى سبيلك والقائم بقسطك ، والثائر بأمرك ، ولي المؤمنين ، وبوار الكافرين ، ومجلي الظلمة ومنير الحق ، والساطع بالحكمة والصدق، وكلمتك التامة في أرضك ، المرتقب الخائف والولي الناصح سفينة النجاة ، وعلم الهدى ، ونور أبصار الورى ، وخير من تقمص وارتدى ، ومجلي العمى، الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، إنك على كل شئ قدير .

اللهم صل على وليك وابن أوليائك ، الذين فرضت طاعتهم ، وأوجبت حقهم ، وأذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا .

اللهم انصره وانصر به أولياءك وأولياءه ، وشيعته وأنصاره ، واجعلنا منهم . اللهم أعذه من كل باغ وطاغ ، ومن شر جميع خلقك . واحفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، واحرسه وامنعه من أن يوصل إليه بسوء ، واحفظ فيه رسولك وآل رسولك ، وأظهر به العدل وأيده بالنصر، وانصر ناصريه واخذل خاذليه، واقصم به جبابرة الكفرة ، واقتل به الكفار والمنافقين ، وجميع الملحدين ، حيث كانوا في مشارق الارض ومغاربها ، برها وبحرها ، واملأ به الأرض عدلاً ، وأظهر به دين نبيك . واجعلني اللهم من أنصاره وأعوانه ، وأتباعه وشيعته ، وأرني في آل محمد ما يأملون ، وفي عدوهم ما يحذرون . إله الحق آمين ، يا ذا الجلال والاكرام ، يا أرحم الراحمين).

○ ○

(٢) في بحار الأنوار:٢٩٢/٦٦: وفي كلام الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام إشارة إلى هذا المعنى حيث قال: كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم.

○ ○

(٣) ما أورده الأستاذ مد ظله عن الزهراء عليها السلام قسم من رواية في بحار الأنوار:٥٣٥/٢٢ نقلاً عن كشف الغمة للإربلي ص١٤٨.

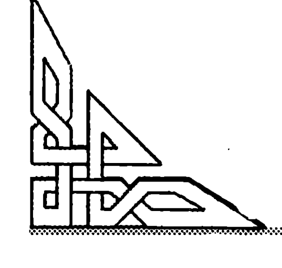
○ **وفي البحار:٧/١١٠ أيضاً:** إن فاطمة صلوات الله عليها قالت لأبيها: يا أبت أخبرني كيف يكون الناس يوم القيامة ؟ قال: يا فاطمة يشغلون فلا ينظر أحد إلى أحد ، ولا والد إلى ولده ولا ولد إلى أمه . قالت: هل يكون عليهم أكفان إذا خرجوا من القبور؟ قال: يا فاطمة تبلى الأكفان وتبقى الأبدان ، تُستر عورة المؤمن ، وتبدى عورة الكافرين . قالت يا أبت ما يستر المؤمنين؟ قال: نورٌ يتلألأ لايبصرون أجسادهم من النور. قالت: يا أبت فأين ألقاك يوم القيامة؟ قال: انظري عند الميزان وأنا أنادي: رب أرجحْ من شهد أن لا إله إلا الله . وانظري عند الدواوين إذا نشرت الصحف وأنا أنادي: رب حاسب أمتي حساباً يسيراً . وانظري عند مقام شفاعتي على جسر جهنم، كل إنسان يشتغل بنفسه وأنا مشتغل بأمتي أنادي: يا رب سلم أمتي ، والنبيون عليهم السلام حولي ينادون: رب سلم أمة محمد) .

○ ○



الفصل الثالث

في مقام أمير المؤمنين عليه السلام



في عصمة أمير المؤمنين عليه السلام

(بتاريخ: ١٢ رجب ١٤١١- ١٩٩١/١/٢٩- ١٣٦٩/١١/٩)

بســم الله الرحمن الرحيم

هذا الحديث من الصحاح التي يجب أن يتعمق الفقهاء في دلالتها وأبعادها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:**(من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصا الله ، ومن أطاع علياً فقد أطاعني ، ومن عصا علياً فقد عصاني) !! (١)**

ومن ميزات هذا الحديث أن الذهبي، الذي هو إمام النقد والتجريح عندهم، والذي عمل كل ما يستطيع لإسقاط عمدة أحاديث فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، قد صحح هذا الحديث ووصف أبا ذر الذي ينتهي اليه بأنه: رأس في العلم والزهد والإخلاص والجهاد وصدق اللهجة .

لعل هذا الكلام يصل الى بعض أصحاب الفكر السنيين، فعندما نقول يجب أن يتعمق الفقهاء في هذا الحديث ، لانقصد التعمق بالفقه الإبتدائي بل بالفقه النهائي . فينبغي أن يعرف هؤلاء حتى لايقعوا في الغرور بعملهم الحديثي ، أنهم بلغوا الغاية في رواية الحديث والأسانيد ، والشاهد على ذلك ما فعله محققوهم في قلب المتون من قبيل قلب الحديث المرفوع عن أنيسة في أذان

بلال وابن أم مكتوم ، قلب روايتها وفقهها ! وكذلك قلبهم طبقة الإسناد ، كالذي ارتكبه الرواة الحمقى من قلب مئات الأسانيد على المتون والمتون على الأسانيد ، في البخاري وغيره.

نعم إنهم قاموا بأعمالهم هذه بكل دقة ! وارتكبوا بكامل ذكائهم أنواعاً من القلب والرفع والتدليس ، وبقية أنواع تحريف السنة الثمانية والعشرين مما لايخفى على الخاصة !

لكن الذي تركوه وأعرضوا عنه هو فقه الحديث ! وعليهم أن يعترفوا بذلك . ومن الواضح أن نسبة فقه الحديث الى عملهم الواسع في روايته نسبة اللب الى القشر ، فأين هم عن فقه السنة ؟!

ماذا فعلوا في فقه هذا الحديث الذي هو باعتراف كبير نقادهم الذهبي صحيح لاريب فيه ، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصا علياً فقد عصاني!** وماهي النتيحة التي أخذوها منه ؟!

هذا الحديث الذي صح عن الصحابي الجليل أبي ذر رضوان الله عليه ، الذي يقول عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ إن النبي وصفه بأنه **ليس تحت ظل السماء أصدق لهجة منه**.. فكيف تجاوزوا قوله وأعرضوا عن حديث نبيهم صلى الله عليه وآله ولم يتفكروا فيه ؟!

لايمكننا في هذه العجالة أن نستوفي فقه هذا الحديث الشريف ، لكنا نعمل بقاعدة الميسور ، ففي هذا القول النبوي الكريم أصل وفرع ، وشجرة وثمرة ، وعلة ومعلول.. أما البحث في المعلول والنتيجة الظاهرة المترتبة عليه، فأولها عصمة علي بن أبي طالب عليه السلام.. فكيف غفلوا عن هذه الحقيقة ،

وحصروا العصمة برسول الله صلى الله عليه وآله مع أن قوله هذا نصٌّ في عصمة علي عليه السلام ؟!
وبرهانه أن قوله: (**من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصا الله ، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصا علياً فقد عصاني**) يدل على أن إرادة علي لا يمكن أن تتخلف عن إرادة الله تعالى ، ولا أن تتخلف كراهته عن كراهة الله تعالى ، ولو أمكن أن تتخلف لكان قوله:**من أطاعه فقد أطاع الله** ، غلطاً ، ولكان قوله:**من عصاه فقد عصى الله** ، باطلاً ، معاذ الله !

ومادام شق هذه القضية حقاً ، فإنكار عصمة علي باطل !

ولنرجع الى العلة وجذر هذا الحديث ، لنرى أن قائله هو أول عالم الوجود عليه السلام، وكلامه ليس فقط للرواية والتسجيل في الكتب كما يتخيلون ، فالعلم مخزونٌ عند أهله فاقتبسوه في مظانه.

لقد بدأ النبي صلى الله عليه وآله عن طريق عقلي ، وأنهى القضية الى إرشاد عقلي ، وهذا شأن مقامه العلمي صلى الله عليه وآله!

بدأ أولاً بكلمة: **من أطاعني**، وشرع من إطاعة الله تعالى لا من علي عليه السلام وفي ذلك نكتة عميقة ليس هذا مجالها . وإن أحداً لايستثنى من الدخول في دائرة قوله (**مَن**)،فكل الناس عليهم أن يطيعوا الله تعالى ، ويدخلوا في دائرة (**مَن**) هذه، وذلك بالدليل العقلي أو النقلي، الإستقلالي أو الإرشادي. وكل من دخل في هذه الدائرة التي هي طاعة الله تعالى ، يجب عليه أن يدخل بنفس الدليل في طاعة الرسول صلى الله عليه وآله لأنه لاينطق عن الهوى !

ثم قال صلى الله عليه وآله بعد ذلك:**ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصا علياً فقد عصاني** فدل على أن كل من دخل في تلك الدائرة فعليه أن يدخل في هذه الدائرة ، فلا يمكن التخلف بين دائرة (**مَن**) ودائرة (**مَن**) هناك!

فكيف لم يفكروا في ذلك ؟! إن مسؤولية العالم غير مسؤولية الجاهل !

○ ○

والمهم هنا أن يفهم الفقيه السني أننا عندما نقول: **علي وجه الله تعالى**، فإنا لانغالي بل نقولها بالدليل والبرهان ، ونعتمد فيها على رواية السنيين التي لا تقبل الإنكار عند علماء الجرح والتعديل وعلماء اللغة والبيان !

وتوضيح المطلب: أن الأمر أو النهي له مبدأ ومنتهى ، فمنتهاه الإطاعة أو المعصية ، ومبدؤه الإرادة ، وحدُّه الوسط الكراهة .

فالأمر والنهي معلولان للإرادة لامحالة ، فيستحيل إطاعة الله تعالى ومعصيته بدون وجود إرادة وأمر أو نهي ربانيين صادرين عنها ، وقد أراد النبي صلى الله عليه وآله بقوله: **ومن أطاع علياً فقد أطاعني**..أن يُفهم المسلمين أن إرادة علي إرادة الله تعالى وكراهته كراهة الله تعالى ! **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)** (سورة ق: ٣٧)

تأمل في تسلسل قوله صلى الله عليه وآله: **من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصا الله ، ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصا علياً فقد عصاني**، فإنها لمن يفهمها قضية خطيرة تقشعر منها الجلود ، ويضطرب لها الإنسان فيخرس عن الكلام ! قضية خطيرة وحق كبير ، لا يمكننا أن نتنازل عنه !

من أطاعني فقد أطاع الله.. فقد استعمل النبي صلى الله عليه وآله في حكمه الذي أصدره لفظ (**مَن**) للتعميم ، وحرف (الفاء) للتفريع ، وحرف (قد) للتحقيق !

ونتيجة ذلك ومعناه: أنه إذا تغير وجه علي غضباً، فبدليل ارتباط البدن بالروح وفناء إرادة علي عليه السلام في إرادة الله تعالى ، وفناء غضبه في غضب الله تعالى ، فإن هذا ليس تغير وجه علي عليه السلام، بل هو مرآة لغضب الله تعالى!

وإذا تبسمت شفتا علي فهذا ليس تبسم علي عليه السلام بل هو مرآة لرضا الله تعالى! ذلك أن هذه الإرادة فانيةٌ في تلك ، فهي انعكاسٌ لها ، وكراهته فانية في تلك فهي انعكاسٌ لها ، وذلك بقانون انعكاس الروح على البدن !

فعلي عليه السلام لا محالة وجه الله تعالى ، ومظهر أمره ونهيه وإرادته !

لايصح أيها الفضلاء أن تقدموا الروايات الشريفة الواردة في تفاسيرنا في مثل هذا الموضوع ، بشكل بسيط بدون تحليل ، أمام المخالفين السذج الذين لاعلم لهم ، بل ينبغي أن تبينوا جذرها العقلي والنقلي من المصادر.. فعندما تقولون لهم إن علياً عليه السلام يد الله وعين الله ، يتصور هؤلاء العوام أنها غلو !!

إن هؤلاء الذين لم يشموا رائحة العلم والحكمة ولم يفهموا الكتاب والسنة ، كيف يفهمون أن يصل إنسانٌ الى أن يكون وجه إرادة الله تعالى ونهيه ، ومظهر سر اسمه الأعظم وغيبه ؟!

إن هذا الظهور لإسم الله تعالى على روح علي عليه السلام هو الذي يعطيه مقام قدرة يد الله تعالى ، مقام: **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى !** هذا المقام العظيم الذي يجعله يقول: **والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية** ، ولكن بقوة ربانية ، ونفس بنور بارئها مُضيَّة .

إن هذا البشر ، هذا الإنسان ، هذا الموجود ، فوق مستوى العقل البشري.. فها أنتم ترون أنـّا لم نستطع أن نستوفي حديثاً نبوياً واحداً في حقه ، ولا نستوعب ما قاله النبي صلى الله عليه وآله ، في مقامه عليه السلام .

فأي ظلم في العالم كهذا الظلم الذي وقع عليه؟! وكيف يمكن لعاقل أن يغض النظر عن ظلامته ويتحمل أن يؤخر إنسان مثل علي عليه السلام ، ويقدم عليه أشخاص تعرفون مستواهم !

لله أي إنسان أخروا ، وأي أشخاص قدموهم عليه ؟!

○ ○

إذا كنت فقيهاً سنياً ، فهل فكرت في هذه القصة التي يرويها ابن حجر في شرحه للبخاري ، قال في فتح الباري:٣٢٣/٩: (قوله: وقال علي: ألم تعلم أن القلم رفع عن ثلاثة عن المجنون حتى يفيق وعن الصبي حتى يدرك وعن النائم حتى يستيقظ . وصله البغوي في الجعديات عن علي بن الجعد ، عن شعبة، عن الأعمش عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، أن عمر أتي بمجنونة قد زنت وهي حبلى ، فأراد أن يرجمها ! فقال له علي: أما بلغك أن القلم قد وضع عن ثلاثة.. فذكره ، وتابعه بن نمير، ووكيع وغير واحد ، عن الأعمش، ورواه جرير بن حازم عن الأعمش فصرح فيه بالرفع . أخرجه أبو داود وابن حبان من طريقه ، وأخرجه النسائي من وجهين آخرين عن أبي ظبيان مرفوعاً موقوفاً، لكن لم يذكرفيهما ابن عباس جعله عن أبي ظبيان عن علي، ورجح الموقوف على المرفوع. وأخذ بمقتضى هذا الحديث الجمهور)!

فالشخص الذي لايعرف حكم العاقل من حكم المجنون ، ولو لم ينبهه أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك اليوم ، لقتل تلك المرأة بدون حق، وقتل جنينها أيضاً ، ولنسبت هذه الجريمة الى الإسلام !!

إنه لا مجال لإنكار هذه الرواية ، إلا بإنكار الفقه السني الذي تسالم عليها ! تُرى ، كيف يقدَّم مثل هذا الشخص على علي عليه السلام الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وآله: **من أطاع علياً فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله**؟! كيف يجوز أن يقدَّم أحدٌ على إنسان طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله، ورأيه حكم الله، وعلمه من علم الله تعالى ؟!! على شخصٍ قال فيه النبي صلى الله عليه وآله: **أقضاكم علي.. علي مع**

القرآن والقرآن مع علي.. الخ. فهل هذه النصوص النبوية الجازمة من مصادرنا حتى ينكروها؟!

وهل حديث: **أنا مدينة الحكمة وعلي بابها..** من مصادرنا أو مصادرهم ؟

إن علياً عليه السلام قمة العلم في هذه الأمة ، ومعدنه ، والذي عنده علم الكتاب ، والشاهد على الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله: **(قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)** (سورة الرعد: ٤٣) ، الكتاب الذي وصفه الله تعالى فقال: **(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)** (سورة النحل:٨٩) فهل يجوز أن يؤخر إنسان بهذا المستوى العظيم ، ويقدم عليه من لايعرف حكم الحبلى المجنونة ؟

أم هل يجوز أن يقدم عليه أبو بكر بن أبي قحافة الذي لم يكن يعرف حكم إرث الجدة ، فاعترف أنه لايعرف هل ترث أم لا ، ولايعرف سهمها ؟! لقد حاول الذهبي أن يغطي على جهل أبي بكر في تذكرة الحفاظ وسير الأعلام ، ويقلب جهله بإرث الجدة الى افتخار ، وأنه كان يسأل عما لايعرفه ! لكنه بذلك كشف مستواه ؟!! **(٢)**

إن الجاهل بأحكام الإسلام الذي يفتي في أمور الدين استناداً الى أمثال المغيرة بن شعبة ، والمغيرة معروف أنه رأس المكر والكذب ، والفاسق الذي عزله عمر بن الخطاب! كيف يكون خليفة النبي صلى الله عليه وآله ويجلس مجلسه ، ويقدم على علي بن أبي طالب عليه السلام ، الذي من أطاعه فقد أطاع الله ، والذي هو مع القرآن ومع الحق ، الى آخر الصفات التي قالها فيه النبي صلى الله عليه وآله ؟!!

فهل هذا من العقل ، أو من الكتاب أو السنة ؟! (**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)** (سورة يونس: ٣٥).

ألا يفكر هؤلاء أنهم مسؤولون يوم القيامة: **(وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ)** ! ألم تفكروا أن النبي صلى الله عليه وآله عندما قال: **من أطاعه أطاعني**، هل كان أبو بكر وعمر داخلين في دائرة الإطاعة هذه ، أم خارجين عنها ؟!

إن من يخرج عن دائرة هذه الطاعة فقد خرج عن دائرة طاعة الله تعالى ! ومن دخل في دائرة طاعة الله ، فلا بد أن يدخل في دائرة طاعة علي ، لأن أمره أمر الله ونهيه نهي الله تعالى! وعليه فإن طاعة علي عليه السلام بنص صحاحهم فريضة ! وأصل خلافة أبي بكر وعمر بنص صحاحهم باطلة !!

(أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) ؟!

○ ○

إنها حقائق لايمكننا الإغماض عنها والسكوت عليها .. فقد تقع ظلامة من نوعها على مثلي أو مثلك ، بأن يعزل الإنسان عن الحكم ويقصى عن منصب القيادة ويجلس بدله شخص جاهل! فتكون ظلامةً خفيفة أو قابلة للإصلاح ، لكنهافي مثل خلاة النبي صلى الله عليه وآله على مثل علي مصيبة مؤلمة، وقدوصفها هو عليه السلام بأنها أحدُّ من حزِّ الشفار ، وبأن ألمها يذيب البدن ، لأنه يعرف ماذا خسرت الأمة والبشرية بها ! فهو يعرف بما آتاه الله علم وبعد نظر حقيقة ما حدث بعد النبي صلى الله عليه وآله، وأنهم أضاعوا الثمرة المطلوب نضجها على يده من بعثة جميع الأنبياء عليهم السلام، ثمرة: **(لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ)** . (سورة آل عمران:١٦٤)

أجل ، لم يكن كسر ضلع الصديقة الزهراء عليها السلام مصيبةً قاتلة لعلي عليه السلام، ولا كان غصب فدك مصيبةً غير محتملة ، لكن الذي كان يحزُّ في قلبه ويؤرقه أنه

يرى أن المجلس الذي كان يجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، والمنبر الذي كان يجلس عليه من قال الله له: (**وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**) (سورة النساء: ١١٣) يراه يجلس فيه من يقول عن نفسه: كل الناس أفقه من عمر حتى ربات الحجال !!

المصيبة التي كانت تحز في قلبه أنه رأى الزهراء عليها السلام عندما ذهبت من الدنيا وغسل جنازتها، رآها قد ذاب جسمها من الأذى (**حتى صارت كالخيال**)! لقد بقي منها شبه البدن ، وذاب بدنها من اضطهادهم وأذاهم !!

○ ○

والأمر المهم بالنسبة اليكم أنتم الحاضرين في هذا المجلس ، وأنتم ما بين فقيه وسائر في طريق الفقاهة.. أن تعرفوا تكليفكم اليوم .

فلوكان أحدنا عالماً سنياً، وفهم ما يدل عليه هذا الحديث الصحيح بمقاييسهم لقام بواجبه في الدفاع عن ظلامة علي عليه السلام، فكيف بكم أنتم علماء الشيعة ؟!

إن الواجب المهم أمران: الأول ، أن تبذروا بذور حب علي عليه السلام في القلوب . والثاني، أن تبذروا بذور البغض لغاصبي حقه بنفس المقياس والمستوى ، ولا تنقصوا منه ذرةً واحدة ، فإن الأمة إذا تراجعت يوماً عن البراءة مقدار ذرة ، فستبتلى في ذلك اليوم جميعها بلعنة ، لايُعلم ما سوف تجره عليها !

ذلك أن كل الجهود التي بذلت من صدر الإسلام الى اليوم ، إنما هي: أولاً إحقاق الحق ، وثانياً إبطال الباطل.

○ ○

هوامش

(١) **قال الحاكم في المستدرك:١٢١/٣:** أخبرنا أبو أحمد محمد بن محمد الشيباني من أصل كتابه، ثنا على بن سعيد بن بشير الرازي بمصر، ثنا الحسن بن حماد الحضرمي، ثنا يحيى بن يعلى ، ثنا بسام الصيرفي ، عن الحسن بن عمرو الفقيمى ، عن معاوية بن ثعلبة، عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أطاعني فقد اطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع علياً فقد أطاعني ، ومن عصى علياً فقد عصاني . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) . انتهى.

وقال السيد شرف الدين في النص والإجتهاد ص٥٧٤: (وقال صلى الله عليه وآله: من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع علياً فقد أطاعني ، ومن عصى علياً فقد عصاني . أخرجه الحاكم في ص١٢١من الجزء الثالث من المستدرك ، والذهبي في تلك الصفحة من تلخيصه ، وصرح كل منهما بصحته على شرط الشيخين !) . انتهى.

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ:١٧/١: (أبو ذر الغفاري جندب بن جنادة على الصحيح أحد السابقين الأولين . أسلم في أول المبعث خامس خمسة ، ثم رجع إلى بلاد قومه ، ثم بعد حين هاجر إلى المدينة ، وكان رأساً في العلم والزهد والجهاد ، وصدق اللهجة والإخلاص ، وكان آدمَ ، جسيماً ، كث اللحية) . انتهى.

۝ ۝

(٢) **قال مالك في الموطأ:٥٤/٢:** (جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها فقال لها أبو بكر: مالك في كتاب الله شئ، وما علمت لك في سنة رسول الله شيئاً، فارجعي حتى أسأل الناس، فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله (ص) أعطاها السدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة، فأنفذه لها أبو بكر). (وروى نحوه الدارمي ، وأبو داود ، وابن ماجة ، وغيرها).

۝ **وفي موطأ مالك أيضاً:٥٤/٢:** (أتته جدتان أم الأم وأم الأب فأعطى الميراث أم الأم

دون أم الأب . فقال عبد الرحمن بن سهل أخو بني حارثة: يا خليفة رسول الله ! لقد أعطيت التي لو أنها ماتت لم يرثها ، فجعله أبو بكر بينهما ، يعني السدس) !

○ **وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء:٢١٠/٤١:** (قال ابن الحداد: ودخلت يوماً على أبي العباس ، فأجلسني معه في مكانه وهو يقول لرجل: أليس المتعلم محتاجاً إلى المعلم أبداً؟ فعرفت أنه يريد الطعن على الصديق في سؤاله عن فرض الجدة ...

○ **وقال في هامشه:** (إشارة إلى الحديث الذي رواه مالك في الموطأ:٥٤/٢ في الفرائض: باب ميراث الجدة ، وأبو داود (٢٨٩٤) والترمذي (٢١٠٢) فيه أيضاً ، باب ميراث الجدة ، وابن ماجه: (٢٧٢٤) في الفرائض: باب ميراث الجدة ، من حديث قبيصة بن ذؤيب أنه قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر تسأله ميراثها فقال: مالك في كتاب الله من شئ ، وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فارجعي حتى أسأل الناس،فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس، فقال: هل معك غيرك؟ فقام محمدبن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة فأنفذ لها أبو بكر السدس .

ثم جاءت الجدة الاخرى إلى عمر بن الخطاب تسأله ميراثها فقال: مالك في كتاب الله من شئ ، وما كان القضاء الذي قضي به إلا لغيرك ، وما أنا بزائد في الفرائض شيئاً ، ولكن هو ذلك السدس ، فإن اجتمعتما فيه فهو بينكما ، وأيتكما خلت به فهو لها) !! قال الترمذي: حسن صحيح ، وصححه الحاكم:٣٣٨/٤ ، وابن حبان (١٢٢٤)... انتهى.

○ ○

تفسير: أكملت لكم دينكم

(بتاريخ: ١٥ ذي الحجة ١٤١٧- ١٩٩٧/٤/٢٣ - ١٣٧٦/٢/٣)

بســم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً**) . (سورة المائدة :٣) .

على مدى قرون ، وعلماء المسلمين يكتبون في تفسير آية إكمال الدين ، وفي صاحب هذه الآية عليه السلام، وأحداث ذلك اليوم.

اليومَ.. تبدأ الآية بكلمة **اليوم** محلاةً بالألف واللام ، لتشير الى أهمية ذلك اليوم وعظمته ، فما هو سر ذلك اليوم ؟

ذلك اليوم الذي روى فيه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن صيامه يعدل عند الله عبادة ستين سنة ! (١)

اليوم.. الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله للمسلمين: ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. فقال: **من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه**، فنهض عمربن الخطاب وقال: **بخٍ بخٍ لك يا أبا الحسن ، أصبحت مولايَ ومولى كل مسلم ومسلمة** .
(النهاية لابن كثير:٧ ٣٨٦).

إن أهمية ذلك اليوم بأهمية صاحبه ، صاحبه الذي سُئل عنه الخليل بن

أحمد فقال: (ماذا أقول في رجل أخفى أعداؤه فضائله حسداً ، وأخفاها محبوه خوفاً ، وظهر من بين ذين وذين ما ملأ الخافقين!).

والذي قال فيه أحمد بن حنبل: (ما جاء في أحد من الصحابة من الفضائل ما جاء في علي بن أبي طالب) ! **(٢)**

ما الذي حدث في ذلك اليوم؟

حدث أولاً ، أن الله أكمل لنا ديننا . وحدث ثانياً، أنه أتم علينا نعمته . وحدث ثالثاً ، أنه رضي لنا الإسلام ديناً ! فما معنى الإكمال والإتمام والرضا؟

إن هذه المفاهيم القرآنية قضايا كبيرة تبين معنى الدين الإلهي وتاريخ تنزله ، وفيها بحوث كثيرة ، قد يستغرق الحديث فيها سنة من الزمان ، وإنما نتكلم حولها بكلمات مختصرة !

ولكي نعرف ما هو الدين ، وما هو الإسلام ، الذي رضيه الله لنا ديناً في هذا اليوم ، ينبغي أن ننظر في الآيات التي تحدثت عن الدين والإسلام ، من أول آية الى آخر آية.

ينبغي أن نعرف أن الإسلام الذي قال الله تعالى عنه: **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ ... وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ.** (سورة آل عمران: ٨٥).هو الإسلام الذي صار الجانب التنفيذي منه ركناً في بنائه ، من يوم جدد إبراهيم عليه السلام بناء البيت ودعا ربه كما أمره ، أن يكون نبي الأمة المسلمة خاتمة الأمم ، وأئمتها ، من ذريته: (**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**) (سورة البقرة: ١٢٧) فبعد أن أتم ابراهيم بناء قبلة الحق للعالم ، طلب من ربه ما وعده به ، فقال إلهي أنا معمار بيتك وهذا ابني العامل معي في بناء بيتك.. فاجعل أجر بنائنا ما

وعدتنا (**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**) . (سورة البقرة: ١٢٨) .

هذا الإسلام الذي أسس قبلته وأساسه إبراهيم عليه السلام، ثم بعث الله به سيد المرسلين من ولد إبراهيم صلى الله عليه وآله فأشاد صرحه، وبنى أمته، بجهاد وجهود مباركة مقدسة طيلة ثلاث وعشرين سنة، وكان عامل البناء معه بدل إسماعيل: علي بن أبي طالب عليه السلام!

هذا الإسلام الذي أنزله الله تعالى، بقي الى أواخر عمر النبي صلى الله عليه وآله ناقصاً ، وبالذات الى اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، فأعلن الله إكماله !!

يا لله ، ما هو قدر ذلك اليوم ، الذي ظل الإسلام يفتقد كماله حتى وجده؟! هنا ليس موضع الكلام لأمثالي ، بل موضع الإستغفار من الكلام ! فأي قضية قيلت للبشر في هذا اليوم فلم يفهموها ، والى يومك هذا ؟!

أي يوم كنت يايوم الغدير ، حتى جاء الخطاب الرباني فيك لرسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الحسم غير المعهود في خطابه له: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ، وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**). (سورة المائدة: ٦٧) . فنحن نعرف أن خطاب الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله أرقُّ خطاب وأحناه: **مَاأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** (سورة طه: ٢) **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** (سورة الأنبياء: ١٠٧)، بل نراه أقسم بعمر نبيه الحبيب: **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**. (سورة الحجر: ٧٢) ، لكنه في هذا اليوم خاطبه بحسم خاص فقال:**بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ!**

يقول له بذلك إن هذا اليوم مركزي في تبليغ الرسالة ، والعمل الذي ستقوم به ، به يكمل الدين ، وبدونه يبقى ناقصاً وتضيع فائدة جهودك في تبليغه !!

نعم ، إن الرحمة التي تنزلت يوم الغدير أكبر من أن يتعقلها بشر ! والسبب أن الله تعالى إنما خلق هذا العالم ، لأنه أراد أن يوجد موجوداً ويودع فيه جوهرين نادرين هما: العقل والنفس ، ولابد لهذين الجوهرين أن يصلا الى مرحلة الإثمار .

إن مشروع بعثة الأنبياء عليهم السلام إنما كان من أجل إيصال جوهر العقل الى درجة الكمال النظري ، وجوهر الإرادة الى درجة الكمال العملي.. وكانت بعثتهم مقدمات لكي تبلغ هدفها وأوجها ببعثة نبينا صلى الله عليه وآله: **لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمنينَ إذْ بَعَثَ فيهِمْ رَسُولاً منْ أَنْفُسهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاته وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكتَابَ وَالْحكْمَةَ وَإنْ كَانُوا منْ قَبْلُ لَفِي ضَلال مُبين**. (سورة آل عمران: ١٦٤)

إن قوله تعالى: **لَقَدْ مَنَّ اللهُ** رمزٌ لقوله: **وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نعْمَتِي**. فبعثة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله لا تتم بتعليم الكتاب والحكمة فقط ، بل لابد من يوم الغدير! ذلك أن تعليم الكتاب هو الجانب العلمي وبناء الوعي البشري ، وتعليم الحكمة هو الجانب العملي وبناء الإرادة البشرية ، وتكميل هذين الجانبين يحتاج الى مفسر رباني وحكيم رباني ، يواصل المهمة بعد النبي صلى الله عليه وآله .

مفسرٌ رباني ، يستطيع تفسير الكتاب الإلهي الذي قال عنه منزله عز وجل: **الر. كتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لتُخْرِجَ النَّاسَ منَ الظُّلُمَات إلَى النُّور بإذْن رَبِّهمْ إلَى صرَاط الْعَزيزِ الْحَميد**. (سورة ابراهيم: ١) ، وقال فيه: **وَيَوْمَ نَبْعَثُ في كُلِّ أُمَّة شَهيداً عَلَيْهمْ منْ أَنْفُسهمْ وَجئْنَا بكَ شَهيداً عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكتَابَ تبْيَاناً لكُلِّ شَيْء وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى للْمُسْلمينَ**. (سورة النحل: ٨٩)

وقال عن الذين يفهمونه ويفسرونه: **لايَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُونَ** . (سورة الواقعة:٧٩) .

لقد تم تنزيل الكتاب الإلهي لكنه بدون مفسر رباني بعد النبي يبقى ناقصاً ،

لأن مفسره المؤهل تأهيلاً ربانياً هو الوحيد الذي يستطيع أن يستخرج من خزائن العلم الإلهي فيه ، كل ما يحتاج اليه العقل البشري.

إن القرآن الكريم كان وما زال خزائن الله العظيمة ، التي يراها العلماء ولا يستطيعون وصفها ، ويحومون حول كنوزها ولايستطيعون استخراجها ! كان وما زال بكراً على عقولهم، مهاباً في صدورهم ! ومع أنه غني في عطائه لهم ، فإن كل عطائهم من خزائنه الدنيا ، أما خزائنه العليا فهي أعلى منالاً من مستواهم ، لايمسها إلا المطهرون ، الذين يملكون الوسائل العليا التي تمكنهم من استخراج ما يحتاجه البشر من القرآن !

هل يستطيع أحدٌ من العلماء في عصرنا أو غير عصرنا ، أن يدعي أنه يمكنه أن يستخرج كنوز القرآن؟! فليتفضل علماء الأزهر ، وكل علماء الحواضر الإسلامية من مذاهب السنة والشيعة ، هل يستطيع أحد منهم أن يفتح فمه بعلم فيخبرنا عن معنى: **ألف.لام. ميم.؟**

هل يستطيع أحد منهم أن يخبرنا عن المعنى المكنون في:ح. م. ع. س. ق.؟!

هل يوجد منهم أحد يخبرنا عن رمز **ق**، وعن سر: **أ. ل . ر.** ؟!

إن هذا الكتاب العظيم ، كان وما زال بحاجة الى معلم رباني يعلمه للأمة وللبشرية ، ومعلم هذا الكتاب بعد النبي صلى الله عليه وآله، هو فقط من يقول: **سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عما دون العرش !**

إن البشرية لم ترَ بعد النبي صلى الله عليه وآله من قال:**سلوني** ، ولم يعين حداً لما يسأل عنه في الأرض ولا في السماء ! فهذا الشخص فقط يستطيع أن يفسر كتاب الله الذي فيه تبيان كل شئ !

اليوم أكملت لكم دينكم..لأنا إن اكتفينا بتنزيل الكتاب عليكم ، ولم نجعل

له مفسراً له بعد رسولنا، فقد جعلنا الكتاب خزائن مقفلة! لايوجد أحد يستخرج منها ما تحتاجه عقول البشر في كل جيل، فالنعمة العلمية على البشر لاتتم إلا بمفسر للكتاب الإلهي.

○ ○

وكذلك النعمة العملية في بناء الإرادة البشرية وتحقيق عدالة الكتاب الإلهي لا تتم إلا بمن يجسدها ويعلمها للناس.

قد نجدُ من يدعي أنه يستطيع تحقيق العدالة الإلهية التي نزل بها القرآن ! لكن الواقع أن تحقيق العدالة القرآنية النظرية والعملية ، الفردية والإجتماعية.. إنما يستطيع تطبيقها من وصل في تحقيق العدالة مع نفسه الى أن يقول: **والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعير ما فعلت.** ! فمثل هذه الإرادة ، هي التي تستطيع أن تحقق الحكمة العملية القرآنية ، وتعلمها للبشرية !

الذي يحق له أن يقول إنه يطبق العدالة القرآنية ، هو الذي كان يملك بلاد كسرى وكثيراً من بلاد قيصر وخيراتها وكنوزها ، ومع ذلك كان طعامه خبز شعير وملح، وربما سمح لأولاده أن يضيفوا اليه شيئاً من اللبن! فقدكان يقول: **إن الله فرض على أئمة العدل أن يساووا أنفسهم بضعفة الناس... أو أرضى بأن يقال لي أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر ! أأبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى ، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص ، ولا عهد له بالشبع ؟! (٣)**

هذا عن طعام أمير المؤمنين عليه السلام، أما عن ملبسه فكان يلبس الكرابيس، وهو نوع من الثياب العادية لعامة الناس! ولم يختلف ملبسه طوال عمره ، في فقر مرَّ عليه أو غنىً ، وحتى عندما كانت تحت يده خزائن الدولة الإسلامية

المترامية الأطراف ، وكان قسم من الناس يعيشون السعة والثروة ، كان ملبسه نفس ملبس خادمه قنبر ! بل كان يخص قنبر بالقميص الأجود الذي سعره ضعف سعر قميصه ، يقول إنه شاب ينبغي أن يفرح !

اليوم أكملت لكم دينكم.. أكمله بهذا العالم الرباني الذي يستطيع أن يتناول من خزائن القرآن! وبهذا الإنسان الكامل الذي يستطيع أن يطبق عدالة القرآن! أما الآخرون ، فهم مساكين ، من أين لهم هذا العلم ، وهذه الإرادة ؟!

لقد تصور عمر بن الخطاب يوماً أن العدالة القرآنية في المهور أن تكون متساوية الى يوم القيامة ، فخطب على المنبر ناهياً المسلمين عن زيادة المهر على مهر نساء النبي صلى الله عليه وآله ،وحذر من يخالفه وهدد بالعقوبة! فقامت اليه عجوز وقالت: بل قول الله أصدق من قولك يا عمر ، قال الله تعالى: **وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**. (سورة النساء: ٢٠) ، فتعجب عمر من قولها ، وقال: كل الناس أفقه من عمر ، حتى المخدرات في الحجال.

فأيهما يجب أن يضم الى القرآن حتى يكمل الدين ؟

الذي يقول: كل الناس أفقه من عمر ؟!

أم الذي يقول فيه عمر: علي أعلم الأمة !

ويقول فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: **أنا مدينة العلم وعلي بابها ؟!**

○ ○

إن ما ذكرناه عن أمير المؤمنين عليه السلام هو ألف باء صفاته ، وإلا فهو في مقام أعظم وأعظم ، صلوات الله عليه. قال الإمام الصادق عليه السلام لمحمد بن مسلم الثقفي: إذهب الى قبر أمير المؤمنين عليه السلام ، وقف مقابله ، وزره بهذه الزيارة.. الى أن يقول فيها: **السلام على اسم الله**.. لكن أي إسم ؟

السلام على اسم الله الرضي .

السلام على وجه الله المضي .

السلام على جنب الله القوي .

السلام على صراط الله السوي .

الى أن يقول: السلام على نور الله الأنور ، وضيائه الأزهر . (٤)

والفرق بين النور والضياء كالفرق بين نور الشمس والقمر ، فالشمس مضيئة والقمر منير ، لأنه يعكس نورها بنسبة بسيطة ، والشمس المضيئة هنا رسول الله صلى الله عليه وآله ونورها الجلي علي عليه السلام! لكن ما معنى الأنور ؟ وما معنى الأزهر ؟ هنا يحق للملائكة أن تتعجب من مقامات علي عليه السلام، وقد تعجبت !

وذاك هو علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي يحق له عندما سمع شخصاً تحت منبره يقول إني مظلوم ، أن يقول له: إنك ظلمت مرة ، لكنني ظلمت عدد المدر والحصى !! **السلام عليك يا أول المظلومين . (٥)**

○ ○

هوامش

(١) تورط علماء الجرح والتعديل السنيون في حديث أبي هريرة في آية إكمال الدين، وأنها نزلت في يوم غدير خم بعد خطبة النبي صلى الله عليه وآله ووصيته للأمة بالقرآن والعترة، وبعد أن أصعد علياً معه على المنبر ورفع يده وأعلنه خليفة من بعده . وقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله أمرهم أن يصوموا ذلك اليوم شكراً لله تعالى ، وأن أجر من صامه كمن صام ستين سنة !

قال أبو هريرة: (من صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً ، وهو يوم غدير خم **لما أخذ النبي (ص) بيد علي بن أبي طالب فقال: ألست ولي**

المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه. فقال عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا ابن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم! فأنزل الله عز وجل: **(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الأِسْلامَ دِيناً)** . انتهى. (تاريخ دمشق:٢٣٣/٤٢، وغيره).

وسبب تحيرهم أنهم لايمكنهم الطعن في سند الحديث ، لأن رجاله رجال الصحاح والطعن فيهم طعن في الصحاح كالبخاري ومسلم ! ولايمكنهم أيضاً قبول متن الحديث لأن عمر سئل عن الآية فأنكر أنها نزلت في يوم الغدير ، وقال إنها نزلت قبله بأيام في حجة الوداع ! وقبول حديث أبي هريرة يعني تكذيب عمر في سبب نزول الآية ، ويعني أن ولاية علي وخلافته عليه السلام نزلت من الله تعالى وبلغها النبي صلى الله عليه وآله للمسلمين، وأن عمر هنأه وبخبخ له !

وعادة المتعصبين لعمر عندما يقعون في مثل هذا المأزق أن يخرجوا عن توازنهم ، ويردوا الحديث النبوي المعارض لقول عمر بأي وسيلة، فإن لم يجدوا وسيلة ردوه (دفعاً بالصدر) وهو مصطلح لمن رد الحديث بلا حجة ، تشبيهاً له بمن يدفع أحداً بصدره ! وفي هذ الحالة يصفون الحديث بأنه منكر أو مكذوب ، لأنه يخالف قول عمر !

قال السيد حامد النقوي في خلاصة عبقات الأنوار:٢٤٦/٧: (روى حديث صوم يوم الغدير بطريق صحيح رجاله كلهم ثقات ، فقد أخرج الحافظ الخطيب ، عن عبد الله بن علي بن محمد بن بشران ، عن علي بن عمر الدار قطني ، عن أبي نصر حبشون الخلال ، عن علي بن سعيد الرملي، عن ضمرة بن ربيعة ، عن عبدالله بن شوذب، عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمان عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً ، وهو يوم غدير خم ... الخ.).

وقال الراضي في سبيل النجاة ص١٩٢: (فضل صوم عيد الغدير: عن أبي هريرة.... هذا يوجد في ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر:٧٥/٢ ح٥٧٥ و ٥٧٦ و ٥٧٧ ، شواهد التنزيل للحسكاني: ١٥٨/١ ح٢١٠ و٢١٣ ، الغدير:٤٠٢/١ ، تاريخ بغداد:٨ /٢٩٠ وفي بعض الروايات بدل ستين شهراً ستين سنة ، كما في فرائد السمطين للحمويني: ٧٧/١ ب ١٣ ، المناقب للخوارزمي) .

وقد عدد الأميني رحمه الله في الغدير:٢٣٦/١، ستة عشر من علماء السنة رووا هذا الحديث: فقال (١٥- جلال الدين السيوطي الشافعي المتوفى٩١١ ، رواه في الدر المنثور:٢٥٩/٢ من طريق ابن مردويه والخطيب وابن عساكر بلفظ مر في رواية ابن مردويه، وقال في الإتقان:٣١/١ في عد الآيات السفرية: (منها اليوم أكملت لكم دينكم: في الصحيح عن عمر أنها نزلت عشية عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع ، له طرق كثيرة. لكن أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت يوم غدير خم ، وأخرج مثله من حديث أبي هريرة وفيه:إنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة مرجعه من حجة الوداع. وكلاهما لايصح.) ا هـ.

وقال الأميني: قلنا إن كان مراده من عدم الصحة غميزة في الإسناد ففيه أن رواية أبي هريرة صحيحة الإسناد عندأساتذة الفن،منصوص على رجالها بالتوثيق،وسنفصل ذلك عند ذكر صوم الغدير، وحديث أبي سعيد له طرق كثيرة كمامر في كلام الحمويني في فرائده. على أن الرواية لم تختص بأبي سعيد وأبي هريرة فقد عرفت أنها رواها جابر بن عبد الله، والمفسر التابعي مجاهد المكي، والإمامان الباقروالصادق صلوات الله عليهما، وأسند إليهم العلماء مخبتين إليها. كما إنها لم تختص روايتها من العلماء وحفاظ الحديث بابن مردويه وقد سمعت عن السيوطي نفسه في دره المنثور رواية الخطيب وابن عساكر ، وعرفت أن هناك جمعا آخرين أخرجوها بأسانيدهم وفيها مثل الحاكم النيسابوري ، والحافظ البيهقي، والحافظ ابن أبي شيبة ، والحافظ الدارقطني ، والحافظ الديلمي ، والحافظ الحداد وغيرهم. كل ذلك من دون غمز فيها عن أي منهم .

وإن كان يريد عدم الصحة من ناحية معارضتها لما روي من نزول الآية يوم عرفة ، فهو مجازف في الحكم بات بالبطلان على أحد الجانبين ، وهب أنه ترجح في نظره الجانب الآخر لكنه لا يستدعي الحكم القطعي ببطلان هذا الجانب ، كما هو الشأن عند تعارض الحديثين ، لا سيما مع إمكان الجمع بنزول الآية مرتين كما احتمله سبط ابن الجوزي في تذكرته ص١٨ كغير واحدة من الآيات الكريمة النازلة غير مرة واحدة ، ومنها البسملة النازلة في مكة مرة ، وفي المدينة أخرى ، وغيرها مما يأتي.

على أن حديث نزولها يوم الغدير معتضد بما قدمناه عن الرازي وأبي السعود وغيرهما من أن النبي صلى الله عليه وآله لم يعمر بعد نزولها إلا أحداً أو اثنين وثمانين يوماً . فراجع ص٢٣٠. والسيوطي في تحكمه هذا قلد ابن كثير فإنه قال في تفسيره:١٤/٢ بعد ذكر الحديث بطريقيه: لايصلح لاهذا ولاهذا . فالبادي أظلم !) . انتهى كلام الأميني.

ولا يتسع المجال لنقل كلام ابن كثير وشيخه الذهبي ومناقشته ، وقد كان العجلوني أعقل منهم حيث نقل أقوال علمائهم في المسألة ولم يعقب بنفي ولا إثبات !

قال في كشف الخفاء:٢٥٨/٢: (من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهراً . هذا الحديث ذكره الحلبي في سيرته في أواخرها قبل باب ذكر عمره(ص) من غير عزو لأحد ، ثم نقل عن الحافظ الذهبي أنه (حديث منكر جداً بل كذب فقد ثبت في الصحيح أن صيام شهر رمضان بعشرة أشهر فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين شهراً هذا باطل). فليتأمل . انتهى ما في السيرة . وذكر فيها قبيل ذكره أن الرافضة اتخذوه عيداً لهم لأمر ذكره فيها ، فليراجع) .

أما من طرقنا فرواه الصدوق رحمه الله في الأمالي ص٥٠:(حدثنا الحسن بن محمد بن الحسن بن إسماعيل السكوني في منزله بالكوفة قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري قال: حدثنا أبو جعفر ابن السري وأبو نصر بن موسى بن أيوب الخلال قال: حدثنا علي بن سعيد قال: حدثنا ضمرة بن شوذب، عن مطر ، عن شهر بن حوشب ، عن أبي هريرة، قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة ، كتب الله له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم ، **لما أخذ رسول الله (ص) بيد علي بن أبي طالب وقال:**

يا أيها الناس، ألست أولى بالمؤمنين ؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال له عمر: بخ بخ يا بن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ، فأنزل الله عز وجل:(**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**) .

وفي الكافي:١٤٨/٤:(علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: جعلت فداك للمسلمين عيد غير العيدين ؟ قال: نعم يا حسن أعظمهما وأشرفهما ، قلت وأي يوم هو ؟ قال هو يوم نصب

أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فيه علما للناس ، قلت: جعلت فداك وما ينبغي لنا أن نصنع فيه ؟ قال: تصومه يا حسن وتكثر الصلاة على محمد وآله وتبرأ إلى الله ممن ظلمهم فإن الأنبياء صلوات الله عليهم كانت تأمر الأوصياء باليوم الذي كان يقام فيه الوصي أن يتخذ عيداً .

قال قلت: فما لمن صامه؟ قال: صيام ستين شهراً ، ولا تدع صيام يوم سبع و عشرين من رجب فإنه هو اليوم الذي نزلت فيه النبوة على محمد صلى الله عليه وآله وثوابه مثل ستين شهراً لكم). انتهى. ونحوه في الفقيه:٩٠/٢، وتهذيب الأحكام:٣٠٥/٤ ، وثواب الأعمال ص٧٤.

○ ○

(٢) قال المناوي في فيض القدير:٤٦٨/٤: (قال الإمام أحمد: ما جاء في أحد من الفضائل ما جاء في علي . وقال النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأحاديث الحسان ما ورد في حق علي رضي الله عنه).

○ ○

(٣) يقول الأحنف بن قيس وهو رئيس قبيلة تميم المشهورة: (دخلت على معاوية فقدم إلي من الحلو والحامض ماكثر تعجبي منه ، ثم قدم لونا ما أدري ما هو فقلت: ما هذا ؟ قال: مصارين البط محشوة بالمخ ، قد قُلي بدهن الفستق ، وذُرَّ عليه الطبرزد . فبكيت فقال: ما يبكيك؟ قلت: ذكرت علياً، بينا أنا عنده فحضر وقت إفطاره فسألني المقام إذ دعا بجراب مختوم . قلت: ما في الجراب؟ قال: سويق شعير . قلت: خفت عليه أن يؤخذ أو بخلت به ؟

قال: لا ، ولا أحدهما ، ولكني خفت أن يلتَّهُ الحسن والحسين بسمنٍ أو زيت .

قلت: محرمٌ هو يا أمير المؤمنين ؟ قال: لا ولكن يجب على أئمة الحق أن يعتدوا أنفسهم من ضعفة الناس لئلا يطغي الفقيرَ فقرُه ! قال معاوية: ذكرت من لا ينكر فضله !) انتهى.

(شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي:٢٦١/٢٣: عن كتاب التذكرة الحمدونية لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون ، ص٦٩ طبعة بيروت- وذكره في مواقف الشيعة سعيد منصور بن الحسين الآبى المتوفى سنة ٤٢٢ هـ . والكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٦٠٤) .

(٤) في المزار لابن المشهدي رحمه الله ص٢٠٥ ، من زيارة لأمير المؤمنين عليه السلام:

(السلام على اسم الله الرضي ، ووجهه المضئ ، وجنبه القوي ، وصراطه السوي ، السلام على الإمام التقي المخلص الصفي ......

ومنها: السلام على النبأ العظيم ، الذي هم فيه مختلفون ، وعليه يعرضون ، وعنه يسألون . السلام على نور الله الأنور ، وضيائه الأزهر ورحمة الله وبركاته).

وفي إقبال الأعمال لابن طاووس:١٣٣/٣ من زيارة لأمير المؤمنين عليه السلام:

(السلام على اسم الله الرضي ووجهه المضئ وجنبه القوي وصراطه السوي) .

○ ○

(٥) في المناقب لابن شهر آشوب:٣٨٢/١: (روى ابراهيم بإسناده عن المسيب بن نجية قال: بينما علي يخطب وأعرابي يقول وا مظلمتاه ، فقال عليه السلام: أدْنُ ، فدنا ، فقال: لقد ظُلِمْتُ عددَ المدر والمطر والوبر) !

○ ○

مولد أمير المؤمنين عليه السلام

(بتاريخ ١٢ رجب ١٤١٧- ١٩٩٦/١١/٢٤ -١١ /١٣٧٧/٨)

بســم الله الرحمن الرحيم

يصادف غداً مولد أميرالمؤمنين وإمام الموحدين ويعسوب المسلمين ، وقائد الغر المحجلين عليه السلام. وولادته حدثٌ عظيم لايمكن أن ينهض بمسؤولية تحليله بيان الباحث ، فضلاً عن بيان المتعبد !

أي حادثة حدثت في مثل يوم غد؟ لقد دونتها مصادر الشيعة والسنة ، لكن فقهها وتحليل لطائف كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وإشاراته النبوية فيها ، لم يكتب بعد ! ونحن نكتفي بالإشارة الى كلمة واحدة من حديث واحد ، روته مصادر الشيعة والسنة ! فقد كان شهر رجب عند العرب في الجاهلية شهراً ممتازٌ ، ومن لم يستطع الحج منهم في ذي الحجة ، زار الكعبة في رجب ، وأدى ما كانوا يؤدونه عندها من مناسك.

في تلك المناسبة، وفي اليوم الثالث عشر من شهر رجب ، والمسجد ممتلئ بالطائفين من قبائل العرب ، كانت امرأة تطوف حول البيت ، لكن أي امرأة؟ إن الحديث الذي نبحث فقرة منه حديث في حقها ، فعندما توفيت كفنها رسول الله صلى الله عليه وآله بقميصه ، وصلى عليها ، وكبر في صلاته سبعين تكبيرة !

ثم نزل في قبرها ، ودعا لها ولقنها الشهادة !

روى الحاكم النيسابوري: **(لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم كفنها رسول الله صلى الله عليه وآله في قميصه وصلى عليها، وكبر عليها سبعين تكبيرة، ونزل في قبرها فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه، ويسوي عليها، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان، وحثا في قبرها، فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب: يا رسول الله رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد! فقال: يا عمر إن هذه المرأة كانت أمي التي ولدتني! إن أباطالب كان يصنع الصنيع وتكون له المأدبة، وكان يجمعنا على طعامه، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيبنا فأعود فيه، وإن جبريل عليه السلام أخبرني عن ربي عز وجل أنها من أهل الجنة، وأخبرني جبريل عليه السلام أن الله تعالى أمرسبعين ألفاً من الملائكة يصلون عليها)** ! (مستدرك الحاكم:٣/ ١٠٨)

إن هذه المرأة كانت أمي التي ولدتني.. كلمة ينبغي للباحثين الشيعة والسنة أن يفكروا فيها ! فماذا عنى النبي صلى الله عليه وآله بقوله هذا ؟!

إن كلام النبي صلى الله عليه وآله حكمه حكم التنزيل ، فهو لا ينطق عن الهوى ، وكلامه بعد كلام الله تعالى ، ومنطقه ميزان الحقيقة . وعندما تكون رتبة القائل بعد الله تعالى ، فمن يستطيع أن يصل الى عمق الحق الذي يحويه كلامه ؟!

تلك المرأة العظيمة التي كانت تطوف حول البيت، أحست بالمخاض ويدل أن يهديها ربها الى خارج البيت ، هداها الى داخل بيته ، أول بيت وضع للناس ، فدخلت الى الكعبة ، وخرجت منها الى العالم بتحفة ، الى الآن لم تدرك البشرية قيمتها! جاءت الى قومها بمولودها تحمله ، والى الآن لم تدرك البشرية معنى ذلك المولود !

في دائرة الوجود توجد كلمتان: **نحن** ، **وأنا** . ويوجد في دائرة (**نحن**) في قوس الصعود ، شئ هو أشرف مصاديقها يقع في قمة هرم تلك السلسلة . كما يوجد في دائرة كلمة (**أنا**) في قوس النزول الذي يبدأ به تنزل الفيض ، نقطة هي أيضاً أشرف من في الوجود ، وهذه النقطة مع النقطة الأعلى في دائرة (**نحن**) هما أشرف مافي الوجود !

أقول هذا الكلام، لكي يتأمل أصحاب الفكر غير المتعصبين من كل الفرق الإسلامية فيما سأقوله ، ويتفكروا بأنفسهم ، ثم يصدروا حكمهم ، لأن ما أقوله مقدمات لاتخرج كلمة منها عن قطعي الكتاب والسنة !

إن تلك النقطة التي هي أشرف الموجودات في دائرة (**نحن**) هي القرآن . ففي القرآن تجلى الله الى خلقه ، فهو مظهر إسمه الأعظم الجامع لأسمائه الحسنى وأمثاله العليا.

أما النقطة التي أشرف ما في قوس (**أنا**) حيث يبدأ الفيض ، فهي الذي جاء بالقرآن صلى الله عليه وآله. هذه هي المقدمة.

روى الحاكم في المستدرك وصححه:١٢٤/٣: (عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: كنت مع علي رضي الله عنه يوم الجمل ، فلما رأيت عائشة واقفة دخلني بعض ما يدخل الناس! فكشف الله عني ذلك عند صلاة الظهر ، فقاتلت مع أمير المؤمنين ، فلما فرغ ذهبت إلى المدينة فأتيت أم سلمة فقلت: إني والله ماجئت أسأل طعاماً ولا شراباً، ولكني مولى لأبي ذر. فقالت مرحباً، فقصصت عليها قصتي فقالت: أين كنت حين طارت القلوب مطائرها ؟ قلت: إلى حيث كشف الله ذلك عني عند زوال الشمس! قالت: أحسنت ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **علي مع القرآن مع والقرآن مع علي ، لن يتفرقا حتى يردا عليَّ**

الحوض) . انتهى .

روى هذا الحديث الحاكم وصححه على شرط مسلم . أما الذهبي كبير نقادهم ، والذي لايترك حديثاً في فضل أمير المؤمنين عليه السلام إلا وسعى بكل قوته لتضعيفه ! فقال عن هذا الحديث (حديث صحيح) !

لكن غرضنا هنا ليس البحث في سنده ، بل لمحة من فقهه.

فما معنى هذه الجملة النبوية: **علي مع القرآن والقرآن مع علي ، لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض ؟**

لايمكننا فهم ما قاله النبي صلى الله عليه وآله حتى نفهم معنى القرآن الذي حكم صلى الله عليه وآله بوجود معيَّة بينه وبين علي عليه السلام.

فعليٌّ مع القرآن الذي قال تعالى عنه: **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** . (سورة النحل: ٨٩)

والقرآن الذي قال عنه: **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ.فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ.لايَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ.** (سورة الواقعة: ٧٧-٧٩) وقال عنه: **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً.** (سورة الفرقان: ١) وقال عنه: **لايَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)** (سورة فصلت: ٤٢)

فعليٌّ في رتبة المعية مع هذا القرآن ! فهو في رتبة عبارات قرآن، ورتبة إشارات القرآن، ورتبة لطائف القرآن، ورتبة حقائق القرآن، ورتبة بطون القرآن السبعة ! وعلي في رتبة مقامات القرآن الذي لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه له تخوم وعلى تخومه تخوم !!

والمسألة لاتنتهي بأن علياً مع القرآن ، **فالقرآن مع علي** أيضاً !

نحن نعرف أن المعية نسبة تقوم بطرفين ويستحيل أن تقوم بطرف واحد ،

وعندما قال النبي صلى الله عليه وآله: **علي مع القرآن** فقد أثبتها بينهما ، فلماذا أعاد إثباتها بصيغة أخرى فقال: **والقرآن مع علي**؟!

حاشا أفصح من نطق بالضاد من اللغو في كلامه ، وحاشا أفصح من نطق بالضاد من التكرار في كلامه. بل أراد أن يفهمنا أن مسألة معيتهما معية من نوع خاص، ويشير الى أبعادها العميقة ، ذلك أن المعية بين شيئين أو أكثر عندما تطلق فيقال: زيد مع عمرو ، فهي أعم من أن يكون هذا الطرف في الإضافة متقدماً رتبة على ذاك أو متأخراً عنه ، بل تدل على أنهما معاً بقطع النظر عن رتبة كل منهما ، وربما كان فيها إشارة الى أن المقرون أقل رتبة من المقرون به . لهذا أعاد النبي صلى الله عليه وآله صياغة هذه المعية ، ليقول للمفكرين لاينبغي أن تفهموا من قولي: **عليٌّ من القرآن** ، أن علياً أقل رتبة من القرآن ، بل **القرآن مع علي أيضاً** ، فهما وجودان متعادلان !

علي مع القرآن.. فيها بحوث وبحوث! **فعلي مع القرآن** من أول: **ألم، كهيعص، حمعسق، طسم**، ق، ص. **وعلي مع القرآن** ، فقد وصل عليٌّ الى حيث وصلت كل رموز الإسم الأعظم! بل وصل الى آخر تخوم القرآن !

ومن جهة أخرى، فالقرآن من أين ما فتحته أو قرأته فهو مع علي عليه السلام!

فعلى ماذا يدل هذا التعادل والتوازن بين هذا الإنسان والقرآن؟! وهل يستيقظ المفكرون السنيون من نوم الغفلة؟! وهل يدركون أنه عندما يقول النبي صلى الله عليه وآله: **علي مع القرآن** ، **والقرآن مع علي** ، ويقرؤون معه وصف الله للقرآن بأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه.. فإن معناه بمقتضى هذا الحديث الصحيح عند الجميع، أن العصمة الكبرى التي ثبتت للنبي صلى الله عليه وآله هي ثابتة لعلي عليه السلام! وأن منكر ذلك خارج عن التسنن وعن التشيع ؟!

علي مع القرآن ، والقرآن مع علي.. ومعنى ذلك أن كل ماهناك من علم ، فهو في القرآن ، وهو في صدر علي عديل القرآن! **نعم كل ماهناك من علم!** لايستثنى منه إلا علم الله تعالى المختص به فهو العلم الربوبي الوحيد المستثنى من ذلك ، أما ما دونه فهو في صدر علي !

وبما أن القرآن تبيان كل شئ ، فإنه فيه علم الأولين والآخرين ، وعلم ما كان وما يكون ، وكل علوم نظام التكوين ونظام التشريع.. فكلها في القرآن، وكلها في قلب علي عليه السلام!

○ ○

ليس كلامنا هذا تعصباً للتشيع ، بل هو مُرُّ الحق ، وخالص منطوق نبينا الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله فلا بد أن نحني رؤوسنا ونخضع لهذا الحق شئنا أم أبينا ! فهذا مقام علي عليه السلام ونسبته الى القرآن ، ونسبته الى قوس ما في الوجود . أما نسبته الى من في الوجود ، والى من جاء بالقرآن ، فلا بد أن نتذكر قول النبي صلى الله عليه وآله: **علي مني وأنا من علي !** (١)

والحديث متواتر، وفي المتواتر لايحتاج الى بحث السند، لاعند الشيعة ولا عند السنة، ولاحتى عند الجهال! ومع ذلك فقد شهد بصحته نقادهم في الحديث والمشككون في الأسانيد، **ورواه البخاري في:١٦٨/٣ بلفظ: وقال لعلي أنت مني وأنا منك**،(وكذا في:٢٠٧/٤، و:٨٥/٥) مضافاً الى اتفاق أصحاب الصحاح والمسانيد والتفسير على روايته .

علي مني.. تعبير نبوي يحدد نسبة علي عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله، ويجري فيه ما قلناه في قوله: **علي مع القرآن!** ولكنه جزء من نسبة علي من رسول الله صلى الله عليه وآله،وليس كلها ! فتكملته: **وأنا من علي.. وهي** جملة كبيرة، عظيمة، يقول فيها النبي صلى الله عليه وآله: في نفس الوقت الذي علي مني ، فأنا في كل مكان مع علي!!

فهل عرف البخاري ماذا كتب؟ لماذا لم تفكر أيها البخاري ماذا يعني قول النبي: **وأنا من علي؟!** إن فهم ذلك يتوقف على نقل هذه القصة:

بعد أن قتل المسلمون عثمان بن عفان ، وهتفوا باسم أمير المؤمنين عليه السلام وجاؤوه الى منزله فاستخرجوه منه وبايعوه ، صعد المنبر.

وكان أبو بكر لما صعد منبر النبي صلى الله عليه وآله نزل مرقاة ، فلما صعد عمر نزل مرقاة، فلما صعد عثمان نزل مرقاة ، فلما صعد علي صعد الى الموضع الذي كان يجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وآله! فسمع من الناس ضوضاء فقال: ما هذه التي أسمعها ؟ قالوا لصعودك الى موضع رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لم يصعده الذي تقدمك . فقال عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **من قام مقامي ولم يعمل بعملي أكبه الله في النار، وأنا والله العامل بعمله ، الممتثل قوله ، الحاكم بحكمه فلذلك قمت هنا.** ثم قال في خطبته: **معاشر الناس قمت مقام أخي وابن عمي لأنه أعلمني بسري وما يكون مني! فكأنه قال: أنا الذي وضعت قدمي على خاتم النبوة فما هذه الأعواد ؟! أنا من محمد ومحمد مني) ! (٢)**

فكروا في هذه الكلمات: **أنا كسرت الأصنام ، أنا رفعت الأعلام ، أنا بنيت الإسلام !!** أي صاحب فمٍ ولسان له جرأة على أن ينطق بذلك ؟!

صلوات الله عليك يامظلوم العالم ، نعم هكذا كنت ! فأي أيام رأيت بعد النبي صلى الله عليه وآله حتى قلت مثل هذه الكلمات التي تهز الدنيا وتذهل العقل! **أنا الذي وضعت قدمي على خاتم النبوة فما هذه الأعواد؟ أنا من محمد ومحمد مني !**

ثم لنقرأ هذه التكملة: **(فلما سقط ضحك ، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما يضحكك يا علي أضحك الله سنك؟ قال: ضحكت يا رسول الله تعجباً من أني رميت بنفسي من فوق البيت الى الأرض فما ألمت ولا أصابني وجع؟! فقال: كيف تألم يا أبا**

الحسن أو يصيبك وجع؟ إنما رفعك محمد وأنزلك جبرئيل). (نفس المصدر ص٤٠٣).
كذلك أنت يا علي صلوات الله عليك !

والآن: اتضح معنى قول النبي صلى الله عليه وآله لعمر: **يا عمر إن هذه المرأة كانت أمي التي ولدتني..** فعلي أنا وأنا علي !

ونختم بهذه الكلمة من السنة الصحيحة: **علي مع القرآن والقرآن مع علي..** فهذا موقع علي من من أول نقطة **(نحن)** . وقالت السنة الصحيحة: **علي مني وأنا من علي** ، وهذا موقع علي من من أول نقطة **(أنا)**.

أما الكتاب وهو فصل الخطاب فيقول: **فَمَنْ حَاجَّكَ فيه منْ بَعْد مَا جَاءَكَ منَ الْعلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنسَاءنَا وَنسَاءكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ الله عَلَى الْكَاذبِينَ** (سورة آل عمران: ٦١)
إن علياً لم يُعرف الى الآن !

○ ○

وأختم بهذا الحديث الشريف ، عن ابن عباس قال: (كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: **من أراد أن ينظر الى آدم في علمه، وإلى نوح في سلمه، وإلى إبراهيم في حلمه ، وإلى موسى في فطانته ، وإلى داود في زهده ، فلينظر إلى هذا . قال: فنظرنا فإذا علي بن أبي طالب قد أقبل كأنما ينحدر من صبب**) !
(كمال الدين للصدوق رحمه الله ص٢٥) ولماذا لم يقل النبي عن شبَه عليٍ به؟ لأن الله تعالى قال عنه إنه نفس النبي صلى الله عليه وآله: **وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ** !

سبحان الله.. أي ظلامة ارتكبتها الأمة في حق أمير المؤمنين عليه السلام؟! والى الآن تراهم يَغُطُّونَ في غفلتهم ، ويدَّعون العلم والفقه والحديث ، ويَقْبلون مكان رسول الله صلى الله عليه وآله من كان يقول باتفاق رواتهم: **وليتكم ولست بخيركم**

ويفضلونه على من كان يقول: **سلوني قبل أن تفقدوني!** ومن قال فيه النبي صلى الله عليه وآله: **علي مع القرآن والقرآن مع علي !** وقال فيه: **علي مني وأنا من علي !** من قال فيه الله تعالى: **وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ !** (٣)

أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟(سورة يونس: ٣٥) ما لكم كيف تحكمون ، ما لكم كيف تحكمون ؟!!

٥ ٥

هوامش

(١) قال السيد شرف الدين رحمه الله في النص والإجتهاد ص٥٧٩: (أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في ص١٦٤ من الجزء الرابع من مسنده ، من حديث حبشي بن جنادة بطرق متعددة كلها صحيحة ، وحسبك أنه رواه عن يحيى بن آدم عن إسرائيل بن يونس عن جده إسحاق السبيعي عن حبشي ، وكل هؤلاء حجج عند الشيخين وقد احتجا بهم في الصحيحين. ومن راجع هذا الحديث في مسند أحمد علم أن صدوره إنما كان في حجة الوداع . وقد أخرجه أيضاً ابن ماجة في باب فضائل الصحابة ص٩٢ من الجزء الأول من سننه ، والترمذي والنسائي في صحيحيهما ، وهو الحديث ٢٥٣١ في ص١٥٣ من الجزء السادس من كنز العمال) . انتهى.

٥ ٥

(٢) روى ذلك ابن شهراشوب رحمه الله في مناقب آل أبي طالب:١/٣٩٨ ، وقال أيضاً: وروى القاضي أبو عمر وعثمان بن أحمد ، عن شيوخه بإسناده عن ابن عباس قال: قال النبي لعلي: **قم بنا الى الصنم في أعلى الكعبة لنكسره ، فقاما جميعاً ، فلما أتياه قال له النبي: قم على عاتقي حتى أرفعك عليه ، فأعطاه علي ثوبه ، فوضعه رسول الله على عاتقه ، ثم رفعه حتى وضعه على البيت ، فأخذ علي الصنم وهو من نحاس فرمى به من فوق الكعبة ، فنادى رسول الله إنزل** ، فوثب من أعلى الكعبة كأنما كان له جناحان .

وقال عليه السلام في خطبة الإفتخار: أنا كسرت الأصنام ، أنا رفعت الأعلام ، أنا بنيت الإسلام) . انتهى . (وعنه في بحار الأنوار: ٨٣ /٧٨).

○ ○

(٣) روى محمد بن جرير الطبري الشيعي في المسترشد ص٢٨٧: (١٠١ - قال: وحدثنا أحمد بن حنبل، قال: وحدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، قال: بينا النبي في محفل من أصحابنا إذ قال: **من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في فهمه ، وإلى إبراهيم في خلته ، وإلى موسى في مناجاته، وإلى عيسى في سنته ، وإلى محمد في تمامه وكماله فلينظر إلى هذا الرجل المقبل** . فنظر الناس متطاولين فإذا هم بعلي بن أبي طالب كأنما ينقلع من صبب، وينحط من جبل) . انتهى .

والمعنى أنه أتى مقبلاً ينحدر انحداراً ، كأنما ينتزل من جبل .

وقال في هامشه ص٢٨٨: (قال الأميني رحمه الله: وهذا الحديث الذي رواه الحموي في معجمه نقلاً عن تاريخ ابن بشران ، قد أصفق على روايته الفريقان غير أن له ألفاظاً مختلفة وإليك نصوصها: أخرج إمام الحنابلة أحمد عن عبد الرزاق بإسناده المذكور بلفظ: **من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في خلقه، وإلى موسى في مناجاته، وإلى عيسى في سنته، وإلى محمد في تمامه وكماله، فلينظر إلى هذا الرجل المقبل،** فتطاول الناس فإذا هم بعلي بن أبي طالب كأنما ينقلع من صبب ، وينحط من جبل . أخرجه أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى ٤٥٨ في فضائل الصحابة بلفظ: **من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في تقواه ، وإلى إبراهيم في حلمه ، وإلى موسى في هيبته ، وإلى عيسى في عبادته: فلينظر إلى علي بن أبي طالب..الخ.).**

○ ○

في علي عليه السلام سنن الأنبياء عليهم السلام

(بتاريخ: ١٢ رجب ١٤٢٢- ٢٠٠١/٩/٣٠ – ١٣٨٠/٧/٨)

بســم الله الرحمن الرحيم

الشئ المهم أن تتوجه قلوبنا الى ظلامة مظلومٍ لم يوجد مثله في تاريخ البشرية ، ولا سيوجد !

في مثل يوم غدٍ ولد في الكعبة مولودٌ ، تتابعت الألسن والأقلام على الحديث والبحث حوله.. لكن كل ما قيل وماكتب، وما سوف يقال أو يكتب.. نسبته الى مقامه كنسبة جناح الذبابة الى النسر! وهذا ما ينبغي إثباته بالبرهان لا بالخطابة.. نحن نعرف أن الله تعالى لايدرك ولايوصف ، بل إن عبده المخلوق الذي فيه سر اسمه الأعظم ، يجل عن الوصف والإدراك !

وتعقل هذه المسألة لايتيسر إلا للراسخين في العلم ، فهؤلاء فقط يفهمون لماذا كان أمير المؤمنين عليه السلام فوق الوصف وإدراك البشر؟

قال في بصائر الدرجات ص١٣٤: (حدثنا محمد بن الحسين ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن حماد بن عثمان، عن فضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **(كانت في علي سنة ألف نبي)** !

وسند الرواية في مرتبة عالية من الإعتبار، فيه بعض أصحاب الإجماع . وأما متنها فهو جملةٌ تحير الكمَّل من أصحاب العقول ! تأمل فيها جيداً فهي تقول إن فهم علي يتوقف على فهم النبوة ، لكن ليس أي نبوة ، بل على فهم ألف نبي ، وأحد هؤلاء الألف آدم ، وأحدهم ابراهيم الخليل ، وأحدهم موسى بن عمران، وأحدهم عيسى بن مريم ، وبقية أولي العزم عليهم السلام، فعلي عصارة هؤلاء الألف نبي ، فكيف يمكن لنا التقرير والتحرير ؟!

بل كيف لنا أن ندرك مقام النبي مطلق النبي عليه السلام هذا الموجود ذو الجنبتين ، جنبة ملكوتية وجنبة بشرية! واحدة للحق بها يتلقى الوحي ، وواحدة للخلق بها يبلغ الوحي ، فبهذا يكون النبي نبياً ! فكيف يمكننا نحن الغارقين في جنبة الخلق أن ندرك جنبة الحق في النبي ، مهما بلغنا من العلم والمعرفة؟!

إن الذين يتخيلون أنهم فهموا أو عرفوا ، يقدمون بذلك دليلاً على أنهم ما فهموا ولا عرفوا ! فعندما نتعمق في علم هذا الموضوع وحكمته ونبدأ بتحليل مسألة واحدة منه ، يتضح لنا أن القضية أكبر من فهمنا !

هذا كله في فهم الحد الأدنى للنبوة ، فكيف بمستوياتها العليا ؟!

لابد لنا أن نعترف بأننا وكل من كان من نوعنا من الأولين والآخرين، لا يمكننا أن ندرك حتى مقاماً شبيهاً بمقام النبوة لأنها حقيقة من عالم الملكوت أعلى من متناولنا نحن المنفصلين عن ذلك العالم، المنغمرين في عالم الملك! وأنى لنا أن نعرف معنى اتصال شخص بالملكوت؟!

إن النبي إنسان من هذا النوع الذي يقول عنه تعالى: **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ.** (سورة الأنعام:٧٥) وحقيقة اتصال النبي بعالم الملكوت ، مقولة متفاوتة ، تبدأ مستوياتها من أول درجة الإرتباط

بذلك العالم، الى أعلى الدرجات! فأين ابتداؤها ، وأين الوسط ، والإنتهاء؟!

وإذا كنا عاجزين عن إدراك أدنى درجة منها ، فكيف لنا بأوسطها ، فضلاً عن أعلاها التي هي نقطة نهاية قوس الصعود والنزول؟! النقطة التي يبدأ منها هرم الوجود وينتهي اليها كمال كل موجود ، درجة **وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَئٍ عَلِيماً.** (سورة الأحزاب: ٤٠)

وحيث فهمنا دائره عالم النبوة ، بدرجاتها الواسعة الشاسعة ، العظيمة كلها ، من أدناها الى أعلاها! نأتي الى معنى **(السنة)** فما معنى: **(كانت في علي سنة ألف نبي)**؟ السنة هنا بمعنى أبرز الأعمال والصفات في النبي عليه السلام مثلاً العلم في آدم **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا** (سورة البقرة:٣١) والصبر والتقوى في نوح، والخلة في إبراهيم، والمناجاة في موسى بن عمران، والإعراض عن عالم الطبيعة والمادةوالإستغراق في العبادة والسياحة، في عيسى. فهذا معنى سنة النبي عليه السلام!

وعلى هذا ، لو اجتمع عطر ألف نبي وسننهم في شخصية واحدة ، فماذا ستكون درجة صاحبها؟ وأي مقام سيكون مقامه؟!

ومع أن سند هذا الحديث الشريف قوي لايحتاج الى بحث ، فإن موضوعه واضحٌ أيضاً لمن اطلع على مصادر الاسلام للعامة والخاصة، وعرف منها مقام علي عليه السلام. فالروايات المشتملة على هذا المعنى موجودة في مصادر الجميع ، وردت بألسنة مختلفة أن النبي صلى الله عليه وآله تحدث عن شباهة علي عليه السلام بعدد من الأنبياء عليهم السلام ولا يتسع المجال لبحثها كلها أو استعراضها، لذا اخترنا واحدة منها لكي تعملوا ما بوسعكم لإحقاق حق هذا المظلوم ، وتحفظوا كرامتكم عند ربكم ، وأنتم تعيشون على مائدة علي وتأملون أن تفوزوا غداً بشفاعته عليه السلام.

سأكتفي بالإشارة الى شئ من فقه هذه الرواية الشريفة، لتتأملوا فيها وتنصروا

هذا الحق الضائع، الذي لم أر حقاً ضائعاً مثله ، ولا مظلوماً مثل صاحبه!

لاحظوا قول أبي ذر رحمه الله: بينما أنا ذات يوم من الأيام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ قام وركع وسجد شكراً لله تعالى، ثم قال...الخ. (١)

فعندما نقرأ عن رسول الله صلى الله عليه وآله علينا أن نتوقف عند كل كلمة وحركة وسكنة، ونتأمل فيها.. فالشخص الذي ينزه الله تعالى نفسه لأنه أسرى به فيقول:**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ.** (سورة الإسراء: ١) صاحب مقام رفيع لايمكن معرفته إلا مجملاً، كما أجمل الله عنه القول بقوله:**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى** (سورة النجم: ١٠) فمثل هذا الشخص لايصح أن ينظر الى قوله وعمله كغيره ، فإن الحركة والسكنة منه لها حساب .

يقول أبو ذر كان النبي صلى الله عليه وآله جالساً مع أصحابه وفيهم أبو ذر ، فوقف في مجلسه فجأة ، ثم ركع ، ثم سجد ! والقيام والركوع والسجود أعلى أوضاع العبادة لله تعالى، ثم قال: **يا جندب من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في فهمه،وإلى إبراهيم في خلته، وإلى موسى في مناجاته وإلى عيسى في سياحته ، وإلى أيوب في صبره وبلائه ، فلينظر إلى هذا الرجل المقبل .**

من أراد أن ينظر الى آدم.. في عطر وجوده الذي هو العلم.

والى نوح.. في عطر وجوده الذي هو الفهم ، والى بقية هؤلاء الأنبياء العظام في أعلى صفاتهم ، فلينظر الى رجل سوف يأتي !

وهذا أيضاً من الإعجاز النبوي، فالله هو الذي أخبر النبي صلى الله عليه وآله بهذه الصفات أخبره بأن صاحبها آت في الطريق ، وأمره بأن يخبر المسلمين بمقامه العظيم قبل أن يأتي، ليستشرفوه وينتظروه، ويفكروا في أنفسهم من ترى سيكون هذا الشخص الرباني الذي يمدحه رسول الله بهذا المديح؟!

والذي يحير العقل أكثر أن النبي صلى الله عليه وآله مضافاً الى تلك الصفات الفريدة ، التي

وصف علياً عليه السلام بها ، قال عنه أيضاً: (**الذي هو كالشمس والقمر الساري ، والكوكب الدري**)! ونحن نعرف أن منظومات الكون ثلاثة أنواع لاأكثر: شموس مضيئة بنفسها، وأقمار منيرة بغيرها، ونجوم . وقد وصف النبي علياً بها ثلاثتها !

وهذا الكلام أنه ليس كلاماً صادراً من عارف أو فيلسوف أو فلكي حتى نحمله على عالمه، ولا المتكلم به موسى وعيسى صلى الله عليه وآله، بل هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وعقل الكل، ونقطة الوصل بين الرب وجميع المربوبين، فهو عليه السلام يقول لنا إن أردتم أن تنظروا الى شخص يحمل علم آدم وفهم نوح وخلة ابراهيم ومناجاة موسى وسياحة عيسى وصبر أيوب.. فانظروا الى علي بن أبي طالب! ويقول**إن علياً فوق ذلك شمس مضيئة، وقمر منير، ونجم يتلألأ!**

ثم قال صلى الله عليه وآله: (**أشجع الناس قلباً ، وأسخى الناس كفاً ، فعلى مبغضه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**) . وكلمة **(الناس)** أعم الألفاظ في الدلالة على التفضيل ، فلايستثنى من جميع الناس إلا من أخبرنا الله تعالى بأنه سيد الخلق وخاتم النبيين !

أو ليس هذا الكلام البليغ من رسول الله صلى الله عليه وآله دليلاً على أن ما قيل وكتب ، وما سيقال ويكتب عن علي عليه السلام ليس إلا بمقدار جناح بعوضة أمام ذروة ربانية شامخة ؟!

بلى ، إنه كلام فوق شرح الشراح ، وتفسير المفسرين ، وقول القائلين !

○ ○

روى أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة:٦٦٢/٢، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: **(خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد ، قبل أن يخلق الله تعالى آدم بأربعة عشرة ألف عام، فلم يزل في شئ واحد ، يسبح الله ذلك النور ويقدسه ،**

فلما خلق الله تعالى آدم أسكن ذلك النور في صلبه ، الى أن افترقنا في صلب عبد المطلب، فجزء في صلب عبدالله، وجزء في صلب أبي طالب). هذه رواية إمام الحنابلة لهذه المنقبة ! والأربعة عشر ألف سنة في الحديث ليست من سنيِّنا التي تبدأ بمحرم وتنتهي بذي الحجة ، بل هي سنين ربانية يومها أكبر مما نفكر ! فتأملوا بدقة في هذا الكلام النبوي ، والمقام العجيب لسيد الأنبياء وسيد الأوصياء صلوات الله عليهما ، ومسار نورهما في الوجود! (١) وقد روى هذه المنقبة من العامة ابن المغازلي في مناقبه ص٨٧ وغيره . أما مصادرنا فقد روتها بألسنة مختلفة ، ولعل اختلاف عدد السنين فيها تعبير عن مراحل وجود ذلك النور قبل أن يحل في صلب آدم عليه السلام.

ففي علل الشرائع:١٣٤/١،عن أبي ذر رحمه الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول:**خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نور واحد، نسبح الله يمنة العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام ، فلما أن خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه ، ولقد سكن الجنة ونحن في صلبه ، ولقد همَّ بالخطيئة ونحن في صلبه ، ولقد ركب نوح في السفينة ونحن في صلبه ، ولقد قذف إبراهيم في النار ونحن في صلبه، فلم يزل ينقلنا الله عزوجل من أصلاب طاهرة إلى ارحام طاهرة ، حتى انتهى بنا إلى عبد المطلب فقسمنا بنصفين ، فجعلني في صلب عبد الله وجعل علياً في صلب أبي طالب ، وجعل فيَّ النبوة والبركة ، وجعل في علي الفصاحة والفروسية ، وشق لنا اسمين من أسمائه ، فذو العرش محمود وأنا محمد ، والله الأعلى وهذا علي). (٢)**

○ ○

لاحظوا قول النبي صلى الله عليه وآله لعمر: **أوَمَا علمت؟!** فهو استفهام يحمل معنى بليغاً . إن رواية أحمدبن حنبل المتقدمةعن نور النبي ونور علي، وجواب النبي عليه السلام

على سؤال عمر في هذه الرواية ، يقولان للبشر إفهموا قوله تعالى عنهما: **وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**. (سورة آل عمران: ٦١) ، فأنا وعلي وجودٌ واحد ، بِدأً واحدٌ ، وختمٌ واحدٌ ، وانقسامه بعد عبد المطلب كان لسر عظيم ، ليعود ويتحد من بعدي وبعد علي وفاطمة في الحسن والحسين والأئمة المعصومين عليهم السلام!

وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله: علي شمس وقمر وكوكب .

أما الكوكب فلأن في علي صبر أيوب ، وأيوب كوكب .

وأما القمر ، فلأن فيه شبه موسى وعيسى وابراهيم ، ولهم رتبه القمر.

لكن علياً مع أنه نجمٌ وقمرٌ فهو شمسٌ أيضاً ، لأنه مني وأنا هو ، ففي علي خصائص هذه الثلاثة ، الشمس والقمر والكوكب الدري !

٥ ٥

هذا المظلوم الذي لم تعرف الدنيا مظلوماً مثله.. هل يصح أن يجعل طرفاً يقارن به شخصٌ تنازع أبوته أربعة رجال، ولم يعرف أبوه منهم أو غيرهم؟! وهل يصح أن يجلس مثله تحت منبر شخص يقول: كل الناس أفقه مني حتى ربات الحجال؟!

وهل رأيتم مظلوماً أعظم ظلامة من علي الذي تسلم من رسول الله أمانته وابنته الصديقة الطاهرة، ثم سلمها اليه جنازة تجرعت مرارات الظلم والإضطهاد حتى ذاب جسدها وصارت كالخيال، وصلى على جنازتها الطاهرة ودفنها نصف الليل، ولم يحضر جنازتها إلا بضعة نفر ، ثم قال:

الآن انهدَّ ركناي !!

إن مسؤولية كل واحد منكم أن يعمل بكل ما يستطيع، بقلمه وبيانه، لكشف هذه الظلامة الكبرى ، ورفع غيومها عن وجه شمس العالم.

والسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

هوامش

(١) **روى الحاكم الحسكاني النيشابوري في كتابه شواهد التنزيل:٣٩٨/١:** عن أبي جعفر قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ** . (سورة الرعد:٢٩)؟ قال: هي شجرة في الجنة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنة . ثم سئل عنها مرة أخرى قال: هي شجرة في الجنة أصلها في دار علي وفرعها على أهل الجنة . فقيل له: سألناك عنها يا رسول الله فقلت: أصلها في داري ثم سألناك عنها مرة أخرى فقلت: شجرة في الجنة أصلها في دار علي وفرعها على أهل الجنة . فقال إن داري ودار علي واحدة) .

○ **وفي بحار الأنوار:١٤٨/٨:** (عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى ، ما في الجنة دار ولا قصر ولا حجر ولا بيت إلا وفيه غصن من تلك الشجرة وإن أصلها في داري . ثم أتى عليه ما شاء الله ، ثم حدثهم في يوم آخر: إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى ، ما في الجنة قصر ولا دار ولا بيت إلا وفيه من ذلك الشجر غصن ، وإن أصلها في دار علي . فقام عمر فقال: يا رسول الله أو ليس حدثتنا عن هذه وقلت: أصلها في داري؟ ثم حدثت وتقول: أصلها في دارعلي! فرفع النبي ﷺ رأسه فقال: أوَمَا علمت أن داري ودار علي واحد ، وحجرتي وحجرة علي واحد ، وقصري وقصر علي واحد ، وبيتي وبيت علي واحد ، ودرجتي ودرجة علي واحد ، وستري وستر علي واحد ؟

○ **وقال القرطبي في تفسيره:٣١٧/٩:** (وقال ابن عباس: طوبى ، شجرة في الجنة أصلها في دار علي ، وفي دار كل مؤمن منها غصن . وقال أبو جعفر محمد بن علي: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: طوبى لهم وحسن مآب ، **قال: شجرة أصلها في داري وفروعها في الجنة . ثم سئل عنها مرة أخرى فقال: شجرة أصلها في دار علي وفروعها في الجنة. فقيل له: يارسول الله! سئلت عنها فقلت: أصلها في داري وفروعها**

في الجنة ، ثم سئلت عنها فقلت: أصلها في دار علي وفروعها في الجنة؟! فقال النبي (ص) : إن داري ودار علي غداً في الجنة واحدة في مكان واحد) . انتهى.

○ ○

(٢) الرواية في الفضائل لابن جبريل القمي ص٩٨ ، عن أبي ذر الغفاري رحمه الله قال: بينما أنا ذات يوم من الأيام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ قام وركع وسجد شكراً لله تعالى ، ثم قال: يا جُنْدُب من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في فهمه ، وإلى إبراهيم في خلته ، وإلى موسى في مناجاته ، وإلى عيسى في سياحته ، وإلى أيوب في صبره وبلائه،فلينظر إلى هذا الرجل المقبل، الذي هو كالشمس والقمر الساري، والكوكب الدري. أشجع الناس قلباً ، وأسخى الناس كفاً ، فعلى مبغضه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، قال: فالتفت الناس ينظرون من هذا المقبل ، فإذا هو علي بن أبي طالب !). انتهى. وعنه في بحار الأنوار:٣٨/٩٣ ، رواه الصدوق في كمال الدين ص٢٥ ، عن ابن عباس ، والطوسي في الأمالي ص٤١٧ عن ابن مسعود، والطبري في ذخائر العقبى ص٩٣ عن أبي الحمراء .

○ **وأخرجه من العامة كما في الغدير:٣/٣٥٥** ، أحمد بن حنبل عن أبي هريرة، والبيهقي في فضائل الصحابة ، والخوارزمي في المناقب عن أبي الحمراء.. وغيرهم. وأخرجه ابن الصديق المغربي في فتح الملك العلى ص٦٩ ، عن ابن بطة بسنده عن ابن عباس ، وفي سنده مسعر بن يحيى الهدي ، وقال ذكره الذهبي في الميزان وقال: لا أعرفه وأتى بخبر منكر ، ثم ذكر هذا الحديث ، وقد عرفت أن النكارة عند الذهبي هي فضل علي بن أبي طالب !!).

○ **وفي كفاية الأثر للخزاز القمي ص٧١** ، من حديث: (خلقني الله تبارك وتعالى وأهل بيتي من نور واحد ، قبل أن يخلق آدم بسبعة آلاف عام ، ثم نقلنا الى صلب آدم ثم نقلنا من صلبه في أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات...).

○ ○

في علم أمير المؤمنين عليه السلام

(بتاريخ: ١٠ رجب ١٤٢٠- ١٩٩٩/١٠/٢٠ - ١٣٧٨/٧/٢٨)

بســم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين ، سيما بقية الله في الأرضين ، واللعن على أعدائهم الى يوم الدين.

بما أنا نستقبل ولادة سيد الشهداء والمظلومين أمير المؤمنين عليه السلام، فالبحث في هذا الموضوع أهم من غيره.

مظلوم لا يوجد في العالم أكثر منه ظلامة ، ولا سوف يوجد ! قال عليه السلام ذات مرة: **لقد ظلمتُ عددَ المَدَر والمطر والوبر.** ووصفه المعصومون عليهم السلام بأنه أول المظلومين! (١) وهي كلمة يصعب فهمها ، فتصور معاني هذا الحد من الظلم الذي وقع على أمير المؤمنين عليه السلام لايمكن إلا للمتعمقين في غور الحكمة .. وهو مظلوم من مبغضيه ومن محبيه أيضاً ! فلو دققنا في الأمر لوجدنا أنا ظالمون له أيضاً! وبذلك يتضح قوله عليه السلام: **عدد المدر والمطر والحصى !**

يوجد حديث متفق عليه بين الشيعة وأغلب السنة، إذا فهمناه عرفنا مدى مظلومية أمير المؤمنين عليه السلام، وهو قول النبي صلى الله عليه وآله: **أنا مدينة الحكمة وعلي بابها**

فمن أراد الحكمة فليأت الباب.وفي لفظ آخر: **أنا دار الحكمة وعلي بابها** . (٢)

وفي تعبير الدار نكتة ، وفي تعبير المدينة نكتة أخرى في فهم الحكمة ، فإن فهم الحكمة وتعريفها من المشكلات العلمية ، وعندما يتعمق الباحث لمعرفة معناها بالطريقة التحليلية العقلية يصل الى قوله تعالى: **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إلا قَلِيلاً** (سورة الاسراء: ٨٥) فيعرف بذلك حدود الحقيقة التي يمكن أن يفهمها . ثم يصل الى قوله تعالى مخاطباً خاتم أنبيائه: **قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ** . (سورة النساء: ٧٧) .

فأي دنياً هذه التي يقول الله تعالى إن متاعها قليل؟ إنها الدنيا التي زين الله سماءها بزينة الكواكب، والتي تشمل كل تلك المجرات والشموس والنجوم ، وبعضها أكبر من حجم الأرض بملايين المرات ، والتي لانعرف سعتها طولاً ولا عرضاً ، ولا ابتداءها ولا انتهاءها ! هذه الدنيا بسعتها المذهلة ، وأمدها من الأزل الى الأبد ، قليلة ، ومتاعها قليل!!

ونفس الذي يقول عن متاعها إنه قليل، وعن علم الناس في الدنيا إنه قليل، هو عز وجل يقول: **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أُولُو الأَلْبَابِ**. (سورة البقرة: ٢٦٩)

فمن يؤتَ الحكمة فهذا كثير .. مطلقَ الحكمة ، وليس الحكمة المطلقة ! أما متاع الدنيا بقول مطلق ، فهو قليل قليل !

هذه قيمة الحكمة ، إنها بمطلق وجودها كثير، والدنيا بوجودها المطلق قليل ! وبهذا نفهم أن **مدينة الحكمة** في الحديث النبوي ليست مطلق الحكمة بل هي الحكمة المطلقة جمعت في هذه المدينة !

وبهذايتضح لنا من هو علي ومدى ظلامته عليه السلام لكن وضوح ذلك مخصوص بالفقهاء الكمَّل ، وفضلاء البشر الذين يدركون أن عالم المادة من البدو الى الختم محكوم بالقلة ، ومطلق الحكمة محكوم بالكثرة.

إن صاحب الحكمة المطلقة هو الشخص الذي لم يبق أمامه نقطة إبهام في الوجود إلا واتضحت ، والذي تبلغ إحاطته العلمية بالوجود مبلغاً يرى فيه كل الأشياء كما هي في الواقع ، فهو من ناحية نظرية عالمٌ عقلاني يضاهي آدم العيني بصورته لا بمادته ! وهو من ناحية عملية إنسانٌ متخلق بأخلاق الله تعالى حتى يكون هو اسم الله الأعظم علماً وعملاً !

هذا هو معنى: **أنا مدينة الحكمة**، بل لابد لمعرفة معنى الحكمة أن نعرف أيضاً أن كل عالم الوجود إنما هو مقدمة ، وذو المقدمة هو بعثة الأنبياء عليهم السلام .

ثم إن بعثة الأنبياء عليهم السلام مقدمة أيضاً ، وذو المقدمة هو بعثة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله

ثم إن بعثة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله مقدمة، وذو المقدمة له مبدأٌ واحدٌ ومنتهىً واحد ومبدؤه الحكمة ، ومنتهاه الحكمة ! وبرهان ذلك قوله تعالى: **يُسَبِّحُ لِلهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.** (سورة الجمعة: ١)

فالعزيز الحكيم . هو المبدأ ، أما المنتهى فهو تعليمهم الحكمة في ختام قوله تعالى: **هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِه وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.** (سورة الجمعة: ٢)

فمهمة النبي صلى الله عليه وآله لاتتم بتلاوته الكتاب الإلهي على الناس، ولا بتزكيتهم ولا بتعليمهم الكتاب ، بل بتعليم الحكمة ! فهي التمام ، وبعدها لا كلام !

وبهذا تنفتح نافذة لفهم الحديث المتفق عليه: **(أنا مدينة الحكمة وعلي بابها)** ترى من هو هذا الإنسان ، وماذا في قلبه ، حتى صار باب مدينة الحكمة ؟!

۞ ۞

والآن حيث اتضح معنى الحكمة الى حد ، فإنها تنقسم الى عشرة أجزاء ، ومدينة الحكمة تشمل هذه الأجزاء العشرة ، تسعة أجزاء يختص بها شخص واحد هو علي بن أبي طالب عليه السلام،بشهادة النبي صلى الله عليه وآله، وجزء واحد يشترك فيه الناس ، أي كل البشرية من ابتدائها الى انتهائها وعلي أعلمهم بهذا الجزء! (٣)

والآن يستطيع الفقيه المتبحر بالفقه الأكبر أن يفهم معنى: **السلام عليك يا أول مظلوم!** فإن الظلم الذي وقع على علي عليه السلام، لا يمكن تصوره إلا إذا عرفنا من هو علي ، وأي ظلم وقع على البشرية بظلمه صلوات الله عليه؟!

٭ ٭

إن مسألة علم علي وحكمته وظلامته ، مسألة عميقة والرواية فيها كثيرة ، لكن أين الدراية ؟! إني أتحسر، وأتمنى لو أوفق لأعمل لشهر على الأقل في بحث حديث: **أنا مدينة الحكمة وعلي بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب!**

وأكتفي هنا بصحيح واحد فقط ، رواه علي بن ابراهيم ، عن أبيه ابراهيم بن هاشم، عن محمد بن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **من عنده علم الكتاب علي بن أبي طالب . (٤)**

أما سند الحديث فهو مضافاً الى اشتماله على بعض أصحاب الإجماع مثل ابن أبي عمير رحمه الله، ففيه شيوخ الحديث وأساطين الوثاقة والصحة: علي بن ابراهيم ، وأبوه ابراهيم بن هاشم ، وعمر بن أذينة ، رحمهم الله. ومن ميزات هذا الحديث الشريف قلة وسائطه ، فهم ثلاثة وسائط من علي بن ابراهيم شيخ القميين الى الإمام الصادق عليه السلام.

عنده علم الكتاب.. فالعلم هنا مضاف الى الكتاب، الكتاب المكنون الذي: **لايَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ.** (سورة الواقعة:٧٩) الذي قال عنه الله تعالى:**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ**

تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِين. (سورة النحل:٨٩).

وكلمة **شئ** مفهوم لايوجد أعم منه، وهي لفظ مطلق، ومصدَّرٌ بكل! فلا يخرج عن دائرة هذا التعميم مخلوق من الأزل الى الأبد ! وعلم هذا الكتاب كله ، في صدر علي بن أبي طالب عليه السلام!

وهنا سؤال: ما هو الفرق بين قوله تعالى: **قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**. (سورة الرعد: ٤٣)، وقوله عن نبي الله سليمان ووصيه عندما طلب سليمان أن يحضروا له عرش بلقيس من اليمن: **قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ. قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** . (سورة النمل:٤٠) فسليمان ووصيه عليهما السلام عندهما: **عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ**. و(**من**)هنا تبعيضية ، ومن هذا البعض الذي كان عنده تعلَّم منطق الطير ، وتسخير الجن وتسخير الريح غدوها شهر ورواحها شهر !!

وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن نسبة علم من عنده علم من الكتاب الى علم من عنده علم الكتاب فقال:(**قدرقطرة من الماءفي البحر الأخضر**) أي المحيط! فهذا هو الفرق بين علم سليمان ووصيه وبين علم أمير المؤمنين عليه السلام! ومعناه: انتبهوا واعرفوا علياً وعرفوه للناس هكذا ، ولا تظلموه ! إن مسؤولية كل واحد منكم ثقيلة . (٥)

٥ ٥

وإذا أردتم أن تعرفوا لماذا صار علي عليه السلام في هذا المقام العظيم ، فاختص

بتسعة أجزاء من الحكمة الربانية من دون جميع الناس من الأولين والآخرين، ما عدا سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، وشارك الناس في الجزء الذي عندهم منها ، فاقرؤوا هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **ما أخلص عبد لله عز وجل أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه. (٦)**

ومعنى أخلص لله تعالى أربعين صباحاً: لم يقل شيئاً إلا لله تعالى ، ولم ير شيئاً إلا لله تعالى ، ولم يقف إلا لله تعالى ، ولم يفكر إلا لله تعالى.. فعند ذلك تجري ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه! وبهذا نعرف أي إخلاص لله تعالى كان في شخصية علي عليه السلام، بحيث جرت كل حكمة الوجود دفعة واحدة على قلبه المقدس !!

هكذا كان علي ابن أبي طالب عليه السلام. وقد ذهب من الدنيا ولم يعرفه أحد ! لا يعرف منه أهل الدنيا إلا أنه كبير ، لا أكثر ، أما أهل السماء فيعرفون أنه جليل جليل ، أما ما هي هذه الجلالة ففيها بحث مفصل . أما عظمة علي عليه السلام فلا يعرفها أهل الأرض ولا أهل السماء ! وشاهدها بيان الإمام المعصوم عليه السلام: **كبير في الأرض، جليل في السماء، عظيم عند الله سبحانه وتعالى!**

إن عظمة علي يعرفها فقط المليك المقتدر عز وجل ، هناك حيث يكون كل هذا العالم حقيراً أمام شخصيته العظيمة صلوات الله عليه !

اللهم صل وسلم على سيد الشهداء والمظلومين ، وولي الأوصياء ، وإمام الصديقين ، زين المؤمنين ، ويعسوب المسلمين ، أمير المؤمنين ، عدد ما فيه الذكر ، صلاة دائمة ، بدوام ملكك وسلطانك.

○ ○

هوامش

(١) **في المناقب لابن شهرآشوب:٣٨٢/١:** (روى ابراهيم بإسناده عن المسيب بن نجية قال: بينما علي يخطب وأعرابي يقول وا مظلمتاه فقال عليه السلام: أدْنُ ، فدنا، فقال: لقد ظُلِمْتُ عددَ المدر والمطر والوبر).

○ **وفي الكافي:٥٦٩/٤: (باب ما يقال عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام:** (عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد، عن محمد بن أورمة، عمن حدثه، عن الصادق أبي الحسن الثالث عليه السلام قال يقول: السلام عليك ياولي الله أنت أول مظلوم وأول من غصب حقه صبرت واحتسبت حتي أتاك اليقين...). ونحوه في الكافي:٥٧٠/٤، وكامل الزيارات ص٩٥ ، وص١٠٣ ، ومصباح المتهجد ص٧٤٥ ، وغيرها .

○ ○

(٢) **قال المناوي في فيض القدير:٦٠/٣:** (٢٧٠٤ - **(أنا دار الحكمة)** وفي رواية أنا مدينة الحكمة (وعلي بابها) أي علي بن أبي طالب هو الباب الذي يُدخل منه إلى الحكمة ، فناهيك بهذه المرتبة ما أسناها وهذه المنقبة ما أعلاها ، ومن زعم أن المراد بقوله وعلي بابها أنه مرتفع من العلو وهو الارتفاع، فقد تمحل لغرضه الفاسد بما لايجزيه ولا يسمنه ولا يغنيه ! أخرج أبو نعيم عن ترجمان القرآن مرفوعاً: ما أنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا إلا وعلي رأسها وأميرها . **وأخرج عن ابن مسعود قال:** كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فسئل عن علي كرم الله وجهه فقال: قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً . وعنه أيضاً: أنزل القرآن على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله بطن وظهر وأما علي فعنده منه علم الظاهر والباطن . وأخرج أيضاً عن سيد المرسلين وإمام المتقين: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب. وأخرج أيضاً: علي راية الهدى . وأخرج أيضاً: يا علي إن الله أمرني أن أدنيك وأعلمك لتعي ، وأنزلت عليه هذه الآية: (**لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**).

وأخرج عن ابن عباس كنا نتحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى علي

كرم الله وجهه سبعين عهداً لم يعهده إلى غيره، والأخبار في هذا الباب لاتكاد تحصى ...

٢٧٠٥- **أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب،** فإن المصطفى صلى الله عليه وسلم المدينة الجامعة لمعاني الديانات كلها ، ولا بد للمدينة من باب ، فأخبر أن بابها هو علي كرم الله وجهه ، فمن أخذ طريقه دخل المدينة ، ومن أخطأه أخطأ طريق الهدى! وقد شهد له بالأعلمية الموافق والمخالف والمعادي والمحالف ، أخرج الكلاباذي أن رجلاً سأل معاوية عن مسألة فقال: سل علياً هو أعلم مني ، فقال: أريد جوابك ! قال: ويحك كرهت رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَغِرُّهُ بالعلم غَرّاً؟! وقد كان أكابر الصحب يعترفون له بذلك وكان عمر يسأله عما أشكل عليه ، جاءه رجل فسأله فقال: هاهنا علي فاسأله فقال: أريد أسمع منك يا أمير المؤمنين ! قال: فلا أقام الله رجليك ! ومحى اسمه من الديوان .

وصح عنه من طرق أنه كان يتعوذ من قوم ليس هو فيهم ، حتى أمسكه عنده ، ولم يوله شيئاً من البعوث لمشاورته في المشكل.

وأخرج الحافظ عبد الملك بن سليمان قال: ذكر لعطاء أكان أحد من الصحب أفقه من علي ؟ قال لا والله . قال الحرالي: قد علم الأولون والآخرون أن فهم كتاب الله منحصر إلى علم علي ، ومن جهل ذلك فقد ضل عن الباب الذي من ورائه يرفع الله عنه القلوب الحجاب ، حتى يتحقق اليقين الذي لا يتغير بكشف الغطاء) . انتهى.

وحديث **أنا مدينة العلم، ومدينة الحكمة، وعلي بابها..** مستفيض في مصادر الطرفين ، وقد أنكره ابن تيمية تعصباً ، وحاول أتباعه تضعيفه ، ورد عليهم عدد من علماء السنة واثبتوا صحته وتصحيح عدد كبير من أئمتهم له . وألف الحافظ الصديق المغربي كتاباً في تصحيحه هو(فتح الملك العلي في إثبات أنا مدينة العلم وعلي بابها). وألف ابن يحيى الشافعي كتاب (دفع الإرتياب عن حديث الباب) . فهو في مصادرهم متواتر ومصادرنا متواتر .

○ ○

(٣) في ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي: ٢١٥/١: (ابن المغازلي وموفق الخوارزمي: أخرجا بسنديهما، عن علقمة ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله

فسئل عن علم علي فقال: قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءً واحداً ، وهو أعلم بالعشر الباقي. (أيضاً أخرجه موفق بن أحمد عن ابن مسعود). وعن حلية الأولياء وابن شهراشوب في المناقب:٣١٢/١، والصراط المستقيم:٢٢٦/١ .

○ **وقال الأميني في الغدير:٩٦/٣**: (وقولهصلى الله عليه وآله: قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً.حلية الأولياء:٦٥/١، أسنى المطالب ص١٤).

○ **وقال ابن الصديق المغربي في فتح الملك العلي ص٦٨**: (قال أبو نعيم في الحلية ، ثنا أبو أحمد الغطريفي، ثنا أبو الحسين بن أبي مقاتل ، ثنا محمد بن عبد الله بن عتبة ، ثنا محمد بن علي الوهبي الكوفي ، ثنا أحمد بن عمران بن سلمه وكان ثقة عدلاً مرضياً ، ثنا سفيان الثوري، عن منصور، عن ابراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: كنت عند النبيصلى الله عليه وآله فسئل عن علي فقال: قسمت الحكمة عشرة أجزاء ، فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً . اهـ .

○ **وقال في هامشه**: أحمد بن عمران ذكره الذهبي في الميزان وقال: لا يدرى من هو؟ ثم ضعفه بهذا الحديث ، وتعقبه الحافظ في اللسان بما تقدم في السند من قول الوهبي أنه كان ثقة عدلاً مرضياً قال: وفي هذا مخالف لما ذكره الذهبي .

قلت: لو وثقه الناس كلهم لقال الذهبي في حديثه إنه كذب ، كما فعل في عدة أحاديث أخرجها الحاكم بسند الشيخين، وادعى هو دفعاً بالصدر وبدون دليل أنها موضوعة وماعلتها في نظره إلا كونها في فضل علي بن أبي طالب ! فالله المستعان) .

○ ○

(٤) في تفسير القميرحمه الله:٣٦٧/١: (حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن أبي عبد اللهعليه السلامقال: الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنينعليه السلام. وسئل عن الذي عنده علمٌ من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب ؟فقال: ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ماتأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر !

قال أمير المؤمنينعليه السلام: ألا إن العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين ، في عترة خاتم النبيينصلى الله عليه وآله.

○ ○

(٥) في بصائر الدرجات ص٢٣٢:(حدثنا أبوالقاسم، قال حدثنامحمد بن يحيى العطار قال حدثنامحمد بن الحسن الصفار،قال حدثنى يعقوب بن يزيد، عن الحسن بن علي بن فضال، عن عبد الله بن بكير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال كنت عنده فذكروا سليمان وما أعطي من العلم، وما أوتي من الملك ، فقال لي: وما أعطي سليمان بن داود؟ إنما كان عنده حرف واحد من الإسم الأعظم ، وصاحبكم الذي قال الله: قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب . كان والله عند علي عليه السلام علم الكتاب).

○ **وفي الكافي:١/٢٥٧**: (أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن عباد بن سليمان، عن محمد بن سليمان عن أبيه، عن سدير قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزاز وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج إلينا وهو مغضب ، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب ، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل ، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة ، فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي ! قال سدير: فلما أن قام من مجلسه وصار في منزله دخلت أنا وأبو بصير وميسر وقلنا له: جعلنا فداك سمعناك وأنت تقول كذا وكذا ، في أمر جاريتك ، ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً ، ولا ننسبك إلى علم الغيب. قال فقال: يا سدير: ألم تقرأ القرآن ؟ قلت: بلى ، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل: قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ؟ قال قلت: جعلت فداك قد قرأته ، قال: فهل عرفت الرجل ؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب ؟ قال قلت: أخبرني به ؟ قال: قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر ، فما يكون ذلك من علم الكتاب ؟! قال: قلت جعلت: فداك ما أقل هذا ؟! فقال: يا سدير: ما أكثر هذا ، أن ينسبه الله عز وجل إلى العلم الذي أخبرك به. يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل أيضا: قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ؟ قال قلت: قد قرأته جعلت فداك . قال: أفمن عنده علم الكتاب كله أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه ؟

قلت: لا ، بل من عنده علم الكتاب كله ، قال: فأومأ بيده إلى صدره وقال: علم الكتاب والله كله عندنا ، علم الكتاب والله كله عندنا) . انتهى.

(٦) الحديث الشريف في عيون أخبار الرضا:٧٤/١ ، وهو الكافي:١٦/٢:عن أبي جعفر (عليه السلام)قال: ما أخلص العبد الإيمان بالله عز وجل أربعين يوماً أو قال: ما أجمل عبد ذكر الله عز وجل أربعين يوماً ، إلا زهَّده الله عز وجل في الدنيا ، وبصره داءها ودواءها ، فأثبت الحكمة في قلبه ، وأنطق بها لسانه).

٥ ٥

أنت أحسن الخلق عبادة

(بتاريخ ١٧ ذي الحجة ١٤٢٢- ٢٠٠٢/٣/٢ – ١٣٨٠/١٢/١١)

بســم الله الرحمن الرحيم

غداً يوم عيد الغدير ، اليوم الذي يفهم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أنه ليس كمثله يوم ، ولا كحقه حقٌّ مضيع ! فلا بد من توضيح أمرين: ذلك اليوم ما هو ؟ والحق المضيع فيه ماهو ؟ وكلاهما بحثان عميقان !

إن أمير المؤمنين عليه السلام شمس مشرقة ، يستفيد منها قلب كل إنسان بقدر ظرفته وسعته ، وما كتبه المؤلفون عنه بدون استثناء ، إنما هو تعريف للشعاع الذي استفاده المؤلف من شمسه، أما نفس الشمس فلم يصل اليها أحد ، ولن يصل ، إلا من كان في مرتبته ، أو أعلى منه !

أما نحن فغاية ما نعرف منه أننا لانعرفه ، وهو أمر مهم ، أن يعرف الإنسان حدود ما يمكن أن تصل اليه معرفته ، ويعترف بذلك.

عندما تقرأ كلام الإمام علي الهادي عليه السلام في زيارة الغدير التي أنشأها ، تعرف ما هي القضية ، وما هي تلك الشخصية! إن فهم تلك الزيارة بدون مبالغة أعلى من طاقات كل الحكماء والفقهاء !

واليوم نعرض بعض فقرات هذه الزيارة ، وهي فقرات من بحر محيط، تحتاج الى علم وفكر عميقين ، يتأملان فيها عمراً كاملاً ! قال عليه السلام:

(صلوات الله عليك غاديةً ورائحة، وعاكفةً وذاهبة ، فما يحيط المادح وصفك، ولا يحبط الطاعن فضلك. أنت أحسن الخلق عبادة ، وأخلصهم زهادة ، وأذبُّهم عن الدين . أقمت حدود الله بجهدك ، وفللت عساكر المارقين بسيفك ، تخمد لهب الحروب ببنانك ، وتهتك ستور الشبه ببيانك ، وتكشف لبس الباطل عن صريح الحق ، لاتأخذك في الله لومة لائم). (١)

إن شخصيةً كأمير المؤمنين عليه السلام، ينبغي أن تعرفها شخصية مثل الإمام الهادي عليه السلام! أما نحن جميعاً من الصدر الى الذيل ، فيجب أن نكمَّ أفواهنا ، ونتأمل فيما قاله الذين يستحقون أن يكونوا مداحين لأمير المؤمنين عليه السلام!

إن كل جملة من هذا النص المعصوم ، تحتاج الى ساعات من الحديث ، ونكتفي هذا اليوم بواحدة منها !

إن الفرق بين كلام المعصوم وغيره أن كلام المعصوم يغلب الحقيقة والواقع! فغير المعصوم مهما كان مستوى فكره وعلمه ، فألفاظه تغلب معانيها ، لأنه ليس(**محيطاً**) بالواقع! وهي مسألة مهمة ينبغي لأهل الدقة أن يتأملوا فيها ! وكلما كان مستوى فكر المتكلم أعلى ، وكان إدراك عقله أعمق، كان التناسب بين الألفاظ والمعاني أكثر.

فالمعادلة هنا: أن مستوى الفكر كلما نزل كلما كان التطابق والتناسب والإنسجام أقل ، وكلما ارتفع كان أكثر . لكن في كل المستويات لايمكن أن يكون كلام غير المعصوم أقوى من الواقع ، بل الواقع دائماً أقوى منه لأن غلبة الكلام على الواقع تحتاج الى إحاطة صاحبه الكاملة بالواقع ، وهي صفة خاصة بالمعصوم، فهو وحده هو الذي يملك الإحاطة بالحقيقة ، ويستطيع أن يفصل لها ثوب الألفاظ المناسب ، ويلبسها إياه !

إن الشاهد على الخلق ، الذي وصل الى عمق الوجود ، هو الذي يستطيع بيان الواقع كما هو ، والحقيقة كما هي ! وإنسان كهذا عندما يقف يوم الغدير على قبر صاحب الغدير عليه السلام يستطيع أن يعبر عن شخصيته ومقامه عليه السلام! فإن دائرة الخلق التي يحيط بها تشمل كل ما عدا الخالق سبحانه ، فهو بهذه البصيرة وهذه الإحاطة يتكلم !

هذا هو نوع كلام المعصوم ، كلام الإمام الهادي عليه السلام! وهذه الجملة الواحدة التي قالها عن أمير المؤمنين عليه السلام، تكفي لتشغل فكر أحكم الحكماء وأفقه الفقهاء ، سنين لاساعات !

وهي: **(فما يحيط المادح وصفك)** ! فما هو ذلك الموجود الذي لايستطيع مادح من دائرة الخلق على الإطلاق ، كائناً من كان ، أن يحيط بوصفه! وما هو وصف علي عليه السلام؟ ما قدره كماً ، وما حده كيفاً ؟ بحيث أن أحداً بدون استثناء لايستطيع أن يحيط به ويستوعبه؟! ومن هو هذا الموجود ، وماذا أعطاه الله تعالى ، حتى أن الإمام المعصوم يقف مقابل قبره ويقول: **فما يحيط المادح وصفك؟!** هذا هو برهان ما قلته في مطلع حديثي من أن ما كتبه المؤلفون عنه بدون استثناء ، إنما هو تعريف للشعاع الذي استفاده أحدهم من شمسه عليه السلام ووصل اليه من نافذة قلبه وعقله ، أما نفس الشمس فهي أعلى وأرفع من أن يصل اليها أحد ، إلا من كان في مرتبة أمير المؤمنين عليه السلام وأعلى منه !

ثم يستدل الإمام الهادي عليه السلام، وكلام الإمام إمام الكلام ، بعدة أدلة على ذلك أولها: **أنت أحسن الخلق عبادة !** ولابد أن نعرف ماهي العبادة ، فالسر كله هنا فقد سمعنا بعبادة الله تعالى ، لكن هل فهمنا معناها؟!

إن مفهوم العبادة من المفاهيم ذات التعلق ، أي التي لايمكن فهمها إلا

بفهم المتعلق وطرف التعلق ، ومن الواضح لدى أهل النظر أن مفهوم الإضافة ذاتها لايمكن فهمه بدون المضاف والمضاف اليه (**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً**) فما هي العبادة ، وما هو العابد ، وما هو المعبود ؟

لابد لفهم العبادة أن نعرف المعبود الذي صفته أن:**كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه، فهو مخلوقٌ مصنوعٌ مثلكم، مردودٌ إليكم**!(البحار:٦٦ص٢٩٢) ، وأن نعرف الإنسان بصفاته بالفعل والقوة ، لكي نفهم قوله تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ** . (سورة الذريات: ٥٦) والخلاصة أن هذا العالم تم خلقه، وأنشئت شجرته العظيمة المترامية المذهلة ، من أجل ثمرة واحدة ، هي العبادة! فلا بد أن ننظر الى هذه القوة التي خلقها الله في مخلوقاته لمعرفته وعبادته ، لنرى في أي مخلوق بلغت فعليتها، ونرى هذا الإستعداد في المخلوقات بأي شكل ووجود تم ظهوره ؟

إن العبادة عبادتان: عبادة بالتسخير، وعبادة بالإختيار ، وفي كل منهما بحث.. والعبادة بالإختيار تكون من المخلوقات الذين وهب الله لهم عقلاً ، سواء من عالم الملك أو الملكوت:

من ملائكة أسكنتهم سمواتك ورفعتهم عن أرضك ، هم أعلم خلقك بك، وأخوفهم لك، وأقربهم منك. لم يسكنوا الأصلاب ، ولم يُضَمَّنوا الأرحام ، ولم يخلقوا من ماء مهين ، ولم يشعبهم ريب المنون . وإنهم على مكانهم منك، ومنزلتهم عندك، واستجماع أهوائهم فيك، وكثرة طاعتهم لك، وقلة غفلتهم عن أمرك، لو عاينوا كنه ما خفي عليهم منك لحقروا أعمالهم ولزروا على أنفسهم، ولعرفوا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك، ولم يطيعوك حق طاعتك.سبحانك خالقاً ومعبوداً بحسن بلائك عند خلقك)(نهج البلاغة:٢١٠/١) **(٢)**

فهؤلاء الملائكة الأبرار مستغرقون في عبادة الله تعالى، وأي عبادة؟!

منهم سجود لايركعون، وركوع لاينتصبون، وصافون لا يتزايلون ، ومسبحون لايسأمون، لايغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الابدان، ولا غفلة النسيان ، ومنهم أمناء على وحيه ، وألسنة إلى رسله. (نهج البلاغة:١ /١٤)

كذلك هي عبادة سكان الملأ الأعلى، عبادةٌ لاكلل فيها ولا ملل.. حتى نصل الى عبادة أنبياء الله تعالى: آدم ، ونوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، فهذه أيضاً عبادة عباد وصلوا الى كما المعرفة .

والمهم هنا أن نعرف معنى قول الإمام الهادي لأمير المؤمنين صلى الله عليه: **أنت أحسن الخلق عبادةً.** فهذه الثمرة العليا لشجرة الوجود ، وهذا المقام الأسمى في العبادة ، لم يبلغه ملكٌ من الملائكة، ولا بشرٌ بعد النبي صلى الله عليه وآله، إلا أمير المؤمنين عليه السلام! فما هي هذ العبادة التي صار بها أحسن الخلق عبادةً ؟

هنا يتضح لنا معنى قوله عليه السلام: **إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك، ولاطمعاً في ثوابك ، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك.** (البحار:٤١/١٤) . **(٣)**

أرجو ان نكون فهمنا معنى هذه الكلمة ؟!

إن علياً عليه السلام عابدٌ لربه من أول يوم جاء الى الدنيا في بيت ربه ، الى اليوم الذي قال في بيت ربه: **فزت ورب الكعبة!** لقد رأى الجنة ولم يسمع بها ، ورأى جهنم ولم يسمع بها ، أنت تسمع بهما ، ولكنه رآهما ! وهي الجنة التي يقول عنها عليه السلام: **وكل شئ من الدنيا سماعه أعظم من عيانه ، وكل شئ من الآخرة عيانه أعظم من سماعه ، فليكفكم من العيان السماع ، ومن الغيب الخبر.** (نهج البلاغة:٢٢٥/١) هذه الجنة التي فوق وصفنا، شطب عليها أمير المؤمنين عليه السلام، وقال لربه إلهي منذ عبدتك ماعبدتك شوقاً الى ثوابك وجنتك على عظمتها،

لا من أجل نعيمها وخلودها ، وأشجارها وثمارها ، ولا حورها وقصورها!

فمَنْ غير علي بن أبي طالب قال هذ الكلام ؟!

وجهنم أيضاً، وأي جهنم هي أعاذنا الله منها ، وقد رآها أمير المؤمنين وكان يتعوذ منها ، وعرف أن طليعتها قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ** . (سورة الحج:١- ٢) لكن الخوف منها لم يكن الدافع له عليه السلام لعبادة ربه !

فأي قدرة عند هذا الشخص الذي يقول لربه أنا أخاف من عقابك وأعلم أنه شديد ، وقد رأيته ، لكني لا أعبدك خوفاً منه ؟!

الله أكبر.. فهنا موضع التكبير ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام لربه إني لا أعبدك شوقاً الى ثوابك ، ولا خوفاً من عقابك ! فأي بشر هذا ، وأي مخلوق هو ؟ بل أي جوهر لم يعرف العالم قدره ؟!

إن روحه أعلى وأسمى من كل عالم الثواب والعقاب ، ومحيطهما !

فقد وصلت به تلك الروح السامية .. الى حيث يقول: **لكني وجدتك !**

تأملوا هنا لتعرفوا من هو علي عليه السلام، وتعرفوه للناس هكذا كما هو ، لاكما يفعلون اليوم فيتكلمون حوله بلا طائل ، ويحوكون كلاماً على قدر فهمهم وإدراكهم ، ويقولون للناس هذا علي بن أبي طالب !

وجدتُك.. وأيُّ فمٍ من البشر يجرؤ أن يقول لذات الحق: **وجدتُك؟!**

أنتم قضيتم عمراً في الدرس والبحث، وقرأتم باب اللقطة . وإن الضائع على الفطرة هو الله تعالى ، فأعماق فكر الإنسان وعقله تبحث عنه لتجده وتعرفه ، فمن الذي وجده بحيث يستطيع أن يقول: **أنا وجدتُك؟!** من ذلك الإنسان الذي يقول لله هذا الكلام ، ويخاطبه بكاف الخطاب: **وجدتُك !**

وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك.. وبهذا نفهم كلمة الإمام الهادي عليه السلام في وصف جده أمير المؤمنين عليه السلام: **أنت أحسن الخلق عبادة !**

ثم نصل الى ثمرة هذا النوع الفريد من العبادة ، ما هي؟

هي أن أمير المؤمنين عليه السلام صار مصداق الحديث القدسي:**عبدي أطعني أجعلك مثلي أقول للشئ كن فيكون، وتقول للشئ كن فيكون !**(٤) وصار المثل الأعلى لله تعالى: **وَلله الْمَثَلُ الأعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (سورة النحل:٦٠)

وقد أخبرنا الله تعالى أن هذا المثل موجود في الأرض! **وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.** (سورة الروم: ٢٧)

وصار من حق علي عليه السلام أن يقول: أنا ذلك المثل الأعلى لله تعالى !

○ ○

هوامش

(١) نورد هذه الزيارة الشريفة كاملة ، لكثرة فوائدها ، من كتاب المزار لمحمد بن المشهدي قدس سره، قال في ص٢٦٣:(زيارة أخرى لمولانا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، مختصة بيوم الغدير:

أخبرني بهذه الزيارة الشريفة العالم أبي جعفر محمد المعروف بابن المجمد النحوي، رفع الحديث عن الفقيه العسكري صلوات الله عليه في شهور سنة إحدى وسبعين وخمسمائة. وأخبرني الفقيه الأجل أبو الفضل شاذان بن جبرئيل القمي رضي الله عنه، عن الفقيه العماد محمد بن أبي القاسم الطبري، عن أبي علي، عن والده، عن محمد بن محمد بن النعمان، عن أبي القاسم جعفر بن قولويه، عن محمد بن يعقوب الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي القاسم بن روح وعثمان بن سعيد العمري، عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري، عن أبيه صلوات الله عليهما، وذكر أنه عليه السلام زار بها في يوم

الغدير في السنة التي أشخصه المعتصم . تقف عليه وتقول:

السلام على محمد رسول الله ، خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وصفوة رب العالمين ، أمين الله على وحيه ، وعزائم أمره ، الخاتم لما سبق ، والفاتح لما استقبل ، والمهيمن على ذلك كله ، ورحمة الله وبركاته وصلواته وتحياته .

السلام على أنبياء الله ورسله ، وملائكته المقربين ، وعباده الصالحين. السلام عليك يا أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، ووارث علم النبيين ، وولي رب العالمين ، ومولاي ومولى المؤمنين ورحمة الله وبركاته . السلام عليك يا أمير المؤمنين ، يا أمين الله في أرضه ، وسفيره في خلقه، وحجته البالغة على عباده .

السلام عليك يا دين الله القويم ، وصراطه المستقيم .

السلام عليك أيها النبأ العظيم ، الذي هم فيه مختلفون ، وعنه يسألون .

السلام عليك يا أميرالمؤمنين، آمنت بالله وهم مشركون ، وصدقت بالحق وهم مكذبون وجاهدت وهم محجمون، وعبدت الله مخلصاً له الدين ، صابراً محتسباً حتى أتاك اليقين، ألا لعنة الله على الظالمين. السلام عليك يا سيد المسلمين ، ويعسوب المؤمنين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، ورحمة الله وبركاته .

أشهد انك أخو الرسول ووصيه ، ووارث علمه ، وأمينه على شرعه ، وخليفته في أمته، وأول من آمن بالله ، وصدق بما أنزل على نبيه . وأشهد أنه قد بلغ عن الله ما أنزله فيك ، وصدع بأمره ، وأوجب على أمته فرض ولايتك ، وعقد عليهم البيعة لك ، وجعلك أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما جعلك الله كذلك، ثم أشهد الله تعالى عليهم فقال: ألست قد بلغت ؟ فقالوا: اللهم بلى ، فقال: اللهم اشهد وكفى بك شهيداً وحاكماً بين العباد . فلعن الله جاحد ولايتك بعد الإقرار ، وناكث عهدك بعد الميثاق . وأشهد أنك أوفيت بعهد الله تعالى ، وأن الله تعالى موف بعهده لك ، **وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً** (سورة الفتح:١٠)

وأشهد أنك أمير المؤمنين الحق ، الذي نطق بولايتك التنزيل ، وأخذ لك العهد على الأمة بذلك الرسول.

وأشهد أنك وعمك وأخاك ، الذين تاجرتم الله بنفوسكم ، فأنزل الله فيكم: **إِنَّ اللَّهَ**

اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (سورة التوبة:١١١-١١٢)

أشهد يا أمير المؤمنين أن الشاك فيك ما آمن بالرسول الأمين ، وأن العادل بك غيرك عادل عن الدين القويم ، الذي ارتضاه لنا رب العالمين، فأكمله بولايتك يوم الغدير .

وأشهد أنك المعني بقول العزيز الرحيم: **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (سورة الأنعام:١٥٣) ، ضلَّ والله وأضلَّ من اتبع سواك ، وعَنَدَ عن الحق من عاداك. اللهم سمعنا لأمرك ، وأطعنا واتبعنا صراطك المستقيم ، فاهدنا ربنا ولا تزغ قلوبنا بعد الهدى عن طاعتك ، واجعلنا من الشاكرين لأنعمك. وأشهد أنك لم تزل للهوى مخالفاً ، وللتقى محالفاً ، وعلى كظم الغيظ قادراً، وعن الناس عافياً، وإذا عصي الله ساخطاً ، وإذا أطيع الله راضياً ، وبما عهد الله اليك عاملاً ، راعياً ما استحفظت ، حافظاً ما استودعت ، مبلغاً ما حملت ، منتظراً ما وُعدت .

وأشهد أنك ما اتقيت ضارعاً ، ولا أمسكت عن حقك جازعاً ، ولا أحجمت عن مجاهدة عاصيك ناكلاً ، ولا أظهرت الرضا بخلاف ما يرضى الله مداهناً ، ولا وهنت لما أصابك في سبيل الله ، ولا ضعفت ولا استكنت عن طلب حقك مراقبا .

معاذ الله أن تكون كذلك ، بل إذ ظلمت فاحتسبت ربك ، وفوضت إليه أمرك ، وذكرت فما ذكروا ، ووعظت فما اتعظوا ، وخوفتهم الله فما خافوا .

وأشهد أنك يا أمير المؤمنين جاهدت في الله حق جهاده ، حتى دعاك الله الى جواره ، وقبضك إليه باختياره ، وألزم اعداءك الحجة ، بقتلهم إياك ، لتكون لك الحجة عليهم ، مع ما لك من الحجج البالغة على جميع خلقه .

السلام عليك يا أمير المؤمنين ، عبدت الله مخلصاً ، وجاهدت في الله صابراً ، وجدت بنفسك صابراً محتسباً ، وعملت بكتابه ، واتبعت سنة نبيه صلى الله عليه وآله، وأقمت الصلاة ، وآتيت

الزكاة ، وأمرت بالمعروف ، ونهيت عن المنكر ما استطعت ، مبتغياً مرضاة ما عند الله ، راغباً فيما وعد الله لا تحفل بالنوائب ، ولا تهن عند الشدائد ، ولا تحجم عن محارب.

أفِكَ من نسب غير ذلك وافترى باطلاً عليك ، وأولى لمن عند عنك . لقد جاهدت في الله حق الجهاد ، وصبرت على الأذى صبر احتساب ، وأنت أول من آمن بالله وصلى له ، وجاهد وأبدى صفحته في دار الشرك، و الأرض مشحونة ضلالة ، والشيطان يعبد جهرة .

وأنت القائل لا تزيدني كثرة الناس حولي عزة ، ولا تفرقهم عني وحشة، ولو أسلمني الناس جميعاً لم أكن متضرعاً.

اعتصمتَ بالله فعززت، وآثرت الآخرة علىالأولى فزهدت، وأيدك الله وهداك وأخلصك واجتباك ، فما تناقضت أفعالك ، ولا اختلفت أقوالك ، ولا تقلبت أحوالك ، ولا ادعيت ولا افتريت على الله كذباً ، ولا شرهت الى الحطام ، ولا دنستك الآثام ، ولم تزل على بينة من ربك ويقين من أمرك ، تهدي الى الحق والى صراط مستقيم .

أشهد شهادة حق ، وأقسم بالله قسم صدق أن محمداً وآله صلوات الله عليهم سادات الخلق ، وأنك مولاي ومولى المؤمنين ، وأنك عبد الله ووليه وأخو الرسول ، ووصيه ووارثه ، وأنه القائل لك: والذي بعثني بالحق ما آمن بي من كفر بك ، ولا أقر بالله من جحدك. وقد ضل من صد عنك ، ولم يهتد الى الله تعالى ولاالي من لا يهتدى بك ، وهو قول ربي عز وجل: **(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى)** الىولايتك .

مولاي فضلك لا يخفى ، ونورك لا يطفى ، وإن من جحدك الظلوم الأشقى .

مولاي أنت الحجة على العباد ، والهادي الى الرشاد ، والعدة للمعاد .

مولاي لقد رفع الله في الأولى منزلتك ، وأعلى في الآخرة درجتك ، وبصرك ما عمي على من خالفك، وحال بينك وبين مواهب الله لك. فلعن الله مستحلي الحرمة منك وذائد الحق عنك، وأشهد أنهم الأخسرون، الذين **تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ** (سورة المؤمنون:١٠٤)

وأشهد أنك ما أقدمت ، ولا أحجمت ، ولا نطقت ، ولا أمسكت إلا بأمر من الله ورسوله ، قلت: والذي نفسي بيده لنظر الي رسول الله صلى الله عليه وآله أضرب قدامه بسيفي فقال: يا علي أنت عندي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي ، وأعلمك أن موتك

وحياتك معي وعلى سنتي ، فوالله ما كذبت ولاكذبت، ولاضللت ولا ضل بي، ولا نسيت ما عهد الي ربي ، وإني لعلى بينة من ربي ، بينها لنبيه ، وبينها النبي لي ، وإني لعلى الطريق الواضح ، ألفظه لفظاً.

صدقت والله وقلت الحق ، فلعن الله من ساواك بمن ناواك ، والله جل ذكره يقول: **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ** (سورة الزمر:٩) ولعن الله من عدل بك من فرض الله عليه ولايتك .

وأنت ولي الله وأخو رسوله ، والذاب عن دينه ، والذي نطق القرآن بتفضيله ، قال الله تعالى: **وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً. دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً.** (سورة النساء:٦٨-٦٩) وقال الله تعالى: **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لايَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ. يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ** (سورة التوبة:١٩-٢١)

أشهد أنك المخصوص بمدحة الله ، المخلص لطاعة الله ، لم تبغ بالهدى بدلاً ولم تشرك بعبادة ربك أحداً ، وان الله تعالى استجاب لنبيه صلى الله عليه وآله فيك دعوته . ثم أمره باظهار ما أولاك لأمته ، اعلاء لشأنك ، واعلانا لبرهانك ، ودحضا للأباطيل ، وقطعا للمعاذير ، فلما أشفق من فتنة الفاسقين ، واتقى فيك المنافقين ، أوحى الله رب العالمين: **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** (سورة المائدة: ٦٧) فوضع على نفسه أوزار المسير ، ونهض في رمضاء الهجير ، فخطب فأسمع ، ونادى فأبلغ، ثم سألهم أجمع ، فقال: هل بلغت؟ فقالوا: اللهم بلى ، فقال: اللهم اشهد ، ثم قال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ فقالوا: بلى ، فأخذ بيدك ، وقال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله . فما آمن بما آنزل الله فيك على نبيه إلا قليل ، ولا زاد أكثرهم إلاّ تخسيراً ، ولقد أنزل الله تعالى فيك من قبل وهم كارهون. **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (سورة المائدة: ٥٤-٥٦)

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (سورة آل عمران:٥٣) **رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ** (سورة آل عمران: ٨)

أللهم إنا نعلم أن هذا هو الحق من عندك ، فالعن من عارضه واستكبر وكذب به وكفر، **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** (سورة الشعراء:٢٢٧)

السلام عليك يا أمير المؤمنين ، وسيد الوصيين ، وأول العابدين ، وأزهد الزاهدين ، ورحمة الله وبركاته وصلواته وتحياته .

أنت مطعم الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً لوجه الله ، لا تريد منهم جزاء ولا شكورا ، وفيك أنزل الله تعالى: **وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (سورة الحشر:٩)

وأنت الكاظم للغيظ ، والعافي عن الناس ، والله يحب المحسنين . وأنت الصابر في البأساء والضراء وحين البأس . وأنت القاسم بالسوية ، والعادل في الرعية ، والعالم بحدود الله من جميع البرية . والله تعالى أخبر عما أولاك من فضله بقوله: **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ . أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (سورة السجدة: ١٨-١٩)

وأنت المخصوص بعلم التنزيل وحكم التأويل ، ونصر الرسول ، ولك المواقف المشهورة، والمقامات المشهورة والأيام المذكورة ، يوم بدر ويوم الأحزاب: **إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ**

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُوراً .وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِرَاراً (سورة الأحزاب:١٠- ١٣)

وقال الله تعالى: **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً** (سورة الأحزاب: ٢٢) فقتلت عمرهم وهزمت جمعهم **وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً** (سورة الأحزاب: ٢٥)

ويوم أحد **إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ** (سورة آل عمران:١٥٣) وأنت تذودبهم المشركين عن النبي ذات اليمين وذات الشمال، حتى صرفهما عنكم الخائفين ، ونصر بك الخاذلين .

ويوم حنين على ما نطق به التنزيل: **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ** . (سورة التوبة: ٢٥- ٢٦) والمؤمنون أنت ومن يليك ، وعمك العباس ينادي المنهزمين: يا أصحاب سورة البقرة ، يا أهل بيعة الشجرة، حتى استجاب له قوم قد كفيتهم المؤونة، وتكفلت دونهم المعونة فعادوا آيسين من المثوبة ، راجين وعد الله تعالى بالتوبة ، وذلك قوله جل ذكره: **ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**. (سورة التوبة: ٢٧) وأنت حائز درجة الصبر ، فائز بعظيم الأجر .

ويوم خيبر إذ ظهر الله خور المنافقين، وقطع دابر الكافرين، والحمدلله رب العالمين: **وَلَقَدْكَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُاللهِ مَسْؤُولاً**. (سورة الأحزاب: ١٥)

مولاي أنت الحجة البالغة، والمحجة الواضحة ، والنعمة السابغة، والبرهان المنير، فهنيئاً لك ما آتاك الله من فضل ، وتباً لشانئك ذي الجهل. شهدت مع النبي صلى الله عليه وآله جميع حروبه ومغازيه ، تحمل الراية أمامه ، وتضرب بالسيف قدامه ، ثم لحزمك المشهور ، وبصيرتك بما في الأمور ، أمرك في المواطن ، ولم يك عليك أمير ، وكم من أمر صدك عن إمضاء

عزمك فيه التقى، واتبع غيرك في نيله الهوى ، فظن الجاهلون أنك عجزت عما إليه انتهى ضل والله الظان لذلك وما اهتدى . ولقد أوضحت ما اشكل من ذلك لمن توهم وامترى ، بقولك صلى الله عليك: قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ، ودونها حاجز من تقوى الله ، فيدعها رأى العين، وينتهز فرصتها من لاجريحة له في الدين ! صدقت وخسر المبطلون .

وإذ ماكرك الناكثان فقالا: نريد العمرة، فقلت لهما: لعمري ما تريدان العمرة لكن الغدرة، وأخذت البيعة عليهما ، وجددت الميثاق فجدا في النفاق، فلما نبهتهما على فعلهما أغفلا وعادا ، وما انتفعا ، وكان عاقبة أمرهما خسرا . ثم تلاهما اهل الشام فسرت إليهم بعد الإعذار ، وهم لا يدينون دين الحق ولا يتدبرون القرآن، همج رعاع ضالون ، وبالذي أنزل على محمد فيك كافرون ، ولأهل الخلاف عليك ناصرون . وقد أمر الله تعالى باتباعك وندب الى نصرك ، قال الله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** (سورة التوبة:١١٩)

مولاي بك ظهر الحق ، وقد نبذه الخلق ، وأوضحت السنن بعد الدروس والطمس ولك سابقة الجهاد على تصديق التنزيل، ولك فضيلة الجهاد على تحقيق التأويل، وعدوك عدو الله ، جاحد لرسول الله ، يدعو باطلاً ، ويحكم جائراً ، ويتأمر غاصباً ، ويدعو حزبه الى النار . وعمار يجاهد وينادي بين الصفين: الرواح الرواح الى الجنة، ولما استسقى ، فسقي اللبن كبر وقال:قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله آخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن وتقتلك الفئة الباغية ، فاعترضه أبو العادية الفزاري فقتله . فعلى أبي العادية لعنة الله ولعنة ملائكته ورسله أجمعين ، وعلى من سل سيفه عليك وسللت عليه سيفك يا أمير المؤمنين من المشركين والمنافقين الى يوم الدين، وعلى من رضي بما ساءك ولم يكرهه، وأغمض عينه ولم ينكره ، أو أعان عليك بيد أو لسان، أو قعد عن نصرك، أو خذل عن الجهاد معك ، أو غمط فضلك ، أو جحد حقك ، أو عدل بك من جعلك الله اولى به من نفسه ، وصلوات الله عليك ورحمة الله وبركاته وسلامه وتحياته، وعلى الائمة من آلك الطاهرين إنه حميد مجيد .

والأمر الأعجب والخطب الأفظع بعد جحدك حقك ، غصب الصديقة الزهراء سيدة النساء فدكاً ، ورد شهادتك وشهادة السيدين سلالتك وعترة أخيك المصطفى صلوات الله

عليكم، وقد أعلى الله تعالى على الأمة درجتكم، ورفع منزلتكم، وأبان فضلكم، وشرفكم على العالمين ، فأذهب عنكم الرجس وطهركم تطهيراً !

قال الله جل وعز: **إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً. وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً، إِلا الْمُصَلِّينَ** (سورة المعارج: ١٩- ٢٢) ، فاستثني الله تعالى نبيه المصطفى وأنت يا سيد الأوصياء من جميع الخلق ، فما أعمه من ظلمك عن الحق ، ثم أفرضوك سهم ذوي القربى مكراً أو حادوه عن أهله جوراً ، فلما آل الأمر اليك أجريتهم على ما أجريا رغبة عنهما بما عند الله لك، فأشبهت محنتك بهما محن الأنبياء عليهم السلام عند الوحدة وعدم الأنصار.

وأشبهت في البيات على الفراش الذبيح عليه السلام، إذ أجبت كما أجاب ، وأطعت كما أطاع إسماعيل صابراً محتسباً ، إذ قال له: **يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** (سورة الصافات: ١٠٢)

وكذلك أنت لما أباتك النبي صلى الله عليكما ، وأمرك أن تضطجع في مرقده واقياً له بنفسك ، أسرعت الى إجابته مطيعاً، ولنفسك على القتل موطناً ، فشكر الله تعالى طاعتك، وأبان عن جميل فعلك بقوله جل ذكره: **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ** (سورة البقرة:٢٠٧)

ثم محنتك يوم صفين ، وقد رفعت المصاحف حيلة ومكرا ، فأعرض الشك وعرف الحق واتبع الظن ، أشبهت محنة هارون إذ أمره موسى على قومه فتفرقوا عنه ، وهارون يناديهم: **يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي . قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى** (سورة طه:٩٠- ٩١)

وكذلك أنت لما رفعت المصاحف قلت: يا قوم إنما فتنتم بها وخدعتم ، فعصوك وخالفوا عليك ، واستدعوا نصب الحكمين ، فأبيت عليهم ، وتبرأت الى الله من فعلهم وفوضته إليهم . فلما أسفر الحق وسفه المنكر ، واعترفوا بالزلل والجور عن القصد ، واختلفوا من بعده ، وألزموك على سفه التحكيم الذي أبيته ، وأحبوه وحظرته ، وأباحوا ذنبهم الذي اقترفوه. وأنت على نهج بصيرة وهدى ، وهم على سنن ضلالة وعمى ، فما زالوا على النفاق مصرين، وفي الغي مترددين، حتى أذاقهم الله وبال أمرهم، فأمات بسيفك

من عاندك ، فشفي وهوى ، وأحيا بحجتك من سعد فهدى .

صلوات الله عليك غادية ورائحة ، وعاكفة وذاهبة ، فما يحيط المادح وصفك ، ولا يحبط الطاعن فضلك . أنت أحسن الخلق عبادة ، وأخلصهم زهادة ، وأذبهم عن الدين ، أقمت حدود الله بجهدك ، وفللت عساكر المارقين بسيفك ، تخمد لهب الحروب ببنانك، وتهتك ستور الشبه ببيانك ، وتكشف لبس الباطل عن صريح الحق، لا تأخذك في الله لومة لائم . وفي مدح الله تعالى لك غنى عن مدح المادحين وتقريظ الواصفين ، قال الله تعالى: **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** (سورة الأحزاب:٢٣)

ولما رأيت قد قتلت الناكثين والقاسطين والمارقين ، وصدقك رسول الله صلى الله عليه وآله وعده، فأوفيت بعهده ، قلت: أما آن أن تخضب هذه من هذه ، أم متى يبعث أشقاها، واثقاً بأنك على بينة من ربك وبصيرة من أمرك ، قادماً على الله ، مستبشراً ببيعك الذي بايعته به ، وذلك هو الفوز العظيم .

اللهم العن قتلة أنبيائك وأوصياء أنبيائك بجميع لعناتك ، وأصْلِهِمْ حَرَّ نارك ، والعن من غصب وليك حقه ، وأنكر عهده، وجحده بعد اليقين والاقرار بالولاية له يوم أكملت له الدين. اللهم العن قتلة أمير المؤمنين ومن قتلته ، وأشياعهم وأنصارهم.

اللهم العن ظالمي الحسين وقاتليه والمتابعين عدوه وناصريه، والراضين بقتله وخاذليه، لعناً وبيلاً . اللهم ألعن أول ظالم ظلم آل محمد ومانعيهم حقوقهم . اللهم خص أول ظالم وغاصب لآل محمد باللعن ، وكل مستن بما سن الى يوم الدين .

اللهم صل على محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين وآله الطاهرين ، واجعلنا بهم متمسكين، وبموالاتهم من الفائزين الآمنين، الذين لاخوف عليهم ولايحزنون، إنك حميد مجيد). انتهى.

(٢) **في نهج البلاغة**:١٤/١، من خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم: (الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون. ولا يحصي نعماءه العادون . ولا يؤدي حقه المجتهدون ، الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن.....

فسوى منه سبع سموات جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً وعلياهن سقفاً محفوظاً . وسمكاً

مرفوعاً . بغير عمد يدعمها ، ولا دسار ينظمها .

ثم زينها بزينة الكواكب ، وضياء الثواقب . وأجرى فيها سراجا مستطيراً ، وقمراً منيراً . في فلك دائر ، وسقف سائر ، ورقيم مائر ثم فتق ما بين السموات العلا . فملأهن أطواراً من ملائكته، منهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون ، وصافون لايتزايلون ومسبحون لا يسأمون . لا يغشاهم نوم العين . ولا سهو العقول . ولا فترة الابدان . ولا غفلة النسيان . ومنهم أمناء على وحيه، وألسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره. ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه . ومنهم الثابتة في الارضين السفلى أقدامهم ، والمارقة من السماء العليا أعناقهم ، والخارجة من الاقطار أركانهم ، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم ، ناكسة دونه أبصارهم ، متلفعون تحته بأجنحتهم ، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة وأستار القدرة ، لا يتوهمون ربهم بالتصوير ، ولا يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحدونه بالاماكن، ولا يشيرون إليه بالنظائر) .

○ ○

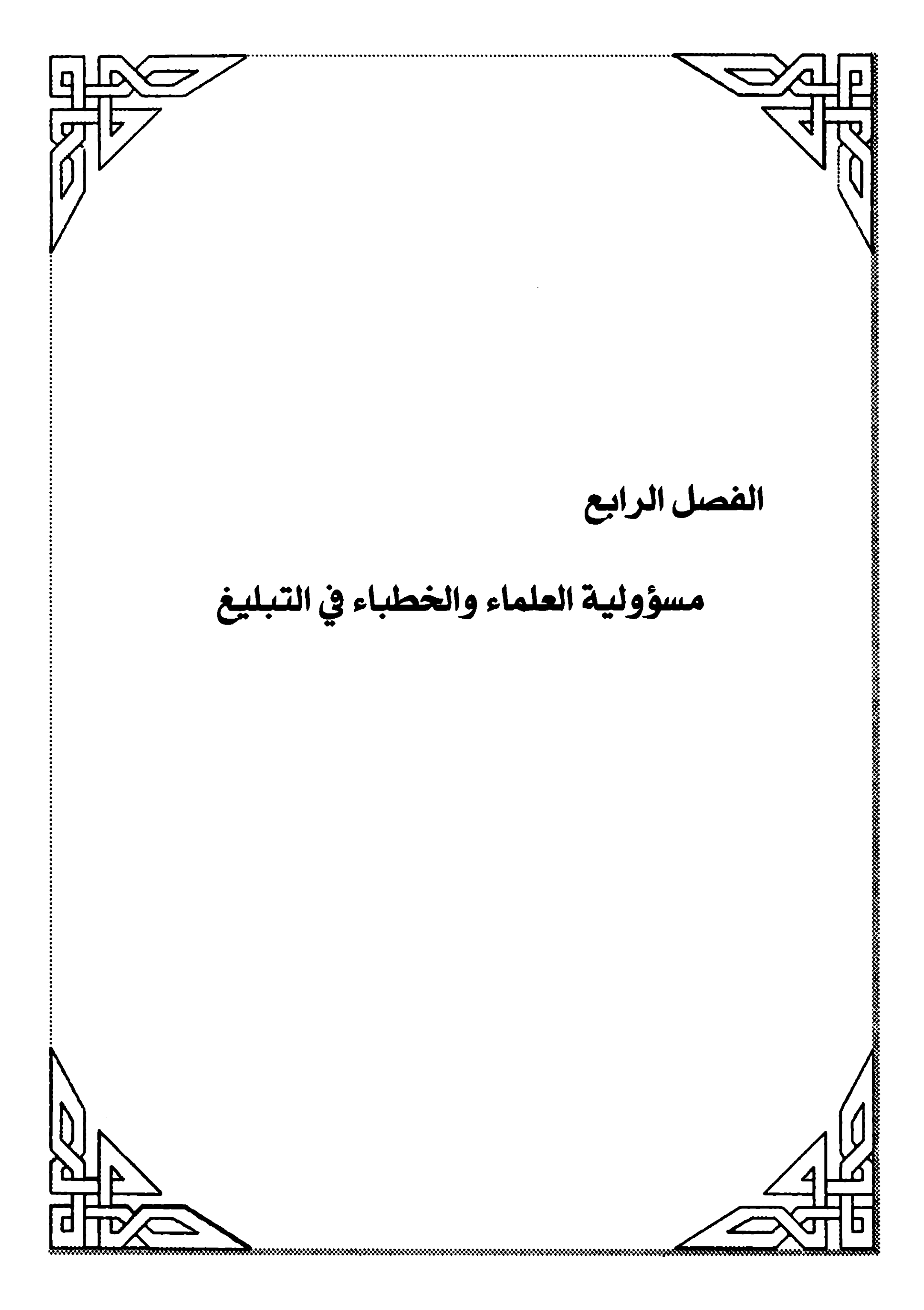
(٣) في البحار:١٤/٤١، وعنه عليه السلام: (إلهي ماعبدتك خوفاً من عقابك، ولاطمعاً في ثوابك ، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك) .

وفي نهج البلاغة:٥٣/٤ ، قال عليه السلام: (إن قوماً عبدوا الله رغبةً ، فتلك عبادة التجار ، وإن قوماً عبدوا الله رهبةً، فتلك عبادة العبيد ، وإن قوماً عبدوا الله شكراً ، فتلك عبادة الأحرار) .

○ ○

(٤) في الجواهر السنية للحر العاملي ص٣٦١: (وروى الحافظ البرسي قال: ورد في الحديث القدسي عن الرب العلي أنه يقول: عبدي أطعني أجعلك مثلي: أنا حيٌّ لا أموت، أجعلك حياً لا تموت ، أنا غني لا أفتقر ، أجعلك غنياً لا تفتقر، أنا مهما أشاء يكون، أجعلك مهما تشاء يكون!) .

○ ○



الفصل الرابع

مسؤولية العلماء والخطباء في التبليغ

زاد المسافر: الكتاب والسنة

(بتاريخ: ٢٣ شعبان المعظم ١٤١٧- ١٩٩٧/١/٣ - ١٣٧٦/١٠/٣)

بســم الله الرحمن الرحيم

طلب بعض الأفاضل بمناسبة قرب سفرهم للتبليغ (**زاد المسافر**)، وزاد المسافر مصطلح ، تطبيقه هنا فقط: الكتاب والحديث..

بعضهم يراجعنا ويسأل هل نذهب الى التبليغ بمناسبة شهر رمضان أم لا ؟ الشيطان يقول لاتذهب ، أما الله تعالى فيقول إذهبوا ! فاختاروا بينهما ، قال الله تعالى: **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَارَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** (سورة التوبة: ١٢٢)

إن حاجة البلاد الى مبلغين في المحافظات والقرى، حاجة كبيرة لا توصف في أصول الدين وفروعه ، فالأجانب ينشطون في البلد ويبنون مساجد في القرى، ويوظفون فيها أئمة مساجد ومبلغين، ويضللون أفواجاً من شباب الشيعة ويحرفونهم عن مذهب أهل البيت عليهم السلام!

ففي مثل هذا الظروف لا يصح أن نسأل: هل نجلس أم نذهب ؟!

هذا من جهة الخطر على أصول الدين..أما من جهة الأحكام فكثير من الناس في المدن لايعرفون الحلال والحرام ، مع كثرة أئمة الجماعة والعلماء ،

فكيف بالقرى النائية؟! إنهم جميعاً مسلمون شيعة، ومائدة التبليغ هذه وضعت من قبل صاحب الزمان عليه السلام من أجل خدمة ضعفاء الشيعة هؤلاء. ومن الطبيعي أن يكون في السفر مشقة ، خاصة في شهر رمضان .

أين نذهب ، ماذا نعمل ، ماذا يحدث ؟ هذه الأفكار موجودة..

ولكن يوجد كلمة واحدة تسهل الأمر ، وهي أن هذا السفر ليس سفر تجارة وكسب، بل هو سفر عمل لهداية الناس.. وما دام كذلك فلا بد أن نعرف ما هو عمل الهداية ؟

لو أنكم أدركتم ماهية سفركم هذا لانحلت كل المشكلات ، فما معنى هداية الناس التي نسافر من أجلها؟ وهذا المجلس والحمد لله ليس مجلس عوام نتحدث اليهم. والهداية أول واجبات مقام الإمامة ، تلك الإمامة التي بحثنا في جلسة سابقة مقامها الرفيع، قال الله تعالى: **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَاعَابِدِينَ** (سورة الأنبياء: ٧٣)

فعمل كل واحد منكم في هذا السفر هو عمل ابراهيم الخليل عليه السلام، هو عمل أمير المؤمنين عليه السلام، عمل الإمام الحسين عليه السلام.. هذه عظمة هذا العمل .

إنه لا كلام أعلى من كلام أئمة الدين صلوات الله عليهم، فأرجو أن تقرروا جميعاً بدون استثناء من هذا اليوم أن يقرأ الواحد منكم كل يوم صفحة من أول كتاب البحار. إن هذه الجهود التي بذلها أساطين العلم من أجلكم ، أمثال الشيخ الأنصاري والآخوند وآقا ضيا والأصفهاني أعلى الله مقامهم ، والأفكار التي طرحوها إنما هي مقدمة لتصيروا أهل فكر واجتهاد ، وتستعملوا ذلك في فهم الآيات والأحاديث ، فاقرؤوا صفحة من البحار بتلك الحصيلة العلمية

التي استفدتموها من درسكم في الحوزة ، وتأملوا في دقائقها ، وواصلوا هذا البرنامج في حياتكم.

غرضي مما أقوله أن أبين لكم أن المسافة بيننا وبين الوصول الى الأسرار كبيرة ، فقد قرأنا زيارة الجامعة كل عمرنا ، فتأملوا فيها فقرة فقرة .

من فقراتها:**كلامكم نور وأمركم رشد.** فما معناه؟ معناه أنكم جميعاً تطلبون النور ، وتبحثون عن النور ، لكن هذا النور ليس في شفاء ابن سينا ، ولا في المباحث المشرقية للرازي ، ولا في كلمات أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس..

هذا النور في قلب عدة من المستقيمين ، ذوي القلوب المتوقدة من شعاع **(يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ).**

ابن سينا في آخر عمره وبعد أن قضى حياته في الفلسفة المشائية، وولج كل الأبواب بحثاً عن ضائعه ، واصطدم رأسه بالصخور مرات عديدة... في آخر عمره فهم أن ضائعه لايوجد في تلك المداخل ، وإنما يوجد في القرآن ، فكتب كلمات يفهم منها ذلك ، وكان يقضي نهاره وليله في قراءة القرآن !

أما أنتم فيمكنكم أن تكونوا يقظين من أول أعماركم وتصلوا من الآن الى القرآن والحديث ، الى: **إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي !**

ابن سينا في آخر عمره ، وبسبب قصة لايتسع المجال لشرحها الآن، وصل ، لكن بعد فوات الأوان! لكنه قرر أن يغتنم ما بقي له من أيام، وأخذ في قراءة القرآن ومطالعته الى أن توفي !

أما النبي ﷺ فقال:**إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً.**

كلامكم نور.. نقرأ هذا اليوم نوراً من أنوارهم صلوات الله عليهم ، في هذه

الرواية الشريفة ، فإن لم نصل الى عمقها وأسرارها ، فإن مجرد قراءتنا لها نور وإن وصلنا الى شرحها فهو نور على نور.

قال علي بن الحسين عليه الصلاة والسلام: (أوحى الله تعالى إلى موسى: حَبِّبْنِي إلى خلقي، وحَبِّبْ خلقي إليَّ. قال: يارب كيف أفعل؟ قال: ذكرهم آلائي ونعمائي ليحبوني، فلئن ترد آبقاً عن بابي، أو ضالاً عن فنائي، أفضل لك من عبادة مائة سنة بصيام نهارها، وقيام ليلها .

قال موسى: ومن هذا العبد الآبق منك؟

قال: العاصي المتمرد.

قال: فمن الضال عن فنائك؟

قال: الجاهل بإمام زمانه تعرفه، والغائب عنه بعد ما عرفه، الجاهل بشريعة دينه، تعرفه شريعته،ومايعبدبه ربه ويتوصل به إلى مرضاته.قال علي بن الحسين عليه السلام: فأبشروا علماء شيعتنا بالثواب الأعظم والجزاء الأوفر).(البحار:٢/٤)

إقرؤوا بتفكير.. ما معنى هذه الكلمة:**حَبِّبْنِي إلى خلقي، وحَبِّبْ خلقي إليَّ ؟!** يقول الله تعالى هذا الكلام لنبيه موسى عليه السلام بعد أن نجح في تلك الإمتحانات وعبر تلك المراحل ، ووصل الى تلك المقامات !

يقول له: الآن حان الوقت الذي تكون فيه دلاَّلاً لمحبتي !

لله ، أي دلالون نحن بين الله وخلقه؟! إن كل واحد منكم يذهب الى بلد أو قرية، فهو دلال بين الخالق والخلق! هذا هو عملكم، فافهموا ماذا تعملون، وبأي نية تذهبون ، ثم انظروا في نتيجة ذلك.

قال: يا رب كيف أفعل ، لكي أصل الى هذا المقام ؟

قال: ذكرهم آلائي ونعمائي ..

ويسأل بعضهم: هل نذهب للتبليغ أم لا نذهب؟ وإذا ذهبنا ماذا نفعل؟

إن الجواب كله هنا.. لقد حدد لك كيف تذهب، وماذا تقول وكيف، وماذا تفعل، وأي نتيجة تهدف من عملك.. فلم يبق شئ !

عندما تذهبون وتريدون أن تتحدثوا للناس حببوهم بالله تعالى، قوُّوا علاقتهم به وحبهم له ، فبذلك تحببون الله تعالى بخلقه.. كيف ؟

طريق ذلك أن تقرؤوا بابين: باباً في آلاء الله ، وباباً في نعمائه: ذكرهم بآلائي ونعمائي.. هذا هو إعجاز كلام الأئمة عليهم السلام.

لقد قرأتم في كتب المقدمات أن الآلاء هي المواهب المعنوية ، والنعماء هي المواهب الظاهرية.. والإنسان المبلغ للدين يجب أن يكون عالماً بآلاء الله تعالى ونعمائه ، لابد له أن يعرف عالم ملك كل إنسان وعالم ملكوته، وطريق ذلك التعمق والغور في الأحاديث .

ذكروا الناس بما أعطاهم الله تعالى في ظاهرهم وفي باطنهم ، ولا تحتاجون الى شئ غيره، فبهذا تفتِّحون أكمام ورودهم ، وتيقظون فيهم **فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** (سورة الروم:٣٠) .

أحيوا فيهم ذلك العشق الكامن في أعماق فطرة الناس لخالقهم ، فإن أحييتم حبهم له، صاروا مطيعين لربهم ، وصاروا محبوبين له. وبذلك تكونون حببتم الناس بربهم ، وحببتموه بهم .

إذا ذهب أحدكم شهراً للتبليغ فليعاود ذلك مرة أخرى ، وإن طبق ما سنذكره إجمالاً ، فسوف تتحول شخصيته الى إكسير ، أين منه الذهب؟!

وطريق ذلك هذه الرواية الشريفة التي لايتسع المجال لشرحها ، فلنكمل قراءة ألفاظها: **فلئن ترد آبقاً عن بابي، أو ضالاًعن فنائي**..إن تفعل واحداً هذين

الأمرين، إما أن ترد إنساناً آبقاً هارباً من ربه، أو ترشد إنساناً ضالاً عن رحاب ربه الى فنائه! لاحظوا أن المتكلم هوالله تعالى، والمستمع نبي الله موسى عليه السلام، والموضح هو الإمام زين العابدين وتاج الساجدين عليه السلام! إن عملكم في التبليغ أحد هذين الأمرين: إما آبقٌ تردونه الى البيت ، أو ضالٌ لايعرف الفناء ترشدونه اليه! وفي كلمة الآبق والضال، مالا يتسع له المجال .

ياموسى، إن فعلت هذا فنتيجته: **أفضل لك من عبادة مئة سنة بصيام نهارها وقيام ليلها !** فأجر المبلغ للدين ليس تلك الدريهمات القليلة أو الكثيرة ، إن هذا التفكير غلط ، بل هو جوهر عظيم يسَّرَهُ الله لكم وجعله من نصيبكم ، فلا تدعوا الشيطان يسلبه منكم !

القضية، أن كل واحد منكم إن استطاع أن يرجع آبقاً الى ربه، أو يهدي ضالاً الى ربه، فعمله أفضل من مئة سنة عبادةليس من عبادته وصلاته وصومه هو ، بل من عبادة موسى بن عمران عليه السلام وصلاته وصومه! من مئة سنة يصوم موسى عليه السلام كل أيامها ويصلي كل لياليها !!

ثم شرح الله تعالى لموسى معنى الآبق والضال:

قال موسى: ومن هذا العبد الآبق منك؟ قال: العاصي المتمرد.

فاعمل عملاً ترد فيه هذا العبد الهارب الى ربه، تعيد تارك الصلاة الى ربه بإعادته الى صلاته ، وتارك الصوم الى ربه بإعادته الى صومه ، وتعيد آكل الحرام الى ربه بالتوبة من الحرام.

قال: فمن الضال عن فنائك؟ قال: الجاهل بإمام زمانه تعرفه ، والغائب عنه بعد ما عرفه ، الجاهل بشريعة دينه ، تعرفه شريعته وما يعبد به ربه ويتوصل به إلى مرضاته ! إن كل فقرة من هذا الرواية فيها بحث مفصل، فاجعلو نصها

برنامجاً شهرياً لعملكم في التبليغ، وعسى أن نتوفق لتفصيل شرحها. ونتيجتها أن مسؤوليتكم مركبة من عملين:

الأول، أنْ تعلموا الناس فروع دينهم ومسائل الحلال والحرام ، وترغبوهم في أداء الواجبات وترك المحرمات ، فتردوا الآبق الى ربه.

والثاني، أن تعرفوهم بأصل دينهم، وأصل الدين إمام الزمان عليه السلام.. ومع أن الخطاب من الله تعالى لنبيه موسى بن عمران عليه السلام، فقد بين فيه أهمية إمام الزمان في التدين بالدين الإلهي في كل عصر، وهو كلام عظيم يفهم سره كبار العلماء والحكماء ! ذلك أن الإمام هو الرابط بين الخلق والخالق ، هو حرف الربط ، وبدون حرف الربط محال أن يرتبط المحمول بالموضوع !

إن قلوب الناس كلها بمنزلة المحمول ، وذات القدوس والمبدأ المتعالي عز وجل موضوع الموضوعات ، والرابط بينهما صاحب الزمان صلوات الله عليه . فإن كان الشخص بعيداً عن هذا الحرف كان ضالاً عن فناء الله تعالى ورحابه، مهاناً في فناء غيره ، فهو كالنبت بلا جذور ، ومحال أن يثمر نبت بلا جذور !

ونتيجة هذا الحديث الشريف: أن تعرفوا أيها المسافرون للتبليغ أن جذر المسائل الشريعة وأحكام الحلال والحرام وجذعها هو صاحب الزمان عليه السلام، وثمرة هذه الشجرة المباركة سعادة الدنيا والآخرة . فإن أوصلتم شخصاً واحداً من **أيتام آل محمد وشيعتهم** الى هاتين الكلمتين، أو بذلتم جهدكم في ذلك، فثمرته ثواب صوم الدهر وصلاته من نبي الله موسى بن عمران عليه السلام!

وشاهد ذلك قول الإمام زين العابدين عليه السلام في آخر الحديث: **فأبشروا علماء شيعتنا بالثواب الأعظم ، والجزاء الأوفر** . والإمام لايبالغ في كلامه ولا يُغرق ، فهو يخبر عن هذا الثواب العظيم ويتكفل به عن الله تعالى ، لمن رد عبداً آبقاً

عن باب الله ، أو رد عبداً ضالاً الى فناء الله تعالى! فاستبشروا بهذا الثواب الأعظم والجزاء الأوفر وبشروا به ، ولا يكن مجلسٌ من مجالسكم خالياً من ذكر إمام العصر صلوات الله عليه ، فليكن في كل مجلس أو خطبة مسألة أو قضية تتعلق به، وإن فعلتم ذلك فمحال أن لاينظر اليكم ، وإذا نظر اليكم بعناية فإن نتيجة ذلك قدتصل الى خير عظيم ، يدرك ولا يوصف !

اللهم صل على وليك الحجة بن الحسن العسكري عدد ما في علمك ، صلاةً دائمة بدوام ملكك وسطانك .

اللهم سلم على وليك الحجة بن الحسن العسكري ، سلاماً دائماً بدوام ملكك وسلطانك .

○ ○

الكافلون لأيتام آل محمدصلى الله عليه وآله

(بتاريخ ٢٣ شعبان المعظم ١٤١٩ – ١٩٩٨/١٢/١٣ – ٧٧/٩/٢٢)

بســـم الله الرحمن الرحيم

الآن أنتم أيها الفضلاء على قسمين: بعضكم معذور من السفر للتبليغ وهؤلاء لهم أجر نيتهم ، ما داموا نووا أن يذهبوا لو استطاعوا .

أما الذين لاعذر لهم فيجب أن يذهبوا ، لكن عليهم أن يعرفوا قيمة هذا السفر ، وأنه تجارة مربحة يَسَّرَهَا لهم ربُّهم .

يوجد حديث شريف يبين لنا أهمية هذا الأمر : جاءت امرأة الى الصديقة الطاهرة الزهراءعليها السلام فقالت لها: (إن لي والدة ضعيفة ، وقد لبس عليها في أمر صلاتها شئ ، وقد بعثتني إليك أسألك . فأجابتها فاطمة عن ذلك ، ثم ثنَّتْ ، فأجابتْ ، ثم ثلَّثتْ فأجابتْ، إلى أن عشَّرتْ فأجابتْ ، ثم خجلت من الكثرة ، فقالت: لا أشقُّ عليك يا بنت رسول الله . قالت فاطمةعليها السلام: **هاتي وسلي عما بدا لك ، أرأيت من اكتُرِيَ يوماً أن يصعد إلى سطح بحمل ثقيل ، وكراؤه مائة ألف دينار أيثقل عليه؟ فقالت: لا . فقالت: اكتُرِيتُ أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً ، فأحرى أن لا يَثقل عليَّ !) (١)**

نعم، هذا أجر هداية الناس الى أحكام دين الله تعالى!ومسائل هذا الموضوع ليست تعبدية ، لكنها تحتاج الى عقل ناضج لإدراكها ، فعندما يكون الحكم حكم الله تعالى والقانون قانون الله تعالى، فإن هذه الإضافة توجب تغيير كل الأمور المتعلقة به . فكل شئ موجود في هذه الإضافة !

عندما يكون الحكم حكم الله تعالى يصير الذي يبلغه نبياً ، ويصير حجة لله ويصير موضوع التقييم نبي الله وحجة الله ! ويصير أجره **أكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤاً !** ومعنى تعبير الصديقة الزهراء عليها السلام أن هذا حد إدراكنا نحن ، وإلا فالأجر أعظم من هذا ، ولم تعين عليها السلام بأي مقدار هو أعظم وأكثر.. ولا عَجَبَ ، فإن طرف الإضافة هو الله تعالى !

○ ○

المهم لكم أن تستفيدوا من الفرصة . صحيح أنكم لو عملتم في مجال آخر لوصلتم الى درجات مختلفة ، حسب استعداد كل منكم. مثلاً أكثركم لو اتجه الى دراسة فرع من الفروع غير الدين لكان الأمر أسهل عليه ، وما تكلف بذل هذا الجهد ولا تحمل هذه المصاعب. فغيركم يدرس اثنتي عشرة سنة أو أكثر أو أقل ، فيصير مهندساً أو طبيباً ، ثم يعمل ويدير أمور معيشته.

أما أنتم فتدرسون سنيناً أطول ، وتبذلون جهداً أكبر ، ثم يرى الطالب نفسه أنه لايحصل من راتب الحوزة على كفاف معيشته! لكن المهم أن لايعطي أذنه لوسوسة الشيطان، وأن يقدر النعمة التي أنعم الله عليه بها ، حتى لاينطبق عليه لاسمح الله: (**خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**).

إن ما يمنُ الله به على طالب العلم من توفيقات ونعم عظيمة ، إنما هو بسبب حليب الأم الطاهر، أو نية الأب الصافية، أو نية أحد أجداده الصالحين،

فإن عمل الله تعالى أمرٌ محسوب بدقة ، فلا تتخيلوا أن منصب خادم الإمام المهدي عليه السلام، الذي لاتقاس به مناصب كل حكومات العالم مجتمعة.. أمراً بسيطاً؟! إن مجرد تسجيل اسم أحدكم في سجل صاحب الزمان صلوات الله عليه ، مقامٌ وشرفٌ لا تعدله ثروةٌ ولا سلطةٌ ، بل لاتعدل حتى غبارَه ! فعلى الواحد منكم أن يعرف ماذاعليه أن يفعل . وقد أطلنا اليوم في هذا الموضوع، لأن التذكير به ضروري .

يُعرف الإمام عليه السلام بأمرين: **العلم ، وإجابة الدعوة** . فدعوة حجة الله في أرضه مستجابة لا ترد ولا تبدل ، وقد قال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: **(رحم الله عبداً أحيا أمرنا). رحم الله..** بصيغة الماضي ، ولم يقل يرحم الله من أحيا أمرنا! فالنسبة قسمان: نسبة تقديرية هي مدلول هيئة المضارع، ونسبة تحقيقية وهي مدلول هيئة الماضي ، وقد أكدها الإمام بأن جاء بها بصورة الإخبار ، ثم بصيغة الدعاء ، ودعاء المعصوم لايرد !

يقول أبو الصلت رحمه الله:فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟قال: **يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا.**(العيون:٢/٢٧٥)

هذا هو إحياء أمرهم عليهم السلام فأمرهم أمر الله تعالى والمتعلم علوم أهل البيت عليهم السلام ومعلمها للناس محيٍ لأمر الله . فهل يتصور أحدنا أن يحصل على مقام أعلى من هذا المقام ، مقروناً بذلك الدعاء من حجة الله عليه السلام ؟!

كما ينبغي أن تعرفوا أن التبليغ المؤثر في الناس لعلوم أهل البيت عليهم السلام في شهر رمضان وغيره ، إنما هو أمران: **القرآن والحديث** .

والسر في ذلك أن نص القرآن ذو روح ، ونص الحديث نص له روح ، وحتى ترجمة القرآن والحديث ليس فيها تلك الروح !

جربوا واقرؤوا على الناس أصل القرآن وأصل الحديث ، واقرؤوا ترجمتهما، لتلمسوا ذلك، وأن الذي يؤثر في الناس أصل القرآن ، وأن الروح التي فيه تدرك ولا توصف! وأن في كلام النبي والأئمة عليهم السلام نوراً خاصاً ، لاترى بهذه العين، بل بعين أقوى! فاقرؤوا على الناس نصوص تلك الآيات الكريمة والكلمات المنيرة ، فإن قراءتها تحيي الأرواح ، وتنعش القلوب.

هذا هو طريق التبليغ، وأمامكم ذلك الأجر الذي وصفته الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، ومعكم دعاء الإمام الرضا المستجاب عليه السلام.

٥ ٥

وأهم من هذا .. أن الإمام الرضا عليه السلام قال: **(أفضل ما يقدمه العالم من محبينا وموالينا أمامه ليوم فقره وفاقته وذله ومسكنته، أن يغيث في الدنيا مسكيناً من محبينا، من يد ناصبٍ عدو لله ولرسوله صلى الله عليه وآله. يقوم من قبره والملائكة صفوف من شفير قبره إلى موضع محله من جنان الله ، فيحملونه على أجنحتهم يقولون له: مرحباً طوباك طوباك، يا دافع الكلاب عن الأبرار، ويا أيها المتعصب للأئمة الأخيار).** (الإحتجاج:١/١٢)

ماذا يعني ذلك؟! يعني أن الذي يدفع شبهات النواصب والمخالفين عن إمامة الأئمة المعصومين من أهل بيت النبوة الأطهار عليهم السلام، أو الذي يرد شبهات المشككين ووسوساتهم في عقيدتنا بمقامات الصديقة الكبرى والأئمة المعصومين، أولئك المشككين الذين يستكثرون عليهم أن تكون لهم مقامات من الله تعالى فوق تصور البشر !

إن الذي يقف أمام هؤلاء ويدفع شبهاتهم يعطى إسم: **دافع الكلاب عن الأبرار** . ويعطى وساماً آخر أيضاً وهو: **المتعصب للأئمة الأخيار !**

إن التعصب لأحد أو لقبيلة أو وطن، محرمٌ في الإسلام ومبغوض، لكن هذا التعصب مستثنى،لأنه دفاع عن خير الخلق محمدوعترته الأئمةالأخيار الأطهار المظلومين، صلوات الله عليه وعليهم! وأختم كلامي بأن سفركم للتبليغ يجب أن يكون منصباً على كلمتين:

دفع الكلاب عن الأبرار ، والتعصب للأئمة الأخيار.

٥ ٥

هوامش

(١) الحديث في التفسير المنسوب للإمام العسكريعليه السلامص٣٤٠ والبحار:٣/٢ ، وتكملته: (سمعت أبي رسول اللهصلى الله عليه وآلهيقول: إن علماء شيعتنا يحشرون، فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدركثرة علومهم وجدهم في إرشاد عبادالله، حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف خلعة من نور. ثم ينادي منادي ربنا عز وجل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم ، هؤلاءتلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم، فاخلعوا عليهم كما خلعتموهم خلع العلوم في الدنيا. فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم ، حتى أن فيهم لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة. وكذلك يخلع هولاء الأيتام على من تعلم منهم .

ثم إن الله تعالى يقول: أعيدوا عليَّ هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم وتضعفوها، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ، ويضاعف لهم ، وكذلك من بمرتبتهم ممن يخلع عليه على مرتبتهم .

وقالت فاطمةعليها السلام:يا أمة الله إن سلكاً من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس ألف ألف مرة ، وما له فضل ، فإنه مشوب بالتنغيص والكدر) . انتهى.

٥ ٥

مسؤولية العلماء في حراسة العقائد وإحياء عاشوراء

(بتاريخ: ٢٤ ذي الحجة ١٤١٨- ١٩٩٨/٤/٢٢ - ١٣٧٧/٢/٢)

بســم الله الرحمن الرحيم

إن زماننا هذا زمان هرج ومرج ! فالظلم فيه كثير ، وشبهات الشياطين ووسوساتهم كثيرة ، يوجهونها الى أصول الإسلام ومبانيه ، والمسؤولية ثقيلة على عاتق كل فرد منا !

إن المعذورين لاحرج عليهم إن لم يسافروا الى التبليغ في أيام عاشوراء ، لكن على المستطيعين أن يغتنموا هذه الفرصة ، ويذهبوا بأي طريقة الى تلك المناطق التي يوجد فيها قطاع طرق، يقطعون طريق التشيع ، ويضللون بسطاء الناس بالشبهات !

يجب الإنتباه الى أن أهم واجباتنا اليوم حفظ ثغور المذهب ، وخير من أن نتكلم نحن في ذلك، فلنستمع الى كلام الأئمة عليهم السلام، فمن ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: **علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته ، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته والنواصب. ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا ، كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة ، لأنه يدفع عن أديان محبينا ، وذلك يدفع عن أبدانهم** . (الإحتجاج :٨/١)

إن هذا الكلام مصداق: **كلامكم نور** ، فهو خير مصباح ينير كل حياتكم .

أنتم ترون أن الفقهاء قسموا كتاب الجهاد الى فصلين ، فصل في الجهاد ، وفصل في الرباط ، والرباط ورد ذكره في القرآن في قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** . (سورة آل عمران:٢٠٠)، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة ، وهو محل إجماع فرق المسلمين .

فالمرابطة عمل يلي الجهاد ، وقد بلغ من أمر الجهاد أن من يخرج من بيته بنيته فهو لايخلو من أمرين: إن رجع الى أهله رجع مغفوراً له كيوم ولدته أمه، وإن مات فقد وقع أجره على الله تعالى: **وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَىاللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً** (سورة النساء:١٠٠) **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ** . (سورة آل عمران:١٦٩) .

والرباط الذي يلي مرتبة الجهاد، منه رباط للقوات العسكريةعلى حدود بلاد المسلمين ، يحفظون ثغورها من هجمات الأعداء.. ومنه هذا الرباط المميز الذي حثكم عليه الإمام الصادقعليه السلام، وهو رباط العلماء على ثغور عقائد الإسلام، وهو رباط من أفضل أنواع الجهاد، لأنه رباط على ثغور التشيع الذي حدوده قلوب ضعفاء المسلمين ، ومقابله إبليس وعفاريته المضلون !

وفي كلامهعليه السلاملطائف كثيرة لايمكننا استيعابها ، وكما قال هوعليه السلام:**حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه.** (معاني الأخبار للصدوق ص٢) ، لكن واجبي أن أقدم لكم عصارة الفقه والأحاديث التي فيها سعادة الدنيا والآخرة لكم، حتى أسقط مسؤوليتي الشرعية ، ولا يقال لي غداً: لماذا لم تقل؟

إن الذين يقومون بتنظيم برنامج حياتهم حسب كلامه عليه السلام، فنتيجة عملهم الفريدة ليس محلها الدنيا! لكنهم سوف يدركون ماذا ينتظرهم عند ربهم، فهم في الدنيا يذوقون حلاوة عملهم ، وهذه السعادة العليا لاينالها كل أحد ، فاحرصوا على سلوك التقوى لأن جناب الحق سبحانه عظيم الجلال، والطريق هنا لا يمكن سلوكه بدون طهارة: **لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ** فبمقدار ما تحققون من التقوى في سلوككم ، يمن عليكم الله تعالى بخلعته الربانية وهي لباس المرابطين على ثغور المذهب، في غيبة ولي العصر أرواحنا فداه .

ومن واجبات المرابط أن يرصد العدو، ويفهم من أين يريد إبليس وعفاريته أن ينفذوا ، فيحصن تلك الثغرة ، ويسد ذلك المنفذ.

هذه المهمة هي واجبكم اليوم ، أما ثوابها فهو يبهر العقول! قال الإمام عليه السلام: **ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا، كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة!** إن هذه الرواية وأمثالها التي وردت بهذا المضمون ، تدلنا على أن الأئمة عليهم السلام كانوايتوقعون أن إبليس وعفاريته سوف يركزون جهودهم لإبعاد الناس عن مذهب أهل البيت عليهم السلام، وأن الخطر سيتوجه من إبليس وعفاريته الى ضعفاء الشيعة ! فاقرؤوا هذه الروايات في البحار وغيره بفهم وليس مجرد قراءة ! وستجدون أن همَّ الأئمة عليهم السلام يتركز على حفظ ضعفاء الشيعة من وسوسات النواصب والمخالفين !

والتعبير بإبليس وعفاريته له مغزى مهم ، فهو يدل على أن قوى عفريتية وأعمالاً عفريتية ستحاول النفوذ الى أذهان ضعفاء الشيعة والتأثير عليها كما نرى في مثل هذا الزمان! فعلى العالم أن يكون مرابطاً في سبيل الله ، حارساً لثغور المذهب الحق ، حافظاً لقلوب ضعفاء الشيعة ، دافعاً عنهم إبليس

وعفاريته، الذين يبذلون جهدهم للنفوذ الى قلوبهم .

هل تعرفون كم أريق من الدماء الطاهرة من أجل هذه العقائد الحقة التي هي مذهب أهل البيت الطاهرين عليهم السلام؟!وأن الأئمة المعصومين عليهم السلام وشيعتهم الأبرار قد تحملوا من المعاناة من أجل ترسيخها وحفظها ما يصعب على الإنسان أن يتحمل سماعه أو تصوره ؟!

هل عندكم خبر أن اضطهاد أهل البيت الطاهرين وشيعتهم وصل الى حد أن الطاغية هارون الرشيد العباسي أمر قائد حملته العسكرية على المدينة **(أن يُغير على دور آل أبي طالب ، وأن يسلب نساءهم ، ولا يدع على واحدة منهن إلا ثوباً واحداً)؟!!**

ثم بلغ في عهد الطاغية المتوكل العباسي أنه **(كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة) !!**

قال الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام:١٧٢/١: (وكان الجلودي في خلافة الرشيد لما خرج محمد بن جعفر بن محمد بالمدينة ، بعثه الرشيد وأمره إن ظفر به أن يضرب عنقه ، وأن يغير دور آل أبي طالب ، وأن يسلب نساءهم ، ولايدع على واحدة منهن إلا ثوباً واحداً ، ففعل الجلودي ذلك، وقد كان مضى أبوالحسن موسى بن جعفر صلى الله عليه فصارالجلودي إلى باب دارأبي الحسن الرضا عليه السلام، هجم على داره مع خيله، فلما نظر إليه الرضا جعل النساء كلهن في بيت، ووقف على باب البيت فقال الجلودي لأبي الحسن: لا بد من أن أدخل البيت فأسلبهن كما أمرني أمير المؤمنين! فقال الرضا عليه السلام: **أنا أسلبهن لك وأحلف أني لا أدع عليهن شيئاً إلا أخذته!** فلم يزل يطلب إليه ويحلف له حتى سكن، فدخل أبو الحسن الرضا عليه السلام فلم يدع عليهن شيئاً حتى أقراطهن

وخلاخيلهن وأزرهن إلا أخذه منهن ، وجميع ما كان في الدار من قليل وكثير) !!

وقال أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين ص٣٩٦: (واستعمل- أي المتوكل ـ على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجي ، فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس ، ومنع الناس من البر بهم ، وكان لا يبلغه أن أحداً أبر أحداً منهم بشئ وإن قل إلا أنهكه عقوبة وأثقله غرماً ، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة ، ثم يرقعنه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر ، إلى أن قتل المتوكل) !! . انتهى .

○ ○

إن مذهب التشيع الذي وصل الينا إنما هو بقية السيف ، وحصيلة جهود عظيمة تواصلت عبر قرون ، من أولئك الصامدين الأبرار ، وثمرة تحملاتهم لأنواع من أذى الطغاة واضطهادهم.. ويوم يحاسب الله الظالمين على ظلمهم ، لابد أن يحاسبنا على تقصيرنا بحق هذا التراث النبوي إن لم يدركنا برحمته.

إن هذه العقيدة مذكرات دم الحسين بن علي عليه السلام وثمرة قهر زينب وأسرها ، وميراث قطع يدي أبي الفضل العباس.. فعلينا أن نعرف قيمة هذه العقيدة العظيمة ، وندرك حجم مسؤوليتنا تجاهها .

عندما تخرجون من بيوتكم في سفركم لتبليغ الإسلام ، فلتكن همتكم أن تحفظوا عقائد هذا المذهب الحق بحبات قلوبكم ، وإن رأيتم قلباً موالياً بذروا فيه شكاً ، أن تزيلوا شكه ، وإن رأيتموهم ألقوا شبهة ، أن تدفعوها.. عندئذ سيكون أجركم ما فوق الدراهم والدنانير! سيكون ما قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام: **من قوَّى مسكيناً في دينه ضعيفاً في معرفته ، على ناصب مخالف فأفحمه ، لقنه الله تعالى يوم يدلى في قبره أن يقول: الله ربي، ومحمد نبيي،**

وعلي وليي، والكعبة قبلتي، والقرآن بهجتي وعدتي، والمؤمنون إخواني، فيقول الله: أدليت بالحجة فوجبت لك أعالي درجات الجنة، فعند ذلك يتحول عليه قبره أنزه رياض الجنة. (الإحتجاج :١/١٠)

لقَّنه الله تعالى..كلمةٌ لايتصور أعلى منها ! فهي وعد أمير المؤمنين لكم ، إن أنتم قوَّيتم عقيدة ضعيف في معرفة دينه ، وثبَّتم قلبه على مذهب الحق ، أن أول أثر عملكم أن يكون ملقنَ أحدكم في قبره **الله تبارك وتعالى!** ثم يكون الأثر أن يتحول قبره الى روضة من رياض الجنة ، بل من أنزه رياضها !!

إنه أجرٌ أكبر من توقعنا ، بل هو أكبر من تصورنا ! فابذلوا همتكم في هذا السفر في نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام، وليكن همكم أن تشرحوا للناس القرآن والسنة فقط ، فلا تنحرفوا عن هذا الخط . واعلموا أن طريق التأثير في قلوب الناس محصور في القرآن وأحاديث النبي والعترة صلى الله عليه وآله، وأن الطرق الأخرى غلط! فلا تخلطوا الكلام البشري بالكلام الإلهي ، ولا تقيسوا الأرضي بالسماوي ، ولا الأوهام بالحقائق !

هذا هو طريق إرشاد الناس، وتبليغ الدين. فإن فعلتم فإن أفضل ماتحصلون عليه من أجرة أنكم ترجعون برضا صاحب الزمان أرواحنا فداه ، فهو يتحقق بذلك دون شك . إن الإمام المهدي أرواحنا فداه يركز نظره في عصرنا على عاشوراء ، فهي محط نظره وأمله، وهذا أمر قطعي لاشك فيه ولا قيد له ، وعنايته روحي فداه بهذا البلد مشروطة بوجود عاشوراء ، فإن تزلزل وجودها فإن كل ما يبقى لاقيمة له في نظره الشريف !

ο ο

أما لماذا كانت عاشوراء مركز الثقل في نظره، وما هو السر في ذلك؟ فجوابه: أن الوصول الى أعماق أفكار الإسلام في مذهب أهل البيت عليهم السلام ليس أمراً

سهلاً في متناول الأطفال .

السر..أن الحارث بن المغيرة النصري قال: قلت لأبي عبد الله: إني رجل كثير العلل والأمراض وماتركت دواء إلا تداويت به فماانتفعت بشئ منه! فقال لي: **أين أنت عن طين قبر الحسين بن علي ، فإن فيه شفاءً من كل داء ، وأمناً من كل خوف**.(أمالي الطوسي ص٣١٧) إنه كلام إمام نشرعلوم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام! **فإن فيه شفاءً من كل داء**..من الأمراض البدنية والعقلية والنفسية والروحية أيضاً ! فلفظ (**كل**) موضوع للدلالة على العموم، ومقام الإمام بالدرجة الأولى طب أمراض النفوس لا الأبدان: **فإن فيه شفاءً من كل داء**. فلو تفهمنا لانفتح باب علم من تربة كربلاء ! إن الإمام الحسين عليه السلام لم يعرف الى الآن! وإن تربة قبره إكسير يشفي داء أبداننا وداء أفكارنا وداء أرواحنا ، وكل داء جسمي أو روحي للبشر .

وأمناً من كل خوف.. أيٌّ خوف تؤمِّن منه تربة قبر الحسين عليه السلام؟ إنها أمان من الخوف الأكبر ، لمن وضعها في قبره وتفضل الله عليه بإكرامه إكراماً لهذه للإمام الحسين عليه السلام، كما أنها أمانٌ من خوف الظالم في الدنيا لمن اصطحبها معه ليرد ببركتها ظلم الظالم !

لكن الإمام الصادق قال إن لذلك آداباً ودعاء لايتسع وقتنا لشرحها، قال عليه السلام:(**فإذا أخذته فقل هذا الكلام: اللهم إني أسألك بحق هذه الطينة ، وبحق الملك الذي أخذها، وبحق النبي الذي قبضها، وبحق الوصي الذي حل فيها، صلي على محمد وأهل بيته، وافعل بي كذا وكذا. قال: ثم قال لي أبو عبد الله: أما الملك الذي قبضها فهو جبرئيل، وأراها النبي صلى الله عليه وآله، فقال: هذه تربة ابنك الحسين تقتله أمتك من بعدك ، والذي قبضها فهو محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما الوصي الذي حل فيها فهو الحسين والشهداء .**

قلت:قد عرفت جعلت فداك الشفاء من كل داء،فكيف الأمن من كل خوف؟ فقال: إذا خفت سلطاناً أو غير سلطان، فلاتخرجن من منزلك إلا ومعك من طين قبر الحسين فتقول:اللهم إني أخذته من قبر وليك وابن وليك، فاجعله لي أمناً وحرزاً لما أخاف وما لا أخاف، فإنه قد يرد ما لايخاف. قال الحارث بن المغيرة: فأخذت كما أمرني، وقلت ما قال لي فصح جسمي، وكان لي أماناً من كل ما خفت وما لم أخف كما قال أبو عبد الله، فما رأيت مع ذلك بحمد الله مكروهاً ولا محذوراً). (أمالي الطوسي ص٣١٧)

أما قول الإمام الصادق عليه السلام:**أما الملك الذي قبضها فهو جبرئيل، وأراها النبي..** فهو إشارة الى ذلك اليوم الذي جاء فيه جبرئيل الى النبي صلى الله عليه وآله وأخبره فيه عن الإمام الحسين والأئمة من بعده من ذريته عليهم السلام، قال الإمام الصادق عليه السلام:**(إن جبرئيل عليه السلام نزل على محمد وما ولد الحسين بعدُ فقال: يولد لك غلامٌ تقتله أمتك من بعدك! فقال: يا جبرئيل لاحاجة لي فيه ، فخاطبه ثلاثاً ، ثم دعا علياً فقال له: إن جبرئيل عليه السلام يخبرني عن الله تعالى أنه يولد لك غلام تقتله أمتك من بعدك، قلت لاحاجة لي فيه، فقال علي: لاحاجة لي فيه يا رسول الله، فخاطب علياً ثلاثاً ، ثم قال: إنه يكون فيه وفي ولده الإمامة والوراثة والخزانة . فأرسل إلى فاطمة: إن الله يبشرك بغلام تقتله أمتي من بعدي! قالت فاطمة: لاحاجة لي فيه، فخاطبها فيه ثلاثاً، ثم أرسل إليها: لابد من أن يكون وتكون فيه الإمامة والوراثة والخزانة. فقالت له: رضيت عن الله. فعلقت وحملت بالحسين فحملته ستة أشهر ثم وضعته، ولم يعش مولود قط لستة أشهر غير الحسين وعيسى بن مريم صلى الله عليهما فكفلته أم سلمة).**(الإمامة والتبصرة ص٥١)

إقرؤوا روايات كامل الزيارات لتروا الإهتمام بهذه التربة المقدسة ، حيث

ورد التعبير عنها بحفظها ، وفي بعضها بخزن النبي صلى الله عليه وآله لها ! فقد وصل هذا التراب الطاهر الى مستوى أن يقسم بها على الله تعالى، بعد القسم عليه بجبرئيل والنبي صلى الله عليه وآله! والروايات في فضلها كثيرة أعم من المعتبرة وغيرها ! **وفوق هذا**، لقد وصلت مكانة تربة الحسين عليه السلام الى أن السجود عليها ينور الى الأرض السابعة! فقدقال الصدوق رحمه الله:وقال عليه السلام:**السجود على طين قبر الحسين عليه السلام يُنوِّر إلى الأرض السابعة**.انتهى.(من لايحضره الفقيه:١/٢٦٨) **فما هذه الملحمة وما** تلك الأسرار التي جعلت أشعتها تصل الى الأرض السابعة ؟!

وفوق هذا ، والسر المحير للعقول أن السجود عليها يخرق الحجب السبعة!! يقول معاوية بن عمار رضي الله عنه:

(كان لأبي عبد الله عليه السلام خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله عليه السلام فكان إذا حضرته الصلاة صبه على سجادته وسجد عليه ثم قال: **إن السجود على تربة أبي عبد الله يخرق الحجب السبع**). (وسائل الشيعة:٣/ ٦٠٨)

كان لأبي عبد الله عليه السلام.. وكان هنا تفيد الإستمرار..

خريطة ديباج صفراء.. من أغلى القماش الذي كانت تحفظ فيه الجواهر واللئالي! فكان يحفظ فيه تربة أبي عبد الله الحسين عليه السلام! وكان يفتح هذا الكنز المقدس ، ويخرج ذلك التراب المبارك ليسجد لله عليه في صلاته !

ثم يقول للناس لا تتعجبوا من فعلي هذا: **إن السجود على تربة أبي عبد الله يخرق الحجب السبع** !

أنا عاجز عن شرح هذه الكلمة! وروايتها صحيحة ، فهي عن معاوية بن عمار رضي الله عنه ، وسند الشيخ اليه صحيح. فاعجب إن أردت العجب لأن يكون السجود على تربة الحسين عليه السلام يصل شعاعه المنير الى الأرض السابعة!

ويصعد من ناحية أخرى حتى يخرق الحجب السبع! فأي قدرة جعل الله في هذا التراب؟ ومن هو ذلك العظيم الذي وقع ظله على تراب كربلاء؟!

التراب الذي بلغ من قدرته أن الإمام الصادق عليه السلام، حجة الله في أرضه وولي الله المطلق، يستفيد منه في سجوده فيضع عليه جبهته ، ليخرق نوره وسجوده الحجب! إنه أمر يحتاج الى فقيه نبيه ليفهمه !

إقرؤوا روايات تكبير الإفتتاح، لتروا ما هو سر استحباب سبع تكبيرات؟ **(عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في الصلاة إلى جانبه الحسين بن علي، فكبر رسول الله فلم يُحِر الحسين التكبير ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله يكبر ويعالج الحسين التكبير فلم يحره ، حتى أكمل سبع تكبيرات ، فأحار الحسين التكبير في السابعة . فقال أبو عبد الله: وصارت سنة)** . (علل الشرائع:٢/٣٣١)

وصارت سنة..يعني نزل جبرئيل فأخبر النبي صلى الله عليه وآله أن تكبيرات الإفتتاح سبع تكبيرات بعدد الحجب السبعة ، وأن تكبيرات هذا الطفل المبارك صحيحة وقد خرقت الحجب السبعة ، وقد تركه الله تعالى يلثغ في الستة حتى ألهمه فنطق السابعة (الله أكبر) بدون لثغ الأطفال! فهل جاء من هنا تأثير تربة قبر الحسين عليه السلام؟

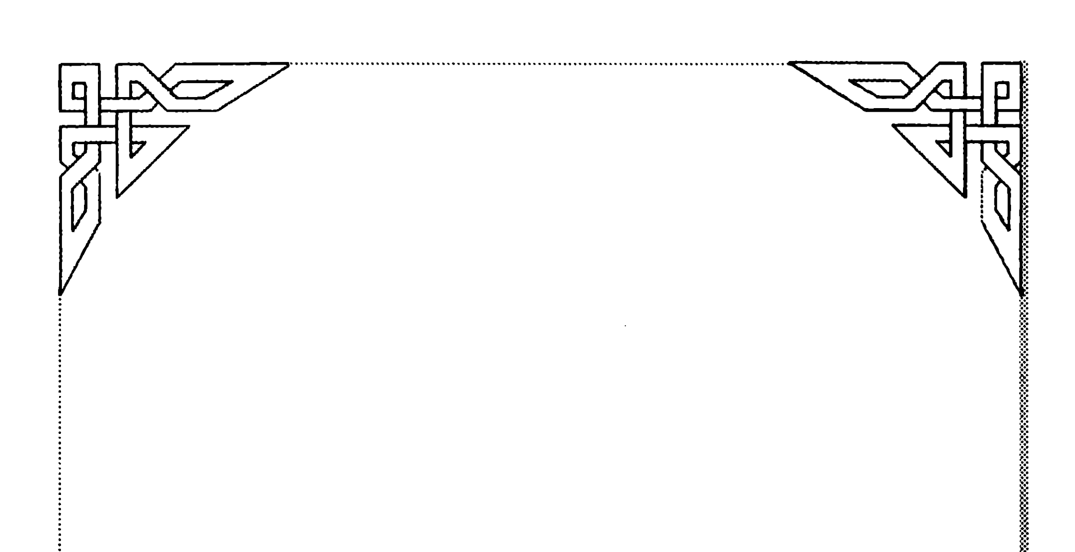
هذا هو الإمام الحسين عليه السلام وهكذا فاعرفوه ، وهكذا عرفوه الى الناس عسى أن يشملكم لطف ولده الإمام المهدي أرواحنا فداه .

والسلام عليه وعلى أولاده وأصحابه.

اللهم صل على وليك الحسين بن علي بن أبي طالب

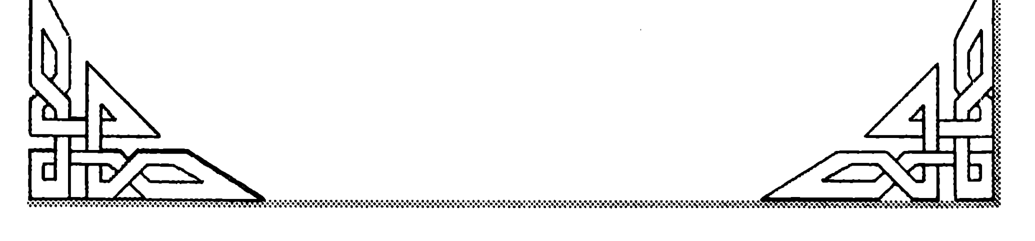
عدد ما في علمك ، صلاة دائمة بدوام ملكك وسلطانك.

○ ○



الفصل الخامس

في مقام الصديقة الكبرى الزهراء عليها السلام



وجوب الجهر بظلامة الزهراء عليها السلام

(بتاريخ: ٢٨جمادى الأولى ١٤١٢- ١٩٩١/١٢/٦ - ١٣٧٠/٩/١٥)

بســم الله الرحمن الرحيم

بما أن الأسبوع القادم تعطيل، ولا نستطيع إكمال هذا البحث قبل التعطيل ، فلننتقل اليوم من الفقه الأصغر الى الفقه الأكبر ، والبحث في هذا الفقه أصعب من ذاك ، فذاك بحثه سهل علينا لأنا مسلطون على مواضيعه ، أما هذا فمواضيعه مسلطة علينا ! لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله.

قال الله تعالى: **لايُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إلامَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً** (سورة النساء: ١٤٨) وهي آية عجيبة،لأن معناها أن الله تعالى**يحب** للمظلوم أن يصيح ويصرخ !!

والظلم له مراتب ودرجات ، عقلاً ونقلاً وحكمه واضح ، لكن المهم أن نعرف مدى الظلم الذي وقع على علي وفاطمة صلى الله عليهما، فإدراكه يحتاج الى دقة، وإن كانت معرفةحده وحقيقته غير ممكنة لنا، بل غاية مايمكننا أن نستكشف بالدليل العلمي مؤشرات على فداحته !

إن الشخص الوحيد في العالم الذي يحمل صفة **أصبر الصابرين** هو أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فقد ورد له هذا الوصف في زيارته عليه السلام، وفي خطبة الإمام زين العابدين في الشام وغيرها) (١)

فكيف صار أصبر الصابرين؟

يتضح ذلك من كلامه عليه السلام **فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى!** فهل رأيت شخصاً في العالم يصبر على شوكة في عينه ، أو عظمة في حلقومه؟! لقد صبر عليٌّ عليه السلام على أمور من هذا النوع ، وصبر على أمور هي: **أحدُّ من حزِّ الشِّفَار** ! فهل رأيت شخصاً يحزُّون لحمه بالشفار ويصبر؟! **(٢)**

إن المعصوم لايبالغ في كلامه !

نعم ، هذا الرجل الفريد ، الصابر الأول في العالم ، الذي لم تستطع خيبر أن تخضعه ، ولا استطاع الخندق أن يحني ظهره ، الذي أمضى ليلة المبيت على فراش النبي على هولها فلم يخف.. نراه في ليلة موت فاطمة عليها السلام منكسراً لاحيلة له ، يخاطب النبي صلى الله عليه وآله فيقول: **قلَّ يارسول الله عن صفيتك صبري !**

إنها شكوى لم يشكها الى أحد! فلم يكن عنده من يبث إليه ما لاقاه ، إلا الذي خاطبه بهذه الآهات! يقول بذلك: نعم ، أنا الذي **صبرت وفي العين قدى وفي الحلق شجى، وصبرت على أحدٍّ من حزِّ الشفار** لكني اليوم معذور إذا لم أصبر هنا ! لماذا ؟ قال: **بعين الله تدفن ابنتك سراً ! (٣)**

ماذا جرى حتى دفنت فاطمة الزهراء ليلاً ؟ ماذا حدث حتى وصلت الأمور بسرعة الى هذا الحد؟! إنها حوادث لايستطيع الإنسان المسلم أن يغمض عينيه عنها، إلا أن يكون في إسلامه خلل! وهل يمكن لإنسان أن يؤمن بنبوة النبي صلى الله عليه وآله، ثم يتساهل في مظلومية فاطمة الزهراء والصديقة الكبرى سيدة نساء العالم ، وحرمة الله ورسوله في أرضه عليها السلام، ويغمض عينيه عن جناياتهم

في حقها ، حتى أوصت بدفنها ليلاً حتى لايشهد الظالمون جنازتها !

إنها جنايةٌ يجب أن تكون محور البحث بين عوامنا وخواصنا، ترى ماذا كان ، وماذا جرى ، حتى وصل الأمر الى شهادتها ؟!!

اللهم اغفر لنا ، ولا تجعلنا شركاء في ظلم فاطمة الزهراء عليها السلام.

اللهم اغفر لنا حتى لانكون مسؤولين في مقابل ذلك الأنين ، وتلك الدموع ، وتلك الآهات التي عاشت بها فاطمة عليها السلام بعد فقد أبيها صلى الله عليه وآله.

○ ○

لنتأمل هذا اليوم في هذه الكلمة التي تبين تلك الظلامة الى حد ما ، فقد روى ابن حجر في لسان الميزان والذهبي في الميزان، عن أبي صالح المؤذن، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال:**أول شخص يدخل الجنة فاطمة بنت محمد .** كما رواه أعلام سنيون (٤)

فلنتأمل نحن في فقهه ولو بقدر شخص سني أزاح عن فكره حجاب التعصب ، وجعل العقل والكتاب والسنة دليله للوصول الى الحق.

إن الفرق بين عالم الدنيا والآخرة ، أن هذا العالم عالم غلبة الملك على الملكوت، وحسب التعابير الدقيقة لأعيان المتألهين والحكماء المتعمقين ، والفقهاء الراسخين ، فإن هذا العالم عالمُ غلبةِ الباطل على الحق ، وغلبةُ عالم الشهود على عالمِ الأمر ، وغلبة الغيب على الظهور . ولهذا نرى أن السِّيَر في هذه النشأة تابعةٌ للصور ، والصور حاكمةٌ على السُّوَر ! والسِّيَر هي المنويات **ولكل امرئ ما نوى** . فالإنسان إنسانٌ بعالمه الداخلي ومعانيه ، ومنها فهمه للمعاني . وقد صدق أهل البيت عليهم السلام حيث قالوا: **لا نعد الرجل منكم فقيهاً حتى يعرف معاني كلامنا.**

إن الظاهر من الإنسان هو صورته وشكله ، أما مضمونه ونواياه وباطنه فمن الممكن أن يكون ذئباً لكنه في ظاهره لايختلف عن الإنسان الحقيقي!**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** (سورة يس: ٨٣)

إن عالم الملكوت المظلوم في هذه النشأة ، يأخذ حقه في النشأة الأخرى ويكون حاكماً **يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** (سورة ابراهيم: ٤٨) ، فسوف ينتهي هذا الجور ، وسوف يظهر المكنون الى العلن ، ويبرز المكتوم الى الظاهر . **وبرزوا لله**.. كل شئ يبرز باطنه كما هو فيكون ظاهره وباطنه، وتنتهي حكومة الظواهر والأشكال والصور، وتحكم دولة الواقع والبواطن !!

إن آيات القرآن عجيبة في إبرازها للحقائق ، ورسمها للمستقبل ، ووصفها لوجوه الناس يوم القيامة على حسب سِيَرهم لاصُورهم:

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . (سورة آل عمران:١٠٦)

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ! أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ . (سورة الزمر:٦٠)

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً! أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . (سورة يونس:٢٧)

وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً. (سورة الاسراء:٩٧) **سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ** (سورة ابراهيم:٥٠)

أما وجوه المؤمنين فقال عنها عز وجل: **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ.** (سورة المطففين: ٢٤) **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ** . (سورة الغاشية: ٨) **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍمُسْفِرَةٌ.** (سورة عبس: ٣٨) **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ. تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ** (سورة القيامة: ٢١ – ٢٥)

إنه يوم بروز الحقائق والبواطن، فالذين أخلدوا الى الأرض واتبعوا أهواءهم لابد أن تظهر حقيقتهم ويحشروا على وجوههم الى النار .

أما الذي ناجى ربه فقال: **إلهي ما عبدتك طمعاً في جنتك، ولاخوفاً من نارك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك.** (نهج السعادة:٧/٨)، فلابد أن يُحشر مشرقَ الوجه، مرفوعَ الرأس، تعرف في وجهه نُضْرة النعيم، يجلله نور ربه ، ويتطلع الى رحمته وفيض عطائه: **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** .

في ذلك العالم لابد أن يموت الباطل لكي تظهر الأمور على واقعها ، وأن يحيا الحق ويبرز من مكامنه: **أشهد أن الموت حق والبعث حق !**

وبعد أن يتم حشر الناس وحسابهم ، وتعدّ جنة الخلود لأولياء الله وأحبائه.. فمن هو أول شخص يدخل الجنة ؟

لاشك أن درجة الأولية هي للشخص الأول في الوجود وهو نبينا محمدصلى الله عليه وآله فهو الأول في كل درجات وجوده، ومحال أن يعطي الله هذه الدرجة لغيره!

فكيف يصح قولهصلى الله عليه وآله: **أول شخص يدخل الجنة فاطمة بنت محمد؟**

يصح ذلك إذا تعمقنا في دراية الحديث ، ولم نكن كالرواة الذين يروون الحديث ولا يفقهونه ، لقد رووا أن النبيصلى الله عليه وآله قال: **نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها عني، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .** (سنن ابن ماجة :٨٦/١) !

إن فاطمة وأباها صلى الله عليهما جوهرٌ واحد، ونورٌ واحد، ودخولها الجنة يعني دخول النبي الجنة ! فهي كالشخص الأول في الوجود خلقاً وخلقاً ومنطقاً، وسيرةً وعلماً وعملاً! ألم يرووا عن عائشة أنها قالت: (فأقبلت فاطمة تمشي، لاوالله ما تخفى مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله فلما رآها رحب قال مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه) (البخاري:١٤١/٧) (٥)

ألم يرووا عنه صلى الله عليه وآله أنه قال:**فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني**!(البخاري:٢١٠/٤) فما المانع أن يعطي الله ورسوله هذا المقام لبضعة النبي المباركة ، ويكون افتتاح جنة الخلد بدخولها اليها ؟!

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق:٣٣٤/١٣ ،أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (**تحشر ابنتي فاطمة وعليها حلة الكرامة، قد عجنت بماء الحيوان، فينظر الخلائق إليها فيتعجبون منها، وتكسى أيضاً ألف حلة من حلل الجنة ، مكتوب على كل حلة منها بخط أخضر: أدخلوا ابنة نبيي الجنة على أحسن صورة وأحسن الكرامة ، وأحسن المنظر، فتزف كماتزف العروس وتتوج بتاج العز، ويكون معها سبعون ألف جارية**). ورواه الطبري في دلائل الإمامة ص١٥٥ ، والخوارزمي في مقتل الحسين: ٥٢/١ ، وغيرهم ، ورواه منا الصدوق في عيون أخبار الرضا :٣٠/٢ ـ ٣٨ .

فما هي حلة الكرامة ، وما معنى أنها معجونة بماء الحياة ؟! هذا بحث له مكانه ، ونكتفي هنا بالإشارة الى كلمات وردت في هذا الحديث :

أدخلوا ابنة نبيي الجنة على أحسن صورة.. ونظام العدل في الوجود يقضي أن لاتعطى أحسن صورة لإنسان إلا إذا كان عمله أحسن عمل لله تعالى، فلا بد أن يكون في الكمال العلمي أحسن العلماء ، وفي الكمال العملي أحسن المتخلقين بالفضائل، فإن دقة القانون الإلهي تقول: **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ.** (سورة الزلزلة: ٧- ٨)

في مثل ذلك اليوم العظيم، وذلك المشهد العظيم، لايمكن أن يكون الإنسان الذي يضع قدمه مكان قدم سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ويدخل أولاً الى الجنة إلا إنساناً فريداً ، فالأمور عند الله تعالى تخضع لحساب وكتاب !!

لا بد من التفكير في مثل هذه الحقائق التي رواها الجميع ، في أمثال هذه الأحاديث وذلك السلوك النبوي مع الصديقة الكبرى فاطمة عليها السلام فقد كان آخر من يودعه النبي صلى الله عليه وآله في المدينة فاطمة ، وأول من يزوره إذا رجع من سفره فاطمة! **(كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم يثني بفاطمة ثم يأتي أزواجه ، وفي لفظ: ثم بدأ ببيت فاطمة ، ثم أتى بيوت نسائه)** (فتح الباري:٨٩/٨ ، المعجم الكبير للطبراني:٢٢٥/٢٢)، وكان يشمها ويقبلها ويقول أشم منها رائحة الجنة **(فاطمة حوراء إنسية، فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة)**. (أمالي الصدوق ص٥٤٦)

إن هذا السلوك فضلاً عن أنه عاطفة أبوية، له دلالته النبوية على مقام الصديقة الزهراء عليها السلام ومقامها عند الله تعالى! فليس أمراً بسيطاً من سيد الخلق وأقربهم الى الله تعالى صلى الله عليه وآله، الذي يقبل سيد الملائكة جبرئيل غبار قدميه ، أن يقبل ابنته فاطمة ، ويشم منها رائحة الجنة !

وليس أمراً بسيطاً أن تكون أول شخص يدخل الجنة ، لا بمعنى أن النبي يرسلها أمامه الى الجنة ، بل لأن الله تعالى يريد أن يري أهل المحشر من الأولين والآخرين أني عندما أنزلت على عبدي محمد طه. **مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** فإن فاطمة التي هي بضعة من أبيها كانت شريكة في هذه السورة لأنها كانت شريكة لأبيها في عبادتي، ووقفت مثله في محرابها بين يديَّ حتى تورمت قدماها ! فقد روت مصادرهم كالسيوطي في **الدر المنثور: ٣٦١/٦** قال: (وأخرج العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن الدلال وابن

النجار عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل ، فلما نظر إليها قال: **يافاطمة تعجلي فتجرعي مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غداً! فأنزل الله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى.** (سورة الضحى: ٥) ، **وفي نهاية الإرب للنويري:٣ جزء٢٦٤/٥: (فلما نظر إليها بكى وقال: يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الأبد..الخ. وكذا في إحياء الغزالي:**٢٣٣/٤.

فرآها وعليها كساء من وبر الإبل.. رأى حالتها، رأى ابنته التي أمضت ليلها في محراب عبادتها ولم تكد تنم، وفي الصباح بدأت بعملها، وهذا لباسها ، فانكسر لها قلبه ودمعت عيناه! وانكسار قلب النبي صلى الله عليه وآله ليس أمراً عادياً ، وعندما يجري دمع النبي صلى الله عليه وآله فإن دمع باطن الوجود يجري ! فبكى رسول الله وقال لها: **إصبري على مرارة الدنيا** . ولا نعرف مما نقله السيوطي وغيره ماذا كانت القضية وماذا جرى؟ لكن نفهم أنها كانت ملحمة في الصبر والعبودية ، وأن النبي صلى الله عليه وآله انكسر قلبه لحال فاطمة وبكى، وأن الله تعالى أنزل عليه جبرئيل شاكراً واعداً ، بقوله تعالى: **(ولسوف يعطيك ربك فترضى) !!**

○ ○

إن ما يجب أن نقوله ونصرخ به، ونحن نواجه ظلماً لم تنصفه الدنيا ! أن بشراً ملائكياً من نوع فاطمة عليها السلام هذه معيشتها، يستحيل أن تقف في وجه أبي بكر من أجل لقمة خبز ، أو مزرعة نخل وزروع !

ألم يحن للدنيا أن تفكر وتعرف أن أبا بكر بن أبي قحافة كان أمياً في مسائل الدين، وأن المحدثين والنقاد اتفقوا على أنه كان جاهلاً بإرث الجدة هل ترث أم لا؟ فقال لا أدري ! الى هذه الحد كان علمه بأحكام الشرع ، وقد حاول الذهبي أن يجد له عذراً بأنه لم يكن يحفظ، وأنه أراد الدقة وأنه لذلك

منع الناس من جمع السنة النبوية وتدوينها! ولكنه عذر أقبح من ذنب!

أبو بكر الذي كان جاهلاً بإرث الجدة فسأل عنه وتعلمه لكن ممن ؟! من شخص متفق عليه أنه من أفجر الفجار ، هو المغيرة بن شعبة ! لقد اعتمد أبو بكر على كلامه ، وحكم للجدة بما قاله المغيرة !

لكن عندما جاءته سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام واعترضت عليه لماذا منعتني حقي من فدك ؟! ردها أبو بكر ولم يصدقها ! مع أنه سمع ابنته عائشة قالت: (**مارأيت أحد كان أصدق لهجة من فاطمة، إلا أن يكون الذي ولدها**)حلية الأولياء:٢ /٤٢ ، الإستيعاب:٢ /٧٥١ ، ذخاير العقبى ص٤٤ ، تقريب الأسانيد وشرحه:١٥٠/١، مجمع الزوايد:٢٠١/٩ ، وقال: رجاله رجال الصحيح) . (الغدير:٣١٢/٢)

أبو بكر يعرف من هي فاطمة ، وقد سمع شهادة ابنته عائشة بحق فاطمة فلم يصدقها ! لكنه صدق المغيرة الفاسق الفاجر في إرث الجدة !

إن الظلم الذي يحتاج الى صيحة، والذي يجب على علماء المسلمين أن يجهروا به ولايكتمونه أن مصادرهم وكبار مفسريهم رووا أنهم عندما نزل قوله تعالى:**فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.** (سورة الروم: ٣٨) ، دعا فاطمة فأعطاها فدكاً ، وبقيت في يدها حتى صادرها أبو بكر ! **(٦)**

لكن مطالبتها بفدك لم تكن من أجل فدك، فهذه حياتها التي رضيت بها ، واختارت عن علم وعمد أن تتجرع مرارتها من أجل حلاوة الآخرة ، وهي أيضاً تعلم أنها أسرع أهل البيت لحاقاً بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله!افأي قيمة لفدك؟!

إن غصة الصديقة الكبرى عليها السلام لم تكن من أجل خبزها وخبز أطفالها! فالتي قال الله عنها وعن أسرتها في كتابه: **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً** (سورة الانسان: ٨-٩) ،

والتي تصوم مع أطفالهاثلاثة أيام وتمنع اللقمة عن فمهم فيطعمونها للمسكين واليتيم والأسير.. لاتركض وراء مال الدنيا ! إنما يتصور ذلك خفاف العقول! وقد آن لهم أن يستيقظوا من نومهم ويفكروا ماذا جرى ، ويعرفوا أي تاريخ محمل بالعار حّرَفَ مسيرة الأمة الإسلامية وأوصلها الى هذه المهاوي التي نراها اليوم ؟!

إنما كانت مطالبة الزهراء عليها السلام بفدك إيقاظاً للأمة، لتثبت لهم أن هؤلاء الذين سيطروا على الحكم يأكلون الحق الواضح لبنت النبي صلى الله عليه وآله وينكرونه ، فماذا سيفعلون في حقوق الأمة غداً ؟!

كانت غصتها أن الذي يجلس مكان النبي صلى الله عليه وآله اليوم لايعرف مسألة إرث الجدة ، ويدعي أن الأنبياء عليهم السلام مستثنون من أحكام الشريعة !

وغداً سيجلس مكان النبي عمر بن الخطاب ، وهو لايعرف حكم التيمم ! وبعده سيجلس أمثال الوليد بن عبد الملك، ثم هارون والمأمون ! ثم يتقاتلون على كرسي النبي صلى الله عليه وآله ويسفكون دماء الأمة ، والأمة تسير بهم في الضلال والضعف والتفكك ، حتى تنهار !!

هذه غصة فاطمة عليها السلام، وليست مزرعة فدك ! غصتها أنهم بفعلهم وبأساسهم الذي أسسوه ، يبطلون الهدف من بعثة الأنبياء عليهم السلام!

٥ ٥

إن الذي صدع قلب الصديقة الزهراء عليها السلام وقتلها، أنها لم تستطع أن تشكو مرارتها وغصتها الى عامة الأمة ، وتجعلهم يستوعبون ما حدث ! لكنها قالت لأبي بكر وعمر في نفسيهما قولاً بليغاً ! وقالت لهما في آخر حياتها عندما جاءا لزيارتها ، ما رواه ابن قتيبة وروته مصادرنا كما في **البحار:١٥٨/٢٩** ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (بينما أبو بكر وعمر عند فاطمة يعودانها ، فقالت لهما:

أسألكما بالله الذي لاإله إلا هو هل سمعتما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **من آذى فاطمة فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله؟** فقالا: اللهم نعم . **قالت: فأشهد أنكما آذيتماني) !!**

وقد اعترف البخاري أنها بقيت ستة أشهر بعد النبي صلى الله عليه وآله، وهي مغاضبة لأبي بكر! قال: **(فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر)** (البخاري:٤/٤٢) ، وعندما حضرتها الوفاة أوصت الى علي فقالت: **(يا ابن عم ما أراني إلا لما بي، وأنا أوصيك أن تتزوج بنت أختي زينب تكون لولدي مثلي، وتتخذ لي نعشاً فإني رأيت الملائكة يصفونه لي. وأن لايشهد أحدٌ من أعداء الله جنازتي ولا دفني ولا الصلاة عليَّ !**

قال ابن عباس: فقبضت فاطمة من يومها ، فارتجَّت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله. فأقبل أبو بكر وعمر يعزيان علياً ويقولان له: يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله.... فلما كان في الليل دعا علي العباس والفضل والمقداد وسلمان وأبا ذر وعماراً فقدم العباس فصلى عليها ودفنوها. فلما أصبح الناس أقبل أبو بكر وعمر والناس يريدون الصلاة على فاطمة عليها السلام فقال المقداد: قد دفنا فاطمة البارحة . فالتفت عمر إلى أبي بكر فقال: ألم أقل لك إنهم سيفعلون؟ قال العباس: إنها أوصت أن لا تصليا عليها! فقال عمر: والله لاتتركون يا بني هاشم حسدكم القديم لنا أبداً ! إن هذه الضغائن التي في صدوركم لن تذهب والله لقد هممت أن أنبشها فأصلي عليها ! فقال علي: والله لو رمت ذلك يابن صهاك لارجعتْ إليك يمينك ! والله لئن سللت سيفي لا غمدته دون إزهاق نفسك، فرم ذلك.

فانكسر عمر وسكت وعلم أن علياً إذا حلف صدق.(كتاب سليم بن قيس ص٣٩٢). **(٧)**

ودفنوها في جوف الليل ! فما جواب هذه الأمة لمن سألها: لماذا دفنت بنت نبيهم سراً وليلاً وأخفي قبرها ؟ إنها ظلامة بعد ظلامة .

ولأي الأمور تدفن سراً بضعة المصطفى ويعفى ثراها
بنتُ مَنْ أمُّ مَنْ حليلةُ مَنْ ويلٌ لمن سنَّ ظلمَها وأذاها

○ ○

هوامش

(١) في البحار:١٣٨/٤٥: (عن الإمام زين العابدين عليه السلام: أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين ، أنا ابن صالح المؤمنين ، ووارث النبيين ، وقامع الملحدين ، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين ، وأفضل القائمين من آل ياسين).

○ **وفي نهج السعادة:٣٧٩/٨:** عن العاصمي في كتاب (زين الفتى) عن ابن عباس، في جواب أعرابي سأله عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: (لقد سألت يا أعرابي عن رجل عظيم يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله ، ذاك والله صالح المؤمنين ، وخير الوصيين، وقامع الملحدين، وركن المسلمين، ويعسوب المؤمنين، ونور المهاجرين، وزين المتعبدين، ورئيس البكائين ، وأصبر الصابرين ، وأفضل القائمين ، وسراج الماضين ، وأول السابقين ، من آل ياسين ، المؤيد بجبريل الأمين ، والمنصور بميكائيل المتين...). انتهى .

○ ○

(٢) في نهج البلاغة:٣٠/١: (ومن خطبة له وهي المعروفة بالشقشقية: أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى . ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير . فسدلت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتئي بين

أن أصول بيد جذاء ، أو أصبر على طخية عمياء ، يهرم فيها الكبير . ويشيب فيها الصغير . ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه! فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحلق شجا ، أرى تراثي نهبا).

○ **وفي نهج البلاغة:٢٠٢/٢:** (ومن كلام له عليه السلام: أللهم إني أستعديك على قريش ، فإنهم قد قطعوا رحمي ، وأكفأوا إنائي ، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري وقالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه ، فاصبر مغموماً أو مت متأسفاً ، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد ، إلا أهل بيتي ، فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذى ، وجرعت ريقي على الشجى ، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم، وآلم للقلب من حز الشفار!).

○ ○

(٣) في أمالي المفيدص٢٨١: عن علي بن الحسين بن علي ، عن أبيه الحسين عليه السلام قال: لما مرضت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وأوصت إلى علي صلوات الله عليه أن يكتم أمرها، ويخفي خبرها، ولا يؤذن أحداً بمرضها ، ففعل ذلك . وكان يمرضها بنفسه ، وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس رحمها الله ، على استسرار بذلك كما وصت به. فلما حضرتها الوفاة وصت أمير المؤمنين عليه السلام أن يتولى أمرها ، ويدفنها ليلاً ويعفي قبرها . فتولى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام ودفنها ، وعفى موضع قبرها ، فلما نفض يده من تراب القبر، هاج به الحزن ، فأرسل دموعه على خديه ، وحول وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: السلام عليك يا رسول الله مني ، والسلام عليك من ابنتك وحبيبتك ، وقرة عينك وزائرتك ، والبائتة في الثرى ببقعتك ، والمختار لها الله سرعة اللحاق بك . قلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ، وضعف عن سيدة النساء تجلدي ، إلا أن في التأسي لي بسنتك، والحزن الذي حل بي بفراقك موضع التعزي ، فلقد وسدتك في ملحود قبرك ، بعد أن فاضت نفسك على صدري ، وغمضتك بيدي ، وتوليت أمرك بنفسي . نعم وفي كتاب الله أنعم القبول: إنا لله وإنا إليه راجعون ، لقد استرجعت الوديعة ، وأخذت الرهينة ، واختلست الزهراء ، فما أقبح الخضراء والغبراء.

يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم . كَمَدٌ مُقيح ، وهَمٌّ مُهيج ، سرعان ما فرق بيننا ، وإلى الله أشكو . وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك علي ، وعلى هضمها حقها ، فاستخبرها الحال ، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلاً !وستقولُ ويحكم الله ، وهو خير الحاكمين .

سلام عليك يا رسول الله سلام مودع، لا سئم ولا قال، فإن أنصرف فلا عن ملالة ، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين، والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرك لزاماً ، واللبث عنده معكوفاً ، ولأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية !

فبعين الله تدفن ابنتك سراً ، وتهتضم حقها قهراً ، وتمنع إرثها جهراً ، ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر ! فإلى الله يا رسول الله المشتكى ، وفيك أجمل العزاء . وصلوات الله عليك وعليها ، ورحمة الله وبركاته).

○ ○

(٤) **في ميزان الاعتدال للذهبي:٦١٨/٢:** (عن عبدالسلام بن عجلان عن أبي يزيد المدني عن أبي هريرة ، قال رسول الله: أول شخص يدخل الجنة فاطمة . أخرجه أبو صالح المؤذن في مناقب فاطمة) . انتهى . وهو في لسان الميزان لابن حجر:٤ ص١٦ .

○ **وفي كنز العمال:١١٠/١٢:** (أول شخص يدخل الجنة فاطمة بنت محمد ، ومثلها في هذه الأمة مثل مريم في بني اسرائيل) . وقال في مصادره: (أبو الحسن أحمد بن ميمون، في كتاب فضائل علي ، والرافعي عن بدل بن المحبر ، عن عبد السلام ابن عجلان ، عن أبي يزيد المدني). انتهى.

○ **وفي مناقب آل أبي طالب:١١٠/٣** ، عن أبي صالح في الأربعين، عن أبي حامد الإسفرائيني ، بإسناده عن أبي هريرة .

○ **وفي البحار:٧٠/٧٣** ، من كتاب الفردوس لابن شيرويه عن أبي هريرة .

○ **وفي اللمعة البيضاء للأنصاري ص٥٥:** عن مقتل الحسين للخوارزمي: ٥٦ ، وعن الفردوس١: ٣٨ ح٨١ ، ونظم درر السمطين: ١٨٠، والخصائص الكبرى للسيوطي: ٢٢٥/٢، ومسند فاطمة الزهراء: ٥٢ ح ١١٤ ، ومناقب ابن شهرآشوب).

(٥) قالت عائشة: (ما رأيت أحد كان أصدق لهجة من فاطمة ، إلا أن يكون الذي ولدها). حلية الأولياء:٤٢/٢ ، الإستيعاب:٧٥١/٢ ، ذخاير العقبى ص٤٤ ، تقريب الأسانيد وشرحه:١٥٠/١، مجمع الزوايد:٢٠١/٩ ، وقال: رجاله رجال الصحيح). (الغدير:٣١٢/٢)

٥ ٥

(٦) نكتفي هنا بنقل كلام السيد شرف الدين رحمه الله ونقل كلام الحسكاني في شواهد التنزيل وحاشية المحمودي عليه ، فهو كلام كاف لإثبات أن فدكاً كانت في يد الزهراء عليها السلام وأن ابا بكر صادرها من يدها !

قال في النص والإجتهاد ص٦٧: ثم لماأنزل الله عز وجل عليه: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً (سورة الاسراء: ٢٦) **أنحل فاطمة فدكاً ، فكانت في يدها حتى انتزعت منها لبيت المال.** أئمةُ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم كافة، لايرتابون في أن رسول الله صلى الله عليه وآله أنحل بضعته الزهراء عليها السلام ما كان خالصاً له من فدك ، وأنه كان في يدها حتى انتزع منها ، وحسبك قول أمير المؤمنين عليه السلام فيما كتبه إلى عامله في البصرة عثمان بن حنيف: **بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم ، وسخت عنها نفوس قوم آخرين ، ونعم الحكم الله..** إلى آخر كلامه وهو في نهج البلاغة ، وفي معناه نصوص متواترة عن أئمة العترة الطاهرة .

والمحدثون الأثبات رووا بالإسناد إلى أبي سعيد الخدري أنه قال: **لما نزل قوله تعالى: وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ** (سورة الاسراء:٢٦) **أعطى رسول الله فاطمة فدكاً.** أخرجه الإمام الطبرسي في مجمع البيان فليراجع منه تفسير وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وهي الآية٢٦من سورة الإسراء. وتجد ثمة أن هذا الحديث مما ألزم المأمون برد فدك على ولد فاطمة عليها السلام) . انتهى.

٥ **وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني:٤٤١/١:** (٤٧٢ - أخبرنا أبو سعد السعدي بقراءتي عليه في الجامع من أصل سماعه قال: أخبرنا أبوالفضل الطوسي قال: أخبرنا أبو بكر العامري قال: أخبرنا هارون بن عيسى قال: أخبرنا بكار بن محمد بن شعبة ، قال: حدثني أبي قال: حدثني بكر بن الأعتق عن عطية العوفي: عن أبي سعيد الخدري قال: **لما نزلت على رسول الله: وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ.** (سورة الاسراء: ٢٦) ، **دعا فاطمة فأعطاها فدكاً**

والعوالي وقال: هذا قسم ، قسمه الله لك ولعقبك).

○ **وقال المحمودي في هامشه:** كذا في النسخة الكرمانية ، وفي النسخة اليمنية: بكر بن الأغر . أقول: والظاهر أنه هو الذي ذكره ابن حجر مصغراً في كتاب تهذيب التهذيب: ٤٩٣/١ قال: بكير بن عتيق العامري، ويقال: المحاربي يعد في الكوفيين. روى عن سالم بن عبدالله بن عمر، وسعيدبن جبير.روى عنه صفوان بن أبي الصهباء والثوري وإسماعيل بن زكريا وابن فضيل . قال ابن سعد: حج ستين حجة وكان ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات. والحديث رواه أيضاً أبوأحمد ابن عدي في ترجمة علي بن عابس من كتاب الكامل:١٨٣٥/٥،قال: أخبرناالقاسم بن زكريا، حدثنا عباد بن يعقوب،حدثنا علي بن عابس عن فضيل يعني ابن مرزوق: عن عطية عن أبي سعيد قال: **لما نزلت: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فأعطاها فدكاً**. ورواه أيضا الخوارزمي في باب فضائل فاطمة في الفصل: من كتاب مقتل الإمام الحسين:٧٠/١ قال: قال سيد الحفاظ الديلمي:أخبرنا محي السنة:أبوالفتح عبدوس بن عبدالله الهمداني إجازة، حدثنا القاضي أبو نصر شعيب بن علي، حدثنا موسى بن سعيد، حدثنا الوليد بن علي، حدثنا عباد بن يعقوب، حدثنا علي [بن] عياش عن فضيل، عن عطية: عن أبي سعيد قال: **لمانزلت آية: (وَآتِ ذَاالْقُرْبَى حَقَّهُ) دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فأعطاها فدكاً**. أقول: ورواه أيضاً السيدابن طاووس في الطرائف:٢٥٤/١ و٣٤١ . انتهى.

○ **وفي شواهد التنزيل:٤٤٢/١:** (٤٧٣- حدثني أبو الحسن الفارسي قال: حدثنا الحسين بن محمد الماسرجسي قال: حدثنا جعفر بن سهل ببغداد، قال: حدثنا المنذر بن محمد القابوسي قال:حدثنا أبي قال:حدثنا عمي عن أبيه، عن أبان بن تغلب:عن جعفر بن محمد عن أبيه ، عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي قال: **لما نزلت: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) دعا رسول الله فاطمة عليها السلام فأعطاها فدكاً .**

○ **وقال في هامشه:** والحديث رواه السيوطي في تفسير الآية الكريمة من الدر المنثور: أيضاً ؛ قال: وأخرج البزار، وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال: **لما نزلت هذه الآية: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ)دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة**

سلام الله عليها فأعطاها فدكاً. ورواه أيضا الطبراني كما في مجمع الزوائد:٤٩/٧ وكما في ميزان الاعتدال:٢٢٨/٢، ورواه عنهم جميعاً الفيروز آبادي في كتاب فضائل الخمسة:١٣٦/٣. وروى المتقي في الحديث الأخير، من عنوان:صلة الرحم والترغيب فيها، من كتاب منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد بن حنبل:٢٢٨/١: عن أبي سعيد قال: **لما نزلت:** ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾ قال النبيصلى الله عليه وآله: **يا فاطمة لك فدك .** [قال: رواه] الحاكم في تاريخه وقال: تفرد به إبراهيم بن محمد بن ميمون، عن علي بن عابس بن النجار. كذا في المنتخب، وفي كنز العمال:١٥٨/٢، ط١: أخرجه الحاكم في تاريخه وابن النجار ولعله الصواب .

٤٧٣- ورواه أيضاً محمد بن سليمان في الحديث: (٩١) في أواخر الجزء الأول من مناقب عليعليه السلامالورق ٣٥ بنص قال: حدثنا عثمان بن محمد الألثغ: قال: حدثنا جعفر بن محمد الرماني قال: حدثنا الحسن بن الحسين العرني عن إسماعيل بن زياد السلمي: عن جعفر بن محمد قال: **لما نزلت:** ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾**أمر رسول الله**صلى الله عليه وآله**لفاطمة وابنيها بفدك فقالوا: يا رسول الله أمرت لهم بفدك ؟ فقال: والله ما أنا أمرت لهم بها ولكن الله أمر لهم بها، ثم تلا هذه الآية:** ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾ . ورواه أيضاً في فضائل فاطمة في أوائل الجزء السادس تحت الرقم: ٦٧٤ من كتاب المناقب ورقة١٥١/أ قال: حدثنا عثمان بن محمد الألثغ قال: حدثنا جعفر بن مسلم قال: حدثنا يحي بن الحسن قال: حدثنا أبان بن أبان بن تغلب عن أبي مريم الانصاري عن أبان بن تغلب: عن جعفر بن محمد قال: **لما نزلت هذه الآية:** ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾ **دعا رسول الله**صلى الله عليه وآله**فاطمة**عليها السلام**فأعطاها فدك.** قال أبان بن تغلب: قلت لجعفر بن محمد: رسول الله أعطاها ؟ قال: بل الله أعطاها. وقال الطبري في تفسير الآية الكريمة من تفسيره:٧٢/١٥: حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال: حدثنا إسماعيل بن أبان ، قال: حدثنا الصباح بن يحيى المزني ، عن السدي، عن أبي الديلم قال: قال علي بن الحسينصلى الله عليه وآلهلرجل من أهل الشام: **أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: أفما قرأت في بني إسرائيل**﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾ **. قال: وإنكم للقرابة التي أمر الله جل ثناؤه أن يؤتى حقه ؟ قال: نعم .**

وقريباً منه رواه في تفسير الآية الكريمة من مجمع البيان ، عن السدي ثم قال: وهو الذي رواه أصحابنا عن الصادقين عليهما السلام. ورواه أيضاً الثعلبي كما في تفسير الآية الكريمة من تفسير البرهان:٤١٥/٢ . وورد أيضاً عن ابن عباس ، قال السيوطي في تفسير الآية الكريمة من تفسير الدر المنثور: وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: **لما نزلت: (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة سلام الله عليها فدكاً .**

أقول: ويجيء حديث ابن عباس بسند آخر تحت الرقم ٦٠٨ ، في تفسير الآية ٣٨ من سورة الروم ص٤٤٣. وقال علي بن طاووس رحمه الله: وقد روى محمد بن العباس المعروف بابن الحجام حديث فدك عن عشرين طريقاً ، ونذكر منها طريقاً واحداً بلفظه [قال]: حدثنا محمد بن محمد بن سليمان الباغندي وإبراهيم بن خلف الدوري وعبد الله بن سليمان بن الأشعث ومحمد بن القاسم بن زكريا، قالوا:حدثنا عباد بن يعقوب قال: أخبرنا علي بن عابس وحدثنا جعفر بن محمد الحسيني قال: حدثنا علي بن المنذر الطريقي قال: حدثنا علي بن عابس قال: حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي: عن أبي سعيد الخدري قال: **لما نزلت:(وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) دعا رسول الله فاطمة وأعطاها فدكاً.** سعد السعود ص١٠٢، وذكر بمعناه في الطرائف ص٢٥٤: وروى البلاذري في عنوان: فتح فدك ، من كتاب فتوح البلدان ص٤٠ قال: وحدثنا عبد الله بن ميمون المكتب قال: أخبرنا الفضيل بن عياض عن مالك بن جعونة عن أبيه قال: **قالت فاطمة لأبي بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله جعل فدك لي فأعطني إياها وشهد لها علي بن أبي طالب فسألها شاهداً آخر فشهدت لها أم أيمن، فقال: قد علمت يا بنت رسول الله أنه لا تجوز إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين فانصرفت !**

وحدثني عمرو الناقد قال: حدثني الحجاج بن أبي منيع الرصافي عن أبيه عن أبي برقان قال: ولما كانت سنة عشر وماءتين أمر أمير المؤمنين المأمون عبد الله بن هارون الرشيد فدفعها إلى ولد فاطمة، وكتب بذلك إلى قثم بن جعفر عامله على المدينة:

أما بعد فإن أمير المؤمنين بمكانه من دين الله وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وللقرابة به أولى من استنَّ سنة ونفذ أمره، وسلم لمن منحه منحة وتصدق عليه بصدقة منحته وصدقته، وبالله توفيق أمير المؤمنين وعصمته ، وإليه في العمل بما يقربه إليه رغبته .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى فاطمة بنت رسول الله فدك وتصدق بها عليها، وكان ذلك أمراً ظاهراً معروفاً لا خلاف فيه بين آل رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم تزل تدعي منه ما هو أولى به من صدق عليه، فرأى أمير المؤمنين أن يردها إلى ورثتها ويسلمها إليهم تقرباً إلى الله تعالى بإقامة حقها وعدله، وإلى رسول الله بتنفيذ أمره وصدقته. فأمر بإثبات ذلك في دواوينه والكتاب به إلى عماله: فلان كان ينادى في كل موسم بعد أن قبض الله نبيه (ص) أن يذكر كل من كانت له صدقة أو وهبة أو عدة ذلك؟ فيقبل قوله وينفذ عدته أن فاطمة رضي الله عنها لأولى بأن يصدق قولها فيما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله لها.

وقد كتب أمير المؤمنين إلى المبارك الطبري مولى أمير المؤمنين يأمره برد فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله بحدودها وجميع حقوقها المنسوبة إليها وما فيها من الرقيق والغلات وغير ذلك، وتسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، لتولية أمير المؤمنين إياهما القيام بها لأهلها ، فأعلمَ ذلك من رأي أمير المؤمنين وما ألهمه الله من طاعته ، ووفقه له من التقرب إليه وإلى رسوله ، وأعلمه من قبلك وعامل محمد بن يحيى ومحمد بن عبد الله بما كنت تعامل به المبارك الطبري وأعنهما على ما فيه عمارتها ومصلحتها ، ووفور غلاتها إن شاء الله والسلامْ . وكتب يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذي القعدة سنة عشر وماءتين .

فلما استخلف المتوكل أمر بردها إلى ما كانت عليه قبل المأمون !

وهذا قليل من كثير مماجاء في قصة فدك مع شدةحرص حفاظ آل أمية وأنصار الظالمين على سترها ، وإبادة الكتب المؤلفة حولها، فمن أراد المزيد فعليه بكتاب الشافي للسيد المرتضى وشرح المختار من الباب الثاني من نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد:ج٤ ص٨٣٤ ط.بيروت والباب١١من القسم الاول من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب بحار الأنوار:٨ /٩١- ١٣١ ، ط. الكمباني، وكتاب الغدير:٧ /١٩٠، و:٨ /١٣٧). انتهى.

○ ○

(٧) في كتاب سليم بن قيس ص٣٩١: (فدخلا وسلما وقالا: إرضيْ عنا رضي الله عنك. فقالت: ما دعاكما إلى هذا ؟ فقالا: اعترفنا بالإساءة، ورجونا أن تعفي عنا وتخرجي

سخيمتك. فقالت: فإن كنتما صادقين فأخبراني عما أسألكما عنه فإني لا أسألكما عن أمر إلا وأنا عارفة بأنكما تعلمانه، فإن صدقتما علمت أنكما صادقان في مجيئكما. قالا: سلي عما بدا لك. قالت: نشدتكما بالله هل سمعتما رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: **فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني؟** قالا: نعم. فرفعت يدها إلى السماء فقالت: **اللهم إنهما قد آذياني فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك. لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبي رسول الله وأخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما!** قال: فعند ذلك دعا أبو بكر بالويل والثبور وجزع جزعاً شديداً. فقال عمر: تجزع يا خليفة رسول الله من قول امرأة؟!).انتهى.

وفي رواية علل الشرائع:١٨٧/١: (قالا نعم. قالت: الحمد لله، ثم قالت:اللهم إني أشهدك فاشهدوا يامن حضرني أنهما قد آذياني في حياتي وعند موتي! والله لاأكلمكما من رأسي كلمة حتى ألقى ربي فأشكوكما بماصنعتما بي وارتكبتما مني! فدعا أبوبكر بالويل والثبور وقال: ليت أمي لم تلدني! فقال عمر: عجباً للناس كيف ولوك أمورهم، وأنت شيخ قد خرفت! تجزع لغضب امرأة ، وتفرح برضاها ، وما لمن أغضب إمرأة ؟! وقاما وخرجا) .

وفي الغدير:٢٢٨/٧، عن الإمامة والسياسة:١٤/١، وأعلام النساء للجاحظ:١٢١٤/٣: (قالت: فإني أشهد الله وملائكته إنكما أسخطتماني وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه . فقال أبو بكر . أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة ! ثم انتحب أبو بكر يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق و هي تقول: والله لأدعون عليك في كل صلاة أصليها . ثم خرج باكياً فاجتمع الناس إليه فقال لهم: يبيت كل رجل معانقا حليلته مسرورا بأهله وتركتموني وما أنا فيه ، لا حاجة لي في بيعتكم ، أقيلوني بيعتي ...). انتهى.
وهو في الإمامة والسياسة طبعة مصر تحقيق الزيني ج١ص٣١.

وفي رواية روضة الواعظين للنيسابوري ص١٥١: (فقالت يا بن عم إنه قد نعيت إلى نفسي لأرى ما بي لا أشك ، إلا أننى لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة وأنا أوصيك بأشياء في قلبي. قال لها علي: أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله . فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت ، ثم قالت يا بن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني ! فقال: معاذ الله أنت أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم ، وأشد خوفاً من الله أن

أوبخك غداً بمخالفتي، فقد عز علي بمفارقتك وبفقدك ، إلا أنه أمر لابد منه . والله جدد على مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها ، هذه والله مصيبة لا عزاء عنها ورزية لاخلف لها! ثم بكيا جميعاً ساعة، وأخذ على رأسها وضمها إلى صدره، ثم قال أوصيني بما شئت، فإنك تجديني وفياً أمضي كل ما أمرتني به وأختار أمرك على أمري ، ثم قالت: جزاك الله عنى خير الجزاء، يا بن عم أوصيك أولاً أن تتزوج بعدي بابنة أختي أمامة فإنها تكون لولدي مثلي، فإن الرجال لابد لهم من النساء ، ثم قالت أوصيك يابن عم أن تتخذ لي نعشاً فقد رأيت الملائكة صوروا صورته ، فقال لها: صفيه لي فوصفته فاتخذه لها ، فأول نعش عمل في وجه الأرض ذلك ، وما رأى أحد قبله ولا عمل أحد .

ثم قالت: **أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني ، وأخذوا حقي، فإنهم أعدائي وأعداء رسول الله، وان لايصلي علي أحد منهم ولامن أتباعهم . وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار !** ثم توفيت صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها ، فصاحت أهل المدينة صيحة واحدة واجتمعت نساء بني هاشم في دارها ، فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة أن تزعزع من صراخهن وهن يقلن: يا سيدتاه يا بنت رسول الله !

وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى علي وهو جالس، والحسن والحسين بين يديه يبكيان فبكى الناس لبكائهما ، وخرجت أم كلثوم وعليها برقعة وتجر ذيلها متجللة برداء عليها تسحبها ، وهي تقول: يا أبتاه يا رسول الله ، الآن حقاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده ، واجتمع الناس فجلسواوهم يرجون وينظرون أن تخرج الجنازة فيصلون عليها. وخرج أبوذر فقال: إنصرفوا فإن ابنة رسول الله قد أخر إخراجها في هذه العشية، فقام الناس وانصرفوا، فلما أن هدأت العيون، ومضى من الليل ، أخرجها علي والحسن والحسين، وعمار ، والمقداد، وعقيل ، والزبير وأبو ذر، وسلمان ، وبريدة، ونفر من بني هاشم وخواصه ، صلوا عليها ، ودفنوها في جوف الليل وسوى على حواليها قبوراً مزورة مقدار سبعة حتى لا يعرف قبرها) . انتهى.

٥ ٥

عصمة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام

(بتاريخ: ٩ جمادى الأولى ١٤١١- ١٩٩٠/١١/٢٨ - ١٣٦٩/٩/٧)

بســم الله الرحمن الرحيم

وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ . (سورة التوبة:١٢٢)

عرف صاحب المعالم رحمه الله الفقه بأنه: **العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية**،لكن هذا التعريف لايتم، لأن القرآن والسنة القطعية لم يحصرا الفقه في هذا النطاق، وهذا بحث مهم ينفع تحقيقه في مباحث الإجتهاد والتقليد بشكل خاص ، وفي بحث ولاية الفقيه ، وفي بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي بحث وجوب تعليم الجاهل وإرشاده ، وبحث حجية الخبر ، وحجية الفتوى .

أما في الآية فإن **(لولا)** للتحضيض على التفقه في الدين، وليس على التفقه فقط في أحكام الطهارة ، فالطهارة جزء صغير من الدين، وليست هي الدين ، وبعض الشئ ليس هو الشئ! والفقه المعروف بالأقسام الأربعة: الإيقاعات ، والعقود، والأحكام ، والعبادات، كله قسم صغير من الفقه ، بل الفقه أوسع منه بكثير! فالفقيه في رأي الإمام الصادق عليه السلام ليس هو فقط الذي تعلم علم أصول

الفقه وعرف مبانيه ، من أول مبحث وضع الألفاظ الى آخر مبحث التعادل والتراجيح، وتعلم علم الفقه من أول بحث طهارة الماء المطلق الى آخر أحكام العاقلة . فقوله تعالى: **لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ.** يدل على أن الإنذار يجب أن يكون بكل الدين، وأن يكون الفقيه فقيهاً بكل الدين وهذه الحقيقة يجب أن تكون واضحة لكم أنتم الذين تسيرون في طريق الفقاهة، فالفقيه الذي يكتفي بصفة نصف فقيه، كمن يترك بناءه على النصف، لايمكنه أن يحل المشكلة الدينية للناس !

الفقهاء الذين عينتهم الآية الكريمة: **فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ،** لحل المشكلة ، هم طائفة منتخبة من كل فرقة ، وهم ثمرات الناس الذين لهم صلاحية أن يتفقهوا ، ثم ينذروا !

لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ.. أي دين؟ إنه ذلك الدين الذي وصى به **إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاتَمُوتُنَّ إِلاوَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** (سورة البقرة:١٣٢) والذي قال عنه الله تعالى:**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلامِنْ بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** (سورة آل عمران: ١٩)،فالتفقه المطلوب هوالتفقه في الإسلام، وصاحبه هو الفقيه المطلوب في الآية الكريمة ، وذلك الفقيه هو الإكسير الأعظم.

عندنا مثلاً في الأحكام الفقهية:**ملعون من أخر الصلاة حتى تشتبك النجوم ،** وعندنا: **ملعون من أحب الرئاسة،** فلماذا نعتبر النص الأول حكماً فقهياً ولا نعتبر الثاني حكماً فقهياً؟! فكما نبحث في معنى لعن من أخر الصلاة حتى تشتبك النجوم ، وأنه هل يدل على الحرمة أو الكراهة ، وما هو الموضوع فيه وما هو المحمول، يجب أن نبحث ما يدل عليه لعن من أحب الرئاسة ، وما

هو حب الرئاسة، وهل اللعن فيه تمحيضي أو تحريمي؟! إنها مسألة مهمة ، وأغلبكم والحمد لله في مستوى علمي كالثمر عند بدو صلاحه .

وعندنا مثلاً وجوب التولي والتبري، فالواجب علينا أن نتبرأ من كل من أغضب ولي الله وحجتهعليه السلام، فهل هذا فقه أو ليس فقهاً؟ وهل أن التولي والتبري واجب أو مستحب؟ وإن كان واجباً ، فما هو موضوعه وما محموله؟ وما هي النسبة بين هذين الفرضين، هل يمكن أن ينقص أحدهما عن الآخر ، أم يجب أن يساوق التبري التولي في كل مستوى تم عليه الدليل برهاناً وعقلاً كتاباً وسنة ؟! وما دامت هذه من مسائل الدين ، فلا بد لنا أن نتفقه فيها ، لأنها مشمولة للمأمور به في الآية: **لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّين**، ومشمولة بوجوب الإنذار بعد التفقه: **وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ**.

○ ○

إن مقام الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء صلوات الله عليها مقامٌ عظيمٌ ، وحقها في أعناق المسلمين حقٌ كبير ، ونحن مع الأسف لم نعمل لبيان حقها كما يجب! إني أخاف أن تشكل محكمة لمحاكمتنا في الدنيا يكون القاضي فيها صاحب الزمان أرواحنا فداه. أو في الآخرة يكون القاضي فيها الله تعالى ، وأن نسأل هل عملنا لإحقاق فاطمة الزهراءعليها السلامبمقدار اعتراف فقيه سني؟ أخشى أن نكون عاجزين عن الجواب !

ولننظر الى مارواه البخاري وما أثبته من حقهاعليها السلامولو عن غير عمد! فالبخاري مقبول عند أشد المتعصبين منهم، وأشد نقاد حديثهم ! وقد روى عن أبي الوليد عن ابن عيينة، عن عمرو بن دينار ، عن ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة، أن رسول اللهصلى الله عليه وآلهقال: **(فاطمة بضعة مني، من أغضبها فقد**

أغضبني). نوجه كلامنا حول هذا الحديث الى الفقيه السني وليس الى السفيه! فماذا تقضي فقاهته في سند هذا الحديث ، ودلالته ؟

أما سنده فهو عندهم في الدرجة العليا حيث رواه البخاري الذي (يحتاط) في الرواية عن الإمام جعفر الصادقعليه السلام! وقد صحح هذا الحديث الذهبي الذي يعتبرونه أنقد نقادهم للحديث، وصحح حديث: (**إن الرب يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضب فاطمة**) فالحديث عندهم في حد مقطوع الصدور عن النبيصلى الله عليه وآله،(١) ونحن أردنا حديث البخاري مفسراً ومؤيداً لحديث الذهبي، فعلى ماذا يدل هذا الحديث؟ فمن أين ينشأ الرضا والغضب في أنواع الناس؟

تقوم حياة النبات علىقوتين ، قوة جذب الملائم ، وقوة دفع المنافر . وتظهر هاتان القوتان في حياة الحيوان بصورة قوة رضا وقوة غضب ، وتستمدان وجودهما من الطبع والغريزة .

وأما في حياة الإنسان، ولانقصد بها حياتنا نحن، فليس مجلسنا هذا مجلس مجاملات، فإن معنى حياة الإنسان أن يصل أحدنا الى درجة الإنسان الذي دعامة وجوده العقل: **دعامة الإنسان العقل**.(٢) حينئذ يكون العقل منشأ كل رضاه وغضبه ، أما قبل ذلك فمنشؤهما الطبع والغريزة !

هل وصلت أنا الى مرحلة الإنسان الذي ينشأ رضاه وغضبه من عقله؟ أقول: كلا ، أبداً، وكل عاقل لابد أن يعرف في أول درجات تعقله أنه لم يبلغ درجة الإنسان العاقل ، وهذا الإعتراف أمر مهم !

نحن الى الآن لم نلتفت الى محك إنسانيتنا وميزانها ماهو ؟ فنحن نرضى ونغضب لذواتنا ومكانتنا الإجتماعية، ولا أقول إن رضانا وغضبنا لحاجاتنا البدنية! فلينظر أحدنا الى نفسه عندما يتركه شخص كان يثق به ويعتقد به ،

هل ينقبض ويحزن؟ فهو إذن ذئب، ولم يصر إنساناً ! إن عمامة أحدنا لاتمنع أن يكون ما تحتها ذئب! فلن يصير أحدنا إنساناً إلا إذا صار منشأ غضبه ورضاه العقل ، وليس الغريزة !

وإذا رأينا في حياتنا أن رضانا أو غضبنا نشأ ذات مرة من العقل ، فقد صار أحدنا ذات مرة إنساناً ! فإن عدنا الى الرضا والغضب للبطن أو الفرج ، فنحن من تلك الحيوانات، غاية الأمر أننا على شكل الناس !

أما الإنسان العقلاني فهو الذي يرضى دائماً لرضا العقل، ويغضب لغضب العقل! فإن كنت تعرف شخصاً على وجه الكرة الأرضية بلغ في شخصيته هذه الدرجة فدلني عليه حتى أذهب اليه وأقبل يده ، بل أقبل غبار قدميه !

وإن فوق هذه المرتبة مقاماً يمكن أن يبلغه الإنسان، حيث تصير إرادته فانية في إرادة الله تعالى، فلايكون له مع إرادة ربه إرادة! وهي درجة تجعله في كل أموره (**يرضى لرضا الله ويغضب لغضب ربه**)! يعني لو قتلوا ابنه فهو يغضب لغضب الرب وليس لنفسه، ولو أحيوا ابنه فهو يرضى لرضا الرب، وليس لنفسه ! إن تصور هذا المستوى أمر صعب ، فكيف بتحققه ؟!

وهذا هو مقام عصمة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، عصمة ذلك المخلوق الذي لا نظير لوجوده في جميع المخلوقات، الذي ذاب حبه وبغضه وفني في حب الله وبغضه! فلا يحب إلا ما يحبه الله ، ولا يبغض إلا ما يبغضه الله تعالى !

وهذا هو البشر الذي وصل الى درجة: **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**.(سورة النجم:٣-٤)وهذه المرحلةوالدرجةهي التي يعبر عنها بالعصمة الخاتمية وهي غير العصمة الإبراهيمية ، والعصمة الإبراهيمية غير العصمة اليونسية .

إن عصمة يونس عليه السلام عصمة ، لكن فيها:**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ**

نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاإِلَهَ إِلاأَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالمِينَ. (سورة الأنبياء:٨٧) ، إنه نبي معصوم ولكن في حياته نقاطاً يحتاج أن يصل منها الى درجة:**سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالمِين**.وقبل بطن الحوت لم يصل اليها !

ونبي الله يوسف نبي معصوم ، وبرهان ربه الذي رآه هو عصمته: **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ.** (سورة يوسف: ٢٤) ، لكنها عصمة بمستوى:**وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِين.** (سورة يوسف:٤٢) ، أما التسليم المطلق لحب الله وبغضه ورضاه وغضبه ، فهو مقام خاص بأفضل الخلق وخاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وآله، ففي هذا المقام نستطيع أن نقول إنه يرضى لرضا الله ويغضب لغضبه مطلقاً ، وأن الله تعالى يرى لرضاه ويغضب لغضبه !

فهل فهم البخاري والذهبي ما روياه عن خير الخلق وصححاه: **إن الرب يرضا لرضا فاطمة ويغضب لغضب فاطمة**؟! وهل فهما أن النبي صلى الله عليه وآله لو قال: إن فاطمة ترضى لرضا الرب وتغضب لغضبه، فقط ، لدل ذلك على أن رضاها وغضبها منشؤه من الله تعالى فقط، وليس من نفسها ولا من عالم الخلق ، وكان معناه درجة العصمة الكبرى التي لرسول الله صلى الله عليه وآله؟!

فما معنى قوله صلى الله عليه وآله بعد هذا المقام:**إن الرب يرضى لرضى فاطمة ويغضب لغضب فاطمة**؟ ما معنى الصعود الى درجة أعلى تكون لام الرضا من جهة فاطمة عليها السلام؟! هنا يفهم الكلام من يعرف فاطمة عليها السلام ما هي؟

والذي يعرف فاطمة من هي هو الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي يقول: **إنما سميت فاطمة فاطمة، لأن الناس فطموا عن معرفتها.** (تفسير فرات ص٥٨١ ، البحار:٤٣/٦٥)

فثبت بالدليل أننا مفطومون عن معرفتها، لأننا عاجزون عن معرفة تلك

الدرجة الأعلى التي تجعل الله تعالى يرضى لرضاها ويغضب لغضبها!! عاجزون عن معرفة هذه المخلوقة الربانية ، والحوراء الإنسية ، ما هي ، وفي أي أفق هي ؟!

لقد كشف لنا أمير المؤمنين عليه السلام ليلة دفنها عن نافذة من مقامها عليها السلام، حيث قال: **أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمُسَهَّد !** (أمالي المفيد ص٢٨١)

وينبغي أن نعرف أن الذي يقول ذلك هو الذي عرف الدنيا والآخرة ، ووضعهما كلتيهما تحت قدميه! لكن غصة فقد فاطمة أرهقته ، لأنه يعرف من هي فاطمة! لاحظوا كلماته عليه السلام عندما صلى على جنازتها، فقد حدث عند جنازتها ما لم يحدث عند جنازة أحد ! ولا نستطيع أن نذكر أكثر من هذا:

في البحار عن مصباح الأنوار (للخوارزمي) عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام قال: **إن أمير المؤمنين عليه السلام غسل فاطمة عليها السلام ثلاثاً وخمساً، وجعل في الغسلة الخامسة الآخرة شيئاً من الكافور، وأشعرها مئزراً سابغاً دون الكفن ، وكان هو الذي يلي ذلك منها، وهو يقول: اللهم إنها أمتك، وبنت رسولك، وصفيك وخيرتك من خلقك، اللهم لقنها حجتها، وأعظم برهانها، وأعل درجتها، واجمع بينها وبين أبيها محمد صلى الله عليه وآله. فلما جن الليل غسلها علي، ووضعها على السرير، وقال للحسن أدع لي أبا ذر فدعاه، فحملاها إلى المصلى، فصلى عليها ثم صلى ركعتين، ورفع يديه إلى السماء فنادى: هذه بنت نبيك فاطمة ، أخرجتها من الظلمات إلى النور، فأضاءت الأرض ميلا في ميل !** (مقتل الحسين للخوارزمي١: ٨٦ ، البحار ٤٣: ٢١٤ ، عوالم العلوم:٥١٤/١١ ط. ثانية) .

ورفع يديه إلى السماء فنادى: هذه بنت نبيك فاطمة أخرجتها من الظلمات إلى النور! ماذا يعني هذا الكلام؟! لاحظوا أنه عليه السلام قال ذلك مجملاً، فهذا المطلب لايمكن أن يقوله لغير الله تعالى! قال له إلهي إنك أخذت فاطمة من

هذه الدنيا المظلمة، الى حيث النور نور السماوات والأرض.

ولاحظوا أن الله أجاب علياً وكأنه قال له نعم نقلتها الى النور حيث خلقت روحها من نور ربها وفي نور ربها ، وما أن أكمل أمير المؤمنين عليه السلام كلمته حتى أضاء نورها من نقطة بدنها الطاهر عليها السلام الى ميل في ميل، تصديقاً لعلي عليه السلام وتطميناً له !

ماذا يعني هذا ؟! يعني أن حقيقة: **إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**، للجميع ، أما فاطمة فإلى نور عظمة الله الذي منه خلقت ، وإليه عادت !

هذه فاطمة.. وإلى ذلك النور ذهبت روحها، وبهذا النحو استقبل ذلك العالم بدنها الذي كان في عالم الظلمة!

وهذه فاطمة التي بلغت مقام: **إن الرب ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها!** ومن المهم هنا أن نشير الى أن البخاري يروي في صحيحه عن عائشة أنها قالت:**فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فهجرت أبابكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت!** (٤:/٤١) ، وروى غيره أنها أوصت علياً عليه السلام أن يدفنها سراً ولا يعلمهم بجنازتها! وبهذه الاعترافات تكتمل مواد الحكم عليهم ، في صغرى وكبرى ونتيجة القياس، فهذا ما تقوله السنة:**إن الله ليغضب لغضبها**،وتقول إنها غضبت على أبي بكر وهجرته حتى توفيت فحل عليه غضب الله، والقرآن يقول: **وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى!** (سورة طه: ٨١)

فلا طريق أمام الفقيه السني الذي يقرأ في صلاته كل يوم عشر مرات:**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ** ، إلا أن يتنازل عن أئمته ، أو عن القرآن ، أو عن السنة !

نعم يوجد بديل واحد لذلك أن يكون:**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ**

يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . (سورة الجمعة: ٥)

○ ○

هوامش

(١) في مستدرك الحاكم:١٥٤/٣:(قال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة:**إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك** . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وفي مجمع الزوائد:٢٠٣/٩: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك . رواه الطبراني وإسناده حسن).

وهو في الطبراني الكبير:١٠٨/١ ، ولم أجد تصريح الذهبي بتصحيحه في ميزان الإعتدال ، وقد يفهم من توثيقه للقزاز في:٤٩٢/٢ ، وهو في سلسلة رواته عند الطبري .

○ **وقال الصالحي في سبل الهدى والرشاد:٤٤/١١** : (الرابع: في أن الله تبارك وتعالى يرضى لرضاها ، ويغضب لغضبها. روى الطبراني بإسناد حسن ، وابن السني في معجمه وأبو سعيد النيسابوري في الشرف ، عن علي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة : **إن الله تعالى يغضب لغضبك ويرضي لرضاك** . انتهى .

○ وهو مستفيض في مصادرنا ، راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام:٢/ ٢٦ ، وأمالي الصدوق ٣١٣/:١ ، وأمالي المفيد ، وغيرها .

○ ○

(٢) في علل الشرائع:١٠٣/١: (حدثنا محمد بن الحسن قال: حدثنا محمدبن الحسن الصفار،عن أحمد بن محمد،عن الحسن بن محبوب،عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دعامة الانسان العقل، ومن العقل الفطنة والفهم والحفظ والعلم، فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً حافظاً ذكياً فطناً فهماً ، وبالعقل يكمل ، وهو دليله ومبصره ، ومفتاح أمره) .

○ وفي الكافي ٢٥/١: (عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد مرسلاً ، قال: قال أبو عبد

الله: دعامة الإنسان العقل ، والعقل منه الفطنة والفهم ، والحفظ والعلم ، وبالعقل يكمل، وهو دليله ومبصره، ومفتاح أمره، فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالماً، حافظاً ، ذاكراً فطناً ، فهماً ، فعلم بذلك كيفَ ولمَ وحيثُ ، وعرف من نصَحَهُ ومن غشَّهُ ، فإذا عرف ذلك عرف مجراه وموصوله ومفصوله ، وأخلص الوحدانية لله ، والإقرار بالطاعة ، فإذا فعل ذلك كان مستدركاً لما فات ، وواردًا على ما هو آت ، يعرف ما هو فيه ، ولأي شئ هو ههنا ، ومن أين يأتيه وإلى ما هو صائر ، وذلك كله من تأييد العقل).

○ ○

فاطمة الزهراء عليها السلام حوراء إنسية..

(بتاريخ: ١٩جمادى الثانية ١٤١٦- ١٣/١١/١٩٩٥ - ١٣٧٤/٨/١٧)

بســم الله الرحمن الرحيم

أشكو من الرشح، لكن لايصح أن نضيع حق الصديقة الكبرى الزهراء عليها السلام.

إن فاطمة الزهراء عليها السلام فوق كلامنا ، إنها الصديقة الجليلة ، صاحبة المقام العظيم عند الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، التي إذا استقرت في الجنة زارها جميع الأنبياء عليهم السلام، آدم فمن دونه ! (**وإذا استقر أولياء الله في الجنة زارك آدم ومن دونه من النبيين**) . (تفسير فرات ص١٧١) (١)

يا لها من عظمة! إن الفقه أن يعرف الإنسان معنى ما يقوله المعصومون عليهم السلام وكلمة النبي صلى الله عليه وآله: (**رب حامل فقه غير فقيه**) كلمة عجيبة ، فكيف إذا وصلنا الى قوله صلى الله عليه وآله: (**ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**) !

من الأمور المتفق عليها في مصادر الخاصة ، وقد رويت في عدد من مصادر العامة ، أن أصل مادة بدن الصديقة الطاهرة الزهراء عليها السلام ليست من مادة هذا العالم والحياة الدنيا ، بل هي من الجنة من أعلى أشجارها وثمارها ! وأن جبرئيل عليه السلام أخذ النبي صلى الله عليه وآله في معراجه الى الجنة الى شجرة طوبى وأطعمه من

ثمارها، أو أهدى له وهو في الأرض من ثمارها ، فأكلها فتكونت نطفة فاطمة وحملت بها خديجة الكبرى سلام الله عليهما .

فقد روى السيوطي ذلك في الدر المنثور ، والطبراني في معجمه ، والثعلبي في تفسيره ، وغيرهم من كبار علماء السنة ومحدثيهم . وفي رواية الطبراني تعبيرات عجيبة عن تلك الشجرة: **عن عائشة قالت قال رسول**صلى الله عليه وآله: **لما أسرى بي إلى السماء أدخلت الجنة ، فوقفت على شجرة من أشجار الجنة لم أرَ في الجنة أحسن منها ، ولا أبيض ورقاً ، ولا أطيب ثمرة ، فتناولت ثمرةً من ثمرتها فأكلتها ، فصارت نطفة في صلبي ، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فإذا أنا اشتقت إلى ريح الجنة شممت ريح فاطمة).** (الدر المنثور: ١٥٣/٤ . ونحوه في أمالي الصدوق ص٥٤٦)

نعم رووا ذلك ، لكن هل فهموا فقه ما رووه؟! أما الإمام الصادقعليه السلام فيقول: **حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه.** ولايعد الرجل فقيهاً حتى يفقه مقاصد الكلام ودقائقه !(٢)

لاحظوا أن جبرئيلعليه السلام أخذ النبيصلى الله عليه وآله وهو الشخص الأول في العالم ، الى الشجرة الأولى في الجنة ، في أرفع ملك الله تعالى ، وإنما كان ذلك بجاذبية الملك والملكوت؟! ثم قطف له من أفضل ثمارها فكان ذلك الثمر نطفة الصديقة الطاهرةالزهراءعليها السلام لتكون آية لله تعالى في الأرض فريدة في تكوينها وشخصيتها وذريتها ؟!

تأملوا في قول الله تعالى: **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ .** (سورة الحجر: ٢٩) ، فلابد من فهم هاتين الكلمتين: تسوية الجسد ، ثم نفخ الروح ، فهما تدلان على إعداد خاص للجسد ، وعلى تناسب خاص

ضروري بينه وبين الروح ، فنفس الإنسان لايمكن أن تحل في بدن حيوان مثلاً، لماذا؟ لأن تسويته غير مناسبة لها، فهي لاتحل إلا في بدن تمت تسويته في أحسن تقويم: **وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ. لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**(سورة التين: ١-٤)ومادام بدن الإنسان العادي مخلوقاً في أحسن تقويم، فكيف بالبدن الذي لم يؤخذ أصله من عالم الملك، بل أخذ من عالم الملكوت الذي هو فوق عالم الظلمات، كبدن الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام؟! وكيف ستكون النفس التي تناسبه وتحل فيه ؟!!

هذا هو الفقه الذي لم يفهمه الطبراني ولا السيوطي ولا الفخر الرازي ، ولا كل من روى منهم وكتب حديث خلق فاطمة من ثمار شجرة طوبى !

إن شجرة طوبى شجرة وحيدة متفردة ، وقد شاء الله تعالى أن يجعل أصل بنت سيد أنبيائه صلى الله عليه وآله وأم خير أوصيائه عليه السلام من أعلى ثمارها !

فما هي الروح المتناسبة مع هذا البدن التي اختارها الله لفاطمة عليها السلام؟!!

إنها من أسرار الله تعالى التي لا نستطيع أن نفهمها ، لكنا نفهم منها لماذا علمنا النبي وأهل بيته أن ندعو الله تعالى فنقول: **(اللهم إني أسألك بفاطمة وأبيها ، وبعلها وبنيها، والسر المستودع فيها) !!**

نعم إن قضية الزهراء عليها السلام بهذا المستوى من العظمة والأهمية ، غاية الأمر إن كل إنسان يفهم منها بقدر عقله وفكره**(إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها)!** فبعضهم يفهم من شخصية الزهراء عليها السلام أنها أم نموذجية ! فمعرفته لها على قدر عقله ! وبعضهم يفهم أنها زوجة مثالية ، وهذا أيضاً قدر عقله وشعوره ! وبعضهم حد فهمه أن يرى فيها قدوة لنساء العالم ، وهذا أيضاً حد فهمه !

لكن قضيتها عليها السلام أعظم من كل ذلك، فعندما نبحث عن أسرار الله المودعة

في الروح الفريدة للزهراءعليها السلام، ذات التكوين البدني الفريد ، نصل الى أن **روحها خلقت من نور عظمة الله تعالى!!** فعن جابر بن يزيد الجعفيرحمه الله أنه سأل الإمام الصادقعليه السلام: لم سميت فاطمة الزهراء، زهراء؟ فقال: **لأن الله عز وجل خلقها من نور عظمته، فلما أشرقت أضاءت السموات والأرض بنورها ، وغشيت أبصار الملائكة، وخرت الملائكة لله ساجدين وقالوا: إلهنا وسيدنا ، ما هذا النور ؟ فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري، أسكنته في سمائي، خلقته من عظمتي، أُخرجه من صلب نبي من أنبيائي، أُفضله على جميع الأنبياء، وأُخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري، يهدون إلى حقي، وأَجْعَلُهُم خلفائي في أرضي، بعد انقضاء وحيي)** . (الإمامة والتبصرة ص١٣٣)

إن إضافة النور الى الله تعالى يعطيه خصوصية عالية، فالله تعالى نور السماوات والأرض، والنور الذي خلقه ونسبه اليه، يصعب على العقول فهمه: **اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَامِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (سورة النور: ٣٥)

ونور العظمة أعلى من نور العلو ، لأن وصف العظيم في آية الكرسي ورد بعد وصف العلي: **وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** (سورة البقرة:٢٥٥)

وعندما يكون البدن من أعلى ما في الجنة ، والروح من نور العظمة ، فأي بشر سيكون صاحبه ؟! من أين أتى ، والى أين ، وماذا سيكون في المحشر ، وأين سيكون في الجنة ؟!

وقد روى الإمام الصادق عليه السلام عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله كيف خلق الله تعالى روح فاطمة من نور عظمته قبل خلق آدم عليه السلام، فقال: (**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلق نور فاطمة قبل أن تخلق الأرض والسماء. فقال بعض الناس: يا نبي الله فليست هي إنسية ؟ فقال صلى الله عليه وآله: فاطمة حوراء إنسية. قال: يا نبي الله وكيف هي حوراء إنسية؟ قال: خلقها الله عز وجل من نوره قبل أن يخلق آدم، إذ كانت الأرواح، فلما خلق الله عز وجل آدم عرضت على آدم ! قيل: يا نبي الله وأين كانت فاطمة؟ قال: كانت في حقة تحت ساق العرش. قالوا: يا نبي الله فما كان طعامها؟ قال: التسبيح والتهليل والتحميد**) . (معاني الأخبار للصدوق ص٣٩٦) **(٣)**

كانت في حقة تحت ساق العرش.. كالجوهر الذي يحفظونه في علبة في صندوق ثمين ، مكانها عند قوائم عرش الرحمن! أما طعام روح فاطمة قبل أن تحل في هذا البدن الفريد أيضاً فكان **التسبيح والتهليل والتحميد** ، وذلك بعد التقديس !

فأول طعامها التسبيح وبهذه نعرف العلاقةبين الزهراء عليها السلام وبين تسبيح الزهراء الذي سماه النبي صلى الله عليه وآله باسمها والذي كانت تتغذى به وتداوم عليه في ذلك العالم ! إن المهم كما أكدنا دائماً هو الدراية ، وليس مجرد الرواية !

نحن نتعجب عندما نعرف أن سبب نزول سورة طه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله بلغ من حبه لربه واستغراقه في عبادته أنه كان يقف في محرابه يصلي حتى تورمت قدماه، فأنزل الله عليه سورةطه يحدثه فيها ويطمئنه ويطلب منه أن يخفف عن نفسه ! **طَهَ. مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى.إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى.تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى.الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى. وَإِنْ تَجْهَرْ**

بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى. اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى. وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. (سورة طه: ١-٩) لكن هذا ليس عجيباً على الشخص الأول في الوجود، والنقطة الأولى في قوس النزول، والنقطة العليا في قوس الصعود! بل هو عجيب على ابنته الزهراء عليها السلام التي لم تبلغ ثمانية عشر عاماً ، وقد سلكت خط أبيها، ووقفت في محرابها تصلي لربها وتعبده، حتى تورمت قدماها كأبيها ، وكانت شريكة له في سورة طه !

إنها ملحمة العبودية لله في هذا البيت ، فقد كانت فاطمة مستغرقة في ذات الله ، مندكة في عظمته وجلاله. وكانت في هذه النشأة في سباق في معرفة الله تعالى وعبادته ، ونسخة عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله في شبابه!(٤)

والآن يمكننا أن نفكر لماذا تشترك الزهراء مع أبيها يوم القيامة في فضيلة لايشاركهما فيها غيرهما ، فعندما يتم حشر الناس وحسابهم ويؤتى بالبراق للنبي صلى الله عليه وآله للذهاب الى الجنة ، يتقدم أمامه موكب واحد ، هو موكب فاطمة الزهراء عليها السلام!! (٥)

ونفهم لماذا عندما تدخل فاطمة الجنة، يزورها الأنبياء عليهم السلام من آدم فما دونه، يزورها نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، ويزورها رسول الله صلى الله عليه وآله، ولذلك تفسير لايتسع له المقام !

ويمكننا أن نفهم لماذا خصها الله بالذكر في بشارة الأنبياء السابقين بخاتم أنبيائه صلى الله عليه وآله: (**أوحى الله تعالى إلى عيسى جِدَّ في أمري ولا تترك، إني خلقتك من غير فحل آية للعالمين، أخبرهم: آمنوا بي ، وبرسولي النبي الأمي، نسله من مباركة هي مع أمك في الجنة، طوبى لمن سمع كلامه ، وأدرك زمانه ، وشهد أيامه**). (الخرائج والجرائح:٢/٩٥٠)

ونفهم معنى أنها ليلة القدر: (عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **(إنا أنزلناه في ليلة القدر، ليلة القدر فاطمة ، ليلة القدر فاطمة ، فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وإنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها)**. (تفسير فرات الكوفي ص٥٨١ ، البحار: ٦٥/٤٣ ، العوالم :١٠٣/١١)

فبطون الكتاب المحكمة كلها في ذلك السر المستسر في قلب فاطمة عليها السلام!

إن بشراً كهذا البشر لهو فوق تعبيرنا ، ومهما قلنا في حقها ينبغي لنا أن نستغفر الله تعالى من تقصيرنا فيه.

وهنا نصل الى قول الإمام الصادق عليه السلام: **(إنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها)** !

○ ○

هوامش

(١) في البحار:١٧٢/٨، عن تفسير فرات: عن ابن عباس ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم على فاطمة عليها السلام وهي حزينة،فقال لها- وساق الحديث في أحوال القيامة إلى أن قال-: فتقولين: يا رب أرني الحسن والحسين ، فيأتيانك وأوداج الحسين تشخب دماً وهو يقول: يارب خذ لي اليوم حقي ممن ظلمني، فيغضب عند ذلك الجليل ويغضب لغضبه جهنم والملائكة أجمعون، فتزفر جهنم عند ذلك زفرة، ثم يخرج فوج من النار ويلتقط قتلة الحسين وأبناءهم وأبناء أبنائهم فيقولون يارب إنا لم نحضر الحسين فيقول الله لزبانية جهنم: خذوهم بسيماهم بزرقة العيون وسواد الوجوه ، وخذوا بنواصيهم فألقوهم في الدرك الأسفل من النار، فإنهم كانوا أشد على أولياء الحسين من آبائهم الذين حاربوا الحسين فقتلوه! فتسمع أشهقتهم في جهنم- وساق الحديث إلى أن قال: فإذا بلغت باب الجنة تلقتك اثنتا عشر ألف حوراء لم يلتقين أحداً قبلك ولايلتقين أحداً كان بعدك، بأيديهم حراب من نور على نجائب من نور جعلها من الذهب الأصفر

والياقوت الأحمر، أزمتها من لؤلؤرطب، على كل نجيب أبرقة من سندس منضود، فإذا دخلت الجنة تباشر بك أهلها،ووضع لشيعتك موائد من جوهر علىعمد من نور، فيأكلون منها والناس في الحساب، وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون.

وإذا استقر أولياء الله في الجنة زارك آدم ومن دونه من النبيين.

وإن في بطنان الفردوس للؤلؤتين من عرق واحد: لؤلؤة بيضاء، ولؤلؤة صفراء، فيها قصور ودور فيها سبعون ألف دار، البيضاء منازل لنا ولشيعتنا، والصفراء منازل لإبراهيم وآل إبراهيم). انتهى. (تفسير فرات ص١٧١).

○ ○

(٢) في معاني الأخبارللصدوق رحمه الله ص٢: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه ، ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتى يعرف معاريض كلامنا ، وإن الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهاً لنا من جميعها المخرج).

○ ○

(٣) في الكافي:٣٨٩/١: (أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن محمد بن شعيب، عن عمران بن إسحاق الزعفراني ، عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن الله خلقنا من نور عظمته ، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً ، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من تلك الطينة ، ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيباً ، إلا للأنبياء ، ولذلك صرنا نحن وهم الناس ، وصار سائر الناس همج ، للنار وإلى النار) .

○ ○

(٤) في المناقب لابن شهرآشوب:١١٩/٣: (الحسن البصري: ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة ، كانت تقوم حتى تورم قدماها. وقال النبي لها: أي شئ خير للمرأة ؟ قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل ، فضمها إليه وقال: **ذرية بعضها من بعض** .

○ **وفي فضل آل البيت للمقريزي ص٢٥**:(ومن تتبع سيرة علي وفاطمة والحسن والحسين ومواضبتهم على صلاة الفريضة والنافلة يدرك بطلان ذلك. كيفَ وعليٌ الذي لم يترك صلاته حتى يوم صفين، وفاطمة التي كانت تتورم قدماها من صلاة الليل، والحسن الذي كان يحج ماشياً، والحسين الذي ما ترك صلاته لا ليلة عاشوراء ولا يومها وبنو أمية ترميه بالسهام).

○ **وفي علل الشرائع للصدوق:١٧٩/١**: (حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق رضي الله عنه قال: حدثنا عبدالعزيز بن يحيى الجلودي قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهري ، عن جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عن فاطمة لم سميت الزهراء؟ فقال لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء ، كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض) .

○ ○

(٥) **في ميزان الإعتدال للذهبي:٦١٨/٢**: (عن عبد السلام بن عجلان عن أبي يزيد المدني، عن أبي هريرة قال رسول الله: **أول شخص يدخل الجنة فاطمة** . أخرجه أبو صالح المؤذن في مناقب فاطمة). انتهى. وهو في لسان الميزان لابن حجر:١٦/٤. وفي كنز العمال:١١٠/١٢: (أول شخص يدخل الجنة فاطمة بنت محمد، ومثلها في هذه الأمة مثل مريم في بني اسرائيل). (أبو الحسن أحمد بن ميمون في كتاب فضائل علي ، والرافعي عن بدل بن المحبر عن عبد السلام بن عجلان عن أبي يزيد المدني.

○ **وفي مناقب آل أبي طالب:١٠/٣** عن أبي صالح في الأربعين عن أبي حامد الإسفرائيني بإسناده عن أبي هريرة.

○ **وفي البحار:٧٠/٧٣**، من كتاب الفردوس لابن شيرويه الديلمي عن أبي هريرة.

○ **وفي اللمعة البيضاء للأنصاري ص٥٥**: عن مقتل الحسين للخوارزمي:٥٦، والفردوس: ٣٨/١ ح٨١ ، ونظم درر السمطين:ص١٨٠ ، والخصائص الكبرى للسيوطي:٢٢٥/٢ ، ومسند فاطمة الزهراء: ص٥٢ ح١١٤ ، ومناقب ابن شهر آشوب).

○ **وفي أمالي الصدوق ص٦٩**: (حدثنا محمد بن إبراهيم ، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن عبد الواحد الخزاز قال: حدثني

إسماعيل بن علي السندي ، عن منيع بن الحجاج ، عن عيسى بن موسى ، عن جعفر الأحمر، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة تقبل ابنتي فاطمة على ناقة من نوق الجنة مدبجة الجنين ، خطامها من لؤلؤ رطب ، قوائمها من الزمرد الأخضر ، ذنبها من المسك الأذفر ، عيناها ياقوتتان حمراوان ، عليها قبة من نور يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، داخلها عفو الله ، وخارجها رحمة الله ، على رأسها تاج من نور ، للتاج سبعون ركناً ، كل ركن مرصع بالدر والياقوت ، يضيء كما يضيء الكوكب الدري في أفق السماء ، وعن يمينها سبعون ألف ملك ، وعن شمالها سبعون ألف ملك ، وجبرئيل آخذ بخطام الناقة ، ينادي بأعلى صوته: غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد . فلا يبقى يومئذ نبي ولا رسول ولا صديق ولا شهيد ، إلا غضوا أبصارهم حتى تجوز فاطمة بنت محمد ، فتسير حتى تحاذي عرش ربها جل جلاله ، فتزج بنفسها عن ناقتها وتقول: إلهي وسيدي ، احكم بيني وبين من ظلمني ، اللهم احكم بيني وبين من قتل ولدي . فإذا النداء من قبل الله جل جلاله: يا حبيبتي وابنة حبيبي، سليني تعطيْ ، واشفعي تشفعي ، فوعزتي وجلالي لا جازني ظلم ظالم. فتقول: إلهي وسيدي ذريتي وشيعتي وشيعة ذريتي، ومحبي ومحبي ذريتي. فإذا النداء من قبل الله جل جلاله: أين ذرية فاطمة وشيعتها ومحبوها ومحبو ذريتها ؟ فيقبلون وقد أحاط بهم ملائكة الرحمة ، فتقدمهم فاطمة حتى تدخلهم الجنة .

○ **وفي ثواب الأعمال للصدوق ص٢١٩:** (حدثني علي بن أحمد بن عبيدالله، عن أبيه عن جده أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه عن محمد بن خالد ، بإسناده يرفعه إلى عنبسة الطائي ، عن أبي جبير، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يمثل لفاطمة رأس الحسين متشحطاً بدمه فتصيح وا ولداه وا ثمرة فؤاداه ، فتصيح الملائكة لصيحة فاطمة، وينادي أهل القيامة: قتل الله قاتل ولدك يا فاطمة، قال: فيقول الله عز وجل: أفعل به ولشيعته وأحبائه وأتباعه . وإن فاطمة في ذلك اليوم على ناقة من نوق الجنة مدبجة الجبينين واضحة الخدين شهلاء العينين رأسها من الذهب المصفى، وأعناقها من المسك والعنبر ، خطامها من الزبرجد الأخضر ورحائلها مفضضة بالجوهر ، على الناقة هودج

غشاوته من نور الله ، وحشوها من رحمة الله ، خطامها فرسخ من فراسخ الدنيا ، **يحف** بهودجهاسبعون ألف ملك بالتسبيح والتمجيد والتهليل والتكبير والثناء على رب العالمين، ثم ينادي مناد من بطنان العرش: يا أهل القيامة غضوا أبصاركم **فهذه فاطمة بنت محمد** رسول الله تمر على الصراط فتمر فاطمة عليها السلام وشيعتها على الصراط كالبرق الخاطف . قال النبي صلى الله عليه وآله: ويلقى أعداءها وأعداء ذريتها في جهنم) .

○ **وفي ذخائر العقبى للطبري ص٤٨**: (ذكر زفاف فاطمة عليها السلام إلى الجنة كالعروس):عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة وعليها حلة الكرامة ، قد** عجنت بماء الحيوان، فتنظر إليها الخلائق فيتعجبون منها، ثم تكسى حلة من حلل الجنة على ألف حلة مكتوب بخط أخضر: أدخلوا ابنة محمد الجنة على أحسن صورة ، وأكمل هيبة ، وأتم كرامة ، وأوفر حظ ، فتزف إلى الجنة كالعروس حولها سبعون ألف جارية) .

○ ○

إن الرب يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها

(بتاريخ: ٢٩ جمادى الأولى ١٤١٧- ١٣/١٠/١٩٩٦ – ١٣٧٥/٧/٢٢)

بســم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين ، سيما بقية الله في الأرضين ، واللعن على أعدائهم الى يوم الدين.

المسألة التي يجب الإلتفات اليها أنا نعاني من الضعف العلمي ، ليس في الفقه وأصول الفقه فقط ، بل في أصول الدين أيضاً ! وهذا يسبب انحرافات خطيرة ، حتى بالنسبة الى خواص العوام وعوام الخواص.

إن قضيتنا تختلف عن مخالفينا الذين لم يبنوا عقائدهم على أسس علمية محكمة معمقة ، بل بنوها على ما تربوا عليه وورثوه من الآباء والدولة !

أما نحن فنحتاج في كل عصر الى مجتهدين متعمقين في الأصول ، كما في الفروع من باب المثال كم عندنا من أهل الإجتهاد والتعمق من يستطيعون أن يدافعوا حق الدفاع عن أساسٍ لو أصابه خلل لانهدمت الغاية وبطل الغرض من التكوين والتشريع؟ وقصدي به أساس خلافة النبي صلى الله عليه وآله.

نعم إن كمال الخلقة الإلهية وتمامها، وتمام البعثة النبوية والتشريع والإسلام مرتبطة بأن يكون الخليفة بعد النبي صلى الله عليه وآله علي عليه السلام أو عمر !

المسألة مهمةٌ الى حد أنها تحتاج من الباحث الفقيه أن يكون صاحب قدرة علمية ، تجعله يقف في مقابل أكثرية الناس فلا يَرِفُّ له جفن ، ولا يسمح لكثرتهم أن تؤثر على عقله وذهنه، لأنه يفهم معنى قوله تعالى: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً** (سورة المائدة: ٣) .

ماذا يريد أن يقول الله تعالى بهذه الجملة وأي سر أودعه فيها؟!

ما أعظم ما نواجه ، وما أقل ما نعلم؟! فهل فكرت في معنى إكمال الدين وإتمام النعمة؟ وأن إيصال الإنسان الى كماله الذي هو غرض بعثة النبي صلى الله عليه وآله وجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، مرتبط بعلي بن أبي طالب !

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، لأن غاية تكوين الخلق، ونتيجة كل النعم التي لا تعد ولا تحصى ، لا تتم على البشرية إلا بدور علي بن أبي طالب عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله.

نعم ، المسألة بهذه الأهمية لكنا لا نفهمها حق فهمها ، والذين هم أكبر منا لايفهمونها حق فهمها ! والذي يفهم واقعها وأهميتها ، هو الذي فهم أنه سيترتب على تغيير قريش لمسار الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وآله أن كل شئ سوف يتغير ، وأن الغرض والغاية من البعثة سوف ينقضان !

هو الذي فهم ماذا سيحدث على العالم إذا لم يحل القمر مكان الشمس ، وحلت مكانها ظلمات الجهل! وماذا سيحدث إذا باع المسلمون الى شعوب العالم الحديد الصدئ بدل الذهب ، باسم الإسلام والوحي والقرآن !

الذي فهم ذلك، وبذل وجوده من أجل هذا الفهم النبوي، وتحمل ما يترتب عليه من مصائب حتى الموت، هي فاطمة الزهراء عليها السلام.. وما أدراك ما فاطمة!!

○ ○

سنتكلم فيما بقي من وقتنا مع ثلاثة أشخاص ، أحدهم إمام المفسرين جار الله الزمخشري ، والثاني إمام المشككين بهلوان المعقول والمنقول الفخر الرازي ، والثالث إمام اللغة صاحب القاموس الفيروز آبادي. فأولئك الذين هم أفقه القوم يفهمون ماذا قيل ، وما هي نتيجته ؟

إن مسألة معرفة الصديقة الزهراءعليها السلاملابد أن تستند الى البرهان ، وما سأقوله الآن يستند الى ثلاثة شهود لايمكن ردها: القرآن والسنة والإجماع .

أورد الفخر الرازي في الجزء السابع والعشرين من تفسيره ص١٦٥، في تفسير آية: **قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ** (سورة الشورى:٢٣) ، بضع عشرة حديثاً عن الزمخشري، وقال فيما قال: (نقل صاحب الكشاف عن النبيصلى الله عليه وآلهأنه قال: **من مات على حب آل محمد مات شهيداً.**

ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له.

ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً.

ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الايمان.

ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير.

ألا ومن مات عل حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها.

ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة.

ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة.

ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة.

ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً.

ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة).

ثم قال الرازي: هذاهو الذي رواه صاحب الكشاف وأنا أقول: آل محمدصلى الله عليه وآله

هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل ، ولاشك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد التعلقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل. وأيضاً اختلف الناس في الآل فقيل هم الأقارب وقيل هم أمته . فإن حملناه على القرابة فهم الآل ، وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل ، فثبت أنهم على جميع التقديرات هم الآل . وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل ؟ فمختلف فيه.

وروى صاحب الكشاف أنه لما نزلت هذه الآية **قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟فقال: علي وفاطمة وابناهما**، فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي صلى الله عليه وآله، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم . ويدل عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى **(إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)** ووجه الاستدلال به ما سبق.

الثاني: لاشك أن النبي(ص)كان يحب فاطمة، قال: **(فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها)** وثبت بالنقل المتواتر عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب علياً، والحسن ، والحسين. وإذاثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله لقوله **(وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)**، ولقوله تعالى: **(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**ولقوله**(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ)**. وقوله سبحانه**(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)**.

الثالث: أن الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله: **اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم**

محمداً وآل محمد ، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل ، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب . وقال الشافعي (رض):

يا راكباً قف بالمحصب من منى ... واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

المسألة الثالثة: قوله **(إلا المودة في القربى)** فيه منصب عظيم للصحابة لأنه تعالى قال **(والسابقون السابقون أولئك المقربون)** فكل من أطاع الله كان مقرباً عند الله تعالى فدخل تحت قوله **(إلا المودة في القربى)**.

والحاصل أن هذه الآية تدل على وجوب حب آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب أصحابه ، وهذا المنصب لا يسلم إلا على قول أصحابنا أهل السنة والجماعة الذين جمعوا بين حب العترة والصحابة.

وسمعت بعض المذكرين قال إنه صلى الله عليه وسلم قال: **(مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا)**. وقال: **(أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)**، ونحن الآن في بحر التكليف وتضربنا أمواج الشبهات والشهوات ، وراكب البحر يحتاج إلى أمرين: أحدهما السفينة الخالية عن العيوب والثقب. والثاني الكواكب الظاهرة الطالعة النيرة ، فإذا ركب تلك السفينة ووقع نظره على تلك الكواكب الظاهرة، كان رجاء السلامة غالباً ، فكذلك ركب أصحابنا أهل السنة سفينة حب آل محمد ، ووضعوا أبصارهم على نجوم الصحابة ، فرجوا من الله تعالى أن يفوزوا بالسلامة والسعادة والآخرة.

ثم تابع الرازي: ولنرجع إلى التفسير: أورد صاحب الكشاف على نفسه سؤالاً فقال: هلاً قيل إلا مودة القربى أو إلا مودة للقربى ، وما معنى قوله (إلا

المودة في القربى)؟ وأجاب عنه بأن قال جعلوا مكاناً للمودة ومقراً لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد، تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله). انتهى كلام الرازي . وقد زاد على ما قاله الزمخشري، واستعمل قدرته علىالتفنن في تضييع حق آل البيت الطاهرينعليهم السلام، وتضعيف حديث سفينة نوح الصحيح، وتقوية الحديث الذي اعترفوا بوضعه: أصحابي كالنجوم !

لاحظوا أنه اعترف بأن **(الآل)** تشمل المتفق عليهم أنهم آل النبيصلى الله عليه وآلهوهم من كان النبي أشد تعلقاً بهم، وتشمل من هم مختلف فيهم! فلنسلك الدليل البرهاني لنرى نتيجة كلامه فبناء على تفسيره للآل بالمعنى اللغوي دون الإصطلاحي، وأنهم من الأوْل والرجوع، فإن أول وأولى من يرجع أمرهم الى النبيصلى الله عليه وآله، الذين هم آله بلا ريب ولا خلاف بين المسلمين ، هم أربعة: علي وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلامأما البقية فهم محل اختلاف! هذه مسألة.

والأخرى أن الفخر الرازي قال في تفسير القربى الذين جعل الله أجر تبليغ الرسالة مودتهم **(قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)** ، قال: **(لاشك أن النبي(ص) كان يحب فاطمة، قال:فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها).**

ثم وصل الرازي الىمستوى أعلى وهو أن الله تعالى أوجب الصلاة عليهم في الصلاة وقال: **(وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل)**. انتهى.

فاعترف بذلك بأن المتيقن من الذين أمرنا الله تعالى بالصلاة عليهم هم: **علي وفاطمة والحسن والحسين**عليهم السلام. وسؤالنا: ما بالهم يتركون المتيقن المتفق عليه الى المشكوك المختلف فيه؟!

لايتسع المجال لكشف أسلوب الفخر الرازي ومغالطاته في الأحاديث التي

أوردها الزمخشري وأثبتها هو، ثم ظلمها ولم يشرحها ، ولعله لم يفقهها ! فإن كل واحد منها يحتاج الى بحث علمي مفصل! ونكتفي بالإشارة الى اعترافه فيما يتعلق بالصديقة الكبرى الزهراءعليها السلام فقد اعترف أنها القدر المتيقن من الآل ، وممن تجب مودتهم أجراً للنبيصلى الله عليه وآله على تبليغ الرسالة ! والنتيجة أن فاطمة القدر المتيقن من الذين أوجب الله تعالى على كل مسلم في شرق الأرض وغربها أن يصلي عليهم مع رسوله في صلاته !

كما نشير الى نقطتين من حديث: **من مات على حب آل محمدصلى الله عليه وآله**.

أولاهما، أنه حديث متكامل بالإثبات والنفي معاً: **ومن مات على بغض آل محمدصلى الله عليه وآله..الخ.!** وهذا منسجم مع بناء الله تعالى لنظام الكون على نظام النفي والإثبات، فهذه الكهرباء التي تضئ المسجد تتولد من ضم السالب الى الموجب ، هذا في الماديات وإنتاجها ، وهو النظام الحاكم في إنتاج أكبر الأنوار المعنوية العليا، فشهادة (**لا إله إلا الله**) التي تنتج نور التوحيد وهو أشرف الأنوار ، تتكون نفي إثبات.. **فـ(لا إله)** هي النفي و**(إلا الله)**هي الإثبات.

ولاحظوا بقية الأسرار العظيمة في الأحاديث التي أوردها الزمخشري والرازي في مقام أهل البيتعليهم السلام! فالمهم كما أكدنا هو دراية الحديث وليس روايته .

فمن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الايمان.. وقد فرغنا من البحث الصغروي وعرفنا أن القدر المتيقن من الآل هم فاطمة وعلي والحسن والحسين ، وموضوعنا الآن في الكبرى، في أن من مات على حب فاطمةعليها السلام فقد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ومعنى هذا الشرط كمال الوجود . والمهم هنا فهم النفي الذي روياه: وهو أن (**من مات على بغض آل محمد مات كافراً**) **نعم** ، كافراً ! ولم يقل النبيصلى الله عليه وآله مات مؤمناً غير مستكمل الإيمان! فالقضية هنا

ليست في وجود الإيمان في الجميع واستكماله في محب آل محمد ، بل في نفي وجود الإيمان فيمن أبغضهم ! وأن من يموت مبغضاً لهم لا إيمان له ، بل يحشر يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: **آيس من رحمة الله !**

والنقطة الثانية: (ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة) ! فمن مات على ولاية فاطمة عليها السلام صار قبره مهبطاً للملائكة !

يا بنت رسول الله، أيتها الصديقة الطاهرة..إلى أي مقام وصلتِ بحيث أن الذي يموت على ولايتك يصير قبره مزاراً لملائكة الرحمة؟! فكيف يكون نفس قبرك؟!!

بعد أن يموت الذي يتشرف بموالاتك ويدفن وينام في قبره ، يطوف حوله ملائكة الرحمة ، كما يطوف الفراش حول السراج ! فمن هم الملائكة الذين يطوفون حول قبرك أنت ، حيث حلَّ جثمانك الطاهر؟!

أيها الفخر الرازي،أيها الزمخشري..هل فهمتما ماذا قلتما وكتبتما عن فاطمة؟ هل فهمتما أن رحمة الله التي وسعت كل شئ لاتشمل من آذى فاطمة؟ وأن الذي يغضب فاطمة ولم يرتبط بولايتها بخيط ولاء، يخرج عن مفهوم الشيئية ويستحق أن يكتب على جبينه: **منقطع عن الله ، آيس من رحمة الله ؟!**

أيها الفخر الرازي، هل فهمت ما كتبت؟ كتبت أن الايمان وجوداً وعدماً.. هذه واحدة! وقلت إن الايمان كمالاً ونقصاً يرتبط بمحبة فاطمة الزهراء عليها السلام.. هل فهمت لوازم ما قلت وكتبت ؟!

أنسيت أنك أنت قلت وصححت وأمضيت أن النبي صلى الله عليه وآله قال:**(من آذى فاطمة فقد آذاني.. وغضب فاطمة غضبي)** .

٥ ٥

هنا، أمام هذه الكلمات ، أتكلم قليلاً في بعض أبعاد هذا الحديث الشريف الذي أورده الفخر الرازي في تفسيره ، ونسبه الى النبي على نحو القطع بدون ترديد فقال:(**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم...**) فقصة هذا الحديث أنه ورد بعدة صيغ بعضها بلفظ: **(رضا فاطمة رضاي..وغضب فاطمة غضبي)** وبعضها بلفظ: **(إن الرب يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها)** ولفظ: **(إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها)**. والحديث من ناحية السند مفروغ عن صحته فلايوجد أحد من أهل الجرح والتعديل تردد في تصحيحه ، حتى رأس النقاد السنيين وإمامهم شمس الدين الذهبي ، صححه بلفظ: **(إن الرب يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها)!!** (تقدم من مستدرك الحاكم:٣/١٥٤وغيره)

ترى ، هل فهموا ماذا رووا وما كتبوا؟! وأن معنى هذا الحديث أن فاطمة لها مقام العصمة! نعم مقام عصمةٍ ليست كعصمة يعقوب وعصمة ويوسف ، ولا كعصمة موسى وعيسى ، بل ولا كعصمة ابراهيم عليه السلام!

بل عصمة كعصمة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله!

إن الرب ليغضب لغضب فاطمة ويرى لرضاها.. وسؤالنا لأمثال الفخر الرازي: إذا لم تكن فاطمة معصومة من الخطأ والهوى ، فإن أقل انحراف في رضاها وغضبها عن نقطة الحق المستقيمة، يوجب قهراً أن يتعلق رضا الله تعالى وغضبه بالباطل! وعليه، فبحكم البرهان تكون الصديقة فاطمة عليها السلام وصلت الى ذلك الأفق المبين، واتخذت منزلاً في ذلك المقام المكين ، هناك حيث تتعطل كل العقول عن العمل !

ولانحتاج الى الكلام الى بيان ما هي العصمة ، فالمسألة هنا فوق العصمة! العصمة أن يصل الإنسان الى مستوى فيرتفع غضبه ورضاه عن حد الحيوانية

ويصل الى حد العقلانية، ثم لابد أن يعبر عن حد العقلانية الى حد الربانية ، فيكون رضاه رضا الله وغضبه غضب الله تعالى،فهنا يصل الانسان الى مستوى أنه يغضب حيث يغضب الله تعالى ويرضى حيث يرضى الله تعالى!!

لكن المسألة هنا فوق هذا ، لأن النبي صلى الله عليه وآله لم يقل فقط إن فاطمة عليها السلام وصلت الى مستوى بحيث صارت تغضب حيث يغضب الله تعالى وترضى حيث يرضى الله تعالى! بل قال إن الله يغضب عندما تغضب فاطمة ، ويرضى عندما ترضى فاطمة عليها السلام!! وهنا يقف العقل في الميدان ، ولو كان جواده كميتاً !

o o

شخصيةٌ بهذا المقام، وباعترافهم بأنها سيدة نساء أهل الجنة.. أنظروا كيف يعاملونها ، ويتكلمون عنها! **روى البخاري**:٤١/٤ باب فرض الخمس، عن عائشة (أن فاطمة ابنة رسول الله (ص) سألت أبا بكر بعد وفاة رسول الله(ص)أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله(ص)مما أفاء الله عليه. فقال لها أبو بكر: إن رسول الله (ص) قال: لا نورث، ما تركنا صدقة . فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت. وعاشت بعد رسول الله(ص) ستة أشهر. قالت: وكانت فاطمة تسأل أبابكرنصيبها مماترك رسول الله(ص)من خيبر وفدك، وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال لست تاركاً شيئا كان رسول الله(ص)يعمل به إلاعملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ. فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي وعباس، فأما خيبر وفدك فأمسكهما عمر، وقال: هما صدقة رسول الله(ص) كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه ، وأمرهما إلى من ولي الأمر)!! . انتهى.

ومع أن البخاري حريص دائماً على تبرئة أبي بكر وعمر، لكنه هنا لم يعرف ماذا فعل! فقد روى أن أبا بكر أبى أن يعطي فاطمة عليها السلام صدقة النبي عليه السلام في

المدينة ولم يهتم لغضبها وآذاها، ولكن عمر دفعها الى علي والعباس! فهل كان فعل أبي بكر غلطاً أو فعل عمر؟! وأي النجمين من نجوم السماء كما يقولون قد أخطأ ؟ وبأيهما اقتدوا واهتدوا ؟!

في الواقع أن تعارض فعل أبي بكروفعل عمر يسقطهما عن الحجية والإعتبار ولا يبقى ثابتاً إلا قول النبي الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله: **إن الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها !**

ولا يبقى لعمر ولا لأبي بكر جواب مقابل هذا الكلام !

وقد قالت له الزهراء عليها السلام: **فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك ، ونعم الحكم الله والزعيم محمد ، وعند الساعة يخسر المبطلون. !!**

وختاماً.. فإن نتيجة الدلالة القطعية للكتاب والسنة والإجماع ، أن مودة فاطمة الزهراء عليها السلام فريضةٌ على كل المسلمين، والصلاة عليها واجبة في صلاتهم ، بآية مودة القربى ، وآية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، وأن رضاها رضا الله وغضبها غضب الله، ومن آذاها فقد آذى الله ورسوله ، بنص رسول الله صلى الله عليه وآله، واقرؤوا حكم أولئك المؤذين لله ورسوله في سورة الأحزاب !

○ ○

ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا

(بتاريخ: ١٩جمادى الثانية ١٤١٥– ١٩٩٤/١١/١٣ – ١٣٧٣/٩/٢)

بســم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

سيما بقية الله في الأرضين ، واللعن على أعدائهم إلى يوم الدين.

بمناسبة ميلاد الصديقة الزهراء عليها السلام، نركز نظرنا على واحدة من الروايات الشريفة ، والروايات كثيرة وأهلها كثيرون أيضاً ، لكن الدراية وأهلها قليلون!

كلام أهل البيت عليهم السلام كله نور، وأحاديثهم تنحني العقول لارتفاعهما وعلو مطالبها ، وكما أن إدراك ما يتعلق بالله تعالى مشكل على أكثر الأذهان **(جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد)** ، فكذلك مقامات خير خلقه صلوات الله عليهم لاتستطيع فهمها إلابعض الأذهان! لكن لايسقط الميسور بالمعسور.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **(إنا أنزلناه في ليلة القدر ، ليلة القدر فاطمة ، ليلة القدر فاطمة ، فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر ، وإنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها)**. (تفسير فرات الكوفي ص٥٨١ ، البحار:٦٥/٤٣، العوالم :١٠٣/١١ ، وغيرها .)

فطموا عن معرفتها.. فأي شخصية هذه التي عز مقامها عن أن ينال الخلق

معرفتها؟! لا بد أن نتأمل في هذا الأمر ! بل ينبغي أن يتأمل في ذلك كبار مفكري الانسانية، من أصحاب التفكير الراقي الذي بلغ مستوى عالياً من النضج والرشد ، ويتساءلوا عن حقيقة هذه المسألة ؟!

ليلة القدر.. ليلة تنزل القرآن: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ** (سورة الدخان: ٣) ، فما معنى أن فاطمة تفسيرٌ لهذه الليلة المباركة ؟!

تلاحظون أن تعليل هذا المطلب جاء بتعليل تسميتها **(إنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها)**!وكلمة الخلق أوسع نطاقاً من كلمة الناس، فهي تشمل الإنس والجن الى أن تصل الى الملائكة**(الذين أسكنتهم سماواتك ورفعتهم عن أرضك)** فحتى هؤلاء فطموا عن معرفتها !!

فما الخبر؟ ومن هي هذه المرأة؟ وماذا فيها من حقيقة غيبٍ هي أرفع من أن ينال معرفتها أصحاب العقول الراقية؟!!

من أجل فهم هذه المسألة نحتاج الى عقل قوي تربى بالقرآن ، واستدلال معتمد على أكثر الأدلة قطعية يعني القرآن، بمساعدة السنة القطعية ، فلعله يستطيع أن يفتح نافذة صغيرة على هذا المطلب العظيم.

لأن الخلق فطموا عن معرفتها .. لماذا ؟

وأي سر في شخصية فاطمة عليها السلام، فطم الخلق عن معرفته؟!

۞ ۞

القرآن كتاب الحكمة الإلهية **(يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ)** والإنسان أعلى موجود في المخلوقات ، وقد ذكر القرآن الإنسان في ثمان وخمسين مورداً ، وفي أغلب هذه الموارد جاء ذكر الإنسان معرفةً وفي بعضها ورد ذكره نكرة ، وهذا التعريف والتنكير يحمل معاني كثيرة.

وقد بين القرآن مبدأ تكوين الإنسان ومنتهاه، فمبدؤه من علق **اقْرَأْ بِاسْمِ**

رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (سورة العلق:١-٢) ومنتهى مساره **(خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)** (سورة الرحمن: ٤) ولكنه ليس بيان النطق باللسان فقط ، بل هو البيان المتناسب مع تسمية القرآن بياناً **هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ** (سورة آل عمران: ١٣٨) **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ** (سورة النحل: ٨٩)

كما بيَّن مسار الإنسان في خطين ، خط صعود وخط نزول ، وقسم الناس لذلك الى سالكين في طريق التكامل أو متسافلين، وخص كلاً منهما بآيات . وسمى أول سورة من القرآن تتحدث عن خلق الإنسان وطغيانه ، باسم **سورة العلق!** كما سمى سورة باسم **سورة الإنسان،** تحدث فيها عن أعظم مراتب الكمال في الإنسان ، وأعلى قوس الصعود في تكامله ، وجمع فيها خلاصة ما أنزله عن الإنسان في البضعة وخمسين مورداً ! **هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً.إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً** (سورة الانسان:١-٢) . فأين الذي يقرأ القرآن بفكر ثاقب يتدبر القرآن ؟

إن سورة الإنسان تعني سورة العالم ، كل عالم الإمكان ! وهي من أكبر حجج الله على خلقه ، وهي بناء رباني يتحدث عن الإنسان ذلك الكائن العجيب الذي بناه الله تعالى بقدرته:

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

لقد لخص الله العالم في آدم عليه السلام، ثم فصَّل حال آدم وبنيه في تكاملهم وصعودهم ، وتسافلهم ونزولهم! ثم لخص قضيتهم في سورة الإنسان !

ففي سورة العلق تحدث عن مبدأ خلق الإنسان من علقة.

وفي سورة الطارق تحدث عن خلق الإنسان من ماء دافق: **فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ**

مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ. يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (سورة الطارق:٥-٧)
فتراه يتناول الموضوع من هذه الزاوية ، أو تلك ، ويجمع المفصل ، ويفصل المجمل،أو يلخص القضايا، أويبسطها،في وجوه من إعجاز القرآن وخصائصه **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه !**

هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً.. هنا أفاض في الحديث عن الإنسان ، وذكر ما لم يذكره في مكان آخر! فمن عادته أن يتكلم عن بدأ خلق الإنسان من نطفة ، أو علقة ، أو سلالة ، أو تراب ، أو طين ، أو صلصال ، أو ماء مهين.. لكنه هنا تحدث عما قبل ذلك فقال(**هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً**) ؟!

لاحظوا تسلسل آيات سورة الإنسان:

هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا .
إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا.
إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا.
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا .
إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا .
عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا .
يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا .
وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا.
إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا .
إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا .
فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا .

وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا .
مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لايَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا .
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً .
وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا .
قَوَارِيرَاْ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا .
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً .
عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً .
وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا .
وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا .
عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍوَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا .
إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا .
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً .
فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا . (سورة الإنسان : ١ – ٢٤)

يقول مستخرج لآلي القرآن الإمام الصادقعليه السلام: **كان شيئاً ولم يكن مذكوراً.** (تفسير نور الثقلين:٤٦٩/٥) ، وفيه مطالب عالية لايتسع لها المجال .

إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ.. وكل كلمة فيها تجعلك تتوقف عندها ، فهذا الهيكل مركب من لب وقشر بناه الله بقدرته على الأمشاج ، أي على التركيب والتأليف من متضادات ومتوافقات! أمشاج نطفة الأب وبويضة الأم، وأمشاج اللب والقشر، وأمشاج العقل والهوى، وأمشاج المذكر والمؤنث في تركيب البدن، وحتى في تركيب الروح !

نَبْتَلِيه فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا.. إن ظاهر القرآن حق، وباطنه حق، ولكل أهل . وسير الإنسان من هنا يبدأ بابتلائه ، بتطويره واختباره معاً ، حتى يصل الى: **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ**، ثم تنمو شجرته وتكبر ، لكنها تنقسم بشكل متباين فتكون شعبتين:**إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ، وتذهب كل منهما في طريق !

أما فرع: **شَاكِرًا** ، فيكون كشجرة طيبة **أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** (سورة ابراهيم: ٢٤-٢٥) .

وفرع:**كَفُورًا كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ** (سورة ابراهيم: ٢٦)

ثم تبدأ السورة بآيات قوس النزول البشري،وقوس الصعود الإنساني فتختصر آيات الأشرار السافلين بآية واحدة:**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا** ولكنها تفصل في آيات الأبرار العالين بنحو عشرين آية:**إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا.. الخ !**

لقد استعمل الله تعالى في آيات خلق الإنسان كلمة (**أحسن**) مرتين ، لخلق بدن الإنسان وخلق نفسه، في قوله تعالى: **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.** (سورة المؤمنون: ١٤) وفي قوله تعالى: **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** (سورة التين: ٤) ، أما في سورة الإنسان فقد بين تعالى كيف يصل الإنسان صاحب أحسن تقويم الى أعلى درجات الكمال ، فما لم يصل الإنسان الى هذه الدرجة لايصل العالم الى كماله.

○ ○

أما أهل أعلى درجات الكمال الإنساني في سورة الإنسان فهم أصحاب:

"إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَنُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَشُكُوراً"، فهؤلاء هم أصحاب: **وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى. الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى. وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى. إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى. وَلَسَوْفَ يَرْضَى.** (سورة الليل:١٧-٢١) فهذا هو منتهى مسار الإنسان في قوس الصعود ، والكمال المطلق للإنسان!

وفي هذه الدرجة تنطفئ كل المصابيح ، فكل الأنوار هنا ظلمات ، ويشرق نور الله تعالى! حيث تفنى الأنا والنحن، وتفنى إرادة الإنسان في إرادة الله، ويفنى فكره وعقله.. فلا ابتغاء إلا لوجه الله ، ولا وجهة إلا وجه الله !

○ ○

لقد اتفقت كلمة جمع كبير من مفسري السنة على هذه القضية ، ونقلوا اتفاق مفسريهم القدامى على ذلك ، مثل قتادة ، والحسن البصري ، ومجاهد ، والضحاك ، وابن جبير ، وابن مسعود ، وابن عباس.

ونحن ننقلها من تفسير الكشاف لجار الله بن محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، من مفسري أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس، قال: **وعن ابن عباس (رض) أن الحسن والحسين مرضا ، فعادهما رسول اللهصلى الله عليه وآلهفي ناس معه، فقالوا ياأباالحسن لو نذرت على ولديك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما، إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا وما معهما شئ، فاستقرض عليٌّ من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال:السلام عليكم أهل بيت محمد،مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء، وأصبحوا صياماً، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم**

فآثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك ، فلما أصبحوا أخذ علي (رض) بيد الحسن والحسين وأقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، قال ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها، وقد التصق بطنها في ظهرها، وغارت عيناها فساءه ذلك، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام وقال: خذها يا محمد هنأك الله في أهل بيتك، فأقرأه السورة . انتهى . (١)

ما أحقر الدنيا عند الله تعالى، حتى سمح أن يكون خيرة أوليائه بعد نبيه صلى الله عليه وآله، الذين لو دعا أحدهم أن يملأ الله بيتهم ذهباً لفعل ، سمح أن يستقرضوا قوتهم وهو خبز شعير ، من يهودي !

إن هذا هو الإسلام الذي قَلَبَ الدنيا ، وهذه هي المدينة الإسلامية الفاضلة التي تهز العالم ، وهذا هو أشرف بيت فيها لايملك قوت يومه ، ويحتاج أن يستقرض خبزه من يهودي خيبري !

فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص..وفي الليلة الأولى جاءهم فقير مسلم، وفي الثانية يتيم، وفي الثالثة أجنبي مشرك **فآثروه** كلهم حتى الحسن والحسين تصرفا كالكبار ، ومن أولى منهما بفعل الكبار؟

فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين.. وأقبل فاتح خيبر وقالع بابها مع طفليه الى رسول الله صلى الله عليه وآله **فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم !** فذلك الإنسان الكامل، ملك ثمرات الوجود، وأشجع المخلوقات وأصبرها، الذي لا يهتز قلبه لما يهتز له العرش.. اهتز قلبه لهم وقال: **ما أشد مايسوؤني ما أرى بكم!** بلفظ التعجب وأفعل التفضيل! **وقام فانطلق معهم**.. لأنه لما رأى حالهم، رأى بلوغ عترته ذروة

الإنسان وتحقق الثمرة من خلق الله للعالم ، فأراد أن ينظر الى بقية عترته في أي حال؟ فلعل فاطمة لا تستطيع الحراك أو أغشي عليها من الجوع! **فرأى فاطمة في محرابها**، رأى ثمرة الوجود في محرابها، **وقد التصق بطنها في ظهرها، وغارت عيناها فساءه ذلك! فنزل عليه جبرئيل عليه السلام وقال: خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك .. فأقرأه السورة !**

فنزل جبرئيل، وهنا أوجُ المطلب وسره: **خذها يا محمد ، هنأك الله في أهل بيتك**.. فقد أوصلت خاتمية النبوة الى أوجها ، وقطفت ثمار شجرة الخليقة ! لقد استطعت أن تربي بيتاً بهذا المستوى ، سيرته وسريرته وظاهره وباطنه: **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لا شُكُورًا.**

هنا يظهر معنى الحديث، ويتضح أن هذا البيت النبوي الفريد فانٍ في وجه الله ، وعندما يفنى الإنسان في وجه الله ينقلب وجوده، ويأخذ من أحكام وجه الله تعالى !

أيها الزمخشري والبيضاوي وكبار المفسرين السنيين، هل تعقلون هذا الحديث الذي كتبته أيديكم؟ هل عرفتم ماذا يأخذ الفاني في وجه الله ، من الوجه المفني فيه؟ وهل عرفتم أن وجه الله لايمكننا معرفته ، فعلي لايمكننا معرفته، وفاطمة لايمكننا معرفتها، والحسن والحسين.. صلوات الله عليهم! فهل عرفتم الآن معنى: **إنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها ؟!!**

٥ ٥

هوامش

(١) **الحديث الشريف في الكشاف:١٩٧/٤**، وفي طبعةأخرى:٦٧٠/٤، وفي شواهد التنزيل:٣٩٣/٢- ٤١٤ ح١٠٤٢- ١٠٧٠، وفي المناقب للمغازلي ص٢٧٢ح٣٢٠، وأسباب النزول للواحدي ص٢٩٦ ، والدر المنثور للسيوطي:٣٧١/٨ ، وذخائر العقبى ص١٠٢ ، وتفسير البيضاوي:١٦٥/٥، وتفسير الطبري:١٢٥/٢٩،وتفسير الرا زي:٢٤٣/٣٠.. وغيرها .

وقد وردت له روايات أخرى منها في تفسير القمي:٣٩٨/٢ قال:(قوله **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**. فإنه حدثني أبي عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان عند فاطمة عليها السلام شعير فجعلوه عصيدة، فلما أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين،فقال المسكين رحمكم الله أطعمونا مما رزقكم الله، فقام علي عليه السلام فأعطاه ثلثها، فما لبث أن جاء يتيم فقال اليتيم رحمكم الله أطعمونا مما رزقكم الله ، فقام علي عليه السلام فأعطاه ثلثها الثاني، فما لبث أن جاء أسير فقال الأسير يرحمكم الله أطعمونا مما رزقكم الله ، فقام علي عليه السلام فأعطاه الثلث الباقي ، وما ذاقوها ! فأنزل الله فيهم هذه الآية إلى قوله: (**إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً**)، في أمير المؤمنين عليه السلام وهي جارية في كل مؤمن فعل مثل ذلك لله عز وجل).

○ ○

النبي يباهل النصارى بآله أفضل الخلق صلى الله عليه وآله

(بتاريخ: ١١ جمادى الأولى ١٤١٤- ١٩٩٣/١٠/٢٨ - ١٣٧٢/٨/٥)

بســم الله الرحمن الرحيم

نستقبل أيام شهادة الصديقة الكبرى والإنسية الحوراء فاطمة الزهراء صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها. هذه المظلومة المجهولة القدر عند غير المسلمين وعند المسلمين ، عند السنة وعند الشيعة ، عند العوام وحتى عند الخواص !

يجب علينا أن نحيي ذكرها العاطر في كل سنة ، معترفين بالتقصير والقصور عن أداء حقها.

وفي هذا اليوم أخاطب اثنين من أئمة التفسير السنيين، هما الفخر الرازي الذي ذكرهذا الحديث في تفسيره في الجزء الثامن صفحة ثمانين في المسألة الثانية ، وإمام مفسريهم الزمخشري الذي طرح نفس الموضوع الذي بحثه الفخر الرازي ، وكذلك البيضاوي الذي ذكر الموضوع باختصار شديد.

وأما من أئمة الحديث عندهم ، فقد رواه مسلم ، والترمذي ، وابن منذر ، والحاكم النيشابوري ، وجلال الدين السيوطي. فقد اتفقت كلمة أئمة التفسير

والحديث على ما أقوله اليوم ، وخلاصته :

أن النبي صلى الله عليه وآله عندما خرج للمباهلة مع نصارى نجران ، خرج في ذلك اليوم الموعود وعليه مرط أسود ، وبعد أن أقام عليهم الحجة بالبرهان العلمي القاطع بالوحي وقوله تعالى: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. (سورة آل عمران: ٥٩) ، بعد هذا وصل الأمر الى المواجهة والمباهلة! وستتضح حقيقة المباهلة من قول رأس النصارى الذي سيأتي . .

المطلب عندكم واضح لكن نتعرف على رواية السنيين في آية المباهلة ، وما نذكره من أتقن الروايات التفسيرية والحديثية .

خرج رسول الله وعليه مرط أسود، وقد حمل الحسين على صدره واحتضنه!

لقد كان الإمام الحسين في ذلك الوقت في سن يستطيع أن يمشي ، لكن لأمر ما خرج النبي صلى الله عليه وآله بهذه الصفة: **محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن يجره الى جانبه..** لاحظوا تعبير النص بدقة.. النبي في الإمام محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن، وخلفه فاطمة الزهراء ، وخلفها علي بن أبي طالب! إنه نفس النبي الذي قال فيه الله تعالى **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى** (سورة النجم: ٣) والذي لا ينطق عن الهوى لا يفعل عن الهوى! إنه نفس النبي الذي يقول فيه الله تعالى **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** (سورة الحشر: ٧) ونفس النبي الذي سنته ليست فقط قوله، بل سنته قوله وفعله وتقريره..وكل حركاته وسكناته سنة..كل أطواره وأحواله سنة.. وكل ما يرتبط بمقام **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى.** (سورة النجم ٨-٩) إنه خلاصة العالم ، والنبي الخاتم، وجوهر الوجود ، والشخص الأول في عالم الكون .

إن شخصاً من هذا النوع، النظرة الواحدة منه عالم من الحكمة، وكل عمل

منه ربيع ملئ بالمعرفة، وعندما يكون هو في المقدمة وفاطمة خلفهِ ، وعلي خلفهما ، فهذا عمل له معنى ، ومعناه: أن فاطمة هي البرزخ بين النواة الكبرى والولاية العظمى.. ومعناه أن فاطمة فيها جنبة القطب والمحور ، ولها موقع المركزية بين مقام الوحي الأعظم وتبليغ الوحي ، وبين مقام تفسير الوحي فأمام فاطمة النبي وتبليغ الوحي ، ووراءها تفسير الوحي.

هذه فاطمة الزهراء ، هذه مجهولة القدر عند جميع العوالم ، هكذا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله الى المباهلة ، فماذا كان التأثير ، وماذا حدث؟!

عندما جاء رئيس أساقفة نجران في وفد علماء النصارى وشخصياتهم ، ورأى هذا المنظر ، لم يملك نفسه أن قال: والله إني لأرى وجوهاً لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها من مواضعها.

وجوهاً إذا حركت شفاهها بالدعاء..أو مدت أيديها الى السماء.. لامتلأ الوادي على وفد النصارى ناراً ، ولما بقي نصراني على وجه الأرض !!

يا ليت أن فهم هذا الأسقف النصراني كان توأماً مع نقل الفخر الرازي ! لكن مع الأسف فإنا نرى نقل الحديث من الفخر الرازي ، بينما درايته من الأسقف النصراني ! وهذا بحد بذاته مصيبة كبرى !

قال الأسقف النصراني لقومه يجب أن نعمل بكل وسيلة لكي لا يرفع هؤلاء أيديهم بالدعاء! وكان النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة وعلي والحسن والحسين:(**إذا دعوت فأمِّنوا**)! التفتوا الى هذه الكلمة، ما معنى هذه الجملة أيها الفخر الرازي؟ أيها الزمخشري؟ أيها البيضاوي؟ معناها أنه: أن النبي يقول عملي تطبيق لأمر الوحي بقوله تعالى:**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ**

فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ.(سورة آل عمران:٦١)، حيث أوجب عزوجل أن يجتمع هؤلاء ، ولذا قال لهم النبي: **إذا دعوت فأمِّنوا** . ومعنى هذا أن دعائي بصفتي خاتم النبيين مقتض ، لكن شرط فعلية اقتضاء المقتضي أنفاس فاطمة الزهراء ، فلا بد أن ينضم تأمينها الى دعائي! هكذا قرر الوحي ، وهكذا قررت السنة هنا: أن دعاء الزهراء شرط لدعاء النبي صلى الله عليه وآله والمقتضي محال أن يؤثر بدون شرطه! ففي هذا المقام مقام مباهلة النبي صلى الله عليه وآله مع النصارى لابد مع رفع النبي يديه نحو السماء أن ترتفع معه أيدي أربعة آخرين حتى يستجاب الدعاء ويتحقق المطلوب !!

وما دام الأمر هكذا ، فيا ترى من هو علي؟ ومن هي فاطمة؟ ومن هو الحسن بن علي؟ ومن هو الحسين بن علي؟!!

○ ○

إن قيمة الحديث ليس بروايته ، بل بدرايته ، والأساس في الدين هو التفقه فيه ، والكمال كل الكمال في التفقه والدراية لا بالرواية. وحقيقة التفقه أن تتعمق في كل الأفعال والأقوال والخصوصيات ، ثم تستنتج.

نفس ذلك النبي الذي (**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**) ولايفعل عن الهوى ، خرج في هذا الوضع! فلما رآه أسقف النصارى قال: **والله إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني الى يوم القيامة !** (الكشاف:١- ٣٦٩ دار البلاغة ط. ثانية) فليت الفخر الرازي والزمخشري أعطيا فقه ذلك الأسقف النصراني وإنصافه !

○ ○

تأملوا فيما قاله الزمخشري بعد أن نقل قضية المباهلة ، في سبب تقديم

الأبناء والنساء في آية المباهلة: (**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**...)قال: (وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها. وفيه دليل لا شئ أقوى منه على فضل أصحاب الكساء، وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وآله) (الكشاف:١/٣٧٠)

وبذلك اعترف بأن فاطمة والحسن والحسين مفدون بنفس النبي صلى الله عليه وآله وكذلك قال البيضاوي إن في الآية دليلين على نبوة النبي صلى الله عليه وآله وعلى فضيلة أهل الكساء عليهم السلام .

أما الفخر الرازي فقال: (**وكان رسول الله خرج وعليه مرط أسود وكان قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي رضي الله عنه خلفهما ، وهو يقول: إذا دعوت فأمِّنوا ، فقال أسقف نجران.. الى آخر ما ذكره الزمخشري ، ثم ذكر الرازي رواية حديث الكساء وقال: واعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث** . (تفسير الفخر الرازي: ٨٥/٧)

حسناً، لقد اعترفوا كلهم بهذا المقام العظيم لهؤلاء العظماء الذين يفديهم النبي بنفسه ! وما دام الأمر كذلك ، فنحن نوجه سؤالنا الى الزمخشري رجل التفسير ، والى الفخر الرازي رجل العقل والفلسفة ، صاحب التفسير وشرح الإشارات والمباحث المشرقية ، ونوجهه الى من يشبههما من أهل الدقة والتعمق من علماء السنة أمثال البيضاوي والحاكم والسيوطي، فقد رووا كلهم واعترفوا أن الله تعالى أظهر للعالم في آية المباهلة أنه لا يوجد على وجه الأرض أقرب اليه بعد النبي صلى الله عليه وآله من هؤلاء الأربعة ، فهؤلاء الذين يستطيعون أن يرفعوا أيديهم بالدعاء ويدعوا ، فيستجيب الله لهم مهما دعوا !

سؤالنا: لقد اعترفتم بأن هذه الأيدي التي ترتفع فتدعوا فيستجيب الله ، فهل يمكن أن ترتفع إلا عن عقل معصوم وقلب معصوم؟!

هل فهمتم أن الكلم الطيب الذي يصعد حتماً الى الله تعالى ولا يرد ، لايمكن أن يكون إلا من معصوم: **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** (سورة فاطر: ١٠) وأنه لايمكن أن يصعد من قلب أبي بكر وعمر ، ولا من قلب سلمان وأبي ذر ، فيصل حتماً الى درجة: **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ.** (سورة الحجر: ٢١) ، بل لابد أن يصعد من قلب علي ، أو فاطمة ، أو الحسن، أو الحسين عليهم السلام؟!! **وسؤالنا:** مادام الأمر كذلك، فما حكم الذي استحل قتل هؤلاء وشرع في إحراق البيت عليهم ، من أجل تثبيت خلافة اعترف أنها **(فلتة)** ؟!!

لقد كتبوا جميعاً من الزبير بن بكار وابن قتيبة ، الى محمد فريد وجدي في دائرة معارفه ، أن عمر جاء الى باب بيت علي عليه السلام فقال: ياعلي أخرج فبايع ، وإلا أحرقت عليكم هذا البيت بمن فيه! فبالله عليكم من الذين كانوا في البيت؟!! أليس من حق الإنسان أن يبكي دماً هنا ؟!

أيها الفخر الرازي ، أيها القاضي البيضاوي ، أيها الزمخشري ، يا جلال الدين السيوطي.. أنتم رجال فَهْم ، فلماذا نراكم هنا لم تفهموا القضية؟! لماذا لم تفهموا حكم هذا الشخص الذي جاء الى هذا البيت وقال يا علي أخرج وبايع وإلا حرقت عليكم الدار بأهلها ؟!

قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ! قيل لعمر: إن في البيت فاطمة! وفي ذلك معنى كبير، يعني داخل هذا البيت تلك التي قال فيها النبي صلى الله عليه وآله **(من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله)** ! وكتبوا كلهم أن عمر قال: **وإن.. وإن !!**

بالله عليكم أي بيعة هذه التي دفع ثمنها كل شئ ، وهاجم من أجلها بيت آل النبي صلى الله عليه وآله وكان مستعداً لإحراقه على من فيه؟! إنها تلك البيعة التي قال عنها هو نفسه: **(كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها) !**

قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ على كل العالم ، نفس الشخص الذي جاء ليحرق بيتاً فيه فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام، نفسه قال كما في البخاري بيعة أبي بكر كانت فلتةً – أي غلطاً وخطيئةً – وقى الله الأمة شرها !!

أيها الرجل، إذا كانت حقيقة بيعتكما هذه باعترافك أنت فلماذا دفعت من أجل تثبيتها هذا الثمن الباهض من الإسلام ، ومن دينك أنت ؟!!

أيها العلماء السنيون.. هذا الرجل قائل تلك الكلمة إن كان عاقلاً فإن إقرار العقلاء على أنفسهم جائز ! وقد أقر أنه من أجل الفلتة والغلطة جاء ليحرق فاطمة الزهراء وبعلها وبنيها عليهم السلام! ترى ، هل يوجد مظلوم في العالم أكثر من هذه الحرة ؟! وهل توجد مصيبة أعظم من هذ ه المصيبة ؟!!

٥ ٥

إن قدر فاطمة مجهول عند أهل الأرض ، وظلامتها أيضاً ، وسوف لا يعرف مقامها حتى يكون يوم المحشر ، فيظهر الله ظلامتها ومقامها العظيم !

والله إن قدر فاطمة الزهراء مجهول في كل العالم ، وإذا كان قدرها مجهولاً في مراكز السنيين وبلادهم فليس فيه حسرة ، لكن في دولة فاطمة ، هنا دولة الزهراء ، هنا بلد فاطمة ، وهنا يعلنون عطلةً رسمية طويلة من أجل ذكرى جم، من أجل نوروز العجم، لكن من أجل شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام لا يوجد تعطيل رسمي ليوم واحد ! المجهولة قدراً ، المجهولة قدراً !

أما متى يعلم مقام فاطمة ويعرف قدرها؟ في ذلك اليوم الذي تبعث من

تربتها فيبعث الله تعالى لاستقبالها سبعين ألف ملك بلواء التكبير ، وسبعين ألف ملك بلواء التسبيح يرافقونها حتى تستقر في مقرها !

هذا النوع من التكريم والتقدير الالهي لم يصدر أمر من الله تعالى بمثله لإبراهيم خليل الله وأب الأنبياء عليه السلام ولا لموسى بن عمران كليم الله عليه السلام ولا لعيسى بن مريم روح الله عليه السلام، مع أن خزائن الله لا تتناهى.

إنه يفتح لفاطمة اعتباراً غير محدود! يأتيها جبرئيل فيقول لها: سلي حاجتك تعطين ، ولا حد لهذه الحاجة ، مهما شئت فاطلبي! فماذا تطلب فاطمة من الله تعالى ؟

أرجو الدقة في هذا الموضوع أيها العلماء ، أنتم أهل دقة ففكروا في رقيّ هذه المسألة، إن الطلب من الله تعالى في ذلك اليوم هو الجزاء ، والجزاء غير العمل، ولكن فاطمة عندما يقال لها أطلبي حاجتك من الله تعالى، تقول: **اللهم أرني الحسن والحسين!** إنها تريد أن ترى العمل قبل الجزاء !

يعني إلهي أرني الذي عملته كما هو ، ليكون الجزاء متناسباً معه! فيأتونها بالحسن والحسين وأوداج الحسين تشخب دماً !!

اللهم بفاطمة وأبيها، وبعلها، وبنيها، والسر المستودع فيها صل وسلم عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها عدد ما في علمك صلاةً دائمة بدوام ملكك وفضلك.

والعن أعداءها وغاصبي حقوقها ، عدد ما في علمك لعناً دائماً أبدياً ، بدوام قهاريتك وعدلك . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

○ ○

ولأي الأمور تدفن سراً.. ؟!

(بتاريخ: ١ جمادى الأولى ١٤١٣- ١٩٩٢/١٠/٢٨ - ١٣٧١/٨/١٦)

بســم الله الرحمن الرحيم

كان المرحوم الميرزا الشيرازي أعلى الله مقامه في منزله أو في منزل الشيخ حسن علي الطهراني ، والشك مني ، فقرأ المرحوم الطهراني وكان من أعظم تلامذة الميرزا الشيرازي، من مقتل الحسين عليه السلام هذه الجملة:**دخلت زينب على ابن زياد،** وما أن سمع الميرزا هذه الجملةحتى تغير، فشرع الطهراني في قراءة الجملة الثانية، فقال له الميرزا: **إصبر حتى نؤدي هذه الجملة حقها!** والخلاصة، أن المجلس انقضى ذلك اليوم بهذه الجملة !

إن درجة الفكر والفهم عندما ترتقي ، يختلف تلقي المطالب وفهمها ! فالمطلب واحد ، لكنه يختلف تبعاً لحدة الذهن وعمق الفكر الذي يتلقاه ! لقد رأى الميرزا قدس سره في هذه الجملة مطالب ، لم يرها غيره !

وكذلك الأمر في جملة سمعناها وقرأناه مراراً: **دفنت فاطمة ليلاً سراً** . فقد اتفقت مصادر الشيعة والسنة على هذه الجملة ، وفهمت منها الأذهان أموراً ، لكن لو تلقاها ذهنٌ كذهن الميرزا الشيرازي لفهم ماذا تعني ! إن أحداث وفاة الزهراء عليها السلام فيها أمور محيرة !

قالت فاطمة لعلي عليه السلام إذا لم تستطع تنفيذ وصيتي فأنت معذور ، فأخبرني حتى أوصي غيرك! وأوصته أن يقوم بمراسم جنازتها ويدفنها ليلاً ، ولا يخبر فلاناً وفلاناً بموتها وأن يخفي قبرها! (**أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني..... وأن لايصلي علي أحدٌ منهم ولامن أتباعهم. وادفني في الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصار**) !.

هذه الرواية وأمثالها تدل على أن الأحداث كانت خطيرة وجدية الى أبعد حدا! وأنه لم يضيع حق شخص كما ضاع حق الزهراء عليها السلام، ولا تحمَّل أحدٌ من الألم ما تحمله أمير المؤمنين عليه السلام!

إن فكرنا يبقى عاجزاً عن إدراك هذه الشخصية وهذا الحق المضيع ، ولكي ندرك ذلك نحتاج الى ذهن كذهن الميرزا أعلى الله مقامه !

○ ○

ورد في روايات العامة ورواياتنا أن النبي صلى الله عليه وآله عُرج به الى السماء مرتين، وعن ابن عباس أن أحدهما معراج كرامة ، والثاني معراج عجائب ، وفي بعض رواياتنا أنه عُرج به مئة وعشرين مرة.

ولعل هذه الحادثة المرتبطة بالزهراء عليها السلام كانت في معراج العجائب! فقد روى السيوطي وهو من أكابر علمائهم في الدر المنثور(١٥٣/٤:) حديثاً عن الطبراني بحذف سنده ، ثم نقل رواية عن الحاكم وقال إنه ضعفها ، ثم روى حديثاً عن الطبراني واهتم به ، وهو عن عائشة: (قالت قال رسول صلى الله عليه وآله: **لما أسري بي إلى السماء أدخلت الجنة ، فوقفت على شجرة من أشجار الجنة لم أرَ في الجنة أحسن منها، ولا أبيض ورقاً، ولا أطيب ثمرة، فتناولت ثمرة من ثمرتها فأكلتها فصارت نطفة في صلبي فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة ، فإذا أنا اشتقت إلى ريح الجنة شممت ريح فاطمة**). انتهى.

فلا بد أن نفهم من هي فاطمة عليها السلام التي هاجموا بيتها وأضرموا فيه النار وضربوها ! والتي عاشت بعد أبيها خمساً وسبعين يوماً ، في مواجهة أحداث مؤامرة ضخمة ، حتى ذاب بدنها من الآلام وصارت كالخيال ، ودفنت ليلاً !!

بعد أن أثبت الشيخ الرئيس ابن سينا جوهر النفس ، في الإشارات في نمط النفس ، أشار الى الإرتباط بين النفس والبدن أو الروح والبدن! وقد جعل هذا النمط بتعبيره إشارةً فقط ، ولم يجعله مبحثاً ، وعمله هذا صحيح ، لأنه هنا متفهم وليس فيلسوفاً، وقد استفاد في هذه الإشارة من مقام العارفين . على أن مبناه في الإشارات أن يجمع جوهر الحكمة ويؤسسه بشكل متن مختصر .
وقد ذكر في هذا (النمط)كيفية الفعل والإنفعال بين النفس والبدن، كيف يتأثر البدن بالروح والروح بالبدن ؟

وهذا هو المنطلق لما نريد أن نقوله في شخصية الصديقة الزهراء عليها السلام عن العلاقة التامة بين طهارة الروح وطهارة البدن وصفائهما ، فإن فقه الإسلام يؤكد على وجود علاقة جدلية بين البدن والروح . لاحظوا في أبواب الفقه الأهمية التي يوليها الإسلام للقوت الحلال وطهارته وزكائه ، وأن تسعة أعشار الأمر في تحصيل الرزق الحلال ، لكي يكون نسيج البدن حلالاً زكياً ، وتكون نتيجته طهارةَ الروح وصفاءها . إن قضية غذاء الإنسان لها حساب دقيق في الإسلام ، وهي من معجزات القرآن والشريعة المقدسة . لكن من الذي يفهم ذلك ، ومن يستخرج هذه الجواهر الغالية ؟

وإن حقيقة أن الزهراء عليها السلام حوراء إنسية، ليست مسألة بسيطة ! فعندما يكون نسيج البدن من أرقى ثمار الجنة وأنقاها وأصفاها ، ويكون الأب خير الخلق ، فأي بدن طاهر سيكون ؟

وفوق ذلك فالروح التي سترتبط بهذا البدن ، أي روح ستكون؟ إنها روح الصديقة الزهراء عليها السلام فهي ليست امرأة من النساء كمايتصور السطحي الجاهل! إنها جوهر وناموس ، وسرٌّ وجود ، وقضيةٌ فوق قدرة استيعاب عقولنا ، بل فوق قدرة تصورنا وإدراكنا !

ذلك النبي العظيم صلى الله عليه وآله، الذي لاينطق عن الهوى، الذي يخضع جميع الأنبياء عليهم السلام أمام قوله وفعله.. عندما يقول عن شجرة طوبى وثمرتها: **لم أر في الجنة أحسن منها ، ولا أبيض ورقاً ولا أطيب ثمرة** ، فمعنى عدم رؤيته ، عدم وجود المرئي ! ومعنى ذلك أن أصل بدن فاطمة أنقى ما في الكون ! فأي روح تناسب ذلك البدن تحل فيه ؟!

لاحظوا القرآن وتدبروا في آياته ، لتجدوا أبواب حكمة تفوق حكمة ابن سينا، يقول تعالى:**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ.** (سورة الحجر:٢٩) فقبل أن يُسَوِّي الله البدن بعلمه وحكمته لا تحل فيه الروح . فانظروا كيف كانت تسوية بدن فاطمة ، وأي جوهر ستكون الروح الحالة فيه؟!

لابد أن نعترف أننا لا نفهم هذه المطالب إلا عندما يقول الإمام عليه السلام إذا أردت أن تستخير الله تعالى وتطلب منه أن يهديك الى الخير فيما تريد الإقدام عليه فقل: **اللهم إني أسألك بفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها !** هكذا فاستخر الله تعالى، وبهذا الدعاء فادعه ! وتأمل في أول الدعاء وختامه؟! وفي هذه المحورية لفاطمة الزهراء عليها السلام ؟! محورية لمن يقول الله تعالى فيهم: **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ.** (سورة آل عمران: ٦١) إنها عليها السلام محور هؤلاء الخمسة الذين لا سادس لهم في الكون، والذين

بواسطتهم يتم الإتصال بالله تعالى، ولو دعوا الله أن يزيل الجبال لفعل ، ولو دعوه أن يطبق السماء على الأرض لفعل !

أحدهم المحور ، والثاني مركز الدائرة حول ذلك المحور، وفي ذلك المركز سرٌّ مستسر! ثم انظر كيف تتوزع مواقع الباقين ؟ مواقع أين منها مواقعُ النجوم وأسرارٌ أين منها أسرار الفيزياء ونسج الطبيعة!!

إن في حادثة المعراج حقائق عجيبة ، نستطيع أن نتحدث عنها على قدر فهمنا وقدرة عقولنا ، لا على قدرها وواقعها !

° °

هذه القضية التي سأنقلها اتفقت عليها كلمة الكل ، وقد رواها البخاري في كتاب بدأ الخلق وفي كتاب الإستئذان، (١٨٣/٤) : **عن عائشة قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي فقال النبي (ص): مرحباً يا ابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرَّ اليها حديثاً فبكت فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر اليها حديثاً فضحكت، فقلت ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن! فسألتها عما قال فقالت: ماكنت لأفشي سر رسول الله. حتى قبض النبي(ص)فسألتها فقالت: أسر إليَّ أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي، فبكيت! فقال أماترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين،فضحكت لذلك).**

انتهى. ونحوه في مسند أحمد: ٢٨٢/٦، لكن الأصح مارواه البخاري:٢١٠/٤ وهو عن عائشة أيضاً، قالت: **دعا النبي(ص) فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيها فسارَّها بشئ فبكت ثم دعاها فسارَّها فضحكت، قالت فسألتها عن ذلك فقالت: سارَّني النبي فأخبرني أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني**

أني أول أهل بيته أتبعه ، فضحكت).ونحوه في:١٣٨/٥ ، وقد رواه في مواضع أخرى .

وفي مسلم:١٤٢/٧: (عن عائشة قالت: كن أزواج النبي(ص)عنده لم يغادر منهن واحدة ، فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله شيئاً ، **فلما رآها رحب بها فقال مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارَّها فبكت بكاء شديداً، فلما رأى جزعها سارَّها الثانية، فضحكت!** فقلت لها خصك رسول الله من بين نسائه بالسرار ، ثم أنت تبكين؟! فلما قام رسول الله سألتها ما قال لك رسول الله (ص)؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله سره! قالت: فلما توفي رسول الله قلت: عزمتُ عليك بما لي عليك من الحق ، لما حدثتني ما قال لك رسول الله؟ **فقالت: أما الآن فنعم ، أما حين سارَّني في المرة الأولى فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وأنه عارضه الآن مرتين، وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك . قالت فبكيت بكائي الذي رأيت. فلما رأى جزعي سارني الثانية فقال: يافاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟ قالت فضحكتُ ضحكي الذي رأيت)**.

وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقي الله واصبري! هذه الكلمة التي قالها النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام، غنيةٌ بالمعاني ، فهو يذكر فاطمة بالإمتحان الكبير الذي أخبرها عنه بعد وفاته ! إن فراقها له أثقل عليها من السماء والأرض ، لكن ما بعد فراقه سيكون أصعب ! وقد أعدها لهذه المرحلة وشرح لها ما سيحدث ، وهو هنا يودعها ويؤكد عليها أن تتسلح بسلاح الأولياء في امتحاناتهم**(فاتقي الله واصبري)** ويبشرها بقصر مدة الإمتحان، وبالجزاء العظيم من الرب العظيم!

عندما نقرأ في زيارتها سلام الله عليها: **يا ممتحنة، امتحنك الله الذي خلقك**

قبل أن يخلقك، فوجدك لماامتحنك صابرة. (مصباح المتهجد ص٧١١) نعرف أنها بلغت مقامها العظيم بامتحان الله تعالى لها، لكنا لانعرف إلاالقليل عن ذلك الإمتحان وكيف نجحت فيه بالصبر ، وكيف حبست نفسها على مرضاة الله تعالى حتى رحلت من هذه الدنيا !

○ ○

بقطع النظر عن كل ذلك، فإن كل المسلمين عرفوا أن نبيهم هو خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله، وقد أوصاهم بعترته ، ولم يبق منه ذكرى بعد موته إلا ابنته الوحيدة عليها السلام! وأن هذه البنت الطاهرة لاقت من أمته من يوم وفاته ، أنواعاً من الظلم والآذى ، حتى أوصت أن تدفن سراً ، وأوصت أن لا يعرف قبرها !

أقسم بالله أن هذه مصيبة فوق تحمل الإنسان ، بل فوق الوصف !

فما هو واجبنا تجاهها؟

إن واجبكم أيها الفضلاء ، أنتم أهل الفكر ، وبعضكم حضروا بحوث الخارج لأكثر من عشر سنوات، ووصلوا الى حد النبوغ الفكري.. أن تطلقوا أقلامكم وألسنتكم في بيان هذه الظلامة ، التي لم يرَ العالم مثلها ، وأن تعرفوا الناس بهذه المظلومة ، التي لم يعرف التاريخ مظلوماً مثل زوجها ، ومثلها !

إكشفوا للمسلمين ماذا حدث بمجرد أن أغمض النبي صلى الله عليه وآله عينيه، حتى وصل الأمر الى أن توصي فاطمة عليها السلام أن تدفن ليلاً وسراً ؟!

إن مسلماً لا يمكنه أن يغضي عن هذه الحادثة، إلا أن يكون في إيمانه خلل! فهل يمكن أن يكون مؤمناً بالنبي صلى الله عليه وآله ثم يترك قضية ظلامة ابنته الصديقة الطاهرة ، ويساعد على التعتيم عليها وتضييعها ؟!

إن ظلامة الزهراء عليها السلام جناية يجب أن يجعلها عوامنا محور كلامهم واهتمامهم وخواصنا محور بحثهم وحديثهم ، ليبينوا للمسلمين وللعالم ماذا حدث؟!

اللهم اعف عنا ولا تجعلنا شركاء في ظلم فاطمة الزهراء! اللهم أعنا لنبرئ ذمتنا ونقوم بواجبنا تجاه غضب الزهراء عليها السلام وحزنها ودموعها !

لقد حدد لنا أمير المؤمنين عليه السلام واجبنا عندما قال: **يارسول الله! أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد، لا يبرح الحزن من قلبي، أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم . كَمَدٌ مُقيح، وهَمٌّ مُهيج، سرعان ما فرق بيننا، وإلى الله أشكو . وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك عليَّ وعلى هضمها حقها، فاستخبرها الحال، فكم من غليلٍ معتلجٍ بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلاً !** (أمالي المفيد ص٢٨١)

○ ○

نحن بحاجة الى الفقاهة لا الى السفاهة !

(بتاريخ: ١٢جمادى الثاني ١٤١٨- ١٩٩٧/١٠/١٥ - ١٣٧٦/٦/٢٤)

بســم الله الرحمن الرحيم

إن منشأ المشكلات في مجتمعاتنا السفاهة ، وعلاج أمراضنا بالفقاهة! فعندما يصير الشخص سفيهاً ، حتى لو كان معمماً ذا لحية عريضة ، فإن عيناه لاترى في الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء صاحبة المقام الرباني الذي لا ينال، سلام الله عليها، لا ترى فيها إلا أنها امرأة عادية! غاية الأمر أنها زوجة ناجحة وربة بيت موفقة، وأنها عابدة لربها. وانتهى الأمر !!

فلو كان عنده فقاهة لعرف أنه لا يصح أن يقال لفاطمة إنها امرأة عادية ، بل يجب أن يقال لها (**حوراء إنسية**) فهذه هي العبارة التي تعرف شخصيتها !

لو كان فقيهاً لعرف أنها ليست امرأة كالنساء ، وأن النبي ﷺ عندما عرج به الى الملأ الأعلى رأى الجنة مكتوباً على بابها: **لا إله إلا الله، محمد رسول الله ، عليٌّ حزب الله، والحسن والحسين صفوة الله، فاطمة خيرة الله!** إن هذا الحديث لم يروه الشيعة فقط بل رواه السنة أيضاً ! ولا بد للفقيه أن يفهم لماذا يجب أن يفتتح ما كتب على باب الجنة بـ **(لا إله إلا الله)** ويختم باسم **(فاطمة)** ! هنا يتميز حد الفقاهة عن حد السفاهة !

والإنسان الذي يقول هذا الكلام لم يبلغ حد الرشد، وعندما يبلغه سيفهم أن فاطمة الزهراء عليها السلام موجودٌ أبلغ من كل تعبيرنا ، وأن عباراتنا بطبيعتها مفصلة لمعان تبقى قاصرة عن قمة وجود فاطمة الزهراء عليها السلام، ويفهم معنى اختيار الله اسم فاطمة لها: **لأن الناس فطموا عن معرفتها!!**

في هذا اليوم نتعرض لرواية واحدة، ونلفتكم جميعاً الى أن أوجب الواجبات عليكم فرداً فرداً أن تعملوا بكل طاقاتكم الفكرية لكي تكونوا علماء فقهاء، في الدين، في أصول الدين، في معرفةالنبي وأهل بيته الطاهرين صلى الله عليه وآله،وتنجوا الناس من هذه الضلالات والفتنةالتي أثارها في هذا الزمن بعض المعممين بمساندة جهات ضالة وكافرة، محاولاً التشكيك في أصول المذهب ومبانيه المحكمة.

الرواية التي نتكلم حولها اليوم لها أصل في مصادر التفسير السنية والحديثية والتاريخية ، كتفسير السيوطي، ومستدرك الحاكم، والخطيب البغدادي، ولكن هذه المصادر لا تهمنا، والمهم هو الرواية الصحيحة السند التي يعتمد على رجال سندها في الفتوى في مهمات الأحكام الشرعية، وهي عن الإمام الصادق عليه السلام(كان رسول الله يكثر تقبيل فاطمة فعاتبته عائشة وقالت يارسول الله إنك تكثر من تقبيل فاطمة فقال صلى الله عليه وآله:**(إنه لما عرج بي الى السماء مر بي جبرئيل على شجرة طوبى، وناولني من ثمرها فأكلته، فحول الله ذلك ماء الى ظهري، فلما هبطت الى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فما قبلتها إلا وجدت رائحة شجرة طوبى منها!)**.(المحتضر للحلي ص١٣٥) ، **وفي المناقب:١١٤/٣: (فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي)**. انتهى.

لقد عرج بالنبي صلى الله عليه وآله الى الملأ الأعلى مرات عديدة ، كما ثبت في محله ، وفي تلك المرة أخذ بيده جبرئيل فأدخله الجنة ، وأخذه الى شجرة طوبى!

وقد ورد وصف طوبى في مصادر السنيين بأنه لم يُرَ أحسن من ورقها ، ولا أطيب من ثمرها ! وقد سميت في القرآن (**طوبى**) وهي مصدر من طاب ، وتسميتها من حمل المصدر على الذات ، والروايات في عظمة هذه الشجرة وأنها الأولى في الجنة والأكبر ، كثيرة في مصادرنا ومصادر غيرنا ، ونحن في غنى عن بحث دلالتها وسندها .

ولشجرة طوبى ميزات منها أن جذعها في بيت النبي صلى الله عليه وآله، وأن الله تعالى غرسها بيده ، كناية عن أن ملائكة الله بمن فيهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ، لايصلون الى مستوى غرسها !

إن فقه الحديث يكمن في فهم كلماته فتأملوا فيها: تربة شجرة طوبى ومغرسها في بيت الشخص الأول في الوجود صلى الله عليه وآله. ويجري من تحتها ثلاث عيون: السلسبيل ، والتسنيم ، والمعين . وفي أملاك كل مؤمن غصن منها ، هو أعز عليه من كل ما يملك في الجنة ، لأنه مميز بثماره ، وطيوره ، وأنغام حفيف أوراقه، والثياب التي تنبت عليه .. كل ذلك فوق ما تشتهي الأنفس !

مر بي جبرئيل على شجرة طوبى وناولني من ثمرها، فأكلته فحول الله ذلك ماء الى ظهري، فلما هبطت الى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة ، فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي !

هنا لابد من استعمال أدوات الفقاهة، فالفقيه هو الذي يفهم العلاقة بين البدن والروح بمستوى ابتدائي، وقد بحث الشيخ الرئيس ابن سينا ، والخواجه نصير الدين الطوسي، وقطب الدين الشيرازي، والى حد ما الفخر الرازي ، بحثوا في هذه المسألة الى ذلك الحد الإبتدائي، في ماهية الإرتباط بين الروح والجسد ، والتأثير والتأثر ، والعلاقة الجدلية بينهما.

إن خلق الزهراء عليها السلام من ثمر شجرة طوبى يفتح نافذة لفقهاء البشر والمفكرين

في إنسانية الإنسان، ويطرح عليهم سؤالاً: إذا أخذت نطفة بدن إنسان من ثمرة شجرة طوبى، فما هو البدن الذي يتكون من تلك النطفة ؟ ثم ما هي تلكم الروح التي صنعت لتحل فيه، والتي أكرمها الله أن يصل بدنها الى مرحلة: **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي** (سورة الحجر: ٢٩) ، والى أن يكتب الله تعالى على باب جنته (**فاطمة خيرة الله**)؟

ترى من كان بدنه كهذا البدن ، فما هو نوع روحها؟! ماذا في تلك الروح ، وما هو مقصدها في الوجود ؟!

إن المصنع الإلهي قائم على الحكمة، والصانع هو ذلك الحكيم الذي يدير كل منظومة الوجود التي لا يحدها الحس البشري، والذي هو **الله لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ** (سورة البقرة:٢٥٥) ، وكل هذه العظمة والحكمة في عالم المادة، الذي لا يساوي بالنسبة الى بقية الوجود أكثر من حصوة المثانة، على حد تعبير المحقق السبزواري رحمه الله.

ذلك الحكيم سبحانه الذي يدير كل تلكم العوالم ، ما غرضه من خلق روح فاطمة الزهراء وبدنها؟! ما غرضه في أن يأخذ الإنسان الأول في الوجود الى شجرة طوبى التي تحدث عنها لعيسى في الإنجيل، وذكرها في القرآن فقال: **الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ** (سورة الرعد: ٢٩)، ويطعمه من ثمرها فيتحول ثمرها الى نطفة في بدنه ، ثم يحل في رحم امرأة أعطت كل ما تملك لربها ، قالوا كانت تجمع ما عندها من حلي وزينة فيبلغ قامة الإنسان ولا يرى الواقف الى جنبه ! لكنها عندما حضرتها الوفاة قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله ليس عندي ثمن كفن، فأنزل الله تعالى لها كفناً مع جبرئيل عليه السلام!

أمٌّ كهذه ، وأبٌ كهذا ، وبدنٌ فاطمة من ثمار طوبى ، وروحها تلك الروح

العليا.. فأي موجودة تكون فاطمة عليها السلام؟!

○ ○

هذا كله ألف باء المطلب، أما ختام المطلب فيحتاج الى فقيه حكيم قد استكمل أصول البحث العقلي والنقلي ، ليدرك نهاية هذا المسار !

وردت هذه الرواية بمضامين مختلفة في مصادر الخاصة والعامة: (**خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أخذ بيد فاطمة عليها السلام وقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي الذي بين جنبيَّ ، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله جل وعلا**).(المحتضر للحلي ص١٣٣، وشرح الأخبار:٣٠/٣ح٩٧٠ ، ومناقب ابن شهر آشوب:٣٣٢/٣. وكتاب الأربعين للماحوزي ص٣١٦ ، عن الفصول المهمة ص١٤٦ ، واللمعة البيضاء للأنصاري ص٥٩ ، عن كشف الغمة:٩٤/٢ . والبحار:٥٤/٤٣ ح ٤٨).

أنظروا الى التعبير،فمجلسنا والحمد لله يكفيه إلفات النظر، ما معنى أن يخرج النبي صلى الله عليه وآله آخذاً بيد فاطمة عليها السلام؟!إن عمله هذا كعمله في حق علي يوم الغدير، حيث أصعد علياً معه على المنبر، وأخذ بيد الرجل الفريد في العالم ورفعها ! وفي هذا اليوم عندما خرج آخذاً بيد فاطمة المرأة الفريدة في العالم، قال: من عرفها فقد عرفها...ومن لم يعرفها فليعرفها !

لاحظوا كيف قدمها النبي صلى الله عليه وآله الى الأمة ، وعرفهم مقامها درجةً درجة ! إن لكلامه صلى الله عليه وآله في أنفس مستمعيه وقارئيه جاذبيةً خاصة منوعة ! في المرتبة الأولى قال: بضعةٌ مني. لاحظوا كلمة (**بضعة**) ثم انتقل الى الأعلى الى المرتبة الثانية فقال: (**وهي قلبي الذي بين جنبي**)! وعندما يقول النبي (**أنا**) فالأنا هنا غير كلمة بدني، فالبدن مضاف وضمير المتكلم مضاف اليه. هنا تعابير خاصة: **بضعةٌ مني**، وهي أبلغ من بضعة من بدني، وقلبي الذي بين جنبي غير قلبي، إنها قلب بين جنبي الشخص الذي (**إنيته**) مبدأ ومنشأ لكل الفضائل البشرية ! الشخص الذي قال وهو الصادق الأمين: (**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**)! (المناقب لابن شهر آشوب :٢١٤/١ ، ونحوه في مسند أحمد بن حنبل:٦٦/٤)

معنى أن فاطمة قلب إنسان بهذه الصفة ، أنه لو أخذت مني فاطمة فسأبقى بدناً بلا روح ! فالى أين وصلت الصديقة الزهراء عليها السلام حتى بلغت مقاماً كهذا ، وصارت قلباً بين جنبي علم وعمل ! فجنب النبي الأيمن علم ، والأيسر عمل! علمٌ عنده تتلاشى كل علوم الأنبياء عليهم السلام! وعملٌ عنده تتلاشى كل أعمال الأولياء!! والقلب الذي بين هذين الجنبين هو الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام!! وهنا يتضح سر الحديث القدسي في النبي والعترة صلى الله عليهم:

(هم فاطمة وأبوها .. وبعلها وبنوها) !

سيدتي ، ما ذا فعلت حتى صرت المحور والقطب ؟!

سيدتي ، ما ذا فعلت حتى صرت قلب عالم الوجود ؟!

سيدتي ، حتى صرت في مقام قال عنك خاتم النبيين صلوات الله عليه: **(من صلى على فاطمة فهو معي أينما كنت في الجنة) !**

إن العمل الذي عملته لايعرف كنهه وقيمته إلا الله تعالى، و الذين هم خزائن أسرار الله تعالى.. فأنت تلك العظيمة التي يقول فيك الإمام الصادق عليه السلام لو حاول الناس جادين أن يعرفوا كنه فاطمة ما عرفوه: **لأنهم فطموا عن معرفتها!**

٥ ٥

وهنا نصل الى مرحلة من كلام الإمام الصادق عليه السلام: **(اللهم إني أسألك بفاطمة وأبيها ، وبعلها وبنيها) !**

فكروا وتفهموا سر هذه الكلمات.. فالسؤال بفاطمة، وأب فاطمة،وبعل فاطمة، وأبناء فاطمة، وختام هذا الدعاء كلمة هي ختم الكلام:**والسرالمستودع فيها !!**

في معراج النبي صلى الله عليه وآله أخذوه الى شجرة طوبى، وقطفوا له من ثمرها ، وأطعموه منها ، ومن هذا الثمر انعقدت نطفة فاطمة ، وفي هذه النطفة وضعوا جوهر روح اختارها الله تعالى من أشرف ما في خزائنه من جواهر !!

المسألة هنا: **والسر المستودع فيها**، فأي سر هذا السر ، الذي كان لابد له من مقدمات ، معراج النبي صلى الله عليه وآله، وأن يتناول من ثمار شجرة طوبى، ليتكون البدن الذي يكون محلاً لهذا السر ! هذا السر يحتاج الى فرصة أخرى لبيانه.

إنها سرٌ .. سر الله الأعظم .. فقد كان قلبها سراً..

وما في ذلك القلب كان سراً..

ألمها كان سراً ، لونها كان سراً..

ما تحملته كان سراً..

قدرها كان سراً ، مقامها ما زال سراً..

سرٌ في سر ، وحتى القبر التي حوى جثمانها كان سراً !

ماذا فعلت يا بنت رسول الله حتى صرت سر الله ؟! والى أي مقام وصلت؟!

الذي أستطيع أن أقوله إن العمل الذي قامت بها فاطمة عليها السلام أحيت به قيم الأنبياء عليهم السلام من آدم الى النبي الخاتم صلى الله عليه وآله!

العمل الذي عملته.. به أحيت اسم الله تعالى.. أحيت كل حرمات الله تعالى..

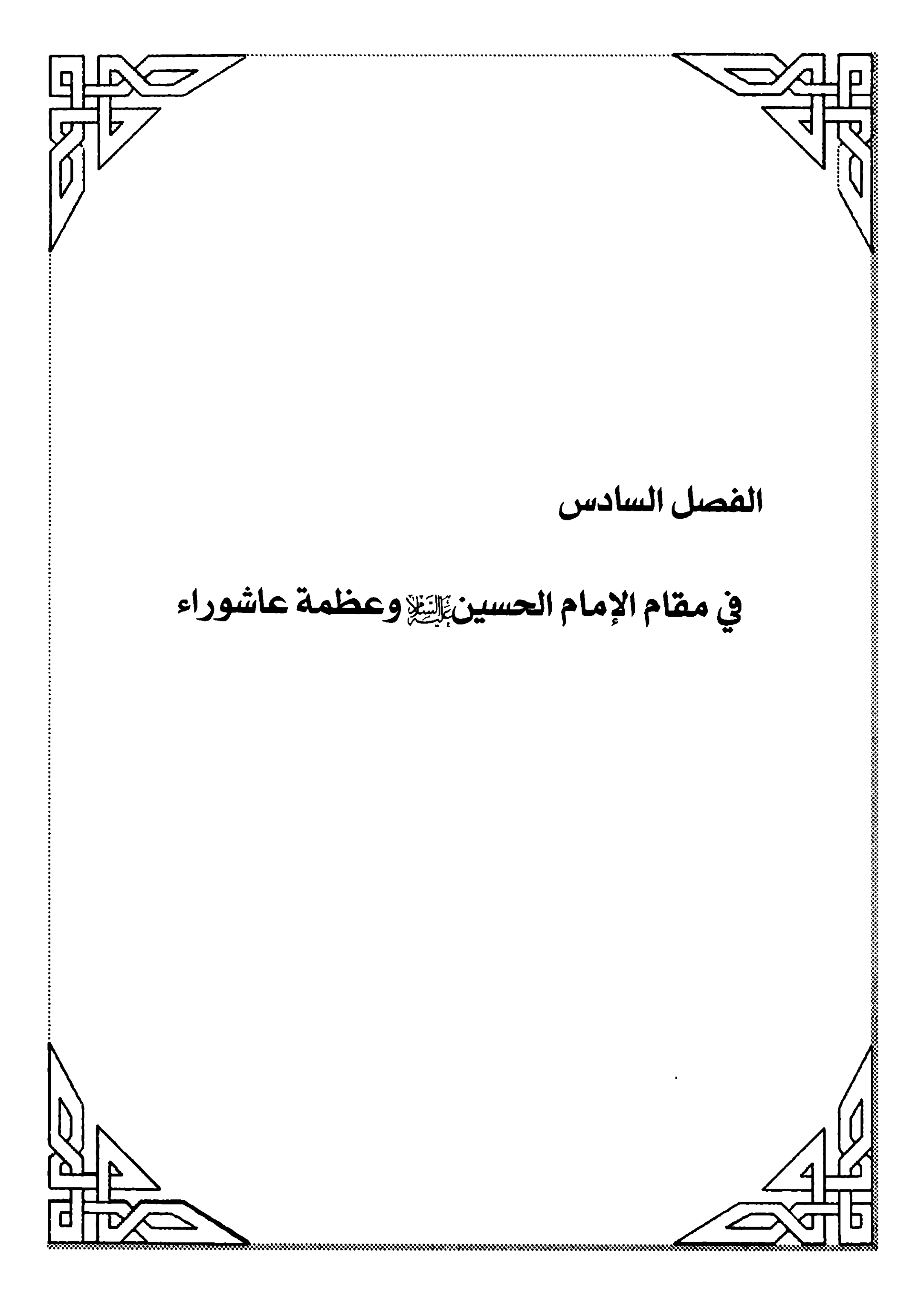
عندما يموت المؤمن.. أول تحفة يقدمونها له في الجنة أنهم يقولون له: كل من شارك في تشييع جنازتك مغفور له. وفاطمة تعرف ذلك ولذا قالت: يا علي لا تُعلم بموتي أحداً منهم !

هذا العمل وما أحدثه ، جدير بأن نفكر فيه كثيراً ، لنعرف ماذا حدث؟!

عندما غادر النبي الدنيا صلى الله عليه وآله كانت فاطمة في كامل النشاط وغاية السلامة ، وبعد مضي خمس وسبعين يوماً لحقت به! وفي الليلة التي غسلوا جثمانها قالوا إنها كانت من ضعفها كالخيال! وأن جسدها على المغتسل كان كالشبح!

لم يبق إلا نفَسٌ خافتُ أو مقلةٌ إنسانها باهتُ !

٥ ٥



الفصل السادس

في مقام الإمام الحسين عليه السلام وعظمة عاشوراء

مسؤولية المبلغ..وعظمة عاشوراء

(بتاريخ: أواخر ذي الحجة الحرام ١٤١٧ - /١٩٩٧/٥ - /١٣٧٦/٢)

بســـم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة أيام عاشوراء يوجد أمران مهمان ، أرجو أن تتأملوا فيهما بعمق:

للعلامة الحلي أعلى الله مقامه كتابان: التبصرة، وقد ألفه لعامة الناس، والتذكرة ألفها للفقهاء. وطبيعي أن لايكون حديثي اليكم التبصرة وأنتم تحضرون هذا البحث وأكثركم والحمد لله من العلماء ، وعدة منكم أساتيذ السطوح العالية وبحوث الخارج .

المطلب الأول: ما هو واجبكم في موسم عاشوراء؟

عاشوراء لها حكم ربيع القلوب ، فكما أن الأرض في الربيع تستعد لإنبات النبات وتنميته ، فإن قلوب الناس تستعد في موسم عاشوراء لتقبل بذور الحكمة والموعظة الحسنة ، ومن المهم جداً أن نستفيد من ربيع قلوب الناس من أجل تربيتها.. فماذا يجب عمله؟

لقد عين الله تعالى في كتابه واجبنا بقوله تعالى:**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا**

إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (سورة التوبة:١٢٢)، فواجبكم أمران: التفقه في الدين ، والإنذار، وإنه لا يصح ولا يناسب أن نملأ وقت الناس بالقصة ومواد الجرائد، فواجبنا تجاه أنفسنا التفقه ، وتجاه الناس الإنذار: **رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً** (سورة النساء:١٦٥) ، فلابد أن نقتدي في دعوة الناس الى الله تعالى بالأنبياء عليهم السلام ، يعني أن تتعلموا في مخاطبة الناس من طريقة مخاطبه الله تعالى لهم .

للقرآن في تربية البشر طريقتان: إحداهما التخويف من المسؤولية والمستقبل والثانية بعث الرجاء والأمل في نفوسهم.

فلماذا نرى التأثير في الناس قليلاً ، وتطبيقهم للأحكام الشرعية قليلاً ؟ إن السبب يكمن في تبليغنا وخطابنا للناس عندما لا يكون على أساس صحيح ، فنحن لم نستفد كما ينبغي من طريقة الرسل والأنبياء عليهم السلام في تحريك الفطرة التي فطر الله الناس عليها !

إن طريق تربية الناس توجب أولاً أن نتفقه نحن! أرجو أن تتأملوا أن كلمة (**تفقُّه**) من باب(**التفعل**) الذي يعني قبول الفقه ، وأن تكون شخصية أحدكم بلون الفقه ، لا أقصد اللون الظاهري فقط ، بل أن يرسخ الفقه في الأعماق ، فينعكس لونه على الشخصية . فإن حصلتم على هذه المرحلة ، فقد حصلتم على التفقه . وإذا صار الإنسان متفقهاً ، فمحال أن لايحدث في سلوكه تحول!

إن فقه الدين حالة إذا رسخ في فكر الإنسان وصار له خلقاً، فإن نفسه تتغير لا محالة ، وإذا تغيرت نفسه نحو الكمال، فقد آن الوقت الذي يكون فيه منذراً، وحينئذ لابد أن يؤثر في الناس ويغيرهم.

المتفقه في دينه عندما يقول للناس: **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ**

شَيْءٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ . (سورة الحج:١-٢) فإنه يحدث انقلاباً في القلوب بإنذاره**لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**، ثم : **وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ** .

○ ○

من روايات الإمام الحسن العسكري عن أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله أنه قال: (من **كان من شيعتنا عالماً بشريعتنا، فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به، جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور، يضئ لجميع أهل العرصات، وحلة لا تقوم لأقل سلك منها الدنيا بحذافيرها، ثم ينادي مناد: يا عباد الله هذا عالم من تلامذة بعض علماء آل محمد، ألا فمن أخرجه في الدنيا من حيرة جهله فليتشبث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نزهة الجنان. فيخرج كل من كان علمه في الدنيا خيراً ، أو فتح عن قلبه من الجهل قفلاً ، أو أوضح له عن شبهة)** . (الاحتجاج للطبرسي:٧/١)

من كان عالماً بشريعتنا.. هذا قول أمير المؤمنين عليه السلام. فالشرط هو العلم بالشريعة، وكلمات الأئمة عليهم السلام تحتاج الى دقة عالية لفهمها، فقد استعمل الإمام هنا لفظ (**الشريعة**) وهي ولفظ (**المشرعة**)من جذر واحد ! وعند التأمل فيهما نفهم معنى: **من كان عالماً بشريعتنا**، فمثل هذا الشخص يستطيع أن يخرج ضعفاء شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله من ظلمة جهلهم ، الى نور العلم الذي تعلمه من أهل بيت النبوة عليهم السلام.

معنى هذه الجملة أنكم عندما تجلسون على منبر الخطابة والتبليغ ، فلا تطعموا الناس المساكين ما يلوكه زيد وعمرو، وما يتجشأه هذا وذاك ! وليكن

ما تقدمونه لهم علماً ينبع من عين معين القرآن المبين والعترة الطاهرة فبهذا الزلال فقط تحيون قلوب الناس.

من كان عالماً بشريعتنا.. ثم أخرج الناس من جهالتهم الى نور علمنا، فما هو جزاؤه ؟ ما جزاء تبليغكم في عاشوراء وغيرها ، إن أتقنتموه ؟

إن إتقانه بثلاثة أمور:

أن تعلموهم خيراً .

وأن تكسروا قفل الجهل عن ضعفاء شيعة آل محمد عليهم السلام.

وأن تدفعوا شبهات أهل الريب التي يلقونها في قلوب الشيعة.

ولا بد أن تؤدوا هذه الأمور الثلاثة مستضيئين بنور علمهمعليهم السلام. وعند ذلك يكون جزاؤكم عندما تبعثون للمحشر أن يضع الله تعالى على رأس الواحد منكم تاجاً: من نور، **يضيء لجميع أهل العرصات !** والجزاء أيضاً:**حلة لا تقوم لأقل سلك منها الدنيا بحذافيرها !** هذا واجبكم في عاشوراء.

وأما المطلب الثاني:فهو أن تُفهموا الناس ما هي عاشوراء ؟ ومن هو صاحب عاشوراء ؟ ونقصد بذلك قدر استطاعتنا من الفهم ، وإلا فلا يمكن أن ندعي أننا نفهم عاشوراء وصاحب عاشوراء صلوات الله عليه ، لا أنا ولا أنتم ولا ملايين من أمثال الشيخ الأنصاري، والطوسي، والعلامة ، أعلى الله مقامهم.

إنها قضية بلغت من أهميتها وعظمتها أن الإنسان مهما زاد تبحره في المعقول والمنقول ، لم يرجع من الغور فيها إلا بالإكبار والحيرة والذهول !

وأكتفي بعدة كلمات من مصادر الخاصة والعامة المتقنة ، لتعرفوا أن قضية الإمام الحسينعليه السلامفوق الوصف والتقرير! بل إن ذلك الغلام الأسود الذي استشهد معه ، فوق وصفنا وبياننا! لأنه بلغ مقاماً أن سيد المرسلين وخاتم

النبيين يحضر من عالمه الأعلى بنفسه فيحفر له قبره ويدفنه ! نعم ، خاتم النبيين صلى الله عليه وآله الشخص الأول في عوالم المخلوقات ، لكنه هو الذي يتولى حفر قبر أصحاب الحسين سلام الله عليه ، ورضوان الله عليهم !!

إنها عظمة قضية كربلاء ، وعظمة الحسين عليه السلام وأصحابه!

فلنفكر في هذا الأمر ، وفيما يستلزمه !

والأمر الثاني أن الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وصلوا الى مرتبة بحيث أن جبرئيل قال للنبي صلى الله عليه وآله إن الله تعالى بنفسه يقبض أرواحهم!

فما هذا المقام؟! الذي بلغ أن الله يقبض أرواحهم وليس عزرائيل عليه السلام!

والنبي صلى الله عليه وآله يحفر لهم ويدفنهم !

○ ○

هذا عن أصحاب الحسين ، أما عن مقام الحسين نفسه عليه السلام فإني أورد لكم رواية من مصادر العامة صححها كبارهم ، تدل على أن قضية الحسين أعظم من كل ما ذكرناه ! فقد رواها إمام الحنابلة في مسنده ، والحاكم النيشابوري في مستدركه ، وآخرون من أئمة السنة ، كالخطيب ، وابن كثير ، وابن الأثير ، وابن حجر . وغرضي هنا فقه المطلب وإلا فالأحاديث والآثار كثيرة ، لكن المهم إدراك دقائق المعاني وفقه الحديث .

(قال ابن عباس: رأيت رسول الله في المنام نصف النهار أشعث أغبر ، معه قارورة فيها دم ، فقلت بأبي وأمي يارسول الله ما هذا ؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل التقطه منذ اليوم ! قال عمار: فأحصينا ذلك اليوم فوجدناه قد قتل فيه) . وقال ابن الأثير في تاريخه (ج١ص٥٨٢ طبعة إحياء التراث- بيروت): **(قال ابن عباس: رأيت النبي الليلة التي قتل فيها الحسين، وبيده قارورة يجمع فيها**

دماً فقلت: يارسول الله ما هذا ؟ فقال: هذه دماء الحسين وأصحابه أرفعها الى الله تعالى) ! . انتهى . (١)

أرجو أن تنتبهوا ، فإن أحاديث النبي والأئمة صلى الله عليه وآله فيها دقائق ، فقد وردت عبارة:(**كنت ألتقطه**) في رواياتهم التي صححوها وهي تعبير فيه رمز عجيب! لأن مادة التقط تستعمل في اللغة لالتقاط الضائع ، وجمع المتفرق المنثور من سلكه ومجمعه ، فماذا يعني دم الحسين وأصحابه؟ ولماذا يجمع النبي صلى الله عليه وآله دم الحسين عليه السلام، وكيف يمكن جمعه ؟ ولماذا عبر عن جمعه بالإلتقاط ، ولماذا قام هو بالإلتقاط ؟ والى أين يريد أن يأخذ دمهم الطاهر المسفوك ؟

الجواب عن هذا السؤال الأخير بكلمة عجيبة ، نقلها هذا العالم السني الكبير والمؤرخ ابن الأثير ونقلها غيره أيضاً ، لكن لا أظنهم فقهوا معناها قال: (**قال النبي صلى الله عليه وآله: أرفعها إلى الله تعالى**)! يعني أن هذه الدماء لاتذهب الى الجنة ولا الى اللوح ولا الى القلم ، فمكانها أرفع من ذلك! دم الحسين ، ومعه دم العباس قمر بني هاشم ، ودم علي الأكبر ، ودم القاسم بن الحسن ، وبقية الأنصار ، لا بد أن يسلمها النبي صلى الله عليه وآله بيده الى حيث تصل الى خالقها عز وجل الذي هو مبدأ الوجود والخلق ! فما معنى ذلك ، وما هو فقهه ؟

خلاصة معناه أن النبي صلى الله عليه وآله يقول لنا: أيها البشر، إن الشجرة التي غرستها ببعثتي اليكم ، قد أزهرت وأثمرت ، وها أنا أجمع زهورها وثمارها لأسلمها الى الله تعالى !

هذه هي عاشوراء ، فلا تصغروا قدر هذه الواقعة الكبرى . إتقوا الله تعالى ومحارمه وشعائره ، واحذروا العقاب إن صغرتم شأنها !

٥ ٥

إن قضية الحسين وعاشوراء قضية عظيمة ، الى حد أن أبي بن كعب كان عند النبي صلى الله عليه وآله عندما دخل عليه الحسين، فرحب به النبي صلى الله عليه وآله وقال له: **مرحباً بك يا أبا عبد الله يا زين السموات والأرضين** ! فتعجب أبيٌّ من احترام النبي لهذا الطفل وتكنيته له ، ووصفه له بأنه زين السماوات كلها وزين الأرضين كلها! فقال للنبي صلى الله عليه وآله: وكيف يكون يا رسول الله زين السموات والأرضين أحد غيرك؟ قال: **يا أبيٌّ ، والذي بعثنى بالحق نبياً ، إن الحسين بن علي في السماءأكبر منه في الأرض، وإنه لمكتوب عن يمين عرش الله عزوجل: مصباح هدى وسفينه نجاة... (٢)**

فالمسألة فوق صفته بأنه زين السماوات والأرض ، فقد كتبت على يمين العرش صفته أنه: **مصباح هدى وسفينه نجاة ! فلماذا** كتب في العرش أن الحسين سفينة نجاة؟ وما هي فلسفة ذلك؟ لابد أن نجد سر القضية وأساسها، ومع أن التاريخ قد عمل على تغطية هذا السر وإخفائه ، لكن مضي العصور يكشف الكثير من مخبآت التاريخ ، فقد وصل أمر انكشاف بني أمية الى حد أن عالماً شيخ الأزهر مثل محمد عبده ، يعلن رسمياً ويكتب أن دولة بني أمية قامت من أجل محو الإسلام كلياً ! ومعناه أن أمثال محمد عبده فهموا أن أصل خطة بني أمية كانت من أجل هذا ! لكن من المبكر أن يصل أمثال محمد عبده الى كنه القضية ، فهل يمكنكم أنتم أن تصلوا ؟!

إن هداية البشرية ، أو صرح هدايتها له علة محدثة وعلة مبقية ، كبناء هذا المسجد له علة محدثة وعلة مبقية. والعلة المحدثة لهداية البشر هي بعثة الأنبياء صلوات الله عليهم ، من نبي الله آدم الى النبي الخاتم صلى الله عليه وآله.

والعلة المبقية إنما هي الولاية الكبرى، ولاية الأئمة من العترة الطاهرة عليهم السلام .

فالحسين عليه السلام علة مبقية ولهذا كان زين السماوات والأرضين ! فالنبوة والإمامة معاً به باقيتان !

نعم،نفهم ذلك عندما نتأمل في أن جماعة عملوا بمساندة اليهود والنصارى فتركوا جنازة النبي صلى الله عليه وآله مسجاة بيد أهل بيته ، وائتمروا بسرِّية وعجلة وأعلنوا تشكيل حكومة بإسم النبي والإسلام ، وعزلوا أهل بيته !

ثم سرعان ما ظهر هدف ترتيباتهم السياسية فأوصلت قيادة الأمة الإسلامية الى يد عثمان بن عفان الأموي ، ثم الى معاوية ويزيد ، اللذين عملا بكل قدرتهما لتحقيق فكرة أبي سفيان بضرورة زوال اسم النبي صلى الله عليه وآله عن المآذن !

لقدظهر أن هدف السقيفة أن يجلس على كرسي النبي صلى الله عليه وآله شخص مثل يزيد الذي شهد أئمتهم أنه كان لا يصلي، ويشرب الخمر وينكح البنات والأخوات والأمهات ، فيرسل جيشاً الى المدينة بقيادة شخص مثله ، ويأمره أن يرتكب فيها مجزرة، فيقتل ثلاثة آلاف من أهلها وفيهم بقية الصحابة، ويبيحها لجيشه للنهب والعدوان ثلاثة أيام، وتدخل خيولهم مسجد النبي عليه السلام ويرتكب جنوده القتل والسرقة والزنا قرب قبر النبي صلى الله عليه وآله! (٣)

كانت هذه الأعمال مدروسة بجدية، من أجل محو الإسلام! يعني محو ذكر كل الأنبياء عليهم السلام، ثم محو كل جهود أمير المؤمنين عليه السلام لإحياء الإسلام وإعادة العهد النبوي !

إن الحسين عليه السلام أحيا الدين كله من آدم الى النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وأحيا علياً عليه السلام الى آخر الدهر ! فهذه هي نتائج عمله صلوات الله عليه !

في كامل الزيارات ص٢٢٢: (حدثني محمد بن عبد الله الحميري، عن أبيه، عن هارون بن مسلم ، عن عبد الرحمن بن الأشعث ، عن عبد الله بن حماد

الأنصاري ، عن ابن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول: **قبر الحسين بن علي عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً مكسراً، روضة من رياض الجنة، وفيه معراج الملائكة الى السماء، وليس من ملك مقرب ولانبي مرسل إلا وهو يسأل الله أن يزوره ، ففوج يهبط وفوج يصعد)** !

وما ذلك إلا لأنه أحيا دين كل الأنبياء عليهم السلام.

والمسألة فوق هذا أيضاً.. ونقول ذلك لكي تعرفوا واجبكم في إقامة عزاء الحسين عليه السلام وتعظيم مقامه، فكل ما نقوم به من ذلك ليس إلا يسيراً، فالواجب الشرعي أن تحفظ الشعائر الحسينية بكل قوة وحسم ، وأن تكون في كل سنة أفضل من التي قبلها ! نعم ، المسألة بهذا المستوى .. لماذا ؟

لأن أساس عاشوراء إذا صار واهناً توجه الخطر الى الدين كله ، فإن بقاء الدين بعاشوراء ، وبقاء توحيد الله تعالى مرتبط بيوم عاشوراء ! إقرؤوا هذا التعبير وافهموا معنى: **وبذل فيك مهجته!** فقد بذل عليه السلام روحه من أجل بقاء توحيد الله تعالى ، فإحياء ذكراه وتعظيمها ، تعظيم للتوحيد.

روى في كامل الزيارات ص٢٧٨، بسند قوي عن الإمام الصادق عليه السلام (حدثني أبي رحمه الله وعلي بن الحسين وجماعة مشايخي رحمهم الله،عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد ومحمد بن الحسين، عن محمد بن اسماعيل بن بزيع ، عن صالح بن عقبة ، عن زيد الشحام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لمن زار قبر الحسين؟ **قال: كان كمن زار الله في عرشه** . قال قلت: ما لمن زار أحداً منكم؟ **قال: كمن زار رسول الله** صلى الله عليه وآله) !!

○ ○

يا أبا عبد الله الحسين ، صلوات الله عليك .

ماذا فعلت حتى صار ثواب زيارتك كمن زار الله في عرشه ؟!

بينما ثواب الذي يزور أمير المؤمنين عليه السلام كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!

ماذا فعلت .. فجعلت من كربلاء عرش الله ، وزيارتك فيها زيارة الله ؟!

ماذا فعل أبو عبد الله.. حتى روى ابن طاووس أن أخته زينب عندما هرعت الى مقتله وأقبل الشمر ليحز رأسه ، قال لأخته: **إرجعي الى الخيمة،** فأطاعته ورجعت ، وسمعت وهي راجعة ضحكة أبي عبدالله الحسين !

هذا هو العمل الذي عمله أبو عبد الله الحسين: **بذل فيك مهجته !**

روحي لك الفداء يا من أعطيت روحك وأنت ضاحك، وهويت الى الأرض وأنت تقول: **بسم الله وبالله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله.**

السلام عليك يا أبا عبد الله ، وعلى الأرواح التي حلت بفنائك.

(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. إرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً).

٥ ٥

هوامش

(١) في أمالي الطوسي ص٣١٥ ، عن ابن عباس: (فلما كانت الليلة رأيت رسول الله في منامي أغبر أشعث ، فذكرت له ذلك وسألته عن شأنه ؟ فقال لي: **ألم تعلم أني فرغت من دفن الحسين وأصحابه**) . انتهى.

ولا يصح للمخالف الإشكال علينا كيف يقبض الله تعالى روح الحسين عليه السلام وأصحابه بيده بدون توسيط عزرائيل ، لأن شبيه هذا التكريم ورد عندهم لمن يقرأ سورة يس .. ففي كنز العمال:٥٦٩/١ ، عن أبي أمامة: من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة كان الرب الذي يتولى قبض روحه بيده ، وكان بمنزله من قاتل عن أنبياء الله ورسله حتى يستشهد - ابن السني ، والديلمي).

والرواية التي أوردها الأستاذ في تاريخ ابن الأثير:٥٨٢/١ ، وفي طبعة أخرى:٣٨/٣ ، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر:٢٣٧/١٤ ، ورواها ابن كثير في البداية والنهاية:٢١٨/٨ ، والصالحي في سبل الهدى والرشاد:٧٥/١١ ، وابن الدمشقي في المناقب:٢٩٨/٢، والغزالي في الإحياء:٥٠٧/٤، وكلها فيها: **أرفعه الى الله عز وجل**، وفي بعض مصادرهم: **أرفعه الى السماء** . ولكن أكثر مصادرهم روتها الى قوله صلى الله عليه وآله: **هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل التقطه منذ اليوم** ، ولم ترو بعدها: **أرفعها إلى الله عز وجل.** وفي مسند عبد بن حميد ص٢٣٥: **لم أزل ألتقطهم قد منذ اليوم.**

ومن أبرز الذين رووا ها الحديث أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده:٢٤٢/١ وص٢٨٣ ، وقال عنه في مجمع الزوائد:١٩٣/٩: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح . ورواية الطبراني في المعجم الكبير:٣ /١١٠ و:١٤٣/١٢ .

ورواه ابن كثير في النهاية:٢٥٨/٦ ، وقال عنه في:٨ /٢١٨:تفرد به أحمد وإسناده قوي.

وكذلك رواه أحمد في فضائل الصحابة:٧٧٨/٢ ، وص٧٨١ ، وفي ٧٨٤.

ومن أبرزهم الحاكم في المستدرك:٣٩٨/٤ ، وفيه: **فوجدوه قتل قبل ذلك بيوم**. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وقال المقريزي في إمتاع الأسماع:١/ ٢٤١/: (قال الحاكم والذهبي: هذا حديث صحيح على شرط مسلم).

وكذلك رواه الخطيب في تاريخ بغداد:١٥٢/١، وابن عساكر في تاريخ دمشق:٢٣٧/١٤ ، و:٢٣٧/١٤، وابن الأثير في أسد الغابة:٢٢/٢، وابن حجر في الإصابة:٧١/٢، وابن كثير في النهاية: ٢٥٨/٦، و:٢١٨/٨ ، والمناوي فيض القدير:٢٦٥/١ ، وابن العديم في تاريخ حلب: ٢٦٣٤/٦ ، والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح ص٥٧٢ . والذهبي في سيره:٣١٥/٣ ، وقال في هامشه: أخرجه أحمد:٢٨٣/١ ، والطبراني:٢٢/٢٨، وسنده قوي كما قال الحافظ ابن كثير في البداية:٨ /٢٠٠ وهو في تهذيب ابن عساكر:٣٤٣/٤.

ونقله ابن نما الحلي في مثير الأحزان ص٦٢ عن تاريخ البلاذري .

وفي نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص٢١٨: (**دم الحسين وأصحابه، ولم أزل أتتبعه منذ اليوم ! فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم** ، رواه الإمام أحمد .

وفي رواية ... قال: دم الحسين أرفعه الى السماء.

ورواه السيوطي في تاريخ الخلفاء ص٢٠٨، عن البيهقي في الدلائل، وقال قبله: وأخرج الترمذي عن سلمى قالت دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت ما يبكيك؟ **قالت رأيت رسول اللهصلى الله عليه وآله في المنام وعلى رأسه ولحيته التراب ! فقلت: مالك يارسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً !)** . انتهى.

وقال الأمينيرحمه الله في سيرتنا وسنتنا ص١٤٨: (قال السيد الشيخاني في الصراط السوي بعد روايته حديث أحمد المذكور: وفي رواية لأحمد: أن ابن العباس كان في قائلة فانتبه وهو يسترجع ففزع أهله ، فقالوا: ما شأنك ما لك؟ **قال: رأيت النبيصلى الله عليه وآلهوهو يتناول من الأرض شيئاً . فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله ما هذا الذي تصنع ؟ قال: دم الحسين أرفعه الى السماء**) . انتهى.

وهذا يوجب الشك في إسقاطهم العبارة من نسخة أحمد المطبوعة !

وفي مناقب آل أبي طالب:٢٣٦/٣: (وفي أثر ابن عباس: رأى النبيصلى الله عليه وآلهفي منامه بعد قتل الحسين وهو مغبر الوجه حافي القدمين باكي العينين ، وقد ضم حجزة قميصه إلى نفسه، وهو يقرأ هذه الآية: **وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ. وقال: إني مضيت إلى كربلاء والتقطت دم الحسين من الأرض وهو ذا في حجري ، وأنا ماض أخاصمهم بين يدي ربي).**

٭ ٭

(٢)روى الصدوقرحمه الله في عيون أخبارالرضاعليه السلام:٦٢/٢، قال: (حدثنا أبو الحسن على بن ثابت الدواليبي رضي الله عنه بمدينة السلام ، سنه اثنتين وخمسين وثلاث مأة قال: حدثنا محمد بن علي بن عبد الصمد الكوفي قال: حدثنا علي بن عاصم ، عن محمد بن علي بن موسى ، عن أبيه علي بن موسى ، عن أبيه موسى بن جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي أبي طالبعليه السلامقال: دخلت على رسول اللهصلى الله عليه وآلهوعنده أبي بن كعب فقال لي رسول الله: **مرحباً بك ياأباعبدالله يا زين السموات والأرضين.** قال له أبيٌّ: وكيف يكون يا رسول الله زين

السموات والأرضين أحد غيرك؟ قال: **يا أبيُّ والذي بعثني بالحق نبياً، إن الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض ، وإنه لمكتوب عن يمين عرش الله عز وجل: مصباح هدى وسفينه نجاة ، وإمام خير ويمن ، وعز وفخر ، وعلم وذخر ، وإن الله عز وجل ركب في صلبه نطفة طيبة مباركة زكية، ولقد لقن دعوات ما يدعو بهن مخلوق إلا حشره الله عزوجل معه، وكان شفيعه في آخرته ، وفرج الله كربه، وقضى بها دينه، ويسر أمره، وأوضح سبيله، وقواه على عدوه ، ولم يهتك ستره** . فقال له أبي بن كعب: وما هذه الدعوات يا رسول الله ؟

قال: تقول إذا فرغت من صلاتك وأنت قاعد: **اللهم إني أسألك بكلماتك ومعاقد عرشك ، وسكان سمواتك وأنبيائك ورسلك أن تستجيب لي ، فقد رهقني من أمري عسراً ، فأسألك أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تجعل لي من أمري يسراً . فإن الله عز وجل يسهل أمرك ويشرح صدرك ويلقنك شهادة أن لا إله إلا الله عند خروج نفسك.** قال له أبيّ: يا رسول الله فما هذه النطفة التي في صلب حبيبي الحسين ؟ قال: **مثل هذه النطفة كمثل القمر، وهي نطفه تبيين وبيان ، يكون من اتبعه رشيداً ومن ضل عنه هوياً**) . انتهى.

○ ○

(٣) **روى الزبير بن بكار في الموفقيات ص٥٧٥:** (عن المطرف بن المغيرة بن شعبة قال: دخلت مع أبي على معاوية ، فكان أبي يأتيه فيتحدث معه ، ثم ينصرف الي فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه ، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ، ورأيته مغتماً فانتظرته ساعة ، وظننت أنه لأمر حدث فينا ، فقلت: مالي أراك مغتماً منذ الليلة ؟ فقال: يا بني ، جئت من أكفر الناس وأخبثهم. قلت: وما ذاك؟! قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سناً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم ، فوالله ما عندهم اليوم شئ تخافه ، وإن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه ؟

فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه؟! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل ، فما عدا

أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر. ثم ملك أخو عدي ، فاجتهد وشمر عشر سنين ، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره ، إلا أن يقول قائل: عمر. **وإن أخا هاشم ليصاح به كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله !! فأي عمل يبقى؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا ، لا أباً لك ؟ لاوالله إلا دفناً دفناً !**) انتهى. ورواه المسعودي في مروج الذهب:٣ /٤٥٤ ، وفي شرح النهج:١٣٠/٥

○ **وقال ابن سعد في الطبقات:٦٦/٥**: (أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي، عن أبيه قال: وأخبرنا بن أبي ذئب عن صالح بن أبي حسان قال: وحدثنا سعيد بن محمد عن عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم ، عن عمه عبد الله بن زيد ، وعن غيرهم أيضاً ، كل قد حدثني قالوا: لما وثب أهل المدينة ليالي الحرة فأخرجوا بني أمية عن المدينة ، وأظهروا عيب يزيد بن معاوية وخلافه ، أجمعوا على عبد الله بن حنظلة فأسندوا أمرهم إليه فبايعهم على الموت وقال: يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له ، فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء! إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة ، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاء حسناً ، فتواثب الناس يومئذ يبايعون من كل النواحي ، وما كان لعبد الله بن حنظلة تلك الليالي مبيت إلا المسجد..الخ. !!

○ **ونقل في هامش سيرأعلام النبلاء:٢٢٨/٤**، عن ابن حزم في كتابه جوامع السيرة ص٣٥٧ ما نصه: (أغزى يزيد الجيوش إلى المدينة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى مكة حرم الله تعالى ، فقتل بقايا المهاجرين والأنصار يوم الحرة ، وهي أيضاً أكبر مصائب الإسلام وخرومه ، لأن أفاضل المسلمين وبقية الصحابة ، وخيار المسلمين من جلة التابعين قتلوا جهراً ظلماً في الحرب وصبراً ، وجالت الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وراثت وبالت في الروضة بين القبر والمنبر !! ولم تصلِّ جماعة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا كان فيه أحد ، حاشا سعيد بن المسيب فإنه لم يفارق المسجد ، ولولا شهادة عمرو بن عثمان بن عفان ، ومروان بن الحكم عند مجرم

بن عقبة المري بأنه مجنون لقتله ! وأكره الناس على أن يبايعوا يزيد بن معاوية على أنهم عبيد له ، إن شاء باع ، وإن شاء أعتق ! وذكر له بعضهم البيعة على حكم القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله ، فضرب عنقه صبراً ! وهتك مسرف أو مجرم الاسلام هتكاً ، وأنهب المدينة ثلاثاً، واستخف بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومدت الأيدي إليهم وانتهبت دورهم !

وانتقل هؤلاء إلى مكة شرفها الله تعالى، فحوصرت ورمي البيت بحجارة المنجنيق ، تولى ذلك الحصين بن نمير السكوني في جيوش أهل الشام ، وذلك لأن مجرم بن عقبة المري مات بعد وقعة الحرة بثلاث ليال ، وولي مكانه الحصين بن نمير !

وأخذ الله تعالى يزيد أخذ عزيز مقتدر ، فمات بعد الحرة بأقل من ثلاثة أشهر وأزيد من شهرين، وانصرفت الجيوش عن مكة).اهـ انظر:معجم البلدان:٢ص٢٤٩والطبري، والكامل، والبداية ، وتاريخ الاسلام ، في أحداث سنة ٦٣ وجوامع السيرة لابن حزم ٣٥٧ - ٣٥٨ .

○ **وقال ابن حجر في لسان الميزان:٢٩٤/٦:** (ثم إن أهل المدينة خلعوا يزيد في سنة ثلاث وستين ، فجهز إليهم مسلم بن عقبة المري في جيش حافل فقاتلهم فهزمهم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً من الصحابة وأبنائهم ، وسبى أكابر التابعين وفضلاؤهم ، واستباحها ثلاثة أيام نهباً وقتلاً ، ثم بايع من بقي على أنهم عبيد ليزيد ، ومن امتنع قتل !!

ثم توجه إلى مكة لحرب ابن الزبير فمات في الطريق، وعهد إلى الحصين بن نمير فسار بالجيش إلى مكة فحاصر ابن الزبير ونصبوا المنجنيق على الكعبة ، فوهت أركانها ثم احترقت ، وفي أثناء ذلك ورد الخبر بموت يزيد) . ونحوه في الإصابة:٦ص٢٣٢

○ **وقال ابن كثير في النهاية:٢٣٩/٨-٢٤١:** (قالوا: وقد بلغ يزيد أن ابن الزبير يقول في خطبته: يزيد القرود ، شارب الخمور، تارك الصلوات ، منعكف على القينات...

ثم أباح مسلم بن عقبة ، الذي يقول فيه السلف مسرف بن عقبة - قبحه الله من شيخ سوء ما أجهله - المدينة ثلاث أيام كما أمره يزيد لا جزاه الله خيراً ، وقتل خلقاً من أشرافها وقرائها وانتهب أموالاً كثيرة منها ، ووقع شر عظيم وفساد عريض على ما ذكره غير واحد . فكان ممن قتل بين يديه صبراً معقل بن سنان ، وقد كان صديقه قبل ذلك ،

ولكن أسمعه في يزيد كلاماً غليظاً فنقم عليه بسببه) !

○وقال الحافظ ابن عقيل في النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ص٦٢:

(نقل أبو جعفر الطبري في تاريخه ، وابن الأثير في الكامل ، والبيهقي في المحاسن والمساوي، وغيرهم أن معاوية قال: ليزيد إن لك من أهل المدينة ليوماً، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة(هو الذي سمي مسرفاً ومجرماً) فإنه رجل قد عرفت نصيحته. اهـ

عرف معاوية أن مسلماً لا دين له ، فأمر يزيد أن يرمي به أهل المدينة ، وقد فعل يزيد ما أمره به أبوه ، وفعل مسلم بأهل المدينة ما أريد منه ، حيث قال له يزيد: يا مسلم لا تردن أهل الشام عن شئ يريدون بعدوهم، فسار بجيوشه من أهل الشام فأخاف المدينة واستباحها ثلاثة أيام بكل قبيح ، وافتضت فيها نحو ثلثمائة بكر، وولدت فيها أكثر من ألف امرأة من غير زوج ، وسماها نتنة وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وآله طيبة ، وقتل فيها من قريش والأنصار والصحابة وأبنائهم نحو من ألف وسبعمائة وقتل أكثر من أربعة آلاف من سائر الناس ، وبايع المسلمين على أنهم عبيد ليزيد ! ومن أبى ذلك أَمَرَّهُ مسلم على السيف ! إلى غبر ذلك من المنكرات !

قال المحدث الفقيه ابن قتيبة رحمه الله في كتاب الإمامة والسياسة ، والبيهقي في المحاسن والمساوي ، واللفظ للأول قال: أبو معشر دخل رجل من أهل الشام على امرأة نفساء من نساء الأنصار ومعها صبي لها ، فقال لها: هل من مال؟ قالت: لا والله ما تركوا لي شيئاً ، فقال: والله لتخرجن إلَي شيئاً أو لأقتلنك وصبيك هذا ! فقالت له: ويحك إنه ولد أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، ولقد بايعت رسول الله يوم بيعة الشجرة على أن لا أسرق ولا أزني ، ولا أقتل ولدي ، ولا آتي ببهتان أفتريه، فما أتيت شيئاً ، فاتق الله ! ثم قالت له: يا بني والله لو كان عندي شئ لافتديك به ! قال فأخذ برجل الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها فضرب به الحائط فانتشر دماغه في الأرض ! قال فلم يخرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وصار مثلاً.

وأمثال هذه من أهل الشام ومن مسلم نفسه كثيرة ، فمسلم في هذا كله منفذ لأمر يزيد، ويزيد منفذ لأمر معاوية! فكل هذه الدماء وكل هذه المنكرات الموبقات ودم

الحسين عليه السلام ومن معه في عنق معاوية أولاً ، ثم في عنق يزيد ثانياً ، ثم في عنق مسلم وابن زياد ثالثاً ، أفبعد هذا يتصور أن يقال لعله تاب ورجع ؟! كلا والله ، ولقد صدق من قال: أبقى لنا معاوية في كل عصر فئة باغية ، فهاهم أشياعه وأنصاره إلى يومنا هذا يقلبون الحقائق ويلبسون الحق بالباطل ! **(وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً)** .

أخرج مسلم في صحيحه: (من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) . انتهى.

○ ○

حسين مني وأنا من حسين

(بتاريخ:٢٤ذو الحجة ١٤١٦ –١٣/٥/١٩٩٦ – ٢٤/٢/٧٥)

بســم الله الرحمن الرحيم

الموضوع الذي يجب التذكير به اليوم ، هو أن الله تعالى يسر لكم بمناسبة أيام عاشوراء خدمةً عظيمة لدينه ، وتجارةً لن تبور.

يجب أن يعرف العلماء والفضلاء الذين في هذا المجلس ، قدر منصبهم الديني الذي وفقهم الله اليه . وأحاديث أهل البيت عليهم السلام هي عبارات للعوام ، وإشارات للعلماء ، كما هو دأب القرآن .

ومن الأمور المهمة في الدين كفالة الأيتام ، ويكفينا لبيان أهميتها قول النبي صلى الله عليه وآله في الحديث الذي روته مصادر السنيين: **أنا وكافل اليتيم كهاتين .** هذا بالنسبة الى عموم الأيتام، ولكن الحديث فيه إشارة فسرها الأئمة عليهم السلام بأبي طالب رضوان الله عليه ، الذي كفل أعظم يتميم على وجه الأرض ، وآمن به أحسن إيمان ، وحماه ورعاه أحسن رعاية ، رضوان الله عليه .

وفيه إشارة فسرها الإمام العسكري عليه السلام بحديث عن آبائه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: **(أشد من يتم اليتيم الذي انقطع من أمه وأبيه ، يتم يتيمٍ انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه ، ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلي به**

من شرائع دينه. ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا فهدى الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا وهو يتيم في حجره ، ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا ، كان معنا في الرفيق الأعلى). (١)

فقد وصف النبي صلى الله عليه وآله يتم من انقطع عن الوصول الى إمامه بأنه: **أشد اليتم** ، لأن اليتم تارة يكون يتماً جسمانياً ، وتارة يتماً روحانياً . وهذا من باطن كلامه صلى الله عليه وآله. والآن في هذا البلد يوجد أناس محرومون من تعلم مسائل الدين الإبتدائية البسيطة، وهم يجهلون مسائل الحلال والحرام ، وعقائدهم متزلزلة ، وقد تسلح ذئاب النواصب بكل قواهم لصيدهم! ولا حاجة لبيان هذا الخطر.

في مثل هذه الظروف يجب على كل من يستطيع أن يقوم بحفظ أيتام آل محمد ويتكفلهم . وبما أننا في أيام عاشوراء ، أكتفي بهذا الحديث عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام قال: **من كفل لنا يتيماً قطعته عنا محنتنا باستتارنا ، فواساه من علومنا التي سقطت إليه، حتى أرشده وهداه**...وفي نسخة: **قطعته عنا محبتنا،** ولكن الأظهر: **قطعته عنا محنتنا باستتارنا،** فتنطبق الرواية على عصرنا ، عصر الإمتحان بالغيبة والإستتار،وبذلك يتضح واجبنا في كفالة أيتام شيعة آل محمد في هذا العصر والإمتحان .

وقد بين الإمام عليه السلام في الجملة الثانيةكيف يتكفل أمثالكم اليتيم ، فقال: **فواساه من علومنا التي سقطت إليه، حتى أرشده وهداه** ، فبين لكم ماذا يجب أن تقدموه في خطابتكم من الثمار المتساقطة عليكم من شجرة أهل البيت الطيبة شجرة الوحي والنبوة.

إن برنامجكم في التبليغ لا يحتاج الى شرح وتوضيح ، فأنتم والحمد لله يكفيكم الإلفات والتذكير، فاكفلوا اليتامى كما أمركم عليه السلام، ولا تقرؤوا عليهم

كلام زيد أو عمر ، بل كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، إقرؤوا لهم ما قاله جعفر بن محمد ومحمد بن علي صلوات الله عليهما ، من ثمار تلك الشجرة الطيبة التي:**أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا.** (سورة ابراهيم: ٢٤-٢٥) فاقطفوا الثمار من تلك الشجرة، وأسقطوها على أولئك الأيتام !

هذه توجيهات الإمام الحسين عليه السلام ولا يتسع الوقت لتفصيل فقه الحديث . فإن فعلتم ذلك، فإن أجر من تكفل أولئك الأيتام الفكريين في زمن الغيبة وواساهم أن يقول الله له الله عز وجل: **أيها العبد الكريم المواسي لأخيه أنا أولى بالكرم منك ، إجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علمه ألف ألف قصر ، وضموا إليها ما يليق بها من سائر النعيم.**

نعم، هذا أجر الحرف الواحد للكافلين أيتام آل محمد صلى الله عليه وآله في غيبة إمامهم ! وما أقل معرفتنا بعالم الجزاء وحياة الخلود ؟!

يمكنكم في هذه الأيام القليلة أن تفوزوا بتجارة رابحة، فالترغيب الكثير الذي ترونه في القرآن والسنة لنشر العلم والهداية ، إنما هو من أجل أن يقوم العلماء بواجبهم في التعليم ، خاصة في مثل عصرنا ، حتى لا يأتي بعض المخالفين والمتأثرين بهم ويعملوا لتحريف تلك العقائد المقدسة والأفكار النورانية ، التي بذل السلف الصالح جهودهم وجهادهم لحراستها والمحافظة عليها وإيصالها الى الأجيال، من زمن أوتاد الأرض الأربعة من تلاميذ الأئمة: **محمد بن مسلم ، وبريد بن معاوية ، وليث بن البختري المرادي ، وزرارة بن أعين** رضوان الله عليهم(٢) ، وصولاً الى الذين حفظوا عقائد التشيع الى عصرنا . فأهم واجبكم أن تحرسوا هذه العقائد لتبقى نقية سليمة كما هي. يجب أن تكون همتكم في أمرين: **الأول: حفظ العقائد ، والثاني: تعليم مسائل الحلال والحرام.** ويجب أن تعرفوا أنه لايمكن حفظ الإسلام إلا بحفظ التشيع

.. أصلاً لايوجد دين في العالم إلا الإسلام، ولا يوجد إسلام بالمعنى الصحيح إلا في مذهب التشيع ، فالدين الصحيح والإسلام الصحيح منحصر في مذهب أهل البيت عليهم السلام.

أنتم ترون أن الذين يكثرون الكلام عن التوحيد ويدعون أنهم يحملون رايته دون سواهم، هم عند المحاكمة البرهانية أتباع أئمة في الشرك ، وبحكم البرهان رافعو راية التشبيه والتجسيم !

إن العقيدة الإسلامية الحقة في الله تعالى وتوحيده، وفي النبوات وفي المعاد منحصرة في المذهب الجعفري فقط ! وهذا الحكم ليس كلاماً خطابياً بل برهاني، فلن تجد ثقافة عند فئة ولا مذهب إلا وهي متأثرة بثقافات البشر وتحريفاتهم، إلا ما صدر من هذا البيت النبوي المطهر !

روحي فداء للإمام الباقر الذي قال: **كل ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل!** فهذه الكلمة اليوم يثبتها البرهان . (٣)

○ ○

وإذا أردتم أن تهدوا الناس فلا تنسوا أن الحسين عليه السلام مصباح الهدى ، فما لم تجدوا المصباح لايمكنكم هدايتهم !

إن الحسين مصباح الهدى..كلمة عجيبة رآها النبي صلى الله عليه وآله في معراجه الى السماء! لم ير هذه الكلمة في السماء الأولى ولا الثانية ، وصل الى اللوح ثم الى القلم ، وعَبَرَ عنهما وعن الكرسي، عَبَرَ عن سبعين ألف قائمة للعرش ! وعندما وصل الى منتهى المطالب والمقاصد رآها هناك! وإنه لمكتوب عن يمين عرش الله عز وجل:**مصباح هدى وسفينه نجاة** . (٤) فعليكم أن تحافظوا على عظمة عزاء سيد الشهداء عليه السلام إياكم أن تسمحوا للضعفاء أو السفهاء

المتأثرين بالأفكار السنية ، أن ينقصوا من عظمة العزاء الحسيني.

○ ○

في هذا اليوم لي كلمة مختصرة مع أعيان علماء السنيين،فلا أهمية لعلمائهم المقلدة ، لكن في كل قوم باحثون من أهل الإستدلال العقلي لهم تضلع في العلوم النقلية . وكلامي فقط مع هؤلاء الذين لايقاس الواحد منهم بملايين المقلدة. توجد رواية نصها: **حسين مني، وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا** . في هذه الرواية جهتان للبحث: بحث سندي ، ودلالي.

أما البحث السندي فنتعرض له هنا ، مع أنه ينبغي للمحققين منهم أن يلتفتوا الى أننا لانحتاج الى أصالة السند في مثل هذا النص ، بناء على مبنانا الذي نؤكد عليه ، من أن قوة المتن قد تكون دليلاً على صحة السند ، وأنه يستحيل أن يصدر هذا الكلام من غير المعصوم عليه السلام.

لقد روى الحديث من علمائهم وأئمة محدثيهم: صاحب الإستيعاب ، وابن الأثير ، وأحمد بن حنبل ، والترمذي ، وابن ماجه ، والحاكم ، والبخاري في الأدب المفرد، والطبراني، وابن شيبة، وآخرون من أعيان علمائهم . وهذا نصه من الأدب المفرد للبخاري ص٨٥: (**٣٦٤- حدثنا عبدالله بن صالح قال: حدثنا معاوية بن صالح ، عن راشد بن سعد ، عن يعلى بن مرة أنه قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ودعينا إلى طعام ، فإذا حسين يلعب في الطريق ، فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم أمام القوم ، ثم بسط يديه فجعل الغلام يفر ههنا وههنا، ويضاحكه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى في رأسه، ثم اعتنقه، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، الحسين سبط من الأسباط**) . انتهى . (٥)

وقد صححه عدد من علمائهم ، ومنهم الذهبي كبير النقاد عندهم ، مع أنه حريص ما استطاع على تضعيف أحاديث فضائل أهل البيت عليهم السلام.

أما فقه هذا الحديث فهو عميق ، لكنا نذكر منه نقاطاً ، ويمكن لأهل البحث والتحقيق أن يتوسعوا فيها ، وندعو مفكري السنة لأن يهتموا بدرايته ، ولا يقتصروا على روايته كما هو ديدنهم.

حسين مني.. ماذا تعني؟ هذه الياء التي هي ضمير متصل بِمِن ، ثم جاءت ضميراً منفصلاً في أول الجملة الثانية:**وأنا من حسين** ، أي ياء هي؟ وعن أي معنى تحكي؟ ينبغي أن ينتبه من كان منهم متضلعاً في الإستدلالات العقلية ، الى أن كلمة: **مني،** هنا لا تعني أن الحسين يدي ، أوعيني ، أو رأسي ، أو جسدي.. فالياء هنا وكذا: **أنا** ، تعني تمام وجود النبي صلى الله عليه وآله، من بدن وقوى ! فالحسين وجود انشعب من حقيقة الحقائق !

فإن لم يكونوا من أهل التخصصات العقلية العالية، فلا أقل أن يتفهموا النمط الثالث للنفس الأرضية والسماوية عند ابن سينا، هناك حيث يقال للإنسان: إرجع الى نفسك وتأمل! فليقرؤوا التنبيه الأول في إشارات ابن سينا في بحث النفس حتى آخره ليعرفوا حقيقة العِلِّية للإنسانية، وأنها مبدأ الإدراك والحركة ومبدأ كل فعل وانفعال في تكوين شخصيته !

حسين مني.. معناها أنه منشعب ومتفرع من جوهر النبوة السامي اللطيف، هذا الجوهر الذي هو فوق البدن البشري للنبي صلى الله عليه وآله ذي الحواس المعروفة ، وفوق البدن المثالي للنبي صلى الله عليه وآله الذي له حواسه أيضاً. **أما حسين مني..** فهو من جوهر مرتبته أعلى من هذا البدن المادي ، وذاك البدن المثالي !

ما أسهل رواية الحديث، فقد رواه كبارهم وصححوه..رواه الحاكم

النيشابوري وصححه هو والذهبي، ورواه آخرون كالترمذي وابن ماجه والبخاري ، لكن اقتحام العقبة إنما هو بفقهه لابروايته فماذا فعلتم في فقهه؟!

لو فهمتم معنى **حسين مني** ، لتابعتم سيركم.. فالحسين من النبي صلى الله عليه وآله، والنبي من ماذا؟ والى أين يرجع الضمير في(**مِنِّي**) ومن أين تفرع النبي صلى الله عليه وآله؟! هنا يخشع خواص المفكرين ويقولون: انكسرت الأقلام ، وخرس البيان !

فالنبي صلى الله عليه وآله متفرع من نور العظمة الإلهي! والحقيقة المحمدية هي النقطة الأولى في بدو قوس النزول في الوجود، وهي منتهى قوس الصعود في الوجود ! وبه يتضح أن الحقيقة الحسينية عين الحقيقة المحمدية !

وهنا يصل العالم المفكر السني من هذا الحديث الشريف الى أصل النور وفروعه: **اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**. (سورة النور:٣٥) .

ومادام الأمر كذلك ، فإن الجراحات التي أصابت بدن الحسين يوم عاشوراء قد وقعت على شخص رسول الله صلى الله عليه وآله، وما يقع على النبي يقع على نور عظمة الله تعالى ! إن المصيبة التي أصيبها الإسلام بالحسين عليه السلام هي المصيبة التي ثقلت في السماوات والأرض! المصيبة التي تهدمت بها أركان الهدى ، وأثرت على كل الوجود !

لو أن علماء المذاهب السنية تأملوا في كلامنا بعين الإنصاف وتابعوا هذا الباب الذي يفتحه لهم حديث: **حسين مني وأنا من حسين**، لعظموا يوم عاشوراء، ولخرجوا فيه حفاة حاسري الرؤوس دامعي العيون ، وأوصوا جميع

المسلمين أن يقيموا مراسم العزاء ليوم عاشوراء ، تفوق مراسم كل الحوادث والمناسبات الأخرى !

أرجو أن يقرؤوا هذا الرواية ، ثم يقرؤوا كلام ابن حجر العسقلاني ، وابن حجر الهيتمي ، وجلال الدين السيوطي، وغيرهم من علماء السنة ، حيث رووا كلهم ما حدث في يوم عاشوراء قالوا: **لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهماكسفت الشمس كَسْفَةً بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي! أي ظننا أنها القيامة ! (٦)**

فالمصيبة التي هزت الملأ الأعلى ، وأحدثت فيه هذا الحزن والغضب، ماذا يجب أن تؤثر فينا في هذا العالم ؟!

○ ○

حسين مني.. هذه هي الجملة الأولى ، والجملة الثانية:**وأنا من حسين..**

ولا يتسع المقام لشرحها .

أما الجملة الثالثة ، فهي عالم يموج بالبلاغة النبوية والدقة: **أحب الله من أحب حسيناً..** والسر فيها أنها جملة خبرية، وإنشائية تتضمن معنى الإخبار! ومعناها أن الحسين محبوب الله تعالى الى حد أن محبته محبة لله تعالى ! فما هذه العظمة، وما السبب في حدوث هذا الإنقلاب حتى صار حب الحسين حباً لله تعالى ؟!

○ ○

ولي خطاب أيضاً معكم ، فخطابكم يختلف عن خطاب السنيين..

أقول لكم كلمتين لتفكروا فيهما:

الكلمة الأولى: أن الإمام الصادق عليه السلام المعروف بأخلاقه وبشاشته ، كان كما يروي صاحب كامل الزيارة عن أبي عمارة المنشد: **ما ذكر الحسين عند أبي**

عبد الله في يوم قط فرئي أبو عبد الله متبسماً في ذلك اليوم الى الليل ! وكان يقول: الحسين عبرة كل مؤمن ! (٧)

هذه هي قضية الحسين.. وهذا هو الإمام الصادق.. صلوات الله عليهم.

والكلمة الثانية: هل رأيتم كيف يكون الفقيه؟! كان كبار العلماء إذا رأوا اتفاق ثلاثة فقهاء على الفتوى في مسألة في الفقه ، أفتوا بها ثقة بعلمهم ودقتهم وتقواهم! والثلاثة هم الشيخ الأنصاري، والميرزا الشيرازي، والميرزا الشيرازي الثاني ، قدس الله أرواحهم.

وكان الميرزا محمد تقي الشيرازي أعلى الله مقامه أعجوبة في الفكر ، من حيث دقة النظر ، وأعجوبة في متانته وصلابته.. فهو الذي وقف في وجه الإنكليز وأطلق ثورة العراق ! شخص في مثل هذه الصفة ، كان يوم عاشوراء حاسر الرأس حافياً ، في موكب العزاء يلطم على صدره !

ما هذا العمل من رأس الشيعة ومرجعهم ؟ نعم ، كان رأس الشيعة ، وهو في عاشوراء، حاسر الرأس حافي القدمين! وهذا علامة فقاهته لأنه يرى أن الإمام الرضا عليه السلام يقول: **إن يوم الحسين أقرح جفوننا ، وأسبل دموعنا ، وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء ، أورثتنا الكرب والبلاء ، إلى يوم الانقضاء! (٨)**

إن يوم الحسين أقرح جفوننا.. إن أدق وألطف عضو في البدن هو العين، فماذا بلغت مصيبة الحسين حتى جرحت جفون الإمام الرضا عليه السلام ؟!

إن الميرزا أعلى الله مقامه يفهم أن المصيبة التي أقرحت جفون الإمام الرضا عليه السلام، يجب أن يخرج لها حافيا حاسراً ، ويلطم على صدره !

لقد كان رحمه الله أكبر مما قلنا ، وكان عمله أكثر مما ذكرنا.

وأختم حديثي كما افتتحته بجملة للإمام الصادق عليه السلام رئيس المذهب ، فهو الذي ينبغي أن يقول من هو الإمام الحسين عليه السلام، ومثله ينبغي له أن يقول!

ففي تعليماته للشيعة في زيارة الإمام الحسين عليه السلام قال: **إذا أتيت أبا عبدالله فاغتسل على شاطئ الفرات، ثم البس ثيابك الطاهرة، ثم امش حافياً، فإنك في حرم من حرم الله وحرم رسوله ، وعليك بالتكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ، والتعظيم لله عزوجل كثيراً، والصلاة على محمد وأهل بيته، حتى تصير إلى باب الحِير "الحائر"، ثم تقول: السلام عليك يا حجة الله وابن حجته ...الخ.**

وبما أن السائل سأله عن كيفية زيارته، فقد علمه أنك عندما تصل الى قبره الشريف وتسلم عليه بتلك التسليمات تقول: **أشهد أنك حجة الله وابن حجته، وأشهد أنك قتيل الله وابن قتيله، وأشهد أنك ثائر الله وابن ثائره، وأشهد أنك وترالله الموتور في السماوات والأرض، وأشهد أنك قد بلغت ونصحت ووفيت وأوفيت، وجاهدت في سبيل الله، ومضيت للذي كنت عليه شهيداً ومستشهداً وشاهداً ومشهوداً.** (الكافي:٥٧٥/٤)

السلام عليك يا حجة الله.. أشهد أنك حجة الله.. فبعد التسليم ، يأتي دور أداء الشهادة لله تعالى ، شهادةٌ تشبه تشهدك عندما تجثو في صلاتك بين يدي الله تعالى ، فتشهد له بالوحدانية ولرسول بالرسالة ، كذلك عندما تزور الإمام الحسين عليه السلام، فاشهد لله عند قبره بأن الحسين حجته على خلقه !

وهناك شهادة أخرى عظيمة ، عليَّ قولها وعليكم التفكير ، فقد علمنا الإمام الصادق أن نشهد بها للحسين صلى الله عليه وهي: **أشهد أنك نور الله الذي لم يطفأ ولا يطفأ أبداً . وأشهد أنك وجه الله الذي لم يهلك ولا يهلك أبداً.** (٩)

○ ○

هوامش

(١)**في الاحتجاج:٥/١**:(وأما الأخبار في فضل العلماء فهي أكثر من أن تعد أو تحصى، لكنا نذكر طرفاً منها. فمن ذلك ما حدثني به السيد العالم العابد أبو جعفر مهدي بن أبي حرب الحسيني المرعشي رضي الله عنه ، قال حدثني الشيخ الصادق أبو عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد الدوريستي رحمة الله عليه، قال حدثني أبي محمد بن أحمد، قال حدثني الشيخ السعيد أبوجعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي رحمه الله، قال حدثني أبوالحسن محمد بن القاسم المفسر الأسترآبادي، قال حدثني أبو يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، وأبو الحسن علي بن محمد بن سيار، وكانا من الشيعة الإمامية، قالا: حدثنا أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام، قال حدثني أبي عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: **أشد من يتم اليتيم الذي انقطع من أمه وأبيه ، يتم يتيمٍ انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه ، ولايدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرائع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا فهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا ، كان معنا في الرفيق الأعلى).**

○ **وفي الاحتجاج: ٨/١**: (وبهذا الإسناد عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري قال: قال الحسين بن علي عليه السلام:من كفل لنا يتيماً قطعته عنا محنتنا باستتارنا ، فواساه من علومنا التي سقطت إليه ، حتى أرشده وهداه قال الله عزوجل: أيها العبد الكريم المواسي لأخيه، أنا أولى بالكرم منك ، إجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علمه ألف ألف قصر ، وضموا إليها ما يليق بها من سائر النعيم.

○ **وبهذا الإسناد** عنه عليه السلام قال قال محمد بن علي الباقر عليه السلام: العالم كمن معه شمعة تضئ للناس ، فكل من أبصر بشمعته دعا بخير ، كذلك العالم معه شمعة تزيل ظلمة الجهل والحيرة ، فكل من أضاءت له فخرج بها من حيرة أو نجا بها من جهل ، فهو من عتقائه من النار ، والله يعوضه عن ذلك لكل شعرة لمن أعتقه ما هو أفضل له من الصدقة بمائة

ألف قنطار ، على الوجه الذي أمر الله عز وجل به ، بل تلك الصدقة وبال على صاحبها لكن يعطيه الله ما هو أفضل من مائة ألف ركعة يصليها من بين يدي الكعبة .

○ **وبهذا الإسناد عنه:** قال قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي ابليس وعفاريته ، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا وعن أن يتسلط عليهم ابليس وشيعته والنواصب ، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم .

○ **وعنه بالاسناد المتقدم قال:** قال موسى بن جعفر عليه السلام: فقيه واحد ينقذ يتيما من أيتامنا المنقطعين عنا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشد على إبليس من ألف عابد لأن العابد همه ذات نفسه فقط وهذا همه مع ذات نفسه ذوات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد إبليس ومردته، فلذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد وألف ألف عابدة.

○ **وعنه قال:** قال علي بن موسى الرضا عليه السلام: يقال للعابد يوم القيامة: نعم الرجل كنت همتك ذات نفسك وكفيت مؤنتك فادخل الجنة.ألا إن الفقيه من أفاض على الناس خيره وأنقذهم من أعدائهم ووفر عليهم نعم جنان الله تعالى، وحصل لهم رضوان الله تعالى ، ويقال للفقيه: يا أيها الكافل لأيتام آل محمد ، الهادي لضعفاء محبيهم ومواليهم قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلم منك ، فيقف فيدخل الجنة معه فئاما وفئاماً وفئاماً - حتى قال عشراً - وهم الذين أخذوا عنه علومه وأخذوا عمن أخذ عنه وعمن أخذ عمن أخذ عنه إلى يوم القيامة ! فانظروا كم صرف ما بين المنزلتين ؟!

○ ○

(٢) في معجم رجال الحديث:١٩٦/٤: (عن جميل بن دراج ، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أوتاد الأرض وأعلام الدين أربعة: محمد بن مسلم ، وبريد بن معاوية ، وليث بن البختري المرادي ، وزرارة بن أعين).

○ ○

(٣) في بصائر الدرجات ص٥٣١: (حدثنا العباس بن معروف عن حماد بن عيسى

عن ربعي عن فضيل بن يسار قال سمعت أبا جعفر يقول: كل ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل).

○ **وفي الإختصاص ص١**:(وقال أبو جعفر الباقر: كل شئ لم يخرج من هذا البيت فهو وبال).

○ **وفي الفصول المهمة:٥٢٦/١**: (وقول الباقر: من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق يؤدي عن الله فقد عبد الله وان كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان . وقوله: كل ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل) .

○ ○

(٤)في عيون أخبار الرضا:٦٢/٢: (وإنه لمكتوب عن يمين عرش الله عز وجل: مصباح هدى وسفينه نجاة).

○ ○

(٥) في مسند أحمد بن حنبل:١٧٢/٤: (عبد الله حدثني أبي ، ثنا عفان ، ثنا وهيب ، ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن أبي راشد عن يعلى العامري ، أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعام دعوا له ، قال: فاستمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عفان قال وهيب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام القوم ، وحسين مع غلمان يلعب فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذه ، قال فطفق الصبي ههنا مرة وههنا مرة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه ، قال فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه ، فوضع فاه على فيه فقبله، وقال: **حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط.**

○ **وفي سنن ابن ماجة:٥١/١ بروايتين**، وقال في هامشه: (في الزوائد: إسناده حسن . رجاله ثقات) .

○ **وفي سنن الترمذي:٣٢٤/٥** ، وقال: هذا حديث حسن .

○ **وفي مستدرك الحاكم:١٧٧/٣**، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

○ **وقال في تحفة الأحوذي بشرح الترمذي:١٩٠/١٠**: (قوله:**حسين مني وأنا من حسين**

قال القاضي: كأنه صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر، وبين أنهما كالشيء الواحد في وجوب المحبة وحرمة التعرض والمحاربة ، وأكد ذلك بقوله: **أحب الله من أحب حسيناً**، فإن محبته محبة الرسول ومحبة الرسول محبة الله .

○ **(حسين سبط)** بالكسر **(من الأسباط)** قال في النهاية: أي أمة من الأمم في الخير ، والأسباط في أولاد إسحاق بن إبراهيم الخليل ، بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل واحدهم سبط ، فهو واقع على الأمة والأمة واقعة عليه . انتهى .

○وقال القاضي: السبط ولد الولد ، أي هو من أولاد أولادي ، أكد به البعضية وقررها ، ويقال للقبيلة قال تعالى:**وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً**، أي قبائل، ويحتمل أن يكون المراد ههنا على معنى أنه يتشعب منه قبيلة ، ويكون من نسله خلق كثير ، فيكون إشارة إلى أن نسله يكون أكثر وأبقى ، وكان الأمر كذلك.

قوله (هذا حديث حسن) وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ، وابن ماجه والحاكم.

○ **ورواه ابن أبي شيبة في المصنف:٥١٥/٧** ، والبخاري في الأدب المفرد ص٨٥ ، وابن حبان في صحيحه:٤٢٧/١٥، والطبراني في المعجم الكبير:٣ /٣٣ ، و:٢٧٤/٢٢ ، وابن حجر الهيثمي في موارد الظمآن ص٥٥٣ .

○ **وقال العجلوني في كشف الخفاء:٣٥٨/١:(حسين مني وأنا من حسين)** رواه الترمذي وحسنه ، عن يعلى ابن مرة الثقفي مرفوعاً، ورواه أحمد وابن ماجه في سننه عن يعلى بن مرة باللفظ المذكور، وزاد: **أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط)**.

○ **وفي تناقضات الألباني الواضحات للسقاف:٧٤/١**:(حديث يعلى بن مرة مرفوعاً: (حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط) رواه الترمذي، وهو حسن الإسناد. قلت: صححه الألباني فأورده في سلسلته الصحيحة:٢٢٩/٣ برقم١٢٢٧وهو متناقض حيث ضعفه في تخريج مشكاة المصابيح:١٧٣٨/٣برقم ٦١٦٠، قائلاً: وإسناده ضعيف. اهـ !! .

○ **وقال ابن كثير في والنهاية:٢٢٤/٨:** (ثم قال (أي الترمذي): حدثنا الحسن بن عرفة ، ثنا إسماعيل بن عياش، عن عبدالله بن عثمان بن خيثم ، عن سعيد بن راشد عن يعلى بن مرة . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط .**

ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن. ورواه أحمد عن عفان عن وهب عن عبد الله بن عثمان بن خيثم به. ورواه الطبراني عن بكر بن سهل ، عن عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح بن راشد بن سعد ، عن يعلى بن مرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **الحسن والحسين سبطان من الأسباط** . وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم ، ثنا سفيان ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن أبي نعيم ، عن أبي سعيد الخدري . قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**).

○ ○

(٦) روى البيهقي في سننه:٣٣٧/٣ قال: (وأخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان، أنبأ عبد الله بن جعفر ، ثنا يعقوب بن سفيان ، حدثني أبو الأسود النضر بن عبد الجبار ، أنبأ ابن لهيعة ، عن أبي قبيل قال: لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي!. انتهى. أي أنها القيامة !

○ **وفي مجمع الزوائد للهيتمي:١٩٦/٩:** (وعن أم حكيم قالت قتل الحسين وأنا يومئذ جويرية فمكثت السماء أياماًمثل العلقة.رواه الطبراني ورجاله إلىأم حكيم رجال الصحيح.

○ **وعن جميل بن زيد قال:** لما قتل الحسين احمرت السماء قلت أي شئ تقول قال ان الكذاب منافق ان السماء احمرت حين قتل . رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه .

○ **وعن أبي قبيل قال:** لما قتل الحسين بن علي انكسفت الشمس كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي . رواه الطبراني وإسناده حسن .

○ **وفي المصنف لابن أبي شيبة:٦٣٣/٨:** (٢٦٢- حدثنا علي بن مسهر عن أم حكيم قالت: لما قتل الحسين بن علي وأنا يومئذ جارية قد بلغت مبلغ النساء أو كدت أن أبلغ ،

مكثت السماء بعد قتله أياما كالعلقة .

○ **وقال القرطبي في تفسيره:١٤١/١٦:** (قال السدي: لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكت عليه السماء ، وبكاؤها حمرتها .

وحكى جرير عن يزيد بن أبي زياد قال: لما قتل الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما احمر له آفاق السماء أربعة أشهر . قال يزيد: واحمرارها بكاؤها .

وقال محمد بن سيرين: أخبرونا أن الحمرة التي تكون مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما . وقال سليمان القاضي: مطرنا دماً يوم قتل الحسين.

○ **وقال ابن حجر في تلخيص الحبير:٨٤/٥:** (روى البيهقي عن أبي قبيل أنه لما قتل الحسين كسفت الشمس كسفةً بدت الكواكب نصف النهار حتى ظننا أنها هي هو..).

○ ورواه بنحوه الطبراني في المعجم الكبير:١١٣/٣ و١١٩ وابن عساكر:٢٢٨/١٤ و٢٢٩ ، والمزي في تهذيب الكمال: ٤٣٢/٦ و٤٣٣ ، والمناوي في فيض القدير:٢٦٥/١، وعلي بن محمد الحميري في جزئه ص٣١ ، والنووي في المجموع:٥٩/٥ ، وفي روضة الطالبين:٥٩٨/١، والرافعي في الفتح العزيز:٨٣/٥ ، والشربيني في مغني المحتاج:٣٢٠/١ ، والشرواني في حواشيه:٦٧/٩

○ **وروى البخاري في التاريخ الكبير:١٢٩/٤:** (عن سليم القاص قال: مطرنا أياماً أو يوم قتل الحسين دماً. سمع منه حماد بن سلمة وإسماعيل بن إبراهيم أبو إبراهيم) .

○ ○

(٧) في كامل الزيارات ص٢٠٣: (حدثني محمد بن جعفر القرشي ، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن الحسن بن علي، عن ابن أبي عمير ، عن علي بن المغيرة، عن أبي عمارة المنشد، قال: ما ذكر الحسين بن علي عليه السلام عند أبي عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام في يوم قط فرئي أبو عبد الله في ذلك اليوم متبسماً الى الليل) . ورواه في كامل الزيارات ص٢١٤ وزاد فيه: (وكان عليه السلام يقول: الحسين عبرة كل مؤمن) .

○ **وفي أمالي الصدوق ص٢٠٥:** (حدثنا أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله ، عن

الحسن بن موسى الخشاب، عن علي بن حسان الواسطي، عن عمه عبد الرحمن بن كثير الهاشمي ، عن داود بن كثير الرقي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ استسقى الماء ، فلما شربه رأيته وقد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه، ثم قال: يا داود ، لعن الله قاتل الحسين، فما أنغص ذكر الحسين للعيش ! إني ما شربت ماء بارداً إلا وذكرت الحسين ، وما من عبد شرب الماء فذكر الحسين ولعن قاتله إلا كتب الله له مائة ألف حسنة ، ومحا عنه مائة ألف سيئة ، ورفع له مائة ألف درجة ، وكان كأنما أعتق مائة ألف نسمة ، وحشره الله يوم القيامة أبلج الوجه).

○ ○

(٨) **في أمالي الصدوق ص١٩٠:** (حدثنا جعفر بن محمد بن مسرور رحمه الله، قال: حدثنا الحسين بن محمد بن عامر ، عن عمه عبد الله بن عامر ، عن إبراهيم بن أبي محمود ، قال: قال الرضا عليه السلام: إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال ، فاستحلت فيه دماؤنا ، وهتكت فيه حرمتنا ، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا ، وأضرمت النيران في مضاربنا ، وانتهب ما فيها من ثقلنا ، ولم ترع لرسول الله حرمة في أمرنا ! إن يوم الحسين أقرح جفوننا ، وأسبل دموعنا ، وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء ، أورثتنا الكرب والبلاء ، إلى يوم الإنقضاء ، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون ، فإن البكاء يحط الذنوب العظام .

ثم قال عليه السلام: كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً ، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام ، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين صلوات الله عليه).

○ ○

(٩) **في بحار الأنوار:٣٤٢/٩٨:** (روي عن الصادق عليه السلام في زيارة الحسين عليه السلام قال: تقف على القبر وتقول: الحمد لله العلي العظيم ، والسلام عليك أيها العبد الصالح الزكي ، أودعك شهادة مني لك تقربني إليك في يوم شفاعتك ، أشهد أنك قتلت ولم تمت ، بل برجاء حياتك حييت قلوب شيعتك ، وبضياء نورك اهتدى الطالبون إليك ، وأشهد أنك نور الله الذي لم يطفأ ، ولا يطفأ أبداً ، وأنك وجه الله الذي لم يهلك ، ولا يهلك أبداً) .

ورواه أيضاً في:٩٨ /٢٥١.

الإمام الحسين عليه السلام فوق الوصف والتعريف

(بتاريخ: ٢٤ذي الحجة ١٤١٥- ١٩٩٥/٥/٢٥ - ١٣٧٤/٣/٣)

بســم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين ، لاسيما بقية الله في الأرضين ، واللعن على اعدائهم الى يوم الدين.

طلب مني بعض الأفاضل أن أتكلم كلمات بمناسبة قرب عاشوراء.. وإنه لفوز عظيم يفوق التصور أن يشملكم التوفيق الإلهي ولطف حضرة ولي العصر أرواحنا لتراب مقدمه الفداء ، فتُسجَّل أسماؤكم في دفتر سيد الشهداء في أيام عاشوراء هذه . كما أن المسؤولية مهمة جداً وثقيلة ، وهي أن نعرف الناس من هو الإمام الحسين عليه السلام، وما هي عاشوراء ؟

والمهم بالنسبة إلينا أن نفهم بالبرهان أن سيد الشهداء عليه السلام فوق الوصف والتعريف ، وأن عمله فوق رتبة التوفيق. وبما أن المسألة أكبر من أن نستطيع تقريرها بكلماتنا ، فنحن ملزمون أن نطلب فهمها من كلمات أهل البيت الطاهرين صلوات الله عليهم ، بالتأمل فيها وكشف الحجاب عن أذهاننا للوصول الى عمقها .

سأعرض عليكم توجيه الإمام الصادق عليه السلام ليونس بن ظبيان ، بشكل مجمل

وأرجو أن تستفيدوا من خبراتكم العلمية لفقه هذا الحديث ، لأن مراتب العلماء إنما هي بدرجة الدراية لا الرواية. قال يونس للإمام الصادق عليه السلام: **(جعلت فداك إني كثيراً ما أذكر الحسين ، فأي شئ أقول؟ فقال قل: صلى الله عليك يا أبا عبد الله . تعيد ذلك ثلاثاً ، فإن السلام يصل إليه من قريب ومن بعيد.... قال له يونس: جعلت فداك إني أريد أن أزوره فكيف أقول وكيف أصنع؟ قال: إذا أتيت أبا عبد الله فاغتسل على شاطئ الفرات، ثم البس ثيابك الطاهرة، ثم امش حافياً فإنك في حرم من حرم الله وحرم رسوله ، وعليك بالتكبير والتهليل والتسبيح والتحميد، والتعظيم لله عز وجل كثيراً، والصلاة على محمد وأهل بيته ، حتى تصير إلى باب الحائر ، ثم تقول:**

السلام عليك يا حجة الله وابن حجته.

السلام عليكم يا ملائكة الله ، وزوار قبر ابن نبي الله .

ثم اخط عشر خطوات ، ثم قف وكبر ثلاثين تكبيرة ، ثم امش إليه حتى تأتيه من قبل وجهه ، فاستقبل وجهك بوجهه وتجعل القبلة بين كتفيك ثم قل:

السلام عليك يا حجة الله وابن حجته.

السلام عليك يا قتيل الله وابن قتيله.

السلام عليك يا ثأر الله وابن ثاره.

السلام عليك يا وتر الله الموتور في السماوات والأرض) .انتهى . (١)

تأملوا جيداً ، فالسلام الأول سلام عام ، وبعده ثلاث تسليمات خاصة ! وهنا المعرفة والحكمة! إن لُباب العلم في كلمات الأئمة المعصومين عليهم السلام، والعقل البشري يحتاج الى مدد إلهي وعناية ربانية ، ليصل الى شعاع من تلك الشموس المتوهجة !

السلام عليك يا حجة الله وابن حجته.. وهذه الصفة سمةٌ عامة للأئمة الذين جعلهم الله ذرية مباركة بعضها من بعض ، لكن ما بعدها صفاتُ وسماتٌ خاصة بالحسين لا يشترك معه فيها غيره ، حتى أبوه صلوات الله عليهم.

السلام عليك يا قتيل الله وابن قتيله.. تعبيرٌ بليغٌ لنوع فريد من الشهادة لله تعالى على خلقه ، شاركه فيه أبوه أمير المؤمنين عليه السلام، لكن الحسين عليه السلام اختص بأنه قتيل الله وابن قتيله ! فقد كُتِبَتْ له هذه السمة الفريدة من عالم الغيب: **قتيل الله وابن قتيله!** فلا تجد هذا المنصب الرباني لغيره في كل تاريخ البشرية ، ولا في مقامات الأنبياء والأوصياء والشهداء عليهم السلام .

ومن الممكن لنا أن نفهم صفة: **قتيل الله وابن قتيله ، وثأر الله في الأرض وابن ثاره..** لكن العبارة المحيرة للعقول هي:

السلام عليك يا وتر الله الموتور ، في السماوات والأرض !

ثم ، بعد هذه المقامات الثلاثة ، قال الإمام الصادق عليه السلام: **أشهد أن دمك سكن في الخلد ، واقشعرت له أظلة العرش ، وبكى له جميع الخلائق !!**

فصاحب هذا المقام الذي نريد أن نعرِّفه للمسلمين، جوهرٌ منحصرٌ بفرد! وإنجازاته كليٌّ منحصر بفرد ! وفي كل فقرة من هذه الدرر أبحاثٌ تستغرق ساعات ، ولا ندعي الكمال في الشارح ، بل نأمل الإستعداد في المستمع .

.والمهم الآن أن نفهم ما الذي حدث حتى صار دم الحسين عليه السلام من سكان عالم الخلد؟! فعالم الخلود مكان التجرد ، وذهاب الروح اليه وسكناها فيه منسجم مع الأصل ، لكن ذهاب الدم وسكنه فيه ، يعني أن الروح حدث فيها تطور فصار مقرها فوق الخلد! وأن الدم صار من نوع الروح فسكن الخلد ! معنى ذلك أن الحسين عليه السلام وصل الى درجة أن الخلد صار مسكناً لدمه الطاهر، أما روحه فمسكنها في درجة فوق الخلد ، لا نعرفها !

أشهد أن دمك سكن في الخلد، واقشعرت له أظلة العرش.. كلامٌ عن عالم أعلى ، من إمام مفتوحة له النوافذ على ذلك العالم ! فما معنى سكن الدم في الخلد ، واقشعرار أظلة العرش له؟! وما هذا التقابل والجدلية بين سكن دم الحسين وسكونه في الخلد ، وبين اقشعرار أظلة العرش؟

إنه تعبير يموج بالبحث والمعرفة ! ثم يأتي بعده المشهد العجيب: **وبكت له جميع الخلائق!**

أين أهل التأمل والنظر وأصحاب الدقة الفكرية؟ لقد استعمل الإمام الجمع المحلى بالألف واللام للخليقة لتفيد التعميم لكل المخلوقات ، ثم جمعها بكلمة (**الخلائق**) ، ثم فصل الخلائق بعد إجمالها ! فقال: **وبكت له السماوات السبع والأرضون السبع ، وما فيهن وما بينهن ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا ، وما يرى وما لا يرى..** كلها بكت من أجل دم الحسين عليه السلام، فأين الحسين نفسه؟! نعم، كل هذا التجليل والعظمة إنما هو لدم سيد الشهداء الذي يجري في عروقه، والذي أراقه لله تعالى في كربلاء ! أما روحه المتعلقة بذلك الدم ، فلها حديث آخر !

فانظروا الى هذا التحول والإنقلاب الذي حصل في مراتب الوجود ، في نقطة الصعود ونقطة النزول ، من أين امتد إلى أين؟! وإلى أين نصل من باب العلم هذا الذي فتحه الإمام الصادق عليه السلام لأهل الفقه الأكبر ، عندما عرَّف لنا الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام بدمه وليس بنفسه ولا بروحه فأفهمنا أن دمه الشريف فوق التعريف ، فكيف بصاحب الدم ، ومنزلته ؟!

إقرأ كتاب الكافي من أوله الى آخره ، ولكن قراءة باحث ، وتتبعْ فيه مراتب الوجود ، وقوس النزول والصعود ، لترى أن ما أشرت اليه من تفصيل علامة الوجود الإمام جعفر الصادق عليه السلام بعد إجماله: **وبكت له السماوات السبع**

والأرضون السبع، وما فيهن ومابينهن ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا وما يرى ومالا يرى.. يدل على أهل الجنة بكوا لهذا الدم ، وأهل جهنم بكوا لهذا الدم ! وما ذلك إلا لأن انقلاباً حدث في قوس الصعود وفي قوس النزول ! وأن أعلى نقطة في مراتب الوجود الى أدنى نقطة في مراتبه ، كلها اهتز وجودها ووجدانها أمام دم الإمام الحسين عليه السلام، فما هذه العظمة ؟!

ولم يقف الإمام الصادق عليه السلام عند هذا ، بل قال كلمة بعده لا يستوعبها إلا من خصه الله برزق من عنده ! قال الإمام عليه السلام:**وما يرى ، وما لا يرى !**

فكل ما خلق الله مما يرى ولا يرى ، بكى لدم الحسين عليه السلام!

فما هذا المجد الرباني للحسين ، وما قضيته ؟

وهذا يعني أنك إذا أردت أن تتلفظ باسم الحسين عليه السلام على المنبر، وتؤدي ما ينبغي من مراسم ذكر اسمه، فغسلت فمك بماء الورد ألف مرة ! فأنت مقصر في آداب ذكر اسمه الشريف! كيف لا ، وأنت لا تستطيع أن تفهم دم الحسين عليه السلام، وما معنى أنه **سكن في الخلد!** فكيف تفهم روحه ؟!

وإذا أردنا أن نصوغ المطلب بنظم الدليل البرهاني ، فإن إضافة النكرة الى المعرفة تقلب النكرة فتكتسب بإضافتها التعريف ، هذه قاعدة العَلَم الإضافي، فإذا كان المضاف اليه فوق التعريف ، أخذ المضاف من صفته فصار فوق التعريف ! وهذا هو الدليل البرهاني على أن الإمام الحسين عليه السلام فوق التعريف !

كما أن الإضافة تكون أحياناً إضافة فنائية ، فيكون لها حكم آخر ، حيث تسري آثار المفني فيه الى الفاني وتظهر عليه ! فلننظر الى إضافة الحسين الى الله تعالى ، أي نوع من الإضافة هي ، لكي نفهم لماذا قال الإمام الصادق عليه السلام: **السلام عليك يا قتيل الله وابن قتيله !**

فمن هو قتيل الله هذا ؟ إرجعوا الى دعاء علقمة بن محمد الحضرمي، واقرؤوا هذا الجملة التي تبين مقام النبي صلى الله عليه وآله وبقية أصحاب الكساء عليهم السلام يقول: **يا من يكفي من كل شئ ولا يكفي منه شئ في السموات والأرض ! أسألك بحق محمد خاتم النبيين،وعلي أمير المؤمنين، وبحق فاطمة بنت نبيك وبحق الحسن والحسين، فإني بهم أتوجه إليك في مقامي هذا وبهم أتوسل ، وبهم أتشفع إليك، وبحقهم أسألك وأقسم وأعزم عليك، وبالشأن الذي لهم عندك، وبالقدر الذي لهم عندك، وبالذي فضلتهم على العالمين ، وباسمك الذي جعلته عندهم، وبه خصصتهم دون العالمين ، وبه أبنتهم وأبنت فضلهم من فضل العالمين ، حتى فاق فضلهم فضل العالمين جميعاً . (٢)**

فمعنى هذا أن هؤلاء الخمسة صار لهم حسابهم الخاص عن كل العالمين ، بما حملهم الله تعالى من اسمه الأعظم ، فلا يقاس بهم غيرهم أبداً ! وذلك الدم المقدس الذي أريق في كربلاء أخذ خصوصياته من هنا ! فهو دم بدن يحمل اسم الله الأعظم ، لكن الى أي حد ، وأي مستوى؟

إن اسم الله الأعظم ثلاث وسبعون حرفاً ، منه حرف مختص بالله تعالى ، لايصل الى مخلوق ولا يصل اليه مخلوق! ومن الإثنين وسبعين حرفاً أعطى الله تعالى عبده عيسى بن مريم عليه السلام أربعة حروف فقط، وبها كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله . كل هذه الآثار كانت بالحروف الأربعة !

أما ابراهيم عليه السلام فقد وصل الى درجة أن يعطى من اسم الله الأعظم ثمانية حروف لم يتجاوز الثمانية !

وأما نبينا وأهل بيته صلى الله عليه وآله فقد أعطاهم الله تعالى اثنين وسبعين حرفاً من

إسمه الأعظم . فالحروف الأربعة التي عند عيسى المسيح عليه السلام، والثمانية التي عند ابراهيم عليه السلام، الى الإثنين وسبعين حرفاً ، كلها في قلب الحسين عليه السلام! ولك أن تتصور بدناً يحمل مثل هذا الجوهر الفرد ، ودماً أريق من مثل ذلك القلب بأي حساب يجب أن يحسب ؟!

لا بد أن تعرف دمَ مَنْ هو ؟ ومن أي نوع من المعرفة تغذى ؟

ومن أي نبع سقيت صفاته وملكاته ؟ ومن أجل مَن أريق ، وكيف ؟

وهل يمكن لبشر أن يفهم ذلك الدم الذي يجري فيه اسم الله الأعظم ؟!

لسنا في صدد الحديث عن الجراحات التي وقعت على ذلك البدن الشريف صلوات الله عليه ، وعن تعدادها وتفصيلها ، فغرضنا أن نفهم شيئاً من شهادة الإمام الصادق عليه السلام:**أشهد أن دمك سكن في الخلد** ! فالإمام الحسين عليه السلام بكل هذه الجراحات التي في بدنه (٣) ، وقف في جانب الميدان ليستريح ساعة ، فقد كان التعب بلغ به مبلغه ، فهو على أي حال بشر ، وامتحانه الإلهي هذا يتم في عالم بشريته.وقف وهو يحمل جراحاته ليستريح هنيهة ، فقد رجع من حملاته عليهم ، ورد حملاتهم عليه ، وقبل قليل كان عند جسد أخيه العباس، وجثمان ولده علي الأكبر، ورأى أجساد أصحابه المجدلين في أرض كربلاء هنا وهناك ، والآن هذه جراحاته تستوعب بدنه !

في ذلك الوقت ضربه خبيث بحجر فوقع على جبهته ، فرفع طرف قميصه ليمسح الدم عن وجهه، فماذا حدث؟ أتاه سهم محدد مسموم له ثلاث شعب فوقع في صدره فانبعث الدم كالميزاب ، فتلقى الدم بيده فلما امتلأت رمى به إلى السماء ، فما رجع من ذلك الدم قطرة !!

أرجو أن تلتفتوا.. لماذا تلقى الحسين دم قلبه بيده ورمى به الى السماء؟!

وكم مرة فعل ذلك؟ وفي إحداها مسح به وجهه وبدنه !

وأي دم صعد الى السماء ، وأي دم مسح به رأسه ووجهه؟

وهل وقع من دمه على الأرض؟

ولماذا لم يتركه الإمام الحسين يجري على الأرض ؟!

ولو جرى على الأرض هل تبقى أرض وأهل الأرض ؟!

إن هذا هو معنى: **السلام عليك يا رحمة الله الواسعة ويا باب نجاة الأمة.**

أنت يامولاي جعفر بن محمد ينبغي أن تقول أي دم كان ذلك الدم؟!

أخذ الحسين عليه السلام الدم الشريف ونظر اليه وقال: **بسم الله وبالله**، ثم قال: **وفي سبيل الله**، ثم رمى به نحو السماء، يعني:**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ!** قال الإمام الصادق عليه السلام: **فما رجع من ذلك الدم قطرة !!**

ذلك هو الدم الذي سكن في الخلد !!

يا أحمد بن حنبل ، أنت كتبت في مسندك..

يا ابن عبد البر ، أنت كتبت في استيعابك..

ويا ابن حجر ، أنت كتت في الإصابة..

ويا ترمذي ، أنت كتبت في سننك..

ويا جلال الدين السيوطي ، أنت كتبت في تفسيرك وتاريخك..

ويا بيهقي والخطيب البغدادي ، وأئمة التفسير والحديث..

أنتم جميعاً كتبتم ، فهل فهمتم ما كتبتم من خبر ابن عباس قال رأيت النبي صلى الله عليه وآله حزيناً مغبر الثياب وبيده قارورة يلتقط فيها دم الحسين عليه السلام ليرفعه الى العرش،وأن النبي صلى الله عليه وآله أخبر ابن عباس بشهادة الحسين عليه السلام فكان كماقال وظهر صدق رؤيا ابن عباس ، وظهرت كرامة للنبي صلى الله عليه وآله في دم الحسين عليه السلام!

(قال ابن الأثير في تاريخه:٨٢/١: قال ابن عباس: رأيت النبي الليلة التي قتل فيها الحسين، وبيده قارورة يجمع فيها دماً فقلت: يارسول الله ما هذا ؟ فقال: هذه دماء الحسين وأصحابه، أرفعها الى الله تعالى) ! انتهى . وفي رواية: أرفعه الى السماء، وفي رواية: الى العرش . وفي كلها: دم الحسين وأصحابه ! يا أئمة رواة الحديث ، هل فهمتم ماذا يعني النبي صلى الله عليه وآله بذلك؟! يعني أني أنا بستاني الإنسانية، بعثت في أهل الأرض وغرست بستاناً.. وعندما تطلع منه الورود ، لابد أن آتي وأقطفها وآخذها الى الله تعالى، لأن محلها: **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ !**

أشهد لقد طيب الله بك التراب ، وأوضح بك الكتاب.

السلام عليك يا قتيل الله وابن قتيله.

○ ○

هوامش

(١) في الكافي:٥٧٥/٤: (عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن القاسم بن يحيى عن جده الحسن بن راشد، عن الحسين بن ثوير قال: كنت أناويونس بن ظبيان والمفضل بن عمرو أبو سلمة السراج جلوساً عند أبي عبد الله عليه السلام، وكان المتكلم منا يونس وكان أكبرنا سناً فقال له: جعلت فداك إني أحضر مجلس هؤلاء القوم يعني ولد العباس فما أقول؟ فقال: إذا حضرت فذكرتنا فقل: اللهم أرنا الرخاء والسرور فإنك تأتي على ماتريد. فقلت: جعلت فداك إني كثيراً ما أذكر الحسين عليه السلام فأي شئ أقول ؟ فقال: قل: صلى الله عليك يا أبا عبد الله. تعيد ذلك ثلاثاً فإن السلام يصل إليه من قريب ومن بعيد.

ثم قال: إن أبا عبد الله الحسين لما قضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ، ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا ، وما يرى وما لايرى

بكى على أبي عبد الله الحسين إلا ثلاثة أشياء لم تبك عليه ، قلت: جعلت فداك وما هذه الثلاثة الأشياء ؟ قال: لم تبك عليه البصرة ولا دمشق ولا آل عثمان عليهم لعنة الله .

قلت: جعلت فداك إني أريد ، أن أزوره فكيف أقول وكيف أصنع ؟

قال: إذا أتيت أبا عبد الله فاغتسل على شاطئ الفرات ثم ألبس ثيابك الطاهرة ثم امش حافياً ، فإنك في حرم من حرم الله وحرم رسوله ، وعليك بالتكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ، والتعظيم لله عز وجل كثيراً ، والصلاة على محمد وأهل بيته ، حتى تصير إلى باب الحير ، ثم تقول:

السلام عليك يا حجة الله وابن حجته.

السلام عليكم يا ملائكة الله وزوار قبر ابن نبي الله.

ثم اخط عشر خطوات ، ثم قف وكبر ثلاثين تكبيرة ، ثم امش إليه حتى تأتيه من قبل وجهه ، فاستقبل وجهك بوجهه وتجعل القبلة بين كتفيك ثم قل:

السلام عليك يا حجة الله وابن حجته.

السلام عليك يا قتيل الله وابن قتيله.

السلام عليك يا ثأر الله وابن ثاره.

السلام عليك يا وتر الله الموتور في السماوات والأرض.

أشهد أن دمك سكن في الخلد، واقشعرت له أظلة العرش، وبكى له جميع الخلائق، وبكت له السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ، ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا ، وما يرى وما لا يرى.

أشهد أنك حجة الله وابن حجته، وأشهد أنك قتيل الله وابن قتيله، وأشهد أنك ثائر الله و ابن ثائره ، وأشهد أنك وتر الله الموتور في السماوات والأرض ، وأشهد أنك قد بلغت ونصحت ووفيت وأوفيت ، وجاهدت في سبيل الله ، ومضيت للذي كنت عليه شهيداً ومستشهداً وشاهداً ومشهوداً.

أنا عبد الله ومولاك، وفي طاعتك، والوافد إليك، ألتمس كمال المنزلة عند الله، وثبات القدم في الهجرة إليك ، والسبيل الذي لايختلج دونك من الدخول في

كفالتك التي أمرتُ بها. من أراد الله بدأ بكم ، بكم يبين الله الكذب، وبكم يباعد الله الزمان الكلب، وبكم فتح الله وبكم يختم ، وبكم يمحو ما يشاء وبكم يثبت ، وبكم يفك الذل من رقابنا ، وبكم يدرك الله ترة كل مؤمن يطلب بها، وبكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تخرج الأشجار أثمارها ، وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها . بكم يكشف الله الكرب ، وبكم ينزل الله الغيث، وبكم تسيخ الأرض، التي تحمل أبدانكم، وتستقر جبالها عن مراسيها . إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم ، وتصدر من بيوتكم ، والصادر عما فصل من أحكام العباد .

لُعنَتْ أمةٌ قتلتكم ، وأمة خالفتكم ، وأمة جحدت ولايتكم ، وأمة ظاهرت عليكم ، وأمةَ شهدت ولم تستشهد. الحمد لله الذي جعل النار مثواهم وبئس ورد الواردين ، وبئس الورد المورود . والحمد لله رب العالمين . وصلى الله عليك يا أبا عبد الله ، أنا إلى الله ممن خالفك بريئ (ثلاثاً) . ثم تقوم فتأتي ابنه علياً وهو عند رجليه فتقول:

السلام عليك يا بن رسول الله ، السلام عليك يا بن علي أمير المؤمنين ، السلام عليك يابن الحسن والحسين ، السلام عليك يابن خديجة وفاطمة ، صلى الله عليك . لعن الله من قتلك - تقولها ثلاثاً - أنا إلى الله منهم بريئ (ثلاثاً).

ثم تقوم فتؤمي بيدك إلى الشهداء وتقول: **السلام عليكم (ثلاثاً) فزتم والله فزتم والله فليت أني معكم فأفوز فوزاً عظيما.** ثم تدور فتجعل قبر أبي عبد الله بين يديك فصل ست ركعات وقد تمت زيارتك ، فإن شئت فانصرف) .

○ ○

(٢) في مصباح المتهجد ص٧٧٧: (وروى محمد بن خالد الطيالسي عن سيف بن عميرة قال: خرجت مع صفوان بن مهران الجمال وعندنا جماعة من أصحابنا إلى الغري بعد ما خرج أبو عبد الله عليه السلام فسرنا من الحيرة إلى المدينة فلما فرغنا من الزيارة صرف صفوان وجهه إلى ناحية أبي عبد الله الحسين عليه السلام فقال لنا: تزورون الحسين عليه السلام من هذا المكان من عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام من هاهنا أومأ إليه أبوعبدالله الصادق عليه السلام وأنا معه، قال فدعا صفوان بالزيارة التي رواها علقمة بن محمد الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام في

يوم عاشوراء ثم صلى ركعتين عند رأس أمير المؤمنينوكان فيما دعا في دبرهما:

يا ألله يا ألله يا ألله يا مجيب دعوة المضطرين. يا كاشف كرب المكروبين. يا غياث المستغيثين. ويا صريخ المستصرخين. ويا من هو أقرب إلي من حبل الوريد . يا من يحول بين المرء وقلبه . ويا من هو بالمنظر الأعلى وبالأفق المبين . ويا من هو الرحمن الرحيم على العرش استوى ، ويا من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، ويا من لا يخفي عليه خافية، يا من لاتشتبه عليه الأصوات، ويا من لاتغلطه الحاجات ويا من لا يبرمه إلحاح الملحين، يا مدرك كل فوت، ويا جامع كل شمل، ويا بارئ النفوس بعد الموت ، يا من هو كل يوم في شأن ، يا قاضي الحاجات ، يا منفس الكربات ، يا معطي السؤلات ، يا ولي الرغبات، يا كافي السؤالات المهمات ، يا من يكفي من كل شئ ولا يكفي منه شئ في السموات والأرض .

أسألك بحق محمد خاتم النبيين ، وعلي أمير المؤمنين ، وبحق فاطمة بنت نبيك، وبحق الحسن والحسين ، فإني بهم أتوجه إليك في مقامي هذا ، وبهم أتوسل ، وبهم أتشفع إليك ، وبحقهم أسألك وأقسم وأعزم عليك، وبالشأن الذي لهم عندك وبالقدر الذي لهم عندك ، وبالذي فضلتهم على العالمين. وباسمك الذي جعلته عندهم وبه خصصتهم دون العالمين ، وبه أبنتهم وأبنت فضلهم من فضل العالمين ، حتى فاق فضلهم فضل العالمين جميعاً. أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأن تكشف عني غمي وهمي وكربي ، وتكفيني المهم من أموري..الى آخر الدعاء).

٥ ٥

(٣)**في بحار الأنوار: ٥٢/٤٥**: (وقال الباقر: **أصيب الحسين، ووجد به ثلاث مائة وبضعة وعشرون طعنة برمح وضربة بسيف أو رمية بسهم** . وروي ثلاثمائة وستون جراحة. وقيل ثلاث وثلاثون ضربة سوى السهام . وقيل ألف وتسعمائة جراحة.

٥ **وفي بحار الأنوار:٥٣/٤٥**: (فوقفيستريح ساعة وقد ضعف عن القتال ، فبينما هو واقف إذ أتاه حجر فوقع في جبهته فأخذ الثوب ليمسح الدم عن وجهه ، فأتاه سهم محدد مسموم له ثلاث شعب ، فوقع السهم في صدره - وفي بعض الروايات على قلبه

- **فقال الحسين عليه السلام: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، ورفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن نبي غيره ، ثم أخذ السهم فأخرجه من قفاه فانبعث الدم كالميزاب، فوضع يده على الجرح فلما امتلأت رمى به إلى السماء، فما رجع من ذلك الدم قطرة ، وما عرفت الحمرة في السماء حتى رمى الحسين عليه السلام بدمه إلى السماء ، ثم وضع يده ثانياً فلما امتلأت لطخ بها رأسه ولحيته وقال: هكذا أكون حتى ألقى جدي رسول الله وأنا مخضوب بدمي وأقول: يارسول الله قتلني فلان وفلان** ، ثم ضعف عن القتال فوقف ، فكلما أتاه رجل وانتهى إليه انصرف عنه! حتى جاءه رجل من كندة يقال له: مالك بن اليسر فشتم الحسين عليه السلام وضربه بالسيف على رأسه وعليه برنس فامتلأ دماً، فقال له الحسين: لا أكلت بها ولا شربت، وحشرك الله مع الظالمين. ثم ألقى البرنس ولبس قلنسوة واعتم عليها وقد أعيا... صلوات الله عليه).

٥ ٥

حديث اللوح الذي أهداه الله تعالى إلى فاطمة عليها السلام

(بتاريخ: ٢٤ ذي الحجة ١٤١٩ – ١٩٩٩/٤/١١ – ١٣٧٦/١/٢٢)

بســم الله الرحمن الرحيم

ينبغي للعلماء الأفاضل الذين واجبهم السفر في أيام عاشوراء ، أن يتذكروا أن تبليغ الإسلام ونشره من أهم الواجبات ، وأن يستفيدوا من هذا الظرف الزماني أيام عاشوراء الذي هو أهم ظرف في العالم . فالزمن الذي وقع في هذا الظرف وصفه الإمام بكلمة قطعية: **لا يوم كيومك يا أبا عبد الله.**

ينبغي أن نستفيد الكثير من أسماء السور في القرآن، فأسماؤها تعطي أضواء على عمود الموضوع في السورة ، ومنها سورة باسم(**التغابن**)لقوله تعالى فيها: **يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** . وكما نلاحظ فإن أسماء القيامة في القرآن متعددة ، وقد استعمل في هذا الآية اسمين منها ، وهذه نقطة مهمة لا أدري هل تعرض المفسرون لها وما هو الإرتباط بين الإسمين: الجمع والتغابن ، ولماذا قال: **يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ**، فأشار الى جمع لغير يوم الجمع، وما الفرق بين قوله تعالى: **يَجْمَعُكُمْ**

لِيَوْمِ الْجَمْعِ، وقوله: **ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**، (سورة الجاثية: ٢٦) ثم لماذا استعمل هنا الإشارة بالبعيد فقال: **ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ** ؟!

مهما يكن ، فقد سميت السورة بالتغابن وهو من التفاعل ، فما السر في هذا التفاعل التغابني؟وأي معان عظيمة ولطائف يقصدها الله تعالى من التغابن بين البشر في يوم القيامة ؟

لابد لفهم القرآن من طلب المدد من كلمات الوحي من كلام النبي وأهل بيته الأطهار صلى الله عليه وآله بقدرة فكرية وقوة فقهية ، لنفهم به كلام الله تعالى .

وهنا حديث عن النبي صلى الله عليه وآله كما في عدة الداعي لابن فهدالحلي قدس سره ص ١٠٣: **(إنه يفتح للعبد يوم القيامة على كل يوم من أيام عمره أربع وعشرون خزانة عدد ساعات الليل والنهار . فخزانة يجدها مملوءة نوراً وسروراً ، فيناله عند مشاهدتها من الفرح والسرور مالو وزع على أهل النار لأدهشهم عن الإحساس بألم النار ، وهي الساعة التي أطاع فيها ربه.**

ثم يفتح له خزانة أخرى فيراها مظلمة منتنة مفزعة، فيناله منها عند مشاهدتها من الفزع والجزع ما لو قسم على أهل الجنة لنغص عليهم نعيمها، وهي الساعة التي عصى فيها ربه !

ثم يفتح له خزانة أخرى فيراها خالية ليس فيها مايسره ولايسوؤه، وهي الساعة التي نام فيها ، أو اشتغل فيها بشئ من مباحات الدنيا ، فيناله من الغبن والأسف على فواتها حيث كان متمكناً من أن يملأها حسنات، ما لايوصف . ومن هذا قوله تعالى: ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) . انتهى.

فكل ساعة من عمر أحدنا خزانة ، لابد أن يفتحها يومئذ ليرى بماذا ملأها: **إِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً** . (سورة الإسراء:١٤)

ونلاحظ أن تفسير التغابن عند الخزانة الثالثة عندما يرى تلك الخزانة الفارغة الخالية ، فالغبن هو أن يكون ما حصل عليه أقل مما ذهب منه ، أن يكون المثمن أقل من الثمن الى حد الغبن! وبهذا الغبن اهتزت قاعدة: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**، وجعلت أصالة اللزوم في العقود في الشريعة من أجل تدارك ما فات بالغبن! إن الفقيه الذي يفقه خيار الغبن، يجب أن يفهم سورة التغابن ، ويدرك هذا الحديث النبوي ، وينظر في ساعات عمره التي تمضي ، خاصة في الظرف الممتاز من ساعات العمر ، كيف يجب أن يستفيد منها؟!

إن ساعاتكم في عاشوراء الحسين عليه السلام فيها تغابن لايقاس بأي تغابن آخر! والعمدة في الموضوع أن العالم الديني عليه أن يعمل بما استطاع لاجتناب الوقوع في تلك الحسرة التي تفوق الوصف: **وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**. (سورة مريم:٣٩)

أما كيف نجبر ذلك الغبن وننجو من يوم التغابن ، فإن النبي صلى الله عليه وآله بين لنا الطريق على لسان الإمام العسكري عليه السلام إذ قال: **ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا فهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ، ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا ، كان معنا في الرفيق الأعلى.**

يقول صلى الله عليه وآله: **بعلومنا**، لا بأي علم !

ويقول: وعلمه شريعتنا ، لا أي شريعة ! فذلك الذي هو موضوع الكلام ، وذلك الذي يكون معهم في الرفيق الأعلى . أما معلم العلوم الأخرى فللكلام عنه موضع آخر .

إن عاشوراء بالنسبة الى كل عالم وخطيب، **مَنْجَمٌ** للحصول على تلك الجواهر فما هو واجبه وتكليفه ؟

من أول ما ينبغي أن يعرفه العالم أن كل ما له قدر وقيمة ، موجود بعد القرآن في كلام النبي والأئمة صلوات الله عليهم ، أما كلام زيد وعمر فلا قيمة له لكي يستحق أن يطرحه على الناس ويجعله محوراً !

إن ما يجب أن يكون مستندكم ومنبع كلامكم مع الناس ، أنتم الذين قضيتم عمراً في الدرس والبحث ، هو القرآن والسنة فقط ! ماذا قال الله تعالى؟ وماذا أوضح النبي وأهل بيته المعصومون عليهم السلام؟

كونوا علماء بعلم هؤلاء صلوات الله عليهم ، فإن كنتم كذلك وهديتم في عاشوراء شخصاً واحداً وأرشدتموه وعلمتموه من علمهم وفقههم الأصيل ، التي هي شريعة الله سبحانه ، عندئذ يكون الأجر والجزاء: **كان معنا في الرفيق الأعلى !!**

كان معنا .. إنه لا يتصور مقام أعلى من هذا المقام ! فاعرفوا مقامكم ، واعرفوا مع من تتعاملون ، وإلى من تتركون أولادكم ونساءكم عندما تذهبون الى منطقة فيها جهال بالعقيدة والشريعة ، فترشدون ولو يتيماً واحداً من أيتام آل محمد الى معرفة مقامهم وعلومهم وشريعتهم.

مقامكم معهم، ومقام المعية للنبي وآله الطاهرين لايتصور أعلى منه ! ولم يكتف الحديث بإضافة المعية ، فأضاف اليها إضافة الظرفية ! أما إضافة المعية فهي الرجوع اليهم عند الله تعالى: **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ إرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي.** (سورة الفجر: ٢٧- ٣٠) . وأما الإضافة الظرفية فهي:**كان معنا في الرفيق الأعلى**، ولنترك بحثه الى وقت آخر.

○ ○

المهم الآن أن نفهم عاشوراء ما هي؟ ويوم من هي؟ هنا يتحير أهل العقول!

يوجد حديث يعرف قيمته أهل الخبرة بالحديث وأهل الفهم للأحاديث، ويفهمون أنه إكسير لا مثيل له ، رواه الكليني أعلى الله مقامه في الكافي ، والصدوق أعلى الله مقامه في كمال الدين ، وبقية المشايخ من كبار المحدثين والفقهاء، وهو معروف باسم(**حديث اللوح**) هذا الحديث جاء به جبرئيل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وآله، مكتوباً على لوح زبرجد، تحفةً لفاطمة الزهراء عليها السلام، تهنئةً لها بولادة الإمام الحسين عليه السلام، وفيه أسماء الأئمة من أولادها ، مع ذكر أهم خصوصياتهم صلوات الله علييهم. ومن نصه: (**عظم يا محمد أسمائي واشكر نعمائي ولا تجحد آلائي ، إني أنا الله إله إلا أنا ، قاصم الجبارين ، ومديل المظلومين ، وديان الدين. إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين . فإيايَ فاعبد، وعليَّ فتوكل. إني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه وانقضت مدته إلا جعلت له وصياً، وإني فضلتك على الأنبياء، وفضلت وصيك على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك وسبطيك حسن وحسين، فجعلت حسناً معدن علمي ، بعد انقضاء مدة أبيه ، وجعلت حسيناً خازن وحيي،وأكرمته بالشهادة وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة ، جعلت كلمتي التامة معه ، وحجتي البالغة عنده ، بعترته أثيب وأعاقب**) . انتهى. (١)

في هذا الحديث ثمانية مقامات للإمام الحسين عليه السلام عدا أن الحديث في أصله تهنئةٌ وبشرى من رب العالمين عز وجل للنبي صلى الله عليه وآله، ولوصيه علي وللصديقة الزهراء أم الأئمة ، بمناسبة ولادة الإمام الحسين عليه السلام.

أولها: وجعلت حسيناً خازن وحيي، فما هو الوحي الذي جعل الله الحسين خازناً له؟ ومن أين يبدأ وحي الله ، وأين ينتهي؟ يبدأ من قوله تعالى: **وَعَلَّمَ**

آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائكَة فَقَالَ أَنْبئُوني بأَسْمَاء هَؤُلاء إنْ كُنْتُمْ صَادقينَ. وينتهي عند قوله تعالى: **فَأَوْحَى إِلَى عَبْده مَا أَوْحَى**. وقوله تعالى: **وَمَا يَنْطقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**. !!

هذا الوحي كله مخزون في قلب الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام!!

وجعلت حسيناً خازن وحيي، ومتى نحن عرفناه صلوات الله عليه، حتى نفهم عاشوراءه ما هي؟ ونعرف ماذا حدث في ذلك اليوم؟ ودم أي شخص أريق؟ إن كلمات الله تعالى لا أستطيع أنا ولا غيري أن يفهم عمقها ، إنما ندرك منها شعاعاً ! ومن يستطيع أن يفهم معنى: **خازن الوحي**، وشخصية خازن الوحي، إلا الذي يعرف الوحي ما هو؟! فذلك الذي يعرف حقيقة الوحي ، ويعرف الفرق بين الوحي والعقل والفكر !

إن الكلمات التي كلم الله بها موسى عليه السلام وقال عنها عز وجل: **وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْليماً**. (سورة النساء:١٦٤)، ذكرها بصيغة المفعول المطلق وأجملها إجمالاً ، لأنها شعبةٌ من الموضوع ، وكلماتٌ من الكلمات . أما تمام هذه الكلمات فهي مخزونة في قلب الحسين بن علي عليه السلام! القلب الذي وقع فيه ذلك السهم في يوم عاشوراء والقلب الذي أريق منه ذلك الدم يوم عاشوراء !

إقرأ كامل الزيارات لتفهم ماذا يقول الأئمة عن مقام الإمام الحسين عليه السلام!

إن حول قبره عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، مهبطٌ للملائكة من السماء ومعراجٌ لهم ! والأهم هذه الجملة قوله عليه السلام: **فليس من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وهو يسأل الله تعالى أن يزور الحسين، ففوج يهبط وفوج يصعد! (٢)**

هذا هو الإمام الحسين عليه السلام، الذي غير ماهية يوم عاشوراء فصار: **لا يوم**

كيومك يا أبا عبد الله . الذي يأتي لزيارته كل ليلة جمعة ، كل الأنبياء عليهم السلام بلا استثناء ، من آدم النبي الخاتم ، وكل الأوصياء عليهم السلام بلا استثناء !!

من خصوصيات الإمام الحسين عليه السلام أن الفاتحة التي تقرأ لروح الأموات المدفونين بجواره في كربلاء، لو قسمت لوصل الى الواحد منهم ما لا يحصيه القلم ! ذلك هو سيد الشهداء ، وذلك هو دمه الشريف ، وأي دم ؟!

هذا الدم الطاهر لا تجعلوه تجارة ، ولا تستعملوه من أجل منصب فلان وفلان! إنه رأس مال حق ، يجب أن يستفاد منه للحق . والحق ثلاث كلمات فقط، الملك الحق: **فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ .** (سورة طه:١١٤)، والثانية الدين الحق: **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.** (سورة التوبة:٣٣)، والثالثة: السلام على الحق الجديد . صلوات الله عليه.

والنتيجة: أن عاشوراء يجب حصر إنفاقها في التعريف بالله تعالى ودينه ، وحجته إمام العصر صلوات الله عليه ، لأنه صاحبها عندما أريق دمه قال: **بسم الله وبالله وفي سبيل الله.. بسم الله وبالله وفي سبيل الله..** فاستفيدوا من هذا الدم في سبيل الله ، لكي تروا خير الدنيا والآخرة ، ولا يكون أحدنا ممن: **خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ .** (سورة الحج : ١١)

○ ○

هوامش

(١) **حديث اللوح ، حديث عظيم** ، وهو من معجزات نبيناصلى الله عليه وآله، وهو كتاب من الله تعالى نزل به جبرئيل على النبيصلى الله عليه وآله، في لوح أخضر كالزمرد مكتوب بنور أبيض.. وفيه بيان نعم الله تعالى على نبيه وتوجيهه الى شكرها، خاصة نعمته عليه في جعل الحكم والإمامة في ذريته. وله شبيه فيما أوحاه الله الى نبيه موسى ونبيه عيسىصلى الله عليه وآله.

وفيما يلي خلاصة من عهد الله تعالى لموسى وعيسىصلى الله عليه وآله، والنص الكامل لحديث اللوح الذي عهد به لنبيه محمدصلى الله عليه وآله:

عهد الله تعالى الى نبيه موسى عليه السلام

○ **في الكافي:٤٢/٨:** (عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عمرو بن عثمان ، عن علي بن عيسى رفعه قال: إن موسى ناجاه الله تبارك وتعالى فقال له في مناجاته:

يا موسى: لا يطول في الدنيا أملك فيقسو لذلك قلبك وقاسي القلب مني بعيد .

يا موسى: كن كمسرتي فيك فإن مسرتي أن أطاع فلا أعصى ، فأمت قلبك بالخشية وكن خلق الثياب جديد القلب ، تخفى على أهل الأرض ، وتعرف في أهل السماء ، حلس البيوت ، مصباح الليل ، واقنت بين يدي قنوت الصابرين ، وصِحْ إليَّ من كثرة الذنوب صياح المذنب الهارب من عدوه، واستعن بي على ذلك، فإني نعم العون ونعم المستعان.

يا موسى: إني أنا الله فوق العباد ، والعباد دوني ، وكل لي داخرون ، فاتهم نفسك على نفسك ، ولا تأتمن ولدك على دينك ، إلا أن يكون ولدك مثلك يحب الصالحين.

يا موسى: اغسل واغتسل واقترب من عبادي الصالحين .

يا موسى: كن إمامهم في صلاتهم وإمامهم فيما يتشاجرون ، واحكم بينهم بما أنزلت عليك ، فقد أنزلته حكماً بيناً وبرهاناً نيراً ونوراً، ينطق بما كان في الأولين ، وبما هو كائن في الآخرين .

أوصيك يا موسى وصية الشفيق المشفق بابن البتول عيسى بن مريم ، صاحب الأتان والبرنس ، والزيت والزيتون والمحراب.

ومن بعده بصاحب الجمل الأحمر ، الطيب الطاهر المطهر ، فمثله في كتابك أنه مؤمن مهيمن على الكتب كلها ، وأنه راكع ساجد راغب راهب ، إخوانه المساكين ، وأنصاره قوم آخرون ، ويكون في زمانه أزل وزلزال ، وقتل وقلة من المال. إسمه أحمد ، محمد الأمين، من الباقين من ثلة الأولين الماضين، يؤمن بالكتب كلها، ويصدق جميع المرسلين ويشهد بالإخلاص لجميع النبيين . أمته مرحومة مباركة ما بقوا في الدين على حقائقه ، لهم ساعات مؤقتات يؤدون فيها الصلوات ، أداء العبد إلى سيده نافلته ، فبه فصدق ، ومنهاجه فاتبع فإنه أخوك .

يا موسى: إنه أمي وهو عبد صدق ، يبارك له فيما وضع يده عليه ، ويبارك عليه كذلك كان في علمي وكذلك خلقته ، وبه أفتح الساعة ، وبأمته أختم مفاتيح الدنيا ، فمر ظلمة بني إسرائيل أن لا يدرسوا اسمه ولا يخذلوه ، وإنهم لفاعلون ، حبه لي حسنة ، فأنا معه وأنا من حزبه وهو من حزبي وحزبهم الغالبون ، فتمت كلماتي لأظهرن دينه على الأديان كلها ، ولأعبدن بكل مكان ، ولأنزلن عليه قرآناً فرقاناً شفاءاً لما في الصدور من نفث الشيطان ، فصلِّ عليه يا ابن عمران ، فإني أصلي عليه وملائكتي... الى آخر ما جاء في هذا العهد وهو طويل).

عهد الله تعالى الى نبيه عيسى عليه السلام

○ **في الكافي:١٣١/٨:**(عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن علي بن أسباط عنهم عليهم السلام قال: فيما وعظ الله عز وجل به عيسى عليه السلام:

يا عيسى أنا ربك ورب آبائك ، إسمي واحد ، وأنا الأحد المتفرد بخلق كل شئ ، وكل شئ من صنعي ، وكل إلي راجعون .

يا عيسى: أنت المسيح بأمري ، وأنت تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني ، وأنت تحيي الموتى بكلامي ، فكن إليَّ راغباً ، ومني راهباً ، ولن تجد مني ملجأ إلا إليَّ .

يا عيسى: أوصيك وصية المتحنن عليك بالرحمة حتى حقت لك مني الولاية بتحرِّيك مني المسرة ، فبوركت كبيراً ، وبوركت صغيراً حيثما كنت ، إشهد أنك عبدي ابن أمتي ، أنزلني من نفسك كهمِّك ، واجعل ذكري لمعادك ، وتقرب إليَّ بالنوافل ، وتوكل عليَّ أكفِكْ ، ولا توكَّل على غيري فأخذلك .

يا عيسى: إصبر على البلاء ، وارض بالقضاء ، وكن كمسرتي فيك ، فإن مسرتي أن أطاع فلا أعصى. يا عيسى: أحي ذكري بلسانك ، وليكن ودي في قلبك . يا عيسى: تيقظ في ساعات الغفلة ، واحكم لي لطيف الحكمة. يا عيسى: كن راغباً راهباً ، وأمت قلبك بالخشية . يا عيسى: راع الليل لتحري مسرتي ، واظمأ نهارك ليوم حاجتك عندي.

يا عيسى: نافس في الخير جهدك ، تعرف بالخير حيثما توجهت .

يا عيسى: أحكم في عبادي بنصحي ، وقم فيهم بعدلي ، فقد أنزلت عليك شفاءا لما في الصدور من مرض الشيطان . يا عيسى: لا تكن جليساً لكل مفتون .

يا عيسى: حقا أقول: ما آمنت بي خليقة إلا خشعت لي، ولاخشعت لي إلا رجت ثوابي، فاشهد أنها آمنة من عقابي، ما لم تبدل أو تغير سنتي.....

يا عيسى: إني لم أرض بالدنيا ثواباً لمن كان قبلك ، ولا عقاباً لمن انتقمت منه .

يا عيسى: إنك تفنى وأنا أبقى ، ومني رزقك ، وعندي ميقات أجلك ، وإليَّ إيابك ، وعليَّ حسابك ، فسلني ولا تسأل غيري ، فيحسن منك الدعاء ومني الاجابة .

يا عيسى: ما أكثر البشر وأقل عدد من صبر ، الأشجار كثيرة وطيبها قليل ، فلا يغرنك حسن شجرة حتى تذوق ثمرها .

يا عيسى: لا يغرنك المتمرد عليَّ بالعصيان ، يأكل رزقي ويعبد غيري، ثم يدعوني عند الكرب فأجيبه ، ثم يرجع إلى ما كان عليه. فعليَّ يتمرد أم بسخطي يتعرض ؟ فبي حلفت لآخذنه أخذةً ليس له منها منجىً ولا دوني ملجىً أين يهرب من سمائي وأرضي ؟!

يا عيسى: قل لظلمة بني إسرائيل لا تدعوني والسحت تحت أحضانكم ، والأصنام في بيوتكم ، فإني آليت أن أجيب من دعاني ، وأن أجعل إجابتي إياهم لعناً عليهم حتى يتفرقوا ....

يا عيسى: كن رحيما مترحماً ، وكن كما تشاء أن يكون العباد لك ، وأكثر ذكر الموت ومفارقة الأهلين ، ولا تَلْهُ فإن اللهو يفسد صاحبه ، ولا تغفل فإن الغافل مني بعيد ، واذكرني بالصالحات حتى أذكرك ....

يا عيسى: لا خير في لذاذة لا تدوم ، وعيش من صاحبه يزول.

يا ابن مريم لو رأت عينك ما أعددت لأوليائي الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك شوقاً إليه ، فليس كدار الآخرة دار تجاور فيها الطيبون ، ويدخل عليهم فيها الملائكة المقربون ، وهم مما يأتي يوم القيامة من أهوالها آمنون ، دار لا يتغير فيها النعيم ولا يزول عن أهلها .

يا ابن مريم: نافس فيها مع المتنافسين فإنها أمنية المتمنين ، حسنة المنظر ، طوبى لك يا بن مريم إن كنت لها من العاملين ، مع آبائك آدم وإبراهيم في جنات ونعيم ، لا تبغي لها بدلاً ولا تحويلاً ، كذلك أفعل بالمتقين .

يا عيسى: أهرب إليَّ مع من يهرب من نار ذات لهب ، ونار ذات أغلال وأنكال ، لا يدخلها روح ، ولا يخرج منها غم أبداً ، قطع كقطع الليل المظلم من ينج منها يفز ، ولن ينجو منها من كان من الهالكين ، هي دار الجبارين والعتاة الظالمين ، وكل فظ غليظ ، وكل مختال فخور ....

يا عيسى: كنت خلقاً بكلامي ، ولدتك مريم بأمري ، المرسل إليها روحي جبرئيل الأمين من ملائكتي ، حتى قمت على الأرض حياً تمشي ، كل ذلك في سابق علمي...

يا عيسى: كيف يكفر العباد بي ونواصيهم في قبضتي ، وتقلبهم في أرضي ، يجهلون نعمتي ، ويتولون عدوي ، وكذلك يهلك الكافرون .....

يا عيسى: إني إذا غضبت عليك لم ينفعك رضى من رضي عنك ، وإن رضيت عنك لم يضرك غضب المغضبين . يا عيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي ، واذكرني في ملائك أذكرك في ملأ خير من ملأ الآدميين ......

يا عيسى: كيف أنتم صانعون إذا أخرجت لكم كتاباً ينطق بالحق وأنتم تشهدون ، بسرائر قد كتمتموها ، وأعمال كنتم بها عاملين .

يا عيسى: قل لظلمة بني إسرائيل غسلتم وجوهكم ودنستم قلوبكم ، أبي تغترون ، أم علي تجترئون ، تطيبون بالطيب لأهل الدنيا ، وأجوافكم عندي بمنزله الجيف المنتنة ، كأنكم أقوام ميتون .

يا عيسى قل لهم: قلموا أظفاركم من كسب الحرام ، وأصموا أسماعكم عن ذكر الخنا ، وأقبلوا علي بقلوبكم ، فإني لست أريد صوركم .

يا عيسى: إفرح بالحسنة ، فإنها لي رضىً ، وابكِ على السيئة فإنها شيْن ، وما لا تحب أن يصنع بك فلا تصنعه بغيرك ، وإن لطم خدك الأيمن فأعطه الأيسر ، وتقرب إليَّ بالمودة جهدك ، وأعرض عن الجاهلين .

يا عيسى: ذُلَّ لأهل الحسنة وشاركهم فيها ، وكن عليهم شهيداً ، وقل لظلمة بني إسرائيل: يا أخدان السوء والجلساء عليه ، إن لم تنتهوا أمسخكم قردة وخنازير .

يا عيسى قل لظلمة بني إسرائيل: الحكمة تبكي فرقاً مني ، وأنتم بالضحك تهجرون ، أتتكم براءتي أم لديكم أمان من عذابي ، أم تعرضون لعقوبتي ، فبي حلفت لأتركنكم مثلاً للغابرين .

ثم أوصيك يا ابن مريم البكر البتول بسيد المرسلين وحبيبي، فهو أحمد صاحب الجمل الأحمر، والوجه الأقمر ، المشرق بالنور ، الطاهر القلب ، الشديد البأس ، الحيي المتكرم ، فإنه رحمة للعالمين ، وسيد ولد آدم يوم يلقاني ، أكرم السابقين عليَّ ، وأقرب المرسلين مني، العربي الأُمين ، الديان بديني ، الصابر في ذاتي ، المجاهد المشركين بيده عن ديني ، أن تخبر به بني إسرائيل وتأمرهم أن يصدقوا به، وأن يؤمنوا به، وأن يتبعون وأن ينصروه. قال عيسى: إلهي من هو حتى أرضيه ؟ فلك الرضا ؟

قال: هو محمد رسول الله إلى الناس كافة ، أقربهم مني منزلة ، وأحضرهم شفاعة ، طوبى له من نبي ، وطوبى لأمته إن هم لقوني على سبيله ، يحمده أهل الأرض ويستغفر له أهل السماء ، أمين ميمون طيب مطيب ، خير الباقين عندي ، يكون في آخر الزمان إذا خرج أرخت السماء عزاليها ، وأخرجت الأرض زهرتها ، حتى يروا البركة وأبارك لهم فيما وضع يده عليه ، كثير الأزواج ، قليل الأولاد ، يسكن بكة موضع أساس إبراهيم .

يا عيسى: دينه الحنيفية وقبلته يمانية ، وهو من حزبي وأنا معه ، فطوبى له ثم طوبى له ، له الكوثر والمقام الأكبر في جنات عدن ، يعيش أكرم من عاش ويقبض شهيداً ، له حوض أكبر من بكة إلى مطلع الشمس من رحيق مختوم ، فيه آنية مثل نجوم السماء وأكواب مثل مدر الأرض ، عذب فيه من كل شراب ، وطعم كل ثمار في الجنة ، من شرب منه شربة لم يظمأ أبداً ، وذلك من قسمي له وتفضيلي إياه على فترة بينك وبينة ،

يوافق سره علانيته وقوله فعله ، لا يأمر الناس إلا بما يبدأهم به ، دينه الجهاد في عسر ويسر ، تنقاد له البلاد ، ويخضع له صاحب الروم .

على دين إبراهيم ، يسمى عند الطعام ويفشي السلام ، ويصلي والناس نيام ، له كل يوم خمس صلوات متواليات ، ينادي إلى الصلاة كنداء الجيش بالشعار ، ويفتتح بالتكبير ويختتم بالتسليم ، ويصف قدميه في الصلاة كما تصف الملائكة أقدامها ، ويخشع لي قلبه ورأسه ، النور في صدره ، والحق على لسانه ، وهو على الحق حيثما كان) .

حديث اللوح أو عهد الله تعالى لنبيه محمد عليه السلام

○ **في الكافي:٥٢٧/١:** (عن محمد بن يحيى ومحمد بن عبد الله ، عن عبد الله بن جعفر عن الحسن بن ظريف وعلي بن محمد ، عن صالح بن أبي حماد ، عن بكر بن صالح ، عن عبد الرحمن بن سالم ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبي لجابر بن عبد الله الانصاري إن لي إليك حاجة فمتى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها ؟ فقال له جابر: أي الأوقات أحببته ، فخلا به في بعض الأيام فقال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وما أخبرتك به أمي أنه في ذلك اللوح مكتوب ؟ فقال جابر: أشهد بالله أني دخلت على أمك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فهنيتها بولادة الحسين ورأيت في يديها لوحا أخضر ، ظننت أنه من زمرد ورأيت فيه كتاباً أبيض ، شبه لون الشمس ، فقلت لها: بأبي وامي يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ما هذا اللوح ؟ فقالت: هذا لوح أهداه الله إلى رسول الله عليه السلام فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني واسم الأوصياء من ولدي وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك ، قال جابر فأعطتنيه أمك فاطمة عليها السلام فقرأته واستنسخته ، فقال له أبي: فهل لك يا جابر: أن تعرضه علي ؟ قال: نعم ، فمشى معه أبي إلى منزل جابر فأخرج صحيفة من رق ، فقال: يا جابر انظر في كتابك لأقرأ عليك.

فنظر جابر في نسخته فقرأه أبي ، فما خالف حرف حرفاً ، فقال جابر: فأشهد بالله أني هكذا رأيته في اللوح مكتوباً:

(بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه ونوره

وسفيره وحجابه ودليله نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين . عظم يا محمد أسمائي واشكر نعمائي ولا تجحد آلائي ، إني أنا الله إله إلا أنا قاصم الجبارين ومديل المظلومين وديان الدين. إني أنا الله لا إله إلا أنا ، فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي، عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين . فإياي فاعبد ، وعليَّ فتوكل.

إني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه وانقضت مدته إلا جعلت له وصياً ، وإني فضلتك على الأنبياء وفضلت وصيك على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك وسبطيك حسن وحسين، فجعلت حسناً معدن علمي، بعد انقضاء مدة أبيه. وجعلت حسيناً خازن وحيي، وأكرمته بالشهادة وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامة معه وحجتي البالغة عنده ، بعترته أثيب وأعاقب.

أولهم علي سيد العابدين وزين أوليائي الماضين ، وابنه شبه جده المحمود محمد ، الباقر علمي ، والمعدن لحكمتي.

سيهلك المرتابون في جعفر ، الراد عليه كالراد علي ، حق القول مني لأكرمن مثوى جعفر ، ولأسرنه في أشياعه وأنصاره وأوليائه.

أتيحت بعده موسى فتنة عمياء حندس، لأن خيط فرضي لا ينقطع، وحجتي لا تخفى، وإن أوليائي يسقون بالكأس الأوفى ، من جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي، ومن غير آية من كتابي فقد افترى علي.

ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي في علي وليي وناصري ، ومن أضع عليه أعباء النبوة ، وأمتحنه بالاضطلاع بها، يقتله عفريت مستكبر ، يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح ، إلى جنب شر خلقي.

حق القول مني لأسرنه بمحمد ابنه، وخليفته من بعده، ووارث علمه، فهو معدن علمي، وموضع سري ، وحجتي على خلقي لا يؤمن عبد به إلا جعلت الجنة مثواه ، وشفعته في سبعين من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار.

وأختم بالسعادة لابنه علي وليي وناصري، والشاهد في خلقي، وأميني على وحيي. أخرج منه الداعي إلى سبيلي ، والخازن لعلمي ، الحسن.

وأكمل ذلك بابنه "م ح م د " رحمة للعالمين ، عليه كمال موسى ، وبهاء عيسى ، وصبر أيوب ، فيذل أوليائي في زمانه ، وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم ، فيقتلون ويحرقون ، ويكونون خائفين، مرعوبين وجلين ، تصبغ الأرض بدمائهم ، ويفشو الويل والرنا في نسائهم ، أولئك أوليائي حقاً ، بهم أدفع كل فتنة عمياء حندس ، وبهم أكشف الزلازل وأدفع الآصار والأغلال ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون .

قال عبد الرحمن بن سالم: قال أبو بصير: لو لم تسمع في دهرك ، إلا هذا الحديث لكفاك ، فصنه إلا عن أهله) . انتهى.

○ ورواه ابن بابويه في الإمامة والتبصرة ص١٠٤ ، والصدوق في عيون أخبار الرضا:٤٩/٢، وفي كمال الدين ص٣١٠، والنعماني في الغيبة ص٦٤، والطوسي في الغيبة ص ١٤٥، والطبرسي في الإحتجاج:٨٥/١ ، وابن شهر آشوب في المناقب:٢٥٥/١ ، وغيرهم رضوان الله عليهم.

○ ○

(٢) في كامل الزيارات ص٢٢٥: (حدثني القاسم بن محمد بن علي بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن جده ، عن عبد الله بن حماد الأنصاري ، عن عبد الله بن سنان ، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: قبر الحسين عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً مكسراً ، روضة من رياض الجنة ، منه معراج الى السماء . فليس من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا وهو يسأل الله تعالى أن يزور الحسين ، ففوج يهبط وفوج يصعد) !!

○ ○

الخيار بين عاشوراء وعيد النوروز

(بتاريخ: ٢١ ذي الحجة ١٤٢٢- ٢٠٠٢/٣/٦ – ١٣٨٠/١٢/١٥)

بســـم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة قرب عاشوراء ، وأن هذا اليوم آخر أيام البحث.. أقدم ملاحظات الى الأفاضل الذين يتوفقون في هذه الأيام لأداء خدمة التبليغ الكبيرة ، التي لا يقدر ثوابها ولا يوصف.

أوصيهم أولاً: أن يفتتحوا كل مجلس من مجالسهم ، بعد القرآن ، بزيارة: **سلام على آل ياسين،** حتى يكون المجلس مشمولاً لإشراق شمس وجود الإمام المهدي أرواحنا فداه .

وأوصيهم ثانياً: أن يعلموا الناس أحكام الإسلام من الحلال والحرام ، لأن المنبر الخالي من إرشاد الجاهل وتنبيه الغافل ، لايكون مشمولاً لرضا النبي والأئمة صلوات الله عليهم.

وأوصيهم ثالثاً: أن يرسخوا أصول عقائد الناس.

فإن كانت مجالسكم بهذه الصفات ، انطبقت على أحدكم ثلاثة عناوين: **الأول،** عنوان المرابطة في سد ثغور المسلمين، ودفع الشبهات عن قلوب أهل الدين . **والعنوان الثاني**، عنوان الجهاد في سبيل الله تعالى. **والثالث،** أنه من كافلي أيتام آل محمد ﷺ.

فهنيئاً لكم حيث أن كل واحد منكم يذهب الى التبليغ بيد خالية ، ولكنه يرجع بيد مملوءة، فهو مرابط ، ومجاهد ، وكافل لأيتام آل محمد صلى الله عليه وآله.. وهذا كله في عصر الغيبة الذي يتضاعف فيه الثواب.

° °

وأوصيكم رابعاً: بوصية خاصة في هذه السنة التي يتقارن فيها عيد النوروز بأيام عاشوراء ، لا بد أن يفهم الناس ما معنى عزاء أبي عبدالله الحسين عليه السلام؟ وأي مصيبة كانت مصيبته ؟!

عندي كلمات أقولها في هذا اليوم ، لكن ليست لكل الناس ، فالناس قسمان: قسم لا شغل لهم بسيد الشهداء عليه السلام، ونحن لا شغل لنا بهم !

أما الذين لهم به شغل عليه السلام، ومَنْ مِنًا ليس له شغل معه عليه السلام ونحن عما قريب سنواجه سكرات الموت التي لا توصف، وليس عندنا لآخرتنا شئ ! إن تصور أحدنا أنه يملك شيئاً هو منتهى الجهل ! فلو عرفنا أنفسنا وعرفنا الله تعالى ، لفهمنا أننا لانملك شيئاً إلا الأمل بأن يتداركنا برحمته، ويشرفنا عند احتضارنا بحضور أمير المؤمنين عليه السلام.

والحاجة الثانية، التي لنا عند الإمام الحسين عليه السلام وقتها في أول ليلة نحل فيها في قبرنا ، في تلك الظلمة الموحشة ، والحيرة المذهلة ، حيث لاحبيب ولا مؤنس ولا قريب ، ولا نور إلا نور جماله الرباني ، وجمال جده وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام .

والحاجة الثالثة، وهنا انقطعت الكهرباء فقال الأستاذ: ليس مهماً أن تنقطع الكهرباء ، لا بأس ففي كل شئ عبرة ، قلنا إن المهم لنا يومذاك هو نور الإمام الحسين عليه السلام، حاجتنا الثالثة للإمام الحسين عليه السلام يوم القيامة: **يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا**

بَنُونَ. (سورة الشعراء: ٨٨) ، يوم لا وجود لعمل الإنسان إلا بالنور: **يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (سورة التحريم: ٨) **وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ** (سورة النور: ٤٠) .. فكما أن اتصال هذه السلك بتيار الكهرباء ومنبعها ، يضئ المكان ، فإن اتصال قلبنا وعقلنا بمركز نور الإمام الحسين عليه السلام يضئ ما حولنا فيسعى نورنا يوم القيامة بين أيدينا وبأيماننا !

إن المثل الذي ضربه الله لنا وأرشدنا فيه الى مركز نوره في الأرض ، إنما هو لنور سيد الأنبياء والرسل وآله سادة الأئمة والأوصياء صلوات الله عليهم: **مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** . (سورة النور:٣٥)

نحن من ناحية العمل، لا شئ عندنا ليوم موتنا وقبرنا وحشرنا ، إلا مثل هذا الظلام الذي سببه انقطاع الكهرباء ! وكل ما في كتابنا إنما هو كلمة واحدة هي ولاية الحسين وحب الحسين عليه السلام!

وهذا الحب إذا حل في قلب إنسان ، يستطيع صاحبه أن يفهم أي مصيبة أصيبها الوجود في عاشوراء بسيد الشهداء عليه السلام، وماذا أثرت في الوجود ؟

إن واجبكم فرداً فرداً أن تحبوا الحسين عليه السلام وتَفهموا وتُفهموا الناس معنى: **لا يوم كيومك يا أبا عبدالله !**

ومن أجل أن نفهم عمل أبي عبدالله الحسين عليه السلام نحتاج الى الإستعانة بقوله تعالى: **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ.** (سورة الأنعام:١٣٢) ،

فإن جميع الدرجات في نظام الحكمة الإلهية والعدل الإلهي، تكون حسب العمل، فلا بد أن نعرف العمل البشري ما هو ؟

ونحتاج الى الإستعانية بقواعد الحكمة التي تننظر في كل عمل الى ثلاث نقاط: جذره الذي هو مبدؤه ودافعه ، وثمرته أو منتهاه ، وأن ننظر ثالثاً الى نفس العمل . لذلك ينبغي أن ننظر الى عمل سيد الشهداء عليه السلام من هذه الزوايا الثلاث ، الى بعضه بنظرة الدليل ، وبعضه بنظرة البرهان ، وبعضه عن طريق الإستدلال بإنّ ، وبعضه عن طريق الإستدلال بلمَ ، وبعضه بالطريقين.. وبعد ذلك ننظر الى نفس العمل.

وعندما ننظر الى عاشوراء من هذه الجهات يتضح لنا وللعالم أنه لا يستطيع أحد أن يفهم عمق شخصية الإمام الحسين عليه السلام، أو يستوعب عظمة عمله !

أولاً، ماهو مبدأ عمله ودافعه اليه؟ إن عمل الإنسان ودافعه ينبع من مقامه وعالمه الذي يعيشه مع الله تعالى، ومقام الإمام الحسين عليه السلام يفهمه الكاملون من أهل العرفان من دعائه في عرفات بالمقايسة مع مقام نبي الله يونس عليه السلام! فمقام يونس يدل عليه نداؤه الذي ناداه في بطن الحوت: **وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰفِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** . (سورة الأنبياء: ٨٧) فمع أن يونس عليه السلام في الصف الأول في عظماء السالكين الى الله تعالى، فمقامه: **لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**.

أما مقام الحسين عليه السلام فنجده في دعائه في عرفات حيث أضاف الى جملة نبي الله يونس صلى الله عليه أحد عشر جملة ، كما في بعض الروايات:

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من المستغفرين .

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الموحدين .

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الخائفين .

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الوجلين .

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الراجين .

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من المهللين .

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من السائلين .

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من المسبحين .

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من المكبّرين .

لا إله إلا أنت سبحانك ربي ورب آبائي الأولين.

ومعنى هذا أن الإمام الحسين عليه السلام في الرتبة الثانية عشرة من مقام يونس عليه السلام! و **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ** (سورة التوبة: ٣٦) ولا وجود لرتبة الثالث عشر في نظام الكون.. وهذا يعني أن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة ، قد قطع مراحل شهور المعرفة التي هي المعنى الباطن لهذه الآية! وقال ليونس: أنت قلت: **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**، وبقيت الكلمات الباقية لي فأنا أقولها ! (راجع إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس:٨٤/٢ ، وبحار الأنوار:٢٢٢/٩٥)

إن كل واحدة من هذه الجمل بحر من المعرفة بلا قعر ، يغرق فيه جبرئيل وميكائيل وإسرافيل! فمن يستطيع أن يفهم أنه عليه السلام عندما قال: **لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الموحدين**، كيف قطع اثنتي عشرة مرحلة من التوحيد، من مقامات توحيد الألوهية إلى توحيد الربوبية ، حتى وصل إلى توحيد المحبة لربه ، فصار لسان حاله: **تركت الخلق طراً في هواكا !**

هذا هو جذر العمل عند الحسين ودافعه ، منبعه من: **لا إله إلا أنت**، التي

وقف عندها عرفاء الأولين والآخرين ، فأنى لهم بما بعدها ؟!

أما نفس عمل الإمام الحسين عليه السلام ماذا كان؟ فهنا يصمت المتكلمون عن الكلام! يقول أبو بصير رحمه الله:(كنت عند أبي عبد الله(الإمام الصادق عليه السلام)أحدثه، فدخل عليه ابنه فقال له مرحباً وضمه وقبله وقال: **حقَّر الله من حقركم، وانتقم ممن وَترَكم ، وخذل الله من خذلكم ، ولعن الله من قتلكم ، وكان الله لكم ولياً وحافظاً وناصراً ، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصديقين والشهداء وملائكة السماء . ثم بكى وقال:**

يا أبا بصير إذا نظرت الى ولد الحسين أتاني ما لا أملكه مما أتي الى أبيهم وإليهم ، يا أبا بصير إن فاطمة لتبكيه وتشهق فتزفر جهنم زفرة لولا أن الخزنة يسمعون بكاءها وقد استعدوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض فيكبحونها مادامت باكية ، ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض ، فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة .

وإن البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض ، وما منها قطرة إلا بها ملك موكل ، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته ، وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا وما فيها ومن على الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين ، يبكونه لبكائها، ويدعون الله ويتضرعون إليه ، ويتضرع أهل العرش ومن حوله، وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض. ولو أن صوتاً من أصواتهم يصل الى الأرض لصعق أهل الأرض ، وتقطعت الجبال وزلزلت الأرض بأهلها .

قلت: جعلت فداك إن هذا لأمرٌ عظيم ! قال: غيره أعظم منه ما لم تسمعه ، ثم قال لي: يا أبا بصير أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة؟ فبكيت حين

قالها ، فما قدرت على المنطق، وماقدرت على كلامي من البكاء، ثم قام إلى المصلى يدعو، فخرجت من عنده على تلك الحال ، فما انتفعت بطعام وما جاءني النوم وأصبحت صائماً وجلاً حتى أتيته ، فلما رأيته قد سكن سكنت ، وحمدت الله حيث لم تنزل بي عقوبة!). (كامل الزيارات ص١٦٩)

ماذا رأى أبو بصير ، وماذا كان حال الإمام الصادق عليه السلام ؟!

فهل نستطيع أن نفهم ما عرفه الإمام الصادق من يوم جده أبي عبدالله عليه السلام ؟ أو ندرك ماذا قدم الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء وماذا جرى له ، حتى أن الصديقة الكبرى سيدة نساء أهل الجنة عليها السلام، تبكي له في ملئها الأعلى فتضج لها السماوات ، وتضج لغضبها النار والبحار؟!

ماذا عمل الإمام الحسين عليه السلام حتى أن الإمام المعصوم قال إن يومه لا شبيه له في الصعاب الكبرى التي مرت على الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، فقال عنه: **ولا يوم كيومك يا أبا عبد الله !**

قال الإمام الصادق عليه السلام: إن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل يوماً على الحسن عليه السلام فلما نظر إليه بكى فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله ؟ قال: أبكى لما يصنع بك . فقال له الحسن: إن الذي يؤتى إلي سمٌّ يُدسُّ إليَّ فأقتل به ، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل ، يدعون أنهم من أمة جدنا محمد، وينتحلون دين الاسلام، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، وانتهاك حرمتك،وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاب ثقلك، فعندها تحل ببني أمية اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كل شئ حتى الوحوش في الفلوات ، والحيتان في البحار !) . (أمالي الصدوق ص١٧٧)

هذه نفحةٌ عن دافع العمل ، وعن نفس العمل ..

أما ثمرات عمله عليه السلام فقد روى شيخ المحدثين الصدوق قدس سره في ثواب الأعمال وشيخ الطائفة قدس سره في التهذيب ، وسند الرواية في الكافي وفي كامل الزيارات في غاية الإعتبار ، ومتنها في نهاية العظمة ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

(لِمَوْضِعُ قبر الحسين حرمةٌ معلومة، من عرفها واستجار بها أجير. قلت: صف لي موضعها؟ قال:إمسح من موضع قبره اليوم خمسة وعشرين ذراعاً من قدامه، وخمسة وعشرين ذراعاً عند رأسه ، وخمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رجليه ، وخمسة وعشرين ذراعاً من خلفه . وموضع قبره من يوم دفن روضة من رياض الجنة، ومنه معراج يعرج منه بأعمال زواره إلى السماء، وليس من ملك ولا نبي في السماوات إلا وهم يسألون الله أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين ففوجٌ ينزل و فوجٌ يعرج) (الكافي:٤/٥٨٨ ، وكامل الزيارات ص٤٥٧)

ولا يتسع المجال لشرح هذا الحديث الشريف ، فنكتفي بالإشارة الى فقرته الأخيرة: **وليس من ملك ولا نبي في السماوات إلا وهم يسألون الله أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين ، ففوجٌ ينزل وفوجٌ يعرج !** فقد استعمل عليه السلام صيغة النفي والإستثناء ، في النص على التعميم !

وهذا يعني أن جبرئيل ناموس الوحي، وميكائيل ناموس الرزق، وإسرافيل ناموس النفخ، وعزرائيل ناموس القبض، والكروبيين، وحملة العرش، وسكان البيت المعمور، وحفظة الكرسي، وجميع ملائكة الله في أرجاء الكون، بدون استثناء.. يستأذنون الله في زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام!

ولا نبي.. من آدم عليه السلام بعلمه للأسماء،ونوح عليه السلام صاحب مقام العبد الشكور، وإبراهيم عليه السلام صاحب رتبة خليل الله، وموسى عليه السلام صاحب مقام كليم الله، وعيسى عليه السلام صاحب منصب روح الله.. كلهم يطلبون في باب الله سائلين، أن

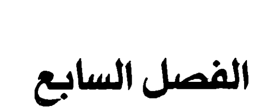
يأذن لهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام! هذه ثمرة عمل الإمام الحسين عليه السلام! إن عملاً هذا جذره ودافعه، وهذه طبيعته، وتلك ثمرته! واجبكم تجاهه أن تعرفوه ، وتعرّفوه للناس كما هو على حقيقته .

إن الجهاز الحاكم لهذا البلد ، أولئك الذين يتكئون على كرسي النيابة ، أو يجلسون على كرسي الوزارة، أو يقعدون في منصب الرئاسة.. إنما وصلوا الى مناصبهم ببركة تاسوعاء وعاشوراء! ومقتضى شكر المنعم عندما تتقارن عاشوراء مع عيد النوروز كما في هذه السنة،أن تشطبوا على كل مراسم الفرح وأن تبدؤوا كلامكم وخطبكم بـ **السلام عليك ياأبا عبدالله**، فابدؤوا هذا الربيع الذي تزامن مع خزنة حدائق النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وانشروا رايات السواد على معالم البلد في كل أرجائه.

صلى الله عليك يا أبا عبدالله . صلى الله عليك يا أبا عبدالله .

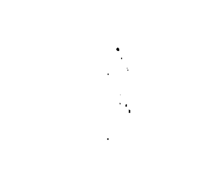
السلام على الحسين ، وعلى علي بن الحسين ، وعلى أولاد الحسين ، وعلى أصحاب الحسين .

○ ○



الفصل السابع

في جهاد الإمام الصادق عليه السلام وظلامته



صاحب منبر فقه أهل البيت عليهم السلام

(بتاريخ:٢٤ شوال ١٤٢٢ – ٢٠٠٢/١/٩ – ١٣٨٠/١٠/١٨)

بســـم الله الرحمن الرحيم

قال بعض العلماء عن هذا المنبر، منبر فقه أهل البيت عليهم السلام: **إن هذا المنبر له صاحب !** وحديثنا اليوم عن صاحب هذا المنبر الإمام جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليه ! **هذا المنبر له صاحب**.. ونحن له ظالمون، وبحقه مقصرون، فالأفضل لنا أن نعتذر اليوم لظلمنا وتقصيرنا.

السؤال الأول: ماذا نعرف عن الإمام الصادق عليه السلام ؟

والسؤال الثاني: ماذا عملنا ونعمل للإمام الصادق عليه السلام ؟

أما جواب السؤال الأول، فنحن نتخيل أنا نعرف الكثير عن الإمام الصادق عليه السلام مع أن تصور حياته وظروفه مشكل، فكيف بمعايشتها؟!

عاش الإمام محاطاً بظروف اضطهاد شديدة من دولة بني أمية ، ثم من دولة بني العباس! وكان أبو العباس السفاح عدواً شديداً لأهل البيت عليهم السلام مع أنه كان يعظم الإمام الباقر عليه السلام، ويعترف بفضله عليه !

وهذا نموذج من التشديد والرقابة التي كان يعيش فيها الإمام عليه السلام، فقد كان

السفاح وبعده يحضرونه الى الحيرة وكانت عاصمتهم قبل بغداد ، ويبقونه مدة طويلة، ويمنعون الناس من الإتصال به مع أنه في عاصمتهم !

يصف أحد الرواة الأجلاء كيف احتاج الى مسألة شرعية ، فاضطر إلى استعمال الحيلة لكي يصل الى الإمام الصادق عليه السلام ليسأله عنها: **قال هارون بن خارجة: كان رجل من أصحابنا طلق امرأته ثلاثاً، فسأل أصحابنا فقالوا: ليس بشئ . فقالت امرأته: لا أرضى حتى تسأل أبا عبدالله عليه السلام وكان بالحيرة إذ ذاك أيام أبي العباس. قال: فذهبت إلى الحيرة ولم أقدر على كلامه إذ منع الخليفة الناس من الدخول على أبي عبد الله عليه السلام، وأنا أنظر كيف ألتمس لقاءه ، فإذا سوادي** (أي رجل من أهل العراق ، وكان العراق يسمى السواد) **عليه جبة صوف يبيع خياراً ، فقلت له: بكم خيارك هذا كله؟ قال: بدرهم . فأعطيته درهماً وقلت له: أعطني جبتك هذه، فأخذتها ولبستها وناديت:من يشتري خياراً! ودنوت منه، فإذا غلام من ناحية ينادي: يا صاحب الخيار. فقال عليه السلام لي لما دنوت منه: ما أجود ما احتلت! أي شئ حاجتك؟ . قلت: إني ابتليت فطلقت أهلي ثلاثاً في دفعة، فسألت أصحابنا فقالوا ليس بشئ. وإن المرأة قالت لا أرضى حتى تسأل أباعبدالله عليه السلام، فقال: إرجع إلى أهلك فليس عليك شئ.**(الخرائج :٢/٦٤٢ والبحار: ٤٧/١٧١)

○ ○

في مثل هذه الأجواء كان يعيش الإمام الصادق عليه السلام، وعندما سنحت له فرصة قصيرة ظهر منه من العلوم ما ملأ الآفاق ، من بحوث التوحيد ونفي التعطيل والتجسيم والتشبيه ، الى بحوث علم الباري تعالى وقدرته وإرادته ومشيئته ، الى بحث الذات المقدسة ، والصفات والأفعال والأسماء ..

الى مباحث العقل ، والمعاد ، والنبوة العامة والخاصة ، وتاريخ الأنبياء عليهم السلام، ومباحث الإحتجاجات في الإمامة الكبرى وتطبيقها.. الى المباحث المتعلقة

بالسماء والعالم ، مضافاً الى بحوث الفقه من باب الطهارة الى الديات ، في كل أبواب العبادات والمعاملات .

ظهر منه في هذه الفترة القصيرة ما ملأ العالم ، من أعلى العلوم وأبواب العلم بالله تعالى، الى أعمقها وأغربها في ذلك الزمن كعلم الكيمياء والإكسير !
فكم روى عنه محمد بن مسلم الثقفي في الفقه؟!
وكم روى عنه جابر بن يزيد الجعفي في الغيبيات ؟!

وقال له زرارة ذات يوم: **جعلني الله فداك، أسألك في الحج منذ أربعين عاماً فتفتيني! فقال: يا زرارة، بيتٌ يحج قبل آدم عليه السلام بألفي عام، تريد أن تفنى مسائله في أربعين عاماً** !. (من لا يحضره الفقيه:٢/٥١٩)

أما جابر بن حيان أبو الكيمياء والجبر فهو تلميذ الإمام الصادق عليه السلام! فأين تعلم الإمام الكيمياء وأطلق في العالم أصولها حتى صار تلميذه جابر يعرف في جامعات الغرب باسم أب الكيمياء ، ويقام له تمثال في جامعاتها ؟! (١)
لقد اعترف الجميع من العامة والخاصة والأجانب ، أن علم الجبر الذي هو مفتاح استكشاف المجهولات وعلم ما يكون ، من إملاء الإمام الصادق عليه السلام على جابر بن حيان ! (٢)

هذه الموسوعية في العلوم التي كانت معروفة في عصره وغير المعروفة، من أين أتى بها الإمام الصادق عليه السلام ؟!

○ ○

إن الحديث عن شخصية الإمام الصادق عليه السلام فوق قدرتنا ، لأنا لا نستطيع أن نصل الى فهمه وتعريفه ، فما زالت كثير من أسرار شخصيته غائباً عنا !
والذي يستطيع تعريف الإمام الصادق عليه السلام هو الشخص الأول في العالم جده المصطفى صلى الله عليه وآله، الذي بشر به أمته قبل زمانه !

كانت شخصيته عليه السلام متميزة عن كل أهل عصره ، كما هو الحال في شخصيات المعصومين عليهم السلام وكان الإمام محل تعظيم وإعجاب حتى من أعدائه ومخالفيه! فقد رووا عن أئمة المذاهب إعجاباً كبيراً به لا يشبهه إعجابهم بأحد ! **قال الصدوق أعلى الله مقامه في الخصال ص١٦٧: (حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه قال: حدثنا أبو أحمد محمد بن زياد الأزدي قال: سمعت مالك بن أنس فقيه المدينة يقول: كنت أدخل على الصادق جعفر بن محمد ، فيقدم لي مخدة ويعرف لي قدراً ويقول: يا مالك إني أحبك ، فكنت أسر بذلك وأحمد الله عليه . وكان لا يخلو من إحدى ثلاث خصال: إما صائماً وإما قائماً وإما ذاكراً ، وكان من عظماء العبَّاد ، وأكابر الزهاد، الذين يخشون الله عز وجل ، وكان كثير الحديث ، طيب المجالسة ، كثير الفوائد، فإذا قال: قال رسول الله، اخْضَرَّ مرةً واصْفَرَّ أخرى ، حتى ينكره من يعرفه !**

ولقد حججت معه سنة فلما استوت به راحلته عند الإحرام ، كان كلما هم بالتلبية انقطع الصوت في حلقه وكاد يخر من راحلته، فقلت: قل يا ابن رسول الله فلا بد لك من أن تقول. فقال: يا ابن أبي عامر كيف أجسر أن أقول: لبيك اللهم لبيك، وأخشى أن يقول عز وجل لي: لا لبيك ولا سعديك !).(الخصال للصدوق ص١٦٧ ، ورواه أيضاً في الأمالي ص٢٣٤ ، وفي علل الشرائع:٢٣٤/٤ ، عنه في البحار: ١٨١/٩٩) .

فإذا قال قال رسول الله، اخْضَرَّ مرةً واصْفَرَّ أخرى، إنتبهوا لكي نفقه هذه الكلمة لمالك بن أنس فإنه لا يمكن أن يحدث هذا التغير في البدن عند ذكر اسم النبي صلى الله عليه وآله بدون أن يكون صاحبه متصلاً بالملأ الأعلى بروح النبي صلى الله عليه وآله

روح الشخص الأول في العالم المحيطة بالوجود ! فلا بد أن يحدث انقلاب في الروح أولاً حتى يحدث في البدن ، وذلك بقانون العلاقة الجدلية بين الروح والبدن ، والتأثير والتأثر بينهما !

لا بد أن تكون نفس الإمام الصادق عليه السلام مستغرقة مع النفس العليا لخاتم الرسل صلى الله عليه وآله في عالم الملكوت ، حتى يحدث هذا التحول والإنقلاب !

كان كلما هم بالتلبية انقطع الصوت في حلقه وكاد يخرٌّ من راحلته! والذي يفهم هذا الموقف، هو الذي يفهم معنى قوله عندما كرر قراءة **(إياك نعبد وإياك نستعين)** في صلاته فخر مغشياً عليه! فسئل عن ذلك فقال: **(ما زلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها).** (البحار: ٨٩ /١٠٧)

إن هذا استغراقٌ في عالم الأنوار فوق تعقل البشر ، بل وفوق تصورهم !

○ ○

واسمعوا إلى هذه الشهادة من أبي جعفر المنصور: (قال جعفر بن محمد الأشعث لابن أبي عمير: أتدري ماكان سبب دخولنا في هذا الأمر ومعرفتنا به، وما كان عندنا فيه ذكر ولا معرفة شئ مما عند الناس ؟ قال قلت: ما ذاك ؟

قال: إن أبا جعفر يعني أبا الدوانيق قال لأبي محمد الأشعث: يا محمد إبغ لي رجلاً له عقل يؤدي عني . فقال له: إنس قد أصبته لك ، هذا فلان بن مهاجر خالي ، قال فأتني به . قال فأتيته بخالي فقال له أبو جعفر: يابن مهاجر خذ هذا المال ، فأعطاه ألوف دنانير أو ما شاء الله من ذلك ، وائت المدينة، وألقَ عبد الله بن الحسن وعدة من أهل بيته فيهم جعفر بن محمد فقل لهم إني رجل غريب من أهل خراسان ، وبها شيعة من شيعتكم وجهوا اليكم بهذا المال، فادفع إلى كل واحد منهم على هذا الشرط كذا وكذا، فإذا قبضوا المال

فقل إني رسول وأحب أن يكون معي خطوطكم بقبضكم ماقبضتم مني !
قال فأخذ المال وأتى المدينة ، ثم رجع إلى أبي جعفر ، وكان محمد بن الأشعث عنده ، فقال أبو جعفر: ما وراءك؟ قال: أتيت القوم وفعلت ما أمرتني به ، وهذه خطوطهم بقبضهم، خلا جعفر بن محمد فإني أتيته وهو يصلي في مسجد الرسول (ص) فجلست خلفه وقلت ينصرف فأذكر له ما ذكرت لأصحابه ، فعجل وانصرف ، ثم التفت إلي فقال: **يا هذا اتق الله ولا تغُرَّنَّ أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وقل لصاحبك اتقِ الله ولا تغرن أهل بيت محمد فإنهم قريبوا العهد بدولة بني مروان ، وكلهم محتاج ! قال فقلت: وماذا أصلحك الله؟!**
فقال: أدنُ مني، فأخبرني بجميع ما جرى بيني وبينك ، حتى كأنه كان ثالثنا ! قال فقال أبو جعفر: يابن مهاجر، إعلم إنه ليس من أهل بيت نبوة إلا وفيهم محدَّث، وإن جعفر بن محمد محدَّث اليوم ! فكان هذه دلالة أنا قلنا بهذا المقالة) . (بصائر الدرجات ص٢٦٥) ،

هذا الأعتراف من المنصور الدوانيقي أعدى أعداء الإمام عليه السلام إذعانٌ منه بأن الإمام محدَّثٌ من ربه ! والمحدَّث هو الإنسان ذو الجنبتين، فهو بين الملك والملكوت ، بين الناسوت واللاهوت ، بين الغيب والشهادة !
فكم هو مظلوم الإمام الصادق عليه السلام، من أولئك الجبارين ، ومنا أيضاً !

o o

ثم ماذا نقول عن علم الإمام الصادق عليه السلام، وعن مقامه ، وعن عبادته ، وعن مكارم أخلاقه؟ إن كل ما قيل ويقال عنه عليه السلام قليل في حقه ! (نام رجل من الحاج في المدينة، فتوهم أن هميانه سرق، فخرج فرأى جعفر الصادق عليه السلام مصلياً ولم يعرفه ، فتعلق به وقال له: أنت أخذت همياني! قال: ما كان فيه؟ قال: ألف دينار . قال: فحمله إلى داره ووزن له ألف دينار! وعاد إلى منزله

ووجد هميانه ، فعاد إلى جعفر معتذراً بالمال ، فأبى قبوله وقال: **شئٌ خرج من يدي لا يعود إليَّ.** قال فسأل الرجل عنه فقيل هذا جعفر الصادق ، قال لا جرم هذا فعال مثله !) (المناقب لابن شهر آشوب:٣٩٤/٣) .

إنه من نور من قال الله تعالى فيه: **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** !

صلوات الله عليك يا حجة الله، لقد تحير فيك الأولون والآخرون، فماذا نقول نحن فيك ، وفي مقامك ، إلا أن نعترف بتقصيرنا في حقك ؟!

٥ ٥

في هذا البلد.. إذا أهين مسؤول ، إذا تجرأ أحد على شخصية ، تستنفر مخابرات البلد، وقواه الأمنية، وقواه القضائية، وينشغل الجميع ، لأن الشخص الفلاني أهين ، وتجرأ أحد عليه !

إن أي شخص ، أي شخصية ، ليست نسبته الى الإمام الصادق كنسبة الشمع الى الشمس ، كلا ، فهذا كلام جهال ! إنها نسبة الظلمة الى نور الأنوار !

لقد كان عند آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام حرف واحد من اثنين وسبعين حرفاً من اسم الله الأعظم ، فأحضر به عرش بلقيس، وجعفر بن محمد عليه السلام عنده من الإسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً !

فهل يجوز أن يقاس به أحد ، أو يدنو من مقامه أحد ؟! فالعجب أن تصدر في هذا البلد إهانة بحق جعفر بن محمد عليه السلام ؟! في طهران تعقد مجالس ضد الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وضد أمير المؤمنين عليه السلام !!

يا من تحكمون إيران ، هل عندكم خبر بذلك ، أم لا ؟! هل تعرف أنهم في تلك المجالس يطعنون في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، أو لا تعرف ؟

هل تعرف أنه في هذا البلد تكتب إهانات بشخصية الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، أو لا تعرف ؟

أيها الحكام ، هل تعرفون أنه في هذا البلد يكتب ويقال كلام فيه إهانة في حق رئيس المذهب الإمام الصادق(ع)، أو لا تعرفون ؟!

إن كنت لا تدري فتلكَ مصيبةٌ وإن كنت تدري فالمصيبةُ أعظمُ

اللهم إنا نشكو إليك فقد نبينا، وغيبة ولينا، وكثرة عدونا، وقلة عددنا، وتظاهر الزمان علينا . اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة، تُعِزٌّ بها الاسلام وأهله، وتُذِلٌّ بها النفاق وأهله .

اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة ،ولياً وحافظاً ، وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً ، وتمتعه فيها طويلا.

o o

هوامش

(١)كتب ابن النديم في الفهرست ص٤٢٠ ترجمة مفصلة لجابر بن حيان جاء فيها:

أخبار جابر بن حيان وأسماء كتبه.....وكان من أهل الكوفة. وزعم قوم من الفلاسفة أنه كان منهم. وله في كتب المنطق والفلسفة مصنفات. وزعم أهل صناعة الذهب والفضة أن الرياسة انتهت إليه في عصره، وأن أمره كان مكتوماً، وزعموا أنه كان يتنقل في البلدان لا يستقر به بلد خوفاً من السلطان على نفسه. وقيل إنه كان في جملة البرامكة ومنقطعاً إليها ومتحققاً بجعفر بن يحيى، فمن زعم هذا قال إنه عنى بسيده جعفر هو البرمكي. وقالت الشيعة إنما عنى جعفر الصادق .

وحدثني بعض الثقات ممن يتعاطى الصنعة أنه كان ينزل في شارع باب الشام في درب يعرف بدرب الذهب، وقال لى هذا الرجل: إن جابراً كان أكثر مقامه بالكوفة ، وبها كان يدبر الإكسير لصحة هوائها ، ولما أصيب بالكوفة الأزج الذي وجد فيه هاون ذهب

فيه نحو مائتي رطل ، ذكر هذا الرجل أن الموضع الذي أصيب ذلك فيه كان دار جابر بن حيان..... وقال لي أبو اسبكتكين دستاردار إنه هو الذى خرج ليتسلم ذلك.....

ولهذا الرجل كتب في مذاهب الشيعة أنا أوردها في مواضعها ، وكتب في معاني شتى من العلوم ، قد ذكرتها في مواضعها من الكتاب. وقد قيل إن أصله من خراسان ، والرازي يقول في كتبه المؤلفة في الصنعة: قال أستاذنا أبو موسى جابر بن حيان .

○ **أسماء تلامذته:**

الخرقي ، الذي ينسب إليه سكة الخرقي بالمدينة . وابن عياض المصري . والإخميمي .

○ **أسماء كتبه في الصنعة:**

له فهرست كبير يحتوي على جميع ما ألف في الصنعة وغيرها ، وله فهرست صغير يحتوي على ماألف في الصنعة فقط. ونحن نذكر جملاً من كتبه رأيناها، وشاهدها الثقات فذكروها لنا فمن ذلك .... وعدد ابن النديم كثيراً من كتبه.....) انتهى.

○ **وقال البغدادي في هدية العارفين:٢٤٩/١:** (ابن حيان - جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي الطرسوسي أبو موسى تلميذ جعفر الصادق رضي الله عنه توفي سنة ١٦٠ ستين ومائة. من تصانيفه: الإرشاد في التعبير . أسرار البرانيات . الإيضاح في علم الكاف . روح الأرواح في الإكسير . علل المعادن . العلم المخزون في الصنعة . كتاب الإحراق . كتاب الخالص في الكيمياء كتاب الخواص الكبير. كتاب الرحمة في الكيمياء.كتاب السبعين في الصنعة. كتاب الشعر. كتاب الصافي من الخمسمائة. كتاب العهد. كتاب القمر في الصنعة. كتاب النخب . منافع الحجر بعد تمام تدبيره . مهج النفوس . نهاية الأدب . وغير ذلك .

عدد تصانيف ابن حيان ٢٣٢ .

○ **وقال سركيس في معجم المطبوعات العربية:٦٦٤/١: (جابر بن حيان (١٦١) أبو عبد الله جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي** المعروف بالصوفي ويعرف بأبي موسى . اختلف الناس في أمره فقالت الشيعة إنه من كبارهم، وزعموا أنه كان صاحب جعفر الصادق. وكان من قبل من أهل الكوفة. وزعم قوم من الفلاسفة أنه كان منهم وله في المنطق والفلسفة مصنفات . وزعم أهل صناعة الذهب والفضة أن الرئاسة انتهت إليه في

عصره وأن أمره كان مكتوماً . وزعموا أنه كان يتنقل في البلدان لا يستقر به بلد خوفاً من السلطان على نفسه.... ثم عدد من مؤلفاته اثني عشر كتاباً، منها:

١ - أسرار الكيمياء ، أو كشف الأسرار وهتك الأستار . لم يطبع من هذا الكتاب إلا ترجمات باللغة اللاتينية ، وطبع قسم منه باللغة العربية ١٨٩٣ ضمن كتاب الأستاذ برتولو المسمى: La chimie au moyen age-vol paris ٢ مجموعة أحد عشر كتاباً في علم الإكسير الأعظم.... ولجابر بن حيان كتاب نفيس في السموم مخطوط في الخزانة التيمورية نقل عنه المرحوم الدكتور صروف عدة مقالات ذات فائدة عظيمة في مجلة المقتطف الجزء ٥٨ و ٥٩ .. وقال في هامشه: (الفهرست ٣٥٤ . أنظر مفتاح السعادة في قسم علم الكيمياء جزء أول من ص٢٧٩ الى ص٢٨٣)

○ ○

(٢) **قال آقا بزرگ الطهراني في الذريعة:١٩٠/٥:** (٨٦٩: جواب المسألة الجبرية ، وحلها بوسيلة القطوع المخروطي ، للحكيم أبي الفتح عمر بن ابراهيم الخيامي المتوفى (٥١٧) مختصر في عشر صفحات ، ذكره عباس الإقبال وقال إنه صرح الخيامي في هذا الجواب بأن تأسيس علم الجبر والمقابلة وحل المعادلات الجبرية كان من علماء الإسلام، ولم يكن اسم منه عند الرياضيين قبل الإسلام).

○ **وقال عبد الحليم الجندي في كتابه الإمام جعفر الصادق ص٢٩٥:**

وربما كان الكلام المنقول عن جابر بن حيان أوضح كلام في الدلالة على المنهج التجريبي الذي تعلمه في مجلس الإمام أو من كتب الإمام . يخاطب جابر الإمام في مقدمة كتابه الأحجار بقوله: وحق سيدي لولا أن هذه الكتب باسم سيدي صلوات الله عليه، لما وصلت إلى حرف من ذلك إلى الأبد .....

ويقول جابر في كتابه الخواص عن طريقته:(إتعب أولاً تعباً واحداً واعلم ثم اعمل. فإنك لا تصل أولاً ، ثم تصل إلى ما تريد) . وفي كتابة السبعين يقول: (من كان دَرِباً (مجرباً) كان عالماً حقاً. ومن لم يكن درباً لم يكن عالماً. وحسبك بالدربة في جميع الصنائع أن الصانع الدرِب يحذق وغير الدرب يعطل) . ويحصل جابر طريقته في عبارته المأثورة: (علمته بيدي . وبعقلي . وبحثته حتى صح ، وامتحنته فما كذب)

وفي هذا المقام يقول أستاذ الفلسفة الإسلامية المعاصر في جامعة القاهرة د. زكي نجيب محمود: (..فلو شئت تلخيصاً للمنهج الديكارتي كله لم تجد خيراً من هذا النص الذي أسلفناه عن جابر). (ديكارت ١٥٩٦ -١٦٥٠ - Rene Descartes أصلاً).

ويرى الصيدلي المعاصر د.محمد يحيى الهاشمي: أن الواقعية هي التي سوغت لجابر أن يقسم القياس أو الإستدلال والإستنباط إلى ثلاثه أقسام: المجانسة ومجرى العادة وبالآثار ، ومن دلالة المجانسة دلالة الأنموذج كمن يريك بعض الشئ دلالة على كله . وهو استدلال غير قاطع، إذ الأنموذج لا يوجب وجود شئ من جنسه يساويه تماماً في الطبيعة والجوهر. وكذلك دلالة مجرى العادة فإنه كما يقول جابر (ليس فيه علم يقين واجب اضطراري برهاني، بل علم إقناعي يبلغ أن يكون: أحرى وأولى وأجدر لا غير، لكن استعمال الناس له وتقبلهم فيه واستدلالهم به والعمل في أمورهم عليه أكثر كثيراً جداً.. وليس في هذا الباب علم يقين واجب ، وإنما وقع منه تعلق واستشهاد الشاهد على الغائب، لما في النفس من الظن والحسبان، فإن الأموربنبغي أن تجري على نظام ومشابهة ومماثلة . فإنك تجد أكثر الناس يجرون أمورهم على هذا الحسبان والظن) .

يقول جابر (..وبالجملة فليس لأحد أن يدعي أنه ليس في الغائب إلا مثل ما شاهد...إنما ينبغي له أن يتوقف حتى يشهد البرهان بوجوده من عدمه). فهو ينقد القياس من الناحية المنطقية أو الرياضية ليترك المجال مفتوحاً للحقائق القاطعة التي تثبت بالتجارب. وحسبك دليلاً على دقة طريقة التدليل بآثار الأشياء ، أن تجدها إحدى المسلمات في المعامل والجامعات ، في القارات جميعاً منذ بدأ الأخذ بطريقة التجربة والإستخلاص حتى اليوم . وستبقى أبداً .

وعندما توضع أقوال جابر في القرن الثاني للهجرة إلى جوار أقوال الحسن بن الهيثم (٣٥٤-٤٣٠) بعد أكثر من قرنين ، وقد عمل في خدمة الدولة الفاطمية ، وهي دولة من دول الشيعة، وله ٤٧ كتاباً في الرياضيات و ٥٨ كتاباً في الهندسة ، تتأكد لنا طريقة التجربة والإستخلاص التي سلكها الإمام الصادق وأتقن العمل بها ، ووصفها جابر والحسن . وقد أحسن الحسن التعبير عنها بمنهج علمي واضح الفحوى محدد العبارات .

ويشهد بها من أهل أوربة دراپير في كتابه (النزاع بين العلم والدين) فيقول: كان الأسلوب الذي توخاه المسلمون سبب تفوقهم في العلم، فإنهم تحققوا أن الأسلوب النظري لا يؤدي إلى التقدم ، وأن الأمل في معرفة الحقيقة معقود بمشاهدة الحوادث ذاتها . ومن هنا كان شعارهم في أبحاثهم هو: **الأسلوب التجريبي**. وهذا الأسلوب هو الذي أرشدهم إلى اكتشاف علم الجبر وغيره من علوم الرياضة والحياة . وإننا لندهش حينما نرى في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من ثمرات العلم في هذا العصر .....

والقارئ يلاحظ في هذا المقام أموراً ، منها: الأول: أن جابراً يقرر إذ يقسم بالإمام ، استرشاده في طريقته هذه به ، وأن علمه منه هو سبب توفيقه).

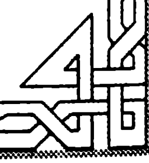
وقال في هامشه: (راجع مقدمة كتاب الدكتور مصطفى نظيف. مدير جامعة عين شمس بالقاهرة عن الحسن بن الحسن الهيثم البصري ، أكبر عالم في الرياضيات والطبيعة في العصور الوسطى) .

٥ ٥



الفصل الثامن

الإمام الرضا عليه السلام والإمامة الربانية



معنى مصطلح الإمام عليه السلام

(بتاريخ: ١٠ذي القعدة ١٤١٣- ١٩٩٣/٥/٣ - ١٣٧٢/٢/١٢)

بســم الله الرحمن الرحيم

يصادف غداً ولادة الإمام علي بن موسى الرضا أرواحنا فداه ، وهو يوم عظيم . ونحن نردد كلمة (إمام) فهل فهمنا ما تحويه هذه الكلمة وما تشتمل عليه ، وهل استوفينا البحث فيها ، وعرفنا موضوع أي سؤال تقع ؟

نحن على العموم نعرف مسائل الفقه والأصول جيداً ، أما في مسألة الإمامة التي هي من أهم المسائل ، فنحن قاصرون ومقصرون !

فهي ليست من مسائل علم الفقه أوأصول الفقه حتى أقول إني قد استوعبتها وتسلطت عليها! فأنا فيها في المرحلة الإبتدائية، ولا أعرف في الدنيا من هو بلغ فيها المرحلة المتوسطة ، حتى نبحث عن أهل المرحلة العليا فيها !

إن علينا أن نعرف أهمية المسألة وعظمتها ! وأول ما يجب أن نعرفه أن عنوانها عنوان مقدس.فكلمة الإمام التي هي موضوع بحثنا موضوع لسؤالين، عن المبدأ والمتلبس به، فالسؤال الأول: ما هي الإمامة؟والثاني: من هو الإمام؟

أما السؤال الأول فنجد مفهوم الإمامة في القرآن في مخاطبة الله تعالى لنبيه

ابراهيم عليه السلام: **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** (سورة البقرة:١٢٤) والمفكر المستيقظ المتأمل في عمق السؤال والجواب في الآية ، يرتجف أمام عظمة الموضوع ! ويرى أن جواب السؤال يكمن في كلمة **(عهدي)** فإنّ فَهِمَ كلمة **(عهد الله)** فقد فهم الإمامة ما هي؟

ومن يستطيع أن يدعي أنه يفهم**(عهد الله تعالى)**ما هو ؟

علينا أن نكون منصفين ، ونعترف بتقصيرنا وقصورنا ! فالقضية ليست مسألة من مسائل نهاية الدراية ، ولا الأسفار ، ولا الشفاء ! بل هي من المسائل لا يمكن أن تفهم إلا من أحاديث أئمة الدين أهل البيت الطاهرين عليهم السلام .

هذا جواب السؤال عن الإمامة .

أما السؤال عن الإمام من هو؟ فقد أجاب عنه الإمام الرضا عليه السلام الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وآله لمن ذكر اسمه: **قل صلى الله عليه، ثلاثا** ! قال الصدوق أعلى الله مقامه في **عيون أخبار الرضا** عليه السلام ج١ص٣١٣: (حدثنا أبو علي محمد بن أحمد بن محمدبن يحيى المعاذي النيسابوري قال: حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن علي البصري المعذل قال: رأى رجل من الصالحين فيما يرى النائم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله من أزور من أولادك ؟ فقال صلى الله عليه وآله: **إن من أولادي من أتاني مسموماً، وإن من أولادي من أتاني مقتولاً** ! قال فقلت له: فمن أزور منهم يارسول الله مع تشتت مشاهدهم أوقال أماكنهم؟ قال صلى الله عليه وآله: **من هو أقرب منك يعني بالمجاورة وهو مدفون بأرض الغربة** . قال: فقلت يا رسول الله تعني الرضا ؟ فقال صلى الله عليه وآله: **قل صلى الله عليه ، ثلاثاً**). انتهى.

ترى أي خصوصية في شخصية الإمام الرضا عليه السلام حتى يأمر النبي صلى الله عليه وآله

بالصلاة عليه ثلاثاً عند ذكر اسمه ؟! إن هذا بحث مستقل.

يجيب عن سؤالنا الإمام الرضا عليه السلام الذي أعطاه النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام لقب: **عالم آل محمد!** فمع أن النبي صلى الله عليه وآله وكذا الأئمة عليهم السلام علماء بكل أسرار الوجود ، وشهداء الله على خلقه، وقد أعطاهم الله تعالى علم السيطرة التكوينية والتشريعية، فقال عز وجل: **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ.** (سورة النحل: ٨٩) ، وقال تعالى: **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ.** (سورة الرعد:٤٣)

ومع ذلك فقد أعطوا لقب **(عالم آل محمد)** لشخص واحد منهم فقط هو الإمام الرضا عليه السلام! روى أبو الصلت الهروي رحمه الله قال: (لقد حدثني محمد بن إسحاق بن موسى بن جعفر ، عن أبيه عن جده موسى عليه السلام أنه كان يقول: **هذا أخوك علي بن موسى عالم آل محمد فاسألوه عن أديانكم واحفظوا ما يقول لكم، فإني سمعت أبي جعفراً يقول غير مرة: إن عالم آل محمد لفي صلبك، وليتني أدركه فإنه سمي أمير المؤمنين عليه السلام**)(البحار : ٤٩/١٠٠) .

لقد أجاب **عالم آل محمد** عليه السلام عن سؤالنا: من هو الإمام؟فعدَّدَ بضعةً وخمسين صفةً للإمام المنصوب من الله تعالى ! وهنا معدن معرفة الإمام ، من لسان الإمام ، الخبير بالإمامة وصفات الإمام عليه السلام!

إن واجبكم جميعاً أن تدرسوا هذه الأصول من هذا المنبع الصافي، وتتأملوا فيها، بقوة إيمان ، وصفاء ضمير ، واستمداد من الله تعالى ، لعله يفيض على قلوبكم بعض معارفها. (١)

من هذه الصفات التي ذكرها الإمام عليه السلام في جوابه المفصل عن ماهية الإمامة والإمام ، قال: **الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد** ، لاحظوا أن الإمام عليه السلام استعمل

كلمة (دهره)ولم يقل(**واحد زمانه**) فالدهر غير الزمان كما يأتي. ولاحظوا أنه استعمل لفظ (**واحد**) ثم لفظ (**أحد**) ولكل منهما معنى في مكانه

وقبل هذه الجملة وصف شخص الإمام بأنه:**كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق، بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار**. فشبهه بالشمس التي تجلل بنورها العالم ولا تصل اليها الأيدي ، ولا إلى عمقها الأنظار . هذا كما في رواية الكافي وتحف العقول وغيبة النعماني ونسخةمن معاني الأخبار، أما رواية عيون أخبار الرضا عليه السلام وغيرها من روايات الصدوق رحمه الله ففيها: **كالشمس الطالعة بنورها للعالم** ،لكن العبارتين تصفان الإمام عليه السلام بأنه شمس تضئ على العالم وأنها في أفق سام ، لا تناله الأيدي والأبصار !

وقد أردنا أن تكون هذ الصفة مقدمة لشرح صفة: **الإمام واحد دهره،** فالدهر في اصطلاح الفلاسفة أعم من الزمان لأنه وعاء المجردات ، في مقابل الزمان الذي هو وعاء الماديات ، وعلى هذا بنى المحقق الداماد رحمه الله مصطلحه عن الإمام: **القدوس الدهري.**

أما اللغويون فقد أطالوا بحث الفرق بين الدهر والزمان ، وبعضهم قال بعدم الفرق ، وبعضهم قال بأن الدهر أعم ، وهو ما نرجحه.

على أنا يمكننا أن نفهم أن **الإمام واحد الدهر،** وليس الزمان بالدليل العقلي، فإن هذه المباحث برهانية لا تعبدية، وإن كانت مقدمات البرهان فيها عميقة ودقيقة، فكلما كانت المسألة مهمة أكثر ، كانت مقدمات أدلتها أعمق وأدق !

إن الإمام عصارة خِلْقَة الإنسان ، وصورة الإنسان كما عن الإمام الصادق عليه السلام: **أكبر حجج الله على خلقه وهي الهيكل الذي بناه بقدرته . (٢)**

وقد استعمل الله سبحانه تعبير(**تَبَارَكَ**) عن خلق الإنسان مرتين، مرة في

غاية خلقه ، ومرة فيما تنتهي اليه الغاية! قال الله تعالى: **لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** (سورة التين:٤)، وقال تعالى: **ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** (سورة المؤمنون:١٤) وتعبير(**تَبَارَك**) لم يستعمل في القرآن إلا في موارد محدودة ، منها لملك الله تعالى: **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شيْءٍ قَدِيرٌ** (سورة الملك: ١) ومنها لخلق السماوات والأرض، ومنها لخلق البروج والشمس والقمر ، ومنها لخلق الإنسان ، ومنها لتنزيل االقرآن: **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** (سورة الفرقان: ١) وقد جمع بينهما في سورة الرحمان فقال: **الرَّحْمَنُ.عَلَّمَ الْقُرْآنَ.خَلَقَ الأَنْسَانَ.عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** وختمها بقوله: **تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِى الْجَلالِ وَالأَكْرَامِ** .

هذا الإنسان المخلوق بهذه العظمة في بنائه ، واستعداده للتكامل ، لابد أن يصل الى كماله الذي قال الله عنه للملائكة: **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ!** جواباً على قولهم:(**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**)؟!

وكمال الإنسان إنما هو بوصول قوتين كامنتين فيه الى أوج إثمارهما: قوة العقل، وقوة الإرادة. فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:(**دعامة الإنسان العقل، والعقل منه الفطنة والفهم، والحفظ والعلم**) (الكافي:٢٥/١ ، وعلل الشرائع :١٠٣/١)

والعقل قسمان: عقلٌ نظري ، وكماله المطلق بالإستغراق في نوعٍ من المعرفة يشمل كل أنواع معرفة الوجود ، وهو معرفة الله تعالى !

وعقلٌ عملي، وكماله المطلق ينتهي الى فناء إرادة الإنسان في إرادة ذات القدوس الحق تعالى . وعندما تفنى جنبة العقل النظرية والعملية ، تلك في

المعرفة ، وهذه في الإرادة ، فعنئذ يكون الإنسان:**واحد دهره!**

الإمام واحد دهره، فهو الإنسان الذي يستحق العهد الإلهي المخصوص بين أبينا ابراهيم عليه السلام وبين الله تعالى، ويستحق منصب الإمامة الإلهية! ولا يمكن أن يستحقه أحد إلا إذا كان:**واحد دهره !**

إن موضوع الإمامة عميق وواسع، فعليه يتوقف تحقيق الغرض من خلق الله تعالى للإنسان، بل من كل الخلق، وما لم يكن الإمام في نظام الوجود ، فإن الغرض من خلق الخلق لايتمّ.

والناس كما قال صلى الله عليه وآله: معادن، فلا بد أن يتم تبلورمعادنهم بإشراقة الإمام عليه السلام، فهو للناس ضرورة كضرورة الشمس للمعادن في الأرض. قال صلى الله عليه وآله: **(الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، فمن كان له في الجاهلية أصل فله في الإسلام أصل).** (الكافي :٨ /١٧٧عن الإمام الصادق عليه السلام.ورواه مسلم:٨/٤١ بلفظ: **الناس معادن كمعادن الفضة والذهب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**).

إن الأمر الذي سبَّبَ عدم فهم المسلمين والبشرية للإمامة هو الإنحراف الخطير الذي وقعت فيه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله فأطاعت من انحرف بمسيرة الإسلام عن مسارها الرباني بقيادة الإمام المعصوم عليه السلام! فقد أقصت الأمة مع الأسف الإمام الذي عينه لها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وعزلته عن قيادتها، وأسلمت نفسها الى أشخاص تقمصوا الإمامة بعد النبي صلى الله عليه وآله، قام أمرهم ووجودهم وأفعالهم وأقوالهم على غير العلم والحق ! وهذا هو السبب الذي أوصل الأمة الى مهاوي الضلال والضياع والضعف، وجعلها لا تعرف مقام الإمام ومهمته الربانية في مسيرتها !

٥ ٥

أنتم تعرفون المأمون العباسي من هو؟! فاقرؤوا عنه هذه القصة التي يرويها الصدوق أعلى الله مقامه عن عبد الله بن محمد الهاشمي قال: **(دخلت على المأمون يوماً فأجلسني وأخرج من كان عنده، ثم دعا بالطعام فطعمنا ثم طيبنا ، ثم أمر بستارة فضربت، ثم أقبل على بعض من كان في الستارة فقال: بالله لما رثيت لنا من بطوس، فأخذت تقول:**

سقياً لطوسٍ ومن أضحى بها قَطَنا   من عترة المصطفى أبقى لنا حَزَنا

قال ثم بكى وقال لي: يا عبد الله أيلومني أهل بيتي وأهل بيتك أن نصبت أبا الحسن الرضا عليه السلام علماً، فو الله لأحدثُك بحديث تتعجب منه: جئته يوماً فقلت له جعلت فداك إن آبائك موسى بن حعفر وجعفر بن محمد ومحمد بن علي وعلي بن الحسين، كان عندهم علم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، وأنت وصي القوم ووارثهم وعندك علمهم، وقد بدت لي إليك حاجة ؟

قال: هاتها . فقلت: هذه الزاهرية حظيتي ولا أقدِّم عليها أحداً من جواريَّ ، قد حملت غير مرة وأسقطت ، وهي الآن حامل، فدلني على ما نتعالج به فتسلم .

فقال: لا تخف من إسقاطها، فإنها تسلم وتلد غلاماً أشبه الناس بأمه، ويكون له خنصر زائدة في يده اليمنى ليست بالمدلاة ، وفي رجله اليسرى خنصر زائدة ليست بالمدلاة ! فقلت في نفسي أشهد أن الله على كل شئ قدير، فولدت الزاهرية غلاماً أشبه الناس بأمه، في يده اليمنى خنصر زائدة ليست بالمدلاة ، وفي رجله اليسرى خنصر زائدة ليست بالمدلاة، على ما كان وصفه لي الرضا !! فمن يلومني على نصبي إياه علماً). (عيون أخبار الرضا عليه السلام:١/٢٤١) **(٣)**

بكى المأمون، وكيف لا يبكي رغم طغيانه وتكبره؟! وقد شاهد علم الإمام الرضا عليه السلام بمقادير الله تعالى فأخبره بيقين المحيط بالأمر: **لا تخف من إسقاطها، فإنها تسلم وتلد غلاماً أشبه الناس بأمه!!**

لقد شاهد المأمون قوله تعالى: **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً** (سورة النبأ: ٢٩) وشاهد تطبيقه في قوله تعالى: **إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ** (سورة يس: ١٢) ورأى بعينيه وعقله أن الله تعالى يُطلع حجته الإمام المعصوم على مقاديره: **إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم!** (الكافي:٥٧٧/٤ ، وكامل الزيارات ص٣٦٦ ، من زيارة الإمام الحسين عليه السلام)

إن هذه القصة من الرحمة الرحمانية للمأمون ، ومن مفردات إتمام الحجة على هذا العفريت المستكبر الذي يعبد نفسه ولا يعبد ربه ، ولا شغل له بالله ورسوله صلى الله عليه وآله ولابالإسلام والقرآن، ولا بالإمام الرضا عليه السلام وعلمه الرباني،إلا بقدر أن تلد له جاريته الزاهرية المفضلة ولداً جميلاً ! وكذلك هي حقيقة الطغاة !

○ ○

المرحوم الشيخ حبيب الله گلپايگاني، شخصيةٌ معروفة عند كبار علماء گلپايگان ، وهو من الأولياء ، وإن لم يكن من الأوتاد ، فهو من الأبدال .

كنت بخدمته في عودتي ذات مرة من النجف الأشرف ، وسألته عن القصة التالية فنقلها لي ، وهي مفصلة ، خلاصتها: سألته: ما هي قصتك حتى أنك تمسح بيدك على مكان الوجع فيشفيه الله تعالى؟

قال: مرضت في مشهد الإمام الرضا عليه السلام ونقلوني الى المستشفى، وبعد يوم من معالجتي واشتداد مرضي، تغيرت حالتي فأدرت وجهي الى قبة الإمام الرضا عليه السلام وقلت له: سيدي كنت لمدة أربعين سنة أول شخص يدخل حرمك الشريف ويزورك !

(وقد صدق قدس سره فقد رأيته يوم كنا في مدرسة في مشهد اسمها مدرسة الحاج حسن، وكان رحمه الله مسؤولاً عن الطلبة وله غرفة في المدرسة، رأيته في

شتاء خراسان القارس يذهب قبل الفجر تحت هطول الثلج، ويفرش سجادته في الإيوان خلف باب حرم الإمام الرضا عليه السلام ويصلي صلاة الليل ، حتى يفتحوا الباب قرب الفجر ، فيكون أول داخل الى الحرم الشريف).

قال رحمه الله: قلت للإمام كنت في خدمتك هكذا أربعين سنة فهل تتركني الآن؟!

قال رحمه الله: كنت في اليقظة ولم أكن نائماً ولا ساهياً، فرأيت عالماً آخر، بستاناً فيه أرائك ، وقد جلس الإمام الرضا عليه السلام وأنا الى جنبه ، فمد اليَّ يده وأعطاني طاقة ورد ، فأخذتها بيدي هذه! وعدت الى عالمي ونظرت في يدي فلم أجد شيئاً! وكذلك لم أجد أثراً لألمي ولا لمرضي! ومن ذلك اليوم رأيت أني كلما مسحت بيدي على وجع في جسمي أو جسم أحد يرتفع وجعه ويذهب مرضه بلطف الله تعالى! وكم شافى الله على يده رحمه الله من أشخاص، وكان عدة منهم مصابين بمرض السرطان !

قال رحمه الله: قبل أن تكثر مصافحة أهل المعاصي ليدي هذه ، كنت إذا مسحت بها على وجع يرتفع مباشرة ويتم الشفاء، أما بعد ذلك فإني أمسح على مكان الألم عدة مرات ، وأدعو حتى يخف الألم ، وقد يرتفع !

تلك هي الرحمة الرحمانية تصل بواسطة الإمام الرضا عليه السلام الى المأمون. وهذه الرحمة الرحيمية تصل الى هذا الولي الشيخ حبيب الله قدس سره، فبدون أن يتكلم الإمام عليه السلام يعطيه طاقة ورد ، وبمجرد أن يأخذها يحدث انقلاب في يده! إنه الإكسير الأعظم ، لو تركوه يمس العالم ، لانقلب الى عالم أعلى !

إلهي.. بكرامة الإمام الرضا عندك، أعف عن تقصيرنا وقصورنا.

اللهم صل وسلم على وليك علي بن موسى الرضا

عدد ما في علمك ، صلاةً دائمةً بدوام ملكك.

٥ ٥

هوامش

(١) **في الكافي**:١٩٨/١:(عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنا مع الرضا عليه السلام بمرو فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها ، فدخلت على سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه ، فتبسم ثم قال:

يا عبد العزيز جهل القوم وخُدعوا عن آرائهم، إن الله عز وجل لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين ، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شئ ، بين فيه الحلال والحرام ، والحدود والأحكام وجميع مايحتاج إليه الناس كُمَلاً، فقال عزوجل: **مَا فَرَّطْنَا في الْكتَاب منْ شَيْء** (سورة الأنعام: ٣٨) وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نعْمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الأَسْلامَ ديناً** (سورة المائدة: ٣) . وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض صلى الله عليه وآله حتى بين لأمته معالم دينهم ، وأوضح لهم سبيلهم ، وتركهم على قصد سبيل الحق ، وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً ، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بينه ، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله ، ومن رد كتاب الله فهو كافر به .

هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة ، فيجوز فيها اختيارهم؟!

إن الإمامة أجل قدراً ، وأعظم شأناً ، وأعلا مكاناً ، وأمنع جانباً ، وأبعد غوراً ، من أن يبلغها الناس بعقولهم ، أو ينالوها بآرائهم ، أو يقيموا إماماً باختيارهم !

إن الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبةً ثالثة ، وفضيلةً شرفه بها ، وأشاد بها ذكره ، فقال: **وَإذ ابْتَلَى إبْرَاهيمَ رَبُّهُ بكَلمَات فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إنِّي جَاعلُكَ للنَّاس إمَاماً**(سورة البقرة: ١٢٤) فقال الخليل عليه السلام سروراً بها:**وَمنْ ذُرِّيَّتي**؟ قال الله تبارك وتعالى: **لا يَنَالُ عَهْدي الظَّالمينَ**.فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة . ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال: **وَوَهَبْنَا لَهُ إسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافلَةً وَكُلاً جَعَلْنَا صَالحينَ. وَجَعَلْنَاهُمْ أَئمَّةً يَهْدُونَ**

بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (سورة الأنبياء:٧٢- ٧٣) فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً ، حتى ورثها الله تعالى النبيصلى الله عليه وآله فقال جل وتعالى: **إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**(سورة آل عمران: ٦٨) فكانت له خاصة فقلدهاصلى الله عليه وآله علياًعليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله ، فصارت في ذريته الأصفياءالذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى: **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالأَيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ** (سورة الروم: ٥٦) فهي في ولد عليعليه السلام خاصة إلى يوم القيامة، إذ لانبيَّ بعد محمد صلى الله عليه وآله، فمن أين يختار هؤلاء الجهال ؟!

إن الإمامة هي منزلة الأنبياء ، وإرث الأوصياء. إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسولصلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين ، وميراث الحسن والحسينعليهما السلام.

إن الإمامة زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين .

إن الإمامة أسُّ الاسلام النامي ، وفرعه السامي .

بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد ، وتوفير الفئ والصدقات ، وإمضاء الحدود والأحكام ، ومنع الثغور والأطراف .

الإمام يحل حلال الله ، ويحرم حرام الله ، ويقيم حدود الله ، ويذب عن دين الله ، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، والحجة البالغة .

الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم ، وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار .

الإمام البدر المنير ، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى ، وأجواز البلدان والقفار ، ولجج البحار .

الإمام الماء العذب على الظمأ ، والدال على الهدى ، والمنجي من الردى.

الإمام النار على اليفاع ، الحار لمن اصطلى به ، والدليل في المهالك ، من فارقه فهالك ،

الإمام السحاب الماطر ، والغيث الهاطل، والشمس المضيئة ، والسماء الظليلة ، والأرض البسيطة ، والعين الغزيرة ، والغدير والروضة .

الإمام الأنيس الرفيق ، والوالد الشفيق ، والأخ الشقيق ، والأم البرة بالولد الصغير ، ومفزع العباد في الداهية النآد.

الإمام أمين الله في خلقه ، وحجته على عباده ، وخليفته في بلاده ، والداعي إلى الله ، والذاب عن حرم الله .

الإمام المطهر من الذنوب ، والمبرأ عن العيوب ، المخصوص بالعلم ، الموسوم بالحلم نظام الدين ، وعز المسلمين ، وغيظ المنافقين ، وبوار الكافرين .

الإمام واحد دهره ، لا يدانيه أحد ، ول ايعادله عالم ، ول ايوجد منه بدل ، ولا له مثل ولا نظير ، مخصوص بالفضل كله ، من غير طلب منه له ولا اكتساب ، بل اختصاص من المفضل الوهاب . فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام ، أو يمكنه اختياره؟!!

هيهات هيهات ، ضلت العقول ، وتاهت الحلوم ، وحارت الألباب ، وخسئت العيون ، وتصاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألبّاء ، وكلّت الشعراء ، وعجزت الأدباء ، وعييت البلغاء ، عن وصف شأن من شأنه ، أو فضيلة من فضائله ، وأقرت بالعجز والتقصير !

وكيف يوصف بكله ، أو ينعت بكنهه ، أو يفهم شئ من أمره ، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه ؟ لا كيف ؟

وأنى؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين ، ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا ؟ وأين يوجد مثل هذا؟! أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد صلى الله عليه وآله؟! كذبتهم والله أنفسهم ، ومنّتهم الأباطيل ! فارتقوا مرتقىً صعباً دحضاً ، تزلُّ عنه إلى الحضيض أقدامهم ! راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة ، وآراء مضلة ، فلم يزدادوا منه إلا بعداً: **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** (سورة التوبة: ٣٠) ولقد راموا صعباً ، وقالوا إفكاً ، وضلوا ضلالاً بعيداً ، ووقعوا في الحيرة ، إذ تركوا الإمام عن بصيرة: **وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ** (سورة العنكبوت: ٣٨) .

رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته إلى اختيارهم ، والقرآن يناديهم: **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** (سورة القصص: ٦٨) وقال عز وجل: **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً** (سورة الأحزاب: ٣٦) وقال: **مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ. أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ. إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ. أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ. سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ.أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ** (سورة القلم: ٣٦-٤١)

وقال عز وجل: **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً** (سورة النساء: ٨٢) ، أم **طبع الله على قلوبهم فهم لايفقهون**؟! أم **قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لايَسْمَعُونَ. إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لايَعْقِلُونَ. وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ** (سورة الأنفال:٢١-٢٣) أم **قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** (سورة البقرة:٩٣)بل هو **فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** (الجمعة:٤)

فكيف لهم باختيار الإمام ؟! والإمام عالم لايجهل ، وراع لاينكل، معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة، مخصوصٌ بدعوة الرسول صلى الله عليه وآله ونسل المطهرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولايدانيه ذو حسب ، في البيت من قريش(في تحف العقول: فالبيت من قريش) والذروة من هاشم ، والعترة من الرسول صلى الله عليه وآله والرضا من الله عز وجل ، شرف الأشراف ، والفرع من عبد مناف، نامي العلم ، كامل الحلم ، مضطلع بالإمامة ، عالم بالسياسة ، مفروض الطاعة ، قائم بأمر الله عز وجل ، ناصح لعباد الله ، حافظ لدين الله .

إن الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم ، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان ، في قوله تعالى: **قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**(يونس:٣٥)،وقوله تبارك وتعالى:

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً (البقرة:٢٦٩) ، وقوله في طالوت:(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:٢٤٧)،وقال لنبيه صلى الله عليه وآله: **وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً** (النساء:١١٢)

وقال في الأئمةمن أهل بيت نبيه وعترته وذريته صلوات الله عليهم: **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً . فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً** (النساء:٥٤- ٥٥)

وإن العبد إذا اختاره الله عز وجل لأمور عباده ، شرح صدره لذلك ، وأودع قلبه ينابيع الحكمة ، وألهمه العلم إلهاماً ، فلم يعيَ بعده بجواب ، ولا يحيد فيه عن الصواب ، فهو معصومٌ مؤيد ، موفقٌ مسدد ، قد أمن من الخطايا والزلل والعثار ، يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده ، وشاهده على خلقه، **وذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** (الحديد:٢١)

فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه، أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدمونه؟!تعدوا – وبيت الله– الحق، ونبذوا **كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ** (البقرة:١٠١) وفي كتاب الله الهدى والشفاء ، فنبذوه واتبعوا أهواءهم ، فذمهم الله ومقتهم وأتعسهم فقال جل وتعالى: **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (القصص:٥٠) وقال: **فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** (محمد:٨) وقال: **كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** (غافر:٣٥)

○ ورواه الصدوق قدس سره في عيون أخبار الرضا عليه السلام:١٩٥/٢، قال: (حدثنا أبو العباس محمد بن إبراهيم بن اسحاق الطالقاني رضي الله عنه قال: حدثنا أبو أحمد القاسم بن محمد بن على الهاروني قال: حدثني أبو حامد عمران بن موسى بن إبراهيم عن الحسن بن القاسم الرقام قال: حدثني القاسم بن مسلم عن أخيه عبد العزيز بن مسلم قال: كنا في أيام علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرو فاجتمعنا في مسجد جامعها في يوم الجمعه في بدء مقدمنا،

فأدار الناس أمر الإمامة، وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي ومولاي الرضا عليه السلام فأعلمته ما خاض الناس فيه ...الحديث ..)

○ ○

○ **وروى في الكافي:٢٠٣/١**، خطبةً عظيمة للإمام الصادق عليه السلام في موسم الحج في حياة أبيه الإمام الباقر عليه السلام بين فيها مكانة الأئمة عليهم السلام ويعرف الإمام للأمة ، يناسب أن نوردها هنا، قال الكليني رحمه الله: (محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن إسحاق بن غالب، عن أبي عبد الله عليه السلام في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليهم السلام وصفاتهم:

إن الله عز وجل أوضح بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله عن دينه ، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه ، فمن عرف من أمة محمد صلى الله عليه وآله واجب حق إمامه، وجد طعم حلاوة إيمانه ، وعلم فضل طلاوة إسلامه ، لأن الله تبارك وتعالى نصب الإمام علماً لخلقه ، وجعله حجةً على أهل مواده وعالمه ، وألبسه الله تاج الوقار ، وغشاه من نور الجبار ، يمد بسبب إلى السماء ، ولاينقطع عنه مواده ، ولاينال ما عند الله إلا بجهة أسبابه ، ولا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفته ، فهو عالمٌ بما يرد عليه من ملتبسات الدجى، ومعميات السنن، ومشبهات الفتن، فلم يزل الله تبارك وتعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين عليه السلام من عقب كل إمام ، يصطفيهم لذلك ويجتبيهم ، ويرضى بهم لخلقه ويرتضيهم ، كل ما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماماً ، علماً بيناً ، وهادياً نيراً ، وإماماً قيماً ، وحجةً عالماً ، أئمةً من الله ، يهدون بالحق وبه يعدلون ، حججُ الله ودعاتُه ، ورعاتُه على خلقه، يدين بهديهم العباد، وتستهل بنورهم البلاد، وينمو ببركتهم التلاد ، جعلهم الله حياة للأنام ، ومصابيح للظلام، ومفاتيح للكلام، ودعائم للإسلام ، جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها .

فالإمام هو المنتجب المرتضى ، والهادي المنتجى ، والقائم المترجى ، اصطفاه الله بذلك ، واصطنعه على عينه في الذر حين ذرأه ، وفي البرية حين برأه ، ظلاً قبل خلق نسمة عن يمين عرشه، محبواً بالحكمة في علم الغيب عنده. اختاره بعلمه، وانتجبه لطهره بقيةً من آدم عليه السلام، وخيرةً من ذرية نوح، ومصطفىً من آل إبراهيم ، وسلالةً من إسماعيل ، وصفوةً من عترة محمد صلى الله عليه وآله.

لم يزل مرعياً بعين الله ، يحفظه ويكلؤه بستره ، مطروداً عنه حبائل إبليس وجنوده ، مدفوعاً عنه وقوب الغواسق ، ونفوثُ كل فاسق ، مصروفاً عنه قوارف السوء ، مبرءاً من العاهات ، محجوباً عن الآفات ، معصوماً من الزلات ، مصوناً عن الفواحش كلها ، معروفاً بالحلم والبر في يفاعه ، منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه ، مسنداً إليه أمر والده ، صامتاً عن المنطق في حياته ، فإذا انقضت مدة والده ، إلى أن انتهت به مقادير الله إلى مشيئته ، وجاءت الإرادة من الله فيه إلى محبته ، وبلغ منتهى مدة والده فمضى وصار أمر الله إليه من بعده ، وقلده دينه ، وجعله الحجة على عباده ، وقيِّمه في بلاده ، وأيده بروحه، وآتاه علمه ، وأنبأه فصل بيانه، واستودعه سره ، وانتدبه لعظيم أمره ، وأنبأه فضل بيان علمه ، ونصبه علماً لخلقه ، وجعله حجةً على أهل عالمه ، وضياءً لأهل دينه ، والقيمَ على عباده ، رضي الله به إماماً لهم ، استودعه سره ، واستحفظه علمه ، واستخبأه حكمته، واسترعاه لدينه ، وانتدبه لعظيم أمره، وأحيا به مناهج سبيله ، وفرائضه وحدوده .

فقام بالعدل عند تحير أهل الجهل ، وتحير أهل الجدل ، بالنور الساطع ، والشفاء النافع ، بالحق الأبلج ، والبيان اللائح من كل مخرج ، على طريق المنهج ، الذي مضى عليه الصادقون من آبائه.

فليس يجهل حق هذا العالم إلا شقي ، ولا يجحده إلا غوي ، ولا يصد عنه إلا جري على الله جل وعلا).

○ ○

(٢) في التفسير الصافي للفيض الكاشاني:٨٦/١: وروي عن الصادق: أن الصورة الإنسانية هي الطريق المستقيم إلى كل خير والجسر الممدود بين الجنة والنار .

○ **وفي التفسير الصافي :٩٢/١:** (وقال الصادق: الصورة الإنسانية هي أكبر حجة الله على خلقه ، وهي الكتاب الذي كتبه الله بيده) .

○ **وفي شرح الأسماء الحسنى للسبزواري:١٢/١:** (وعن الصادق كما في الصافي أو عن أمير المؤمنين علي على ما قال ابن جمهور: الصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله على خلقه ، وهي الكتاب الذي كتبه بيده ، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته ، وهي

مجموع صور العالمين ، وهي المختصر من اللوح المحفوظ ، وهي الشاهدة على كل غايب ، وهي الحجة على كل جاحد ، وهي الطريق المستقيم إلى كل خير ، وهي الجسر الممدود بين الجنة والنار). انتهى.

○ ○

(٣) رواه الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام:٢٤١/١، كما ورد أعلاه وقال في آخره: "والحديث فيه زياده حذفناها، ولا حول وقوه إلا بالله العلي العظيم" .

ورواه الطوسي في الغيبة ص٧٤ ، قال: (وروى محمد بن عبد الله بن الحسن الأفطس قال: كنت عند المأمون يوماًونحن على شراب، حتى إذا أخذ منه الشراب مأخذه صرف ندماءه واحتبسني ، ثم أخرج جواريه ، وضربن وتغنين ، فقال لبعضهن: بالله لما رثيت من بطوس قطنا ، فأنشأت تقول:

سقياً لطوس ومن أضحى بها قطنا من عترة المصطفى أبقى لنا حزنا
أعني أبا حسن المأمـون إن له حقاً على كل من أضحى بها شجنا

قال محمد بن عبد الله: فجعل يبكي حتى أبكاني ، ثم قال لي: ويلك يا محمد أيلومني أهل بيتي وأهل بيتك أن أنصب أبا الحسن علماً، والله إن وددت لو أخرجت من هذا الأمر ولأجلسته مجلسي غير أنه عوجل ، فلعن الله عبد الله وحمزة ابني الحسن فإنهما قتلاه. ثم قال لي: يا محمد بن عبد الله ، والله لأحدثنك بحديث عجيب فاكتمه ، قلت: ما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال: لما حملت زاهرية ببدر أتيته فقلت له: جعلت فداك بلغني أن أبا الحسن موسى بن جعفر، وجعفر بن محمد ، ومحمد بن علي ، وعلي بن الحسين ، والحسين بن علي كانوا يزجرون الطير ولا يخطئون، وأنت وصي القوم ، وعندك علم ما كان عندهم ، وزاهرية حظيتي ومن لا أقدم عليها أحداً من جواريَّ ، وقد حملت غير مرة كل ذلك يسقط ، فهل عندك في ذلك شئ ننتفع به؟ فقال: لا تخش من سقطها ، فستسلم وتلد غلاماً صحيحاً مسلماً أشبه الناس بأمه ، قد زاده الله في خلقه مرتبتين ، في يده اليمنى خنصر وفي رجله اليمنى خنصر . فقلت في نفسي هذه والله فرصة إن لم يكن الأمر على ما ذكر خلعته ، فلم أزل أتوقع أمرها حتى أدركها المخاض ، فقلت للقيمة: إذا

وضعت فجيئني بولدها ذكراً كان أو أنثى . فما شعرت إلا بالقيمة وقد أتتني بالغلام كما وصفه زائد اليد والرجل ، كأنه كوكب دري ، فأردت أن أخرج من الأمر يومئذ وأسلم ما في يدي إليه ، فلم تطاوعني نفسي لكني دفعت إليه الخاتم فقلت: دبر الأمر فليس عليك مني خلاف، وأنت المقدم ، وبالله أن لو فعل لفعلت) .

○ ○

○ **وفي الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي ص٤٨٦:** (٢/٤١٥- عن عبد الله بن محمد الهاشمي العلوي قال: دخلت علي المأمون فحدثني ملياً ، ثم أخرج من كان عنده لمكاني، فلما خلا المجلس دعا بماء فغلسنا أيدينا ، ثم أتي بطعام فطعمنا ، ثم أمر بستارة فمدت ، ثم أقبل على واحدة من الجواري وقال: يا بنت فلان لمَّا رثيت لنا من بطوس قطنا . فأنشأت الجارية تقول شعراً:

سقياً لطوس ومن أضحى به قطنا . من عترة المصطفى أبقى لنا حزنا

فبكى المأمون حتى اخضلت لحيته من دموعه ثم قال: يا عبدالله، أيلومني أهل بيتي وأهل بيتك أن أنصب أبا الحسن علماً، فوالله لأحدثنك بحديث فاكتمه علي . جئته يوماً فقلت له: جعلت فداك ، آباؤك موسى بن جعفر وجعفر بن محمد ومحمد بن علي وعلي بن الحسين والحسين بن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، كان عندهم علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وأنت وصي القوم ، وعندك علمهم ، وهذه الزاهرية حظيتي ومن لا أقدم عليها أحداً من جواريَّ، وقد حملت غير مرة كل ذلك تسقط، وهي حبلى، أفلا تعلمني شيئاً أعلمها فتعالج به فلعلها تسلم ؟

قال المأمون: فأطرق إطراقة ثم رفع رأسه وقال: لا تخف من إسقاطها ، فإنها ستسلم وتلد لك غلاماً أشبه الناس بأمه، كأن وجهه الكوكب الدري، وقد زاد الله في خلقه مرتين

قلت: فما المرتان الزائدتان ؟ قال: فالأولى بيده اليمنى خنصرة زائدة ليست بالمدلاة ، وفي رجله اليسرى خنصرة زائدة ليست بالمدلاة . فتعجبت من ذلك، ولم أزل أتوقع من الزاهرية حتى إذا قرب أمرها جاءتني القيمة على الجواري وعلى أمهات الأولاد فقالت يا سيدي ، إن الزاهرية قد دنت ولادتها، فتأذن لي أن أدخل عليها القوابل؟ فأذنت لها في ذلك. ثم قلت: إذا وضعت المولود فأتيني به ذكراً كان أو أنثى، فما شعرت إلا وأنا بالقابلة

قد أتتني بغلام مدرج في حريرة، فكشفت عن وجهه كأنه الكوكب الدري، أشبه الناس بأمه ، فرددت الغلام على القابلة، وقمت أسعى حافياً ، وكان نزل معي في الدار ، فإذا هو في بيت يصلي ، فلما أحس بي خفف صلاته، فسلمت عليه ، ثم جئت إلى موضع سجوده فقبلته وقلت: يا سيدي أنت الداعي المطاع ، وأنا من رعيتك ، فأخرجت خاتمي وجعلته في أصبعه وقلت: مرني بأمرك أنتهِ إلى ما تأمرني به . والله إنه لو فعل لفعلت، ولكن لعن الله حمزة ومحمداً ابني جعفر فإنهما قتلاه ، والله ما فعلت ولا أمرت ولا دسست ، وقد أمرت بقاتليه فقتلا سراً. ثم بكى ، وأبكاني ، وكان حمزة ومحمد من بني العباس) .

○ ○

○ **ويناسب هنا أن نذكر نماذج من تاريخ المأمون بأقلام محبيه ، لنعرف أنه عفريت داهية ، خبيث التخطيط ، مسرفٌ في سفك دماء المسلمين وأموالهم :**

○ **ففي سير أعلام النبلاء للذهبي:٢٨٤/١٠**: (ثم في سنة إحدى ومئتين جعل المأمون ولي عهده علياً الرضا ، ولبس الخضرة .... فسار (المأمون)من مرو إلى سرخس ، فشد قوم على الفضل (وزيره)فقتلوه في حمام في شعبان سنة اثنتين ومئتين عن ستين سنة ، فجعل المأمون لمن جاء بقاتليه عشرة آلاف دينار ، وكانوا أربعة من مماليك المأمون ، فقالوا: أنت أمرتنا بقتله ! فأنكر وضرب أعناقهم) !!

○ **وفي تاريخ الطبري:١٧٨/٧**: (ووافى المأمون في وقت العشاء وذلك في شهر رمضان من سنة ٢١٠ فأفطر هو والحسن والعباس، ودينار بن عبد الله قائم على رجله حتى فرغوا من الإفطار وغسلوا أيديهم ، فدعا المأمون بشراب فأتى بجام ذهب ، فصب فيه وشرب ، ومد يده بجام فيه شراب إلى الحسن فتباطأ عنه الحسن ، لأنه لم يكن يشرب قبل ذلك ، فغمز دينار بن عبد الله الحسن فقال له الحسن: يا أمير المؤمنين أشربه بإذنك وأمرك ؟ فقال له المأمون لولا أمري لم أمدد يدي اليك ، فأخذ الجام فشربه.

فلما كان في الليلة الثانية جمع بين محمد بن الحسن بن سهل والعباسة بنت الفضل ذي الرئاستين، فلما كان في الليلة الثالثة دخل على بوران وعندها حمدونة وأم جعفر

وجدتها، فلما جلس المأمون معها نثرت عليها جدتها ألف درة كانت في صينية ذهب فأمر المأمون أن تجمع وسألها عن عدد ذلك الدر كم هو فقالت ألف حبة....

وجمع المأمون ذلك الدر في الآنية كما كان فوضع في حجرها وقال هذه نحلتك ، وسلي حوائجك....

وألبستها أم جعفر البدنة الأموية وابتنى بها في ليلته ، وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون مناً فى تور ذهب.....

وذكر أن المأمون أقام عند الحسن بن سهل سبعة عشر يوماً ، يعد له في كل يوم لجميع من معه جميع ما يحتاج إليه، وأن الحسن خلع على القواد على مراتبهم وحملهم ووصلهم وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم .

قال وأمر المأمون غسان بن عباد عند منصرفه أن يدفع إلى الحسن عشرة آلاف ألف من مال فارس وأقطعه الصلح ، فحملت إليه على المكان وكانت معدة عند غسان بن عباد ، فجلس الحسن ففرقها في قواده وأصحابه وحشمه وخدمه ، فلما انصرف المأمون شيعه الحسن ثم رجع إلى فم الصلح.

فذكر عن أحمد بن الحسن بن سهل قال كان أهلنا يتحدثون أن الحسن بن سهل كتب رقاعاً فيها أسماء ضياعه ونثرها على القواد وعلى بني هاشم (أي العباسيين) ، فمن وقعت في يده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها....

ثم قال: سألها يوماً المأمون بفم الصلح حيث خرج إلينا عن النفقة على بوران ، وسأل حمدونة بنت غضيض عن مقدار ما أنفقت في ذلك الأمر؟

قال فقالت حمدونة: أنفقت خمسة وعشرين ألف ألف .

قال فقلت أم جعفر: ما صنعتِ شيئاً ، قد أنفقت ما بين خمسة وثلاثين ألف ألف إلى سبعة وثلاثين ألف ألف درهم) . انتهى. أقول: (كانت الشاة بثلاثة دراهم) !

○ **وفي ذيل تاريخ بغداد لابن الدمياطي:٢٠٣/١:** (لما بنى المأمون على بوران ، فرش له حصير من ذهب مسقوف، ونثر عليه جواهر، فجعل بياض الدر يشرق على صفرة الذهب وما مسه أحد. فوجه الحسن إلى المأمون: هذا نثار يجب أن يلقط ، فقال المأمون لمن

حوله من بنات الخلفاء: شرفن أبامحمد، فمدت كل واحدة منهن يدها، فأخذت درة وبقي باقي الدر يلوح على الذهب حصير. فقال المأمون: قاتل الله أبا نواس حيث يقول:

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

فكيف لو رأى هذا معاينة !

○ **وقال ابن كثير في النهاية: ٢٤٥/١٠:**

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة . فيها في صفر منها أمر الأمين الناس أن لايتعاملوا بالدراهم والدنانير التي عليها اسم أخيه المأمون، ونهى أن يدعى له على المنابر وأن يدعى له ولولده من بعده .

وفيها تسمى المأمون بإمام المؤمنين. وفي ربيع الآخر فيها عقد الأمين لعلي بن عيسى بن ماهان الأمارة على الجبل وهمذان وأصبهان وقم وتلك البلاد ، وأمره بحرب المأمون ، وجهز معه جيشاً كثيراً ، وأنفق فيهم نفقات عظيمة وأعطاه مائتي ألف دينار ، ولولده خمسين ألف دينار ، وألفي سيف محلى ، وستة آلاف ثوب للخلع) . انتهى.

○ ○

مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع علماء الأديان والمذاهب

(بتاريخ: ١٠ ذي القعدة ١٤١٨- ١٩٩٨/٣/٩ - ١٣٧٦/١٢/١٨)

بســم الله الرحمن الرحيم

يعتبر مجلس المأمون الذي عقده للمناظرة بين الإمام الرضا عليه السلام وبين علماء الأديان والمذاهب، مجلساً فريداً حيث لم ينعقد مجلس مثله من ظهور الإسلام الى غيبة ولي الأمر أرواحنا فداه ! فلم يحدث أن جمع رئيس أقوى دولة كل القدرات العلمية على وجه الأرض ، وعرضوا قوتهم في مناظرة مع إمام معصوم عليه السلام!

لقد استعمل المأمون كل ما أوتي من دهاء وشيطنة ليحرج الإمام الرضا عليه السلام ويغلبه ولو واحد من أولئك العلماء فباؤوا جميعاً بالفشل!

وقد وررد في الحديث القدسي الذي أهداه جبرئيل عليه السلام مكتوباً على لوح الى الصديقة الكبرى فاطمة عليها السلام فيه أسماء الأئمة من ولدها عليهم السلام، ورد وصف المأمون بأنه: **عفريت مستكبر** ! (الكافي ج١ص٥٢٧) ، والعفريت أطلق في القرآن في قصة سليمان عليه السلام على ذلك الجني الذي كان في مقابل وصي سليمان الذي عنده علمٌ من الكتاب: **قَالَ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي**

مُسْلمينَ. قَالَ عفْريتٌ منَ الْجنِّ أَنَا آتيكَ به قَبْلَ أَنْ تَقُومَ منْ مَقَامكَ وَإِنِّي عَلَيْه لَقَويٌّ أَمينٌ. قَالَ الَّذي عنْدَهُ علْمٌ منَ الْكتَاب أَنَا آتيكَ به قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقراً عنْدَهُ قَالَ هَذَا منْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَني أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لنَفْسه وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنيٌّ كَريمٌ. (سورة النمل:٣٨-٤٠).

والتعبير عن المأمون بعفريت يدل على أنه جمع القدرة والشيطنة، مع تكبره وتنمرده !

إن ابتلاء كل معصوم بحاكم عصره يتم بقانون للإبتلاء حسب خصائص ذلك العصر والإمام وعلى هذا الإمتحان الرباني يبتني مقام الإمام ودرجتهعليه السلام!

كما ورد عن الإمام الصادقعليه السلامفي وصف الإمام الرضاعليه السلامقولها: **(يخرج رجل من ولد ابني موسى اسمه اسم أمير المؤمنينعليه السلامإلى أرض طوس وهي بخراسان يقتل فيها بالسم فيدفن فيها غريباً. من زاره عارفاً بحقه أعطاه الله عز وجل أجر من أنفق من قبل الفتح وقاتل)**.(من لايحضره الفقيه:٥٨٣/٢، وعيون أخبار الرضا:٢٨٥/١).

وروى حمزة بن حمران قال: **(قال أبو عبداللهعليه السلام: يقتل حفدتي بأرض خراسان في مدينة يقال لها طوس، من زاره إليها عارفاً بحقه أخذته بيدي يوم القيامة فأدخلته الجنة، وإن كان من أهل الكبائر. قال: قلت جعلت فداك وما عرفان حقه؟ قال: يعلم أنه إمامٌ مفترض الطاعة شهيد. من زاره عارفاً بحقه أعطاه الله تعالى أجر سبعين ألف شهيد ممن استشهد بين يدي رسول اللهصلى الله عليه وآله على حقيقة)**(من لايحضره الفقيه :٥٨٤/٢، وعيون أخبار الرضاعليه السلام:٢٨٩/١) (١)

وإن كان من أهل الكبائر..هذا تعبير عجيب يدل على مقام الإمام الرضاعليه السلام ومقام زواره ! والكلمة المحيرة أكثر بعده:**أجر سبعين ألف شهيد..الخ**.! حيث أن المستشهدين بين يدي رسول اللهصلى الله عليه وآلهمنهم شهداء على المعنى الحقيقي،

ومنهم شهداء على المعنى المجازي ، وزائر الإمام الرضا عليه السلام له أجر سبعين ألف شهيد حقيقي !!

إن فرق الإكسير عن الكيمياء كما يقول القدماء ، أن الكيمياء مادة تُحول المعدن الى ذهب، لكن الإكسير مادة تغير طبيعة المواد الأخرى وتعطيها خصائص الإكسير ! والإنسان إذا وصل الى مرحلة من النجاح في الإمتحان الإلهي الذي قرره الله له واختصه به ، يصبح مثل الإكسير بحيث لو تحركت شفتا إنسان عند قبره ينتقّل أثرِ الإكسير عبر ضريحه اليه ، فيُحدث انقلاباً في روح الزائر ، ويصير شهيداً مع النبي صلى الله عليه وآله في بدر !

إن ذلك من تأثير الإمام فيمن يزوره، وخاصية إكسيره التي أثرت في زائره!

فماذا فعل الإمام الرضا عليه السلام حتى وصل الى هذه الدرجة ؟

لقد عَبَرَ امتحانات ربه ، ومنها ابتلاؤه بذلك العفريت المستكبر ! وتحمل في جميع تلك الشدائد وصبَر ، حتى تعجبت الأنبياء عليهم السلام من صبره !

وماذا عسانا عرفنا عن الإمام الرضا عليه السلام: عن شخصيته، وكيف عاش ، وكيف كان يمضي نهاره وليله؟ وكيف امتحنه الله، ونجح في الإمتحان؟!

عندما أهدى قميصه الى دعبل قال له: **إحتفظ بهذا القميص، فقد صليت فيه ألف ليلة ألف ركعة ، وختمت فيه القرآن ألف ختمة** . (أمالي الطوسي ص٣٥٩) **(٢)**

وكان يختم القرآن في ثلاثة أيام، لكن كيف ؟ لا يمر بآية حتى يرى جوانبها وأطرافها ، وسبعة أعماقها ، ويستخرج من جواهرها ولآليها !

هذا عمله اليومي عليه السلام، وعندما ابتلي بولاية العهد للمأمون كان مجلسه ينعقد كل يوم ، ويواجه أنواع الأحداث والمؤامرات !

ذات يوم قرر المأمون أن يجمع كيده فيجمع له (السحرة)من العلماء

والمفكرين من أقطار الدنيا ليناظروه ويفحموه ! وخطط لذلك واستعمل فنون دهائه، وأنواع سلطته، وبريق ذهبه! (أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات مثل الجاثليق(رئيس الأساقفة)ورأس الجالوت (عالم اليهود) ورؤساء الصابئين والهربذ الأكبر(عالم المجوس وقيل عظماء الهنود) وأصحاب زردهشت (زرادشت) ونسطاس الرومي (عالم بالطب) والمتكلمين (الفلاسفة وعلماء المذاهب الإسلامية) ليسمع كلامه وكلامهم، فجمعهم الفضل بن سهل ثم أعلم المأمون باجتماعهم !) (عيون أخبار الرضاعليه السلام:١٣٩/٢)

إقرؤوا هذه المناظرة واعرفوا أئمة المسلمينعليهم السلام! فقد روى العلماء والرواة قطعاً من أخبار ذلك المجلس حسب استيعابهم ، أو حسب ما وصلهم منها ، ومن ذلك: (**عن الحسن بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون يوماً وعنده علي بن موسى الرضاعليه السلاموقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة ، فسأله بعضهم فقال له: يا بن رسول الله بأي شئ تصح الإمامة لمدعيها؟**

قال بالنص والدليل.

قال له: فدلالة الإمام فيما هي؟

قال في العلم، واستجابة الدعوة) .(عيون أخبار الرضاعليه السلام:٢١٦/١) **(٣)**

ما معنى هذه الكلمة: **قال بالنص والدليل**؟ هل فكرت لماذا ذكر الإمامعليه السلام طريقين لمعرفة الإمام ، فأضاف الدليل والمعجزة الى النص؟!

روحي وأرواح العالمين لتراب مرقدك الفداء، ماذا جمع الله فيك؟ لستَ بحر علم فقط ، بل لقد لخص الله فيك عالم الوجود فقلت:**بالنص والدليل** . !

مع ضيق الوقت، نستفيد من هذه الكلمة الشريفة من ولي الله وحجته الإمام الرضاعليه السلام، فإن الإمامة دعوى تثبت عن طريقين: النص والدليل ، أي بالعلم

الذي خص الله به الامام ، والقدرة التي منحه الله إياها !

ذلك أن الإمام موجود تجتمع فيه خلاصة المقامات الإلهية التي يعطيها الله لخاصة أوليائه ! فله صفة: **أمين الله**، التي نقرؤها في زيارة: **أمين الله**، وهذه الزيارة على علو سندها تبدأ بعبارة: **السلام عليك يا أمين الله في أرضه**، وفيها فصول من العلم ، كقوله بعد وصف الإمام بأمين الله: **أشهد أنك جاهدت في الله حق جهاده** ، وفي الربط بينهما بحث مهم ، فالإمام إنسان كامل ، وأحد مقومات كماله أنه **أمين الله**، ومعناه أن الإمام عنده خزائن التشريع والتكوين!

راجعوا معنى الأمانة والأمين في القرآن والأحاديث لتعرفوا هذا المقام العظيم، فقد وصف الله به كبار الرسل:**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**، ووصف به سيد الملائكة جبرئيل: **إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ.** (سورة التكوير: ١٩-٢١) ووصف مسؤولية الأمانة الإلهية وثقلها:**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً.** (سورة الأحزاب:٧٢) .

وإضافة الأمانة الى"**الله**"من بين الأسماء الحسنى، تعطيها الشمولية التي ذكرناها ، لأن لفظ الجلالة "**الله**" يحوي خصائص الأسماء الحسنى كلها !

هذا هو معنى:**أمين الله في أرضه**. والأمين يحتاج الى سند من المستأمن يثبت أنه مستأمَن ، وإلا كانت دعوى استئمانه بلا دليل ، ولذا احتاج الإمام عليه السلام إلى نص يشهد له ! وهذا معنى قوله عليه السلام: **بالنص والدليل.**

والدليل هنا معناه الدلالة: وأن الإمام مضافاً الى النص عليه من النبي صلى الله عليه وآله أو ممن نص عليه النبي صلى الله عليه وآله، يعرف بدلالة العلم واستجابة الدعاء !

أما لماذا صار الدليل مركباً منهما ؟ فلأن الكمال في العالم منحصر فيهما ،

فكل الكمالات الإنسانية ترجع الى العلم والقدرة ! والإنسان الكامل هو المتصل بمنبع علم: **لا نفاد لكلماته**، وبمخزن القدرة الذي: **إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**. (سورة آل عمران:٤٧)

○ ○

هذا هو البرهان، أما العيان فقد تجسدت الدلالة في علم الإمام الرضاعليه السلام ودعواته المستجابةومعجزاته الباهرة! ويكفي في إثبات علمهعليه السلامهذه المناظرة التي هي مؤتمر ، بل مباهلة ، أعدَّ لها المأمون بكل ما أعطي من قدرة ، وكان حاكم أكبر دولة في العالم ، وكانت دولته في أوج قوتها ، فأمر رئيس وزرائه الفضل بن سهل أن يكتب الى حكام الولايات ويجمع له من أرجاء البلاد علماء الأديان ، والمذاهب ، والفلاسفة ، وأصحاب الإتجاهات الفكرية ، حتى الإلحادية !

إن ما وصلنا عن مؤتمر المأمون ، يدل على أنه كان أعظم مما عرفنا عنه ! فقد جمعوا كبار علماء العالم من بلاد الهند وفارس والروم وبلاد العرب ، وذكرت بعض الروايات أنهم كانوا أربعة آلاف شخص ، جمعهم العفريت المستكبر ليحاجوا الإمام الرضاعليه السلام، واستضافهم وبذل لهم ، وشجعهم على مناقشته حتى بالكفر والإلحاد، وربما جعل الجوائز العظيمة لمن يغلب الإمام! وقد امتدت الجلسة من بكرة الصباح الى الظهر ، ثم استؤنفت بعد الظهر الى المغرب !

وعندما أرسل المأمون ياسر الخادم وهو برتبة وزير الى الإمامعليه السلامقبل يومٍ من المؤتمر يدعوه الى الحضور غداً ، أجابه الإمامعليه السلام: **أبلغه السلام وقل له قد علمتُ ما أردت، وأنا صائرٌ اليك بكرةً إن شاء الله** ! وهو تعبير كافٍ لإفهام المأمون بقبول التحدي !

وقل له قد علمتُ ما أردت ! واطلعت على نيتك وخطتك، فقد استعملت أقصى شيطنتك، وجمعت لي شياطين العلم في الأرض، لكنك لن تستطيع إطفاء نور الله تعالى ، ولا إبطال حجته !

قال الحسن بن النوفلي: (فلما مضى ياسر التفت إلينا ثم قال لي: يا نوفلي أنت عراقي ورقَّة العراقي غير غليظة، فما عندك في جمع ابن عمك علينا أهل الشرك وأصحاب المقالات؟! فقلت: جعلت فداك يريد الإمتحان ويحب أن يعرف ما عندك ؟!) .

ومع أن الإمام أعرف من النوفلي والحاضرين في مجلسه بنوايا المأمون وخططه ، لكنه أراد أن يكشفها لهم ، وأن يتم حجة الله تعالى.

وقد خاف النوفلي على الإمام عليه السلام من ذلك المجلس، ليس من علم العلماء بل من شيطنتهم، لأنهم رؤساء أديان وفرق ومذاهب واتجاهات ، ومن شيطنة المأمون الذي يقف وراءهم ! فالعالم يدلي برأيه لكن إذا ظهر له الحق يقبله ، أما رئيس الفرقةوالمذهب فليس عنده استعداد لقبول الحق مهما كان واضحاً، فهو يدافع عن دينه ومنصبه حتى بإنكار البديهيات !

قال النوفلي: قلت: (إن أصحاب الكلام والبدعة خلاف العلماء ، وذلك أن العالم لا ينكر غير المنكر ، وأصحاب المقالات والمتكلمون وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهتة ، إن احتججت عليهم بأن الله واحد قالوا صحح وحدانيته! وإن قلت إن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا أثبت رسالته ! ثم يباهتونه وهو يبطل عليهم بحجته، ويغالطونه حتى يترك قوله، فاحذرهم جعلت فداك.

قال النوفلي: فتبسم الإمام عليه السلام ثم قال لي: يا نوفلي أفتخاف أن يقطعوا عليَّ حجتي؟! فقلت: لا والله ما خفت عليك قط ، وإني لأرجو أن يظفرك الله بهم إن شاء الله تعالى.

فقال لي: يا نوفلي أتحب أن تعلم متى يندم المأمون ؟ قلت: نعم.

قال: إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم ، وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم، وعلى أهل الزبور بزبورهم، وعلى الصابئين بعبرانيتهم، وعلى أهل الهرابذة بفارسيتهم، وعلى أهل الروم بروميتهم، وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم ! فإذا قطعت كل صنف ودحضت حجته ، وترك مقالته ورجع الى قولي.. علم المأمون الموضع الذي هو سبيله ليس بمستحق له ! فعندها تكون الندامة ، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم) .

يعني بذلك عليه السلام أنه إذا وصل الأمر من النص الى الدلالة ، ومن النظري الى العملي ، فسوف يندم المأمون لأنه سيتضح له ولغيره أن كرسيه في خلافة النبي صلى الله عليه وآله كرسي، مغصوب ، وأن صاحب هذا الكرسي غيره !

وبدأ المجلس بكرةً ، بهجوم من رئيس الأساقفة ، وامتد الى العصر بهجوم الفيلسوف العلماني عمران الصابي ! ولا يتسع الوقت لبيان تلك المطالب واللطائف التي استطاعت أن تحملها روايات النوفلي ، وهو عالم هاشمي له علاقة حسنة بالإمام عليه السلام وبالمأمون !

وما لبث رئيس الأساقفة أن هوى أرضاً ، وتحول حاخام اليهود رأس الجالوت الى مسكين منكسر ، وآمن الهزبر الأكبر ، وتمرغ نسطاس الرومي بالتراب ! وواصل الإمام عليه السلام عمله يحصد بمنجل علومه الربانية أباطيل علماء الأديان والمذاهب واحداً بعد الآخر، وهم يتهاوون صرعى في قاعة المجلس! ولم يبق إلا بهلوان العلمانيين الملحدين عمران الصابي الذي ادخره المأمون ليكون آخر نبل في كنانته !

ونزل عمران الصابي الى الميدان فإذا هو بحرٌ في علوم عصره ، متضلعٌ في

كل فروع الفلسفة التي كانت في ذلك العصر ، لم يغلبه أحد في مناظرة في كل عمره ! وتكلم بما يملك من تعمق وتفنن في مبدأ الوجود وفي أفعال الله تعالى من المبدأ الى المنتهى، وطرح إشكالاته وأسئلته، وأخذ الإمام عليه السلام يفندها ويجيبه عليها، حتى وصل عمران الى سؤال مفصلي ، وما أن أجابه الإمام عليه السلام بعلمه الرباني حتى خرَّ عمران أرضاً وهو يعلن أمام أربعة آلاف حاضر: **أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن لا إله إلا الله !**

لقد خُتم المجلس بعد الظهر بإسلام عمران الصابي ، ورأى النوفلي والجميع أن الإمام عليه السلام هو المعني بالنص والمعجزة التي تصدق كلامه! (٤)

○ ○

لقد رأى المأمون والمسلمون من الإمام الرضا عليه السلام آيات في العلم وفي استجابة الدعوة! لكن المأمون عفريت متكبر وقد قال الله تعالى: **قُلِ انْظُرُوا مَاذَافِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ** (سورة يونس:١٠١)

رأوها في قضايا صغيرة وكبيرة، وظهرت للعيان الحجج الرضوية من **عالم آل محمد** صلى الله عليه وآله، أمام نخبة العالم من شرقه وغربه .

ثم رأوها في صلاة الإستسقاء العجيبة وما تلاها مما هو أعجب!

قال الصدوق في عيون أخبارالرضا:١٧٩/١: (باب استسقاء المأمون بالرضا عليه السلام وما أراه الله عز وجل من القدرة في الإستجابة له، وفي إهلاك من أنكر دلالته تلك: حدثنا أبوالحسن محمد بن القسم المفسر رضي الله عنه قال: حدثنا يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار، عن أبويهما، عن الحسن بن علي العسكري ، عن أبيه علي بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي صلى الله عليه وآله أن الرضا عليه السلام علي بن موسى لما جعله المأمون ولي عهده، احتبس

المطر فجعل بعض حاشية المأمون والمتعصبين على الرضا يقولون أنظروا لمّا جاءنا علي بن موسى وصار ولي عهدنا فحبس الله عنا المطر! واتصل بالمأمون فاشتد عليه فقال للرضاعليه السلام قد احتبس المطر ، فلو دعوت الله عز وجل أن يمطر الناس ؟

فقال الرضاعليه السلام: نعم . قال: فمتى تفعل ذلك ؟ وكان ذلك يوم الجمعة . قال يوم الإثنين فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أتاني البارحة في منامي ومعه أميرالمؤمنين عليه السلام وقال: يا بني انتظر يوم الإثنين فابرز إلى الصحراء واستسق ، فإن الله تعالى سيسقيهم وأخبرهم بما يريك الله مما لايعلمون من حالهم ، ليزداد علمهم بفضلك ومكانك من ربك عز وجل !

فلما كان يوم الإثنين غداعليه السلام إلى الصحراء وخرج الخلائق ينظرون فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **اللهم يا رب، أنت عظمت حقنا أهل البيت فتوسلوا بنا كما أمرت، وأملوا فضلك ورحمتك، وتوقعوا إحسانك ونعمتك، فاسقهم سقياً نافعاً عاماً غير رايث ولاضائر، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم ومقارهم.**

قال: فو الذي بعث محمداً بالحق نبياً ، لقد نسجت الرياح في الهواء الغيوم وأرعدت وأبرقت، وتحرك الناس كأنهم يريدون التنحي عن المطر، فقال الرضاعليه السلام: **على رسلكم أيها الناس فليس هذا الغيم لكم، إنما هو لأهل بلد كذا !** فمضت السحابة وعبرت ، ثم جاءت سحابة أخرى تشتمل على رعد وبرق فتحركوا فقال: **على رسلكم فما هذه لكم ، إنما هي لأهل بلد كذا** ، فما زالت حتى جاءت عاشرسحابة وعبرت، ويقول علي بن موسى الرضا في كل واحدة: **على رسلكم ليست هذه لكم إنما هي لأهل بلد كذا** ، ثم أقبلت سحابة

حادية عشر فقال: **أيها الناس هذه سحابة بعثها الله عز وجل لكم ، فاشكروا الله على تفضله عليكم، وقوموا إلى مقاركم ومنازلكم،فإنها مسامتة لكم ولرؤوسكم ممسكة عنكم إلى أن تدخلوا إلى مقاركم، ثم يأتيكم من الخير ما يليق بكرم الله تعالى وجلاله !**

ونزل من على المنبر وانصرف الناس ، فما زالت السحابة ممسكة الى أن قربوا من منازلهم ثم جاءت بوابل المطر فملأت الأودية والحياض والغدران والفلوات ، فجعل الناس يقولون: هنيئاً لولد رسول الله كرامات الله عز وجل.

ثم برز إليهم الرضا عليه السلام وحضرت الجماعة الكثيرة منهم فقال: **ياأيها الناس إتقوا الله في نعم الله عليكم فلا تنفروها عنكم بمعاصيه، بل استديموها بطاعته وشكره على نعمه وأياديه، واعلموا أنكم لا تشكرون الله بشئ بعد الايمان بالله وبعد الإعتراف بحقوق أولياء الله من آل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله أحب إليه من معاونتكم لإخوانكم المؤمنين على دنياهم ، التي هي معبر لهم إلى جنان ربهم، فإن من فعل ذلك كان من خاصة الله تبارك وتعالى، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك قولاً ما ينبغي لقائل أن يزهد في فضل الله عليه فيه، إن تأمله وعمل عليه، قيل يا رسول الله هلك فلان وكان يعمل من الذنوب كيت وكيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل قد نجى ولا يختم الله عمله إلا بالحسنى، وسيمحو الله عنه السيئات ويبدلها حسنات! إنه كان يمر مرة في طريق عرض له مؤمن قد انكشفت عورته وهو لا يشعر فسترها عليه ولم يخبره مخافة أن يخجل !**

ثم أن ذلك المؤمن عرفه في مهواه فقال له: أجزل الله لك الثواب وأكرم لك المآب ولا ناقشك في الحساب، فاستجاب الله له فيه ! فهذا العبد لا يختم الله له إلابخير بدعاء ذلك المؤمن،فاتصل قول رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الرجل فتاب وأناب

وأقبل على طاعةالله عز وجل،فلم يأت سبعة أيام حتى أغير على سرح المدينة، فوجه رسول الله صلى الله عليه وآله في أثرهم جماعة ذلك الرجل أحدهم ، فاستشهد فيهم !

قال الإمام محمد بن علي بن موسى عليه السلام: وعظم الله تبارك وتعالى البركة في البلاد بدعاء الرضا عليه السلام وقد كان للمأمون من يريد أن يكون هو ولي عهده من دون الرضا عليه السلام وحساد كانوا بحضرة المأمون للرضا عليه السلام فقال للمأمون بعض أولئك:يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تكون تاريخ الخلفاء في إخراجك هذا الشرف العميم والفخر العظيم من بيت ولد العباس إلى بيت ولد علي! لقد أعنت على نفسك وأهلك ، جئت بهذا الساحر ولد السحرة ، وقد كان خاملاً فأظهرته ، ومتضعاً فرفعته ، ومنسياً فذكرت به ، ومستخفاً فنوهت به ، قد ملأ الدنيا مخرقةً وتشوفاً بهذا المطر الوارد عند دعائه! ما أخوفني أن يخرج هذا الرجل هذا الأمر عن ولد العباس إلى ولد علي! بل ما أخوفني أن يتوصل بسحره إلى إزالة نعمتك والتواثب على مملكتك ، هل جنى أحد على نفسه وملكه مثل جنايتك ؟!

فقال المأمون: كان هذا الرجل مستتراً عنا يدعو إلى نفسه ، فأردنا أن نجعله ولي عهدنا ليكون دعاؤه لنا ، وليعترف بالملك والخلافة لنا ، وليعتقد فيه المفتونون به أنه ليس مما ادعى في قليل ولا في كثير وأن هذا الأمر لنا دونه ، وقد خشينا إن تركناه على تلك الحالة أن ينفتق علينا منه ما لا نسده ويأتي علينا منه ما لا نطيقه! والآن فإذ قد فعلنا به ما فعلنا، وأخطأنا في أمره بما أخطأنا ، وأشرفنا من الهلاك بالتنويه به على ما أشرفنا ، فليس يجوز التهاون في أمره، ولكنا نحتاج أن نضع منه قليلاً قليلاً حتى نصوره عند الرعايا بصورة من لا يستحق لهذا الأمر ، ثم ندبر فيه بما يحسم عنا مواد بلائه !

قال الرجل: يا أمير المؤمنين فولني مجادلته فإني أفحمه وأصحابه وأضع من قدره، فلولا هيبتك في نفسي لأنزلته منزلته، وبينت للناس قصوره عما رشحته له . قال المأمون: ما شئ أحب إليّ من هذا .

قال فاجمع جماعة وجوه مملكتك من القواد والقضاة وخيار الفقهاء ، لأبين نقضه بحضرتهم ، فيكون أخذاً له عن محله الذي أحللته فيه ، على علم منهم بصواب فعلك ! قال فجمع الخلق الفاضلين من رعيته في مجلس واسع قعد فيه لهم ، وأقعد الرضا عليه السلام بين يديه في مرتبته التي جعلها له ، فابتدأ هذا الحاجب بالكلام المتضمن للوضع من الرضا عليه السلام، وقال له:

إن الناس قد أكثروا عنك الحكايات وأسرفوا في وصفك بما أرى إنك أن وقفت عليه برئت إليهم منه ، قال وذلك أنك قد دعوت الله في المطر المعتاد مجيئه، فجاء فجعلوه آية معجزة لك أوجبوا لك بها أن لا نظير لك في الدنيا، وهذا أمير المؤمنين أدام الله ملكه وبقاءه لا يوازى بأحد إلا رجح به ، وقد أحلك المحل الذي قد عرفت ، فليس من حقه عليك أن تسوغ الكاذبين لك وعليه ما يتكذبونه.

فقال الرضا عليه السلام: **ما أدفع عباد الله عن التحدث بنعم الله عليَّ، وإن كنت لا أبغي أشراً ولا بطراً . وأما ما ذكرت عن صاحبك الذي أحلني ما أحلني، فما أحلني إلا المحل الذي أحله ملك مصر يوسف الصديق عليه السلام وكانت حالهما ما قد علمت !** فغضب الحاجب عند ذلك وقال:

يا ابن موسى لقد عدوت طورك وتجاوزك قدرك ، إن بعث الله بمطر مقدر وقته لا يتقدم ولا يتأخر ، جعلته آيةً تستطيل بها ، وصولةً تصول بها ، كأنك جئت بمثل آية الخليل إبراهيم عليه السلام لما أخذ رؤوس الطير بيده ودعا أعضاءها

التي كان فرقها على الجبال فأتينه سعياً وتركَّبْنَ على الرؤوس وخَفَقْنَ وطِرْنَ بإذن الله تعالى، فإن كنت صادقاً فيما توهم فأحيِ هذين وسلطهما علي ، فإن ذلك يكون حينئذ آية معجزة ، فأما المطر المعتاد مجيؤه ، فلست أنت أحق بأن يكون جاء بدعائك من غيرك الذي دعا كما دعوت !

وكان الحاجب أشار إلى أسدين مصورين على مسند المأمون الذي كان مستنداً إليه ، وكانا متقابلين على المسند ، فغضب علي بن موسىصلى الله عليه وآله وصاح بالصورتين:**دونكما الفاجر فافترساه ولا تبقيا له عيناً ولا أثراً !** فوثبت الصورتان وقد عادتا أسدين فتناولا الحاجب ورضضاه وهشماه وأكلاه ولحسا دمه! والقوم ينظرون متحيرين مما يبصرون! فلما فرغا منه أقبلا على الرضاعليه السلام وقالا: يا ولي الله في أرضه ماذا تأمرنا نفعل بهذا ، أنفعل به ما فعلنا بهذا؟ يشيران إلى المأمون! فغشي على المأمون مما سمع منهما ، فقال الرضاعليه السلام: **قفا** ، فوقفا ! قال الرضاعليه السلام: **صبوا عليه ماء ورد وطيبوه** ، ففعل ذلك به وعاد الأسدان يقولان: أتأذن لنا أن نلحقه بصاحبه الذي أفنيناه ؟ قال: **لا ، فإن لله عز وجل فيه تدبيراً هو ممضيه** . فقالا: ماذا تأمرنا؟ قال: **عودا إلى مقركما كما كنتما** ، فصارا إلى المسند وصارا صورتين كما كانتا !!

فقال المأمون: الحمد لله الذي كفاني شر حميد بن مهران ، يعني الرجل المفترَس ، ثم قال للرضاعليه السلام: يا ابن رسول هذا الأمر لجدكم رسول اللهصلى الله عليه وآله ثم لكم ، فلو شئت لنزلت عنه لك ! فقال الرضاعليه السلام: **لو شئت ناظرتك ولم أسألك، فإن الله تعالى قد أعطاني من طاعة سائر خلقه مثل ما رأيت من طاعة هاتين الصورتين، إلا جهال بني آدم فإنهم وإن خسروا حظوظهم فلله عز وجل فيه تدبير، وقد أمرني بترك الإعتراض عليك وإظهار ما أظهرته من العمل من تحت يدك ، كما أمر يوسف بالعمل من تحت يد فرعون مصر !**

قال: فما زال المأمون ضئيلاً في نفسه إلى أن قضى في علي بن موسى الرضا عليه السلام ما قضى) ! (ورواه الطبري في دلائل الإمامةص ٣٧٦، وابن حمزة في المناقب ص٤٦٧) **(٥)**

هذا هو علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه ، الذي سطعت شمس براهينه على العالم ، وأفحمت عدوه وحاسده المستكبر ، فرأى أنه لا بد أن يتخلص منه بقتله ، قبل أن أن يعشو المسلمون الى ضوء هداه.

اللهم بجاه الرضا عندك، وبحرمته لديك :

أكتب أسماءنا في دفتر محبيه ومواليه، ولا تمحها.

ولنتوجه جميعاً في صباحنا ومسائنا الى حرمه المقدس ولو بكلمتين:

أللهم صل على وليك علي بن موسى الرضا ، عددَ ما في علمك صلاةَ دائمة بدوام ملكك وسلطانك . أللهم سلم على وليك علي بن موسى الرضا ، عددَ ما في علمك ، سلاماً دائماً بدوام مجدك وعظمتك وكبريائك.

والحمد لله رب العالمين

○ ○

هوامش

(١) **في عيون أخبار الرضا عليه السلام:٢٨٨/١**: (حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثنا محمد بن عيسى بن عبيد قال: حدثنا محمد بن سليمان المصري عن أبيه عن إبراهيم بن أبي حجر الأسلمي ، قال: حدثنا قبيصة بن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت وصي الأوصياء ووارث علم الأنبياء أباجعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام يقول: حدثني سيد العابدين علي بن الحسين ، عن سيد الشهداء الحسين بن علي ، عن سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **ستدفن بضعة مني بأرض خراسان ما**

زارها مكروب إلا نفس الله كربته ، ولا مذنب إلا غفر الله ذنوبه).

○ **وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام:١/٢٩٠:** (حدثنا جعفر بن محمد بن مسرور رضي الله عنه قال: حدثنا الحسين بن محمد بن عامر عن عمه عبد الله بن عامر ، عن سليمان بن حفص المروزي قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: من زار قبر ولدي علي كان له عند الله تعالى سبعون حجة مبرورة قلت: سبعون حجة ؟ قال: نعم وسبعون ألف حجة ثم قال: رب حجة لاتقبل . ومن زاره أو بات عنده ليله كمن زار الله تعالى في عرشه قلت: كمن زار الله في عرشه ؟ قال: نعم إذا كان يوم القيامة كان على عرش الله تعالى أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين، فأما الأولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وأما الأربعة الآخرون فمحمد وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم، ثم يمد المطمار فتقعد معنا زوار قبور الأئمة. ألا إن أعلاهم درجة وأقربهم حبوةً زوار قبر ولدي علي . **قال مصنف هذا الكتاب رحمة الله عليه:** معنى قوله عليه السلام: كان كمن زار الله تعالى في عرشه ليس بتشبيه ، لأن الملائكة تزور العرش وتلوذ به وتطوف حوله ، وتقول نزور الله في عرشه كما نقول: نحج بيت الله ونزور الله ، لأن الله تعالى ليس بموصوف بمكان ، تعالى عن ذلك علواً كبيرا).

○ ○

(٢) في عيون أخبار الرضا عليه السلام:١/٢٩٤: (حدثنا الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المؤدب وعلي بن عبد الله الوراق رضي الله عنهما قالا: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه إبراهيم بن هاشم عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: دخل دعبل بن علي الخزاعي رحمه الله علي موسى الرضا عليه السلام بمرو فقال له: يا بن رسول الله إني قد قلت فيك قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك . فقال عليه السلام: هاتها ، فأنشده:

مدارسُ آياتٍ خلتْ من تلاوةٍ ومنزل وحي مقفر العرصات ...

فلما بلغ إلى قوله:

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

بكى أبو الحسن الرضا عليه السلام وقال له: صدقت يا خزاعي.

فلما بلغ إلى قوله:

إذا وُتروا مدوا إلى واتريهم   أكفاً عن الأوتار منقبضات

جعل أبو الحسن عليه السلام يقلب كفيه ويقول: أجل والله منقبضات !

فلما بلغ إلى قوله:

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها   وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

قال الرضا عليه السلام: آمنك الله يوم الفزع الأكبر.

فلما انتهى إلى قوله:

وقبر ببغداد لنفس زكية   تضمنها الرحمن في الغرفات

قال له الرضا عليه السلام:أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك ؟

فقال: بلى يا ابن رسول الله ، فقال عليه السلام:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة   تَوَقَّدُ في الأحشاء بالحرقات

الى الحشر حتى يبعث الله قائماً   يفرج عنا الهمَّ والكربات

فقال دعبل: يا ابن رسول الله هذا القبر الذي بطوس قبر من هو ؟

فقال الرضا عليه السلام:قبري، ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزواري ، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له.

ثم نهض الرضا عليه السلام بعد فراغ دعبل من إنشاد القصيدة ، وأمره أن لايبرح من موضعه ، فدخل الدار فلما كان بعد ساعة خرج الخادم إليه بمائة دينار رضوية فقال له: يقول لك مولاي إجعلها في نفقتك. فقال دعبل: والله ما لهذا جئت ولا قلت هذه القصيدة طمعاً في شئ يصل إليَّ ، ورد الصرة وسأل ثوباً من ثياب الرضا عليه السلام ليتبرك ويتشرف به ، فأنفذ إليه الرضا عليه السلام جبة خز مع الصرة وقال للخادم: قل له خذ هذه الصرة فإنك ستحتاج إليها ، ولا تراجعني فيها ، فأخذ دعبل الصرة والجبة وانصرف وسار من مرو في قافلة ، فلما بلغ ميان قوهان وقع عليهم اللصوص فأخذوا القافلة بأسرها، وكتفوا أهلها وكان دعبل فيمن كتف وملك اللصوص القافلة وجعلوا يقسمونها بينهم ، فقال رجل من القوم متمثلاً بقول دعبل في قصيدته:

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً   وأيديهم من فيئهم صفرات

فسمعه دعبل فقال له: لمن هذا البيت؟ فقال لرجل من خزاعة يقال له دعبل بن علي ، قال: فأنا دعبل قائل هذه القصيدة التي منها هذا البيت ! فوثب الرجل إلى رئيسهم وكان يصلي على رأس تل ، وكان من الشيعة فأخبره فجاء بنفسه حتى وقف على دعبل وقال له: أنت دعبل ؟ فقال نعم . فقال له أنشدني القصيدة فأنشدها فحل كتافه وكتاف جميع أهل القافلة ، ورد إليهم جميع ما أخذ منهم لكرامة دعبل !

وسار دعبل حتى وصل إلى قم ، فسأله أهل قم أن ينشدهم القصيدة فأمرهم أن يجتمعوا في المسجد الجامع ، فلما اجتمعوا صعد المنبر فأنشدهم القصيدة ، فوصله الناس من المال والخلع بشئ كثير ، واتصل بهم خبر الجبة فسألوه أن يبيعها بألف دينار ، فامتنع من ذلك ، فقالوا له: فبعنا شيئاً منها بألف دينار فأبى عليهم ، وسار عن قم ، فلما خرج من رستاق البلد لحق به قوم من أحداث العرب وأخذوا الجبة منه ، فرجع دعبل إلى قم وسألهم رد الجبة فامتنع الأحداث من ذلك وعصوا المشايخ في أمرها ، فقالوا لدعبل: لا سبيل إلى لك إلى الجبة ، فخذ ثمنها ألف دينار فأبى عليهم ، فلما يئس من ردهم الجبة سألهم أن يدفعوا إليه شيئاً منها فأجابوه إلى ذلك ، وأعطوه بعضها ودفعوا إليه ثمن باقيها ألف دينار . وانصرف دعبل إلى وطنه فوجد اللصوص قد أخذوا جميع ما كان في منزله فباع المأة الدينار التي كان الرضا عليه السلام وصله بها فباع من الشيعة كل دينار بمأة درهم ، فحصل في يده عشرة آلاف درهم ، فذكر قول الرضا عليه السلام: إنك ستحتاج إلى الدنانير ، وكانت له جارية لها من قلبه محل فرمدت عينها رمداً عظيماً ، فأدخل أهل الطب عليها فنظروا إليها فقالوا: أما العين اليمنى فليس لنا فيها حيلة وقد ذهبت ، وأما اليسرى فنحن نعالجها ونجتهد ونرجو أن تسلم ، فاغتم لذلك دعبل غماً شديداً وجزع عليها جزعاً عظيماً ، ثم إنه ذكر ما كان معه من وصلة الجبة فمسحها على عيني الجارية وعصبها بعصابة منها ، أول الليل فأصبحت وعيناها أصح ما كانتا من قبل ببركة أبي الحسن الرضا عليه السلام. قال مصنف هذا الكتاب رحمة الله عليه: إنما ذكرت هذا الحديث في هذا الكتاب وفي هذا الباب ، لما فيه من ثواب زيارة الرضا عليه السلام.

ولدعبل بن علي خبر عن الرضا عليه السلام في النص على القائم عليه السلام أحببت ايراده على أثر

هذا الحديث: حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه قال: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول: لما أنشدت مولاي الرضا عليه السلام قصيدتي التي أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات

يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرضا عليه السلام بكاء شديداً ثم رفع رأسه إلي فقال لي: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين ، فهل تدري من هذا الإمام؟ ومتى يقوم؟ فقلت: لا يا سيدي، إلا أني سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد ويملؤها عدلاً ، فقال: يا دعبل الإمام بعدي محمد ابني ، وبعد محمد ابنه علي ، وبعد علي ابنه الحسن ، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم ، المنتظر في غيبته ، المطاع في ظهوره . لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً . وأما متى؟ فإخبار عن الوقت ، ولقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه **عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال: مثله مثل الساعة لايُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً** (سورة الأعراف: ١٨٧) .

○ ○

(٣) في عيون أخبار الرضا عليه السلام:٢١٦/١: (حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي رضي الله عنه قال: حدثني أبي قال: حدثنا أحمد بن علي الأنصاري عن الحسن بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون يوماً وعنده علي بن موسى الرضا عليه السلام وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة ، فسأله بعضهم فقال له:

يا بن رسول الله بأي شئ تصح الإمامة لمدعيها ؟ قال عليه السلام: بالنص والدليل.

قال له: فدلالة الإمام فيما هي؟ قال عليه السلام: في العلم واستجابة الدعوة.

قال: فما وجه إخباركم بما يكون ؟ قال عليه السلام: ذلك بعهد معهود إلينا من رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فما وجه إخباركم بما في قلوب الناس؟ قال عليه السلام له: أما بلغك قول الرسول صلى الله عليه وآله: إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ؟ قال: بلى.

قال عليه السلام: وما من مؤمن إلا وله فراسة ينظر بنور الله على قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه ، وقد جمع الله للأئمة ما فرقه في جميع المؤمنين وقال عز وجل في محكم كتابه: **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ** (سورة الحجر: ٧٥) فأول المتوسمين رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أمير المؤمنين عليه السلام من بعده ، ثم الحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة.

قال: فنظر إليه المأمون فقال له: يا أبا الحسن زدنا مما جعل الله لكم أهل البيت.

فقال الرضا عليه السلام: إن الله عز وجل أيدنا بروح منه مقدسة مطهرة ليست بملك ، لم تكن مع أحد ممن مضى إلا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهي مع الأئمة منا تسددهم وتوفقهم ، وهو عمود من نور بيننا وبين الله عز وجل !

قال له المأمون: يا أبا الحسن بلغني أن قوماً يغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحد !

فقال الرضا عليه السلام: حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي ، **عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لاترفعوني فوق حقي، فإن الله تبارك تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً ، قال الله تبارك وتعالى: مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ. وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** (سورة آل عمران: ٧٩-٨٠)

وقال علي عليه السلام: يهلك فيَّ اثنان ولا ذنب لي: محب مفرط، ومبغض مفرط.

وأنا أبرأ إلى الله تبارك وتعالى ممن يغلو فينا ويرفعنا فوق حدنا، كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى، قال الله تعالى: **وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ**

شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّاتَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (سورة المائدة: ١١٦-١١٧). وقال عز وجل: **لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً للهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِه وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْه جَمِيعاً** (سورة النساء:١٧٢)

وقال عز وجل: **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِه الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ** (سورة المائدة:٧٥) ومعناه أنهما كانا يتغوطان، فمن ادعى للأنبياء ربوبية وادعى للأئمة ربوبية أو نبوة ، أو لغير الأئمة إمامة ، فنحن منه براء في الدنيا والآخرة.

فقال المأمون: يا أبا الحسن فما تقول في الرجعة ؟

فقال الرضا عليه السلام: إنها لحق ، قد كانت في الأمم السالفة، ونطق به القرآن **وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة . وقال صلى الله عليه وآله: إذا خرج المهدي من ولدي نزل عيسى بن مريم عليه السلام فصلى خلفه. وقال: إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء. قيليا رسول الله ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يرجع الحق إلى أهله.**

فقال المأمون: يا أبا الحسن فما تقول في القائلين بالتناسخ ؟

فقال الرضا عليه السلام: من قال بالتناسخ فهو كافر بالله العظيم ، مكذب بالجنة والنار.

قال المأمون: ما تقول في المسوخ ؟

قال الرضا عليه السلام: أولئك قوم غضب الله عليهم فمسخهم ، فعاشوا ثلاثة أيام ثم ماتوا ولم يتناسلوا. فما يوجد في الدنيا من القردة والخنازير وغير ذلك مما وقع عليهم إسم المسوخية ، فهو مثل ما لايحل أكلها والانتفاع بها.

قال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن، فوالله ما يوجد العلم الصحيح إلا عند أهل البيت ، وإليك انتهت علوم آبائك ، فجزاك الله عن الاسلام وأهله خيراً.

قال الحسن بن جهم: فلما قام الرضا عليه السلام تبعته ، فانصرف إلى منزله فدخلت عليه وقلت له: يا ابن رسول الله الحمد لله الذي وهب من جميل رأي أمير المؤمنين عليه السلام ما حمله ما أرى من إكرامه لك وقبوله لقولك.

فقال عليه السلام: يا ابن الجهم لا يغرنك ما ألفيته عليه من إكرامي والاستماع مني فإنه

سيقتلني بالسم وهو ظالم لي ! أن أعرف ذلك بعهد معهود إليَّ من آبائي عن رسول الله صلى الله عليه وآله فاكتم هذا مادمت حياً. قال الحسن بن الجهم: فما حدثت أحداً بهذا الحديث إلى أن مضى عليه السلام بطوس مقتولاً بالسم، ودفن في دار حميد بن قحطبة الطائي، في القبة التي فيها قبر هارون الرشيد ، إلى جانبه !).

○ ○

(٤) في عيون أخبار الرضا عليه السلام:١٣٩/٢: (باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات في التوحيد عند المأمون:

حدثنا أبو محمد جعفر بن على بن أحمد الفقيه القمي ثم الإيلاقي رضي الله عنه قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن صدقه القمي قال: حدثنا أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الأنصاري الكجي قال: حدثني من سمع الحسن بن محمد النوفلي ثم الهاشمي يقول: لما قدم علي بن موسى الرضا عليه السلام على المأمون أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات مثل الجاثليق (رئيس الأساقفة) ورأس الجالوت (عالم من اليهود) ورؤساء الصابئين والهربذ الأكبر (الهرابذة خدم نار المجوس وقيل عظماء الهنود) وأصحاب زردهشت (زرادشت) ونسطاس الرومي (بالرومية عالم بالطب)والمتكلمين (تشمل الفلاسفةوعلماء المذاهب الإسلامية) ليسمع كلامه وكلامهم ، فجمعهم الفضل بن سهل، ثم أعلم المأمون باجتماعهم فقال: أدخلهم عليَّ ففعل ، فرحب بهم المأمون ثم قال لهم: إني إنما جمعتكم لخير وأحببت أن تناظروا ابن عمي هذا المدني القادم عليَّ، فإذا كان بكرةً فاغدوا ولا يتخلف منكم أحد ، فقالوا: السمع والطاعه يا أمير المؤمنين نحن مبكرون إن شاء الله.

قال الحسن بن محمد النوفلي: فبينا نحن في حديث لنا عند أبي الحسن الرضا عليه السلام إذ دخل علينا ياسر الخادم(خادم للمأمون برتبة وزير) وكان يتولى أمر أبي الحسن عليه السلام فقال له: يا سيدي إن أمير المؤمنين يقرؤك السلام ويقول: فداك أخوك إنه جُمع اليَّ أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلمون من جميع الملل ، فرأيك في البكور إلينا إن أحببت كلامهم، وإن كرهت ذلك فلا تتجشم ، وإن أحببت أن نصير إليك خف ذلك علينا. فقال

أبو الحسن: أبلغه السلام وقل له: قد علمت ما أردت وأنا صائر إليك بكرةً إن شاء الله.

قال الحسن بن النوفلي: فلما مضى ياسر التفت إلينا ثم قال لي: يا نوفلي أنت عراقي ورقة العراقي غير غليظة ، فما عندك في جمع ابن عمك علينا أهل الشرك وأصحاب المقالات؟! فقلت: جعلت فداك يريد الإمتحان ويحب أن يعرف ما عندك؟ ولقد بني على أساس غير وثيق البنيان ، وبئس والله ما بنى !

فقال لي: وما بناؤه في هذا الباب؟ قلت: إن أصحاب الكلام والبدعة خلاف العلماء ، وذلك أن العالم لا ينكر غير المنكر، وأصحاب المقالات والمتكلمون وأهل الشرك أصحاب إنكار ومباهتة ، إن احتججت عليهم بأن الله واحد قالوا صحح وحدانيته ! وإن قلت إن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا أثبت رسالته! ثم يباهتونه وهو يبطل عليهم بحجته ، ويغالطونه حتى يترك قوله ! فاحذرهم جعلت فداك.

قال فتبسم ثم قال لي: يا نوفلي أفتخاف أن يقطعوا عليَّ حجتي؟!

فقلت: لا والله ما خفت عليك قط ، وإني لأرجو أن يظفرك الله بهم إن شاء الله تعالى.

فقال لي: يا نوفلي أتحب أن تعلم متى يندم المأمون ؟ قلت: نعم .

قال: إذا سمع احتجاجي على أهل التوراة بتوراتهم ، وعلى أهل الإنجيل بإنجيلهم ، وعلى أهل الزبور بزبورهم ، وعلى الصابئين بعبرانيتهم ، وعلى أهل الهرابذة بفارسيتهم ، وعلى أهل الروم بروميتهم ، وعلى أصحاب المقالات بلغاتهم ! فإذا قطعت كل صنف ودحضت حجته، وترك مقالته ورجع الى قولي، علم المأمون الموضع الذي هو سبيله ليس بمستحق له ! فعندها تكون الندامة ، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلي العظيم.

فلما أصبحنا أتانا الفضل بن سهل فقال له: جعلت فداك إن ابن عمك ينتظرك ، وقد اجتمع القوم فما رأيك في إتيانه ؟

فقال له الرضا عليه السلام: تقدمني فإني صائر إلى ناحيتكم إن شاء الله.

ثم توضأ وضوء للصلاة ، وشرب شربه سويق وسقانا منه ، ثم خرج وخرجنا معه حتى دخلنا على المأمون ، وإذا المجلس غاص بأهله: محمد بن جعفر وجماعة من الطالبيين والهاشميين ، والقواد حضور ، فلما دخل الرضا عليه السلام قام المأمون وقام محمد بن جعفر

وجميع بني هاشم ، فما زالوا وقوفاً والرضا جالس مع المأمون حتى أمرهم بالجلوس فجلسوا، فلم يزل المأمون مقبلاً عليه يحدثه ساعة، ثم التفت الى الجاثليق فقال يا جاثليق هذا ابن عمي علي بن موسى بن جعفر ، وهو من ولد فاطمة بنت نبينا ، وابن علي بن طالب صلوات الله عليهم ، فأحب أن تكلمه أو تحاجه وتنصفه . فقال الجاثليق: يا أمير المؤمنين كيف أحاج رجلاً يحتج على بكتاب أنا منكره ، ونبي لا أؤمن به؟

فقال له الرضا عليه السلام: يا نصراني فإن احتججت عليك بإنجيلك أتقر به ؟ قال الجاثليق: وهل أقدر على رفع ما نطق الإنجيل ؟ نعم والله أقرُّ به على رغم أنفي.

فقال له الرضا عليه السلام: سل عما بدا لك واسمع الجواب.

فقال الجاثليق: ما تقول في نبوة عيسى وكتابه ، هل تنكر منهما شيئاً ؟

قال الرضا عليه السلام: أنا مقر بنبوة عيسى وكتابه ، وما بشر به أمته وأقرت به الحواريون ، وكافر بنبوة كل عيسى لم يقر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وبكتابه ، ولم يبشر به أمته.

قال الجاثليق: أليس إنما نقطع الأحكام بشاهدي عدل ؟ قال عليه السلام: بلى.

قال: فأقم شاهدين من غير أهل ملتك على نبوة محمد صلى الله عليه وآله ممن لا تنكره النصرانية ، وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملتنا.

قال الرضا عليه السلام: الآن جئت بالنصفة يا نصراني ، ألا تقبل مني العدل المقدم عند المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ؟

قال الجاثليق: ومن هذا العدل ؟ سمه لي.

قال عليه السلام: ما تقول في يوحنا الديلمي ؟

قال: بخ بخ ، ذكرت أحب الناس إلى المسيح.

قال: فأقسمت عليك هل نطق الإنجيل أن يوحنا قال: إنما المسيح أخبرني بدين محمد العربي ، وبشرني به أنه يكون من بعده ، فبشرت به الحواريين فآمنوا به.

قال الجاثليق: قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح وبشر بنبوة رجل ، وبأهل بيته ووصيه ، ولم يلخص متى يكون ذلك ، ولم يسم لنا القوم فنعرفهم. قال الرضا عليه السلام:فإن جئناك بمن يقرأ الإنجيل فتلا عليك ذكر محمد وأهل بيته وأمته أتؤمن به ؟ قال: سديداً.

قال الرضا عليه السلام: لنسطاس الرومي كيف حفظك للسفر الثالث من الإنجيل ؟ قال : ما

أحفظني له .ثم التفت عليه السلام الى رأس الجالوت فقال: ألست تقرأ الإنجيل؟ قال: بلى لعمري. قال: فخذ عليّ السفر، فإن كان فيه ذكر محمد وأهل بيته وأمته فاشهدوا لي، وإن لم يكن فيه ذكره فلا تشهدوا لي !

ثم قرأ عليه السلام السفر الثالث حتى بلغ ذكر النبي صلى الله عليه وآله وقف ، ثم قال: يا نصراني إني اسألك بحق المسيح وأمه أتعلم أني عالم بالإنجيل ؟ قال: نعم .

ثم تلا عليه السلام علينا ذكر محمد وأهل بيته وأمته ، ثم قال: ما تقول يا نصراني هذا قول عيسى مريم عليه السلام ؟فإن كذبت بما ينطق به الإنجيل فقد كذبت موسى وعيسى عليه السلام ! ومتى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل لأنك تكون قد كفرت بربك ونبيك وبكتابك!

قال الجاثليق: لا أنكر ما قد بان لي في الإنجيل، وإني لمقر به.

قال الرضا عليه السلام: إشهدوا على إقراره.

ثم قال عليه السلام: يا جاثليق سل عما بدا لك ؟

قال الجاثليق: أخبرني عن حوارى عيسى بن مريم عليه السلام كم كان عدتهم؟ وعن علماء الإنجيل كم كانوا ؟

قال الرضا عليه السلام:على الخبير سقطت، أما الحواريون فكانوا اثني عشر رجلاً، وكان أعلمهم وأفضلهم ألوقا، وأما علماء النصارى فكانوا ثلاثه رجال: يوحنا الأكبر بأج (قيل موضع بالبصرة)، ويوحنا بقرقيسيا (بلد على الفرات بسوريا)، ويوحنا الديلمي برجاز(رجاز واد بنجد وأج مكان هناك) وعنده كان ذكر النبي صلى الله عليه وآله وذكر أهل بيته وأمته ، وهو الذي بشر أمة عيسى وبني إسرائيل به ، ثم قال له:

يا نصراني والله إنا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد صلى الله عليه وآله وما ننقم على عيساكم شيئاً إلا ضعفه وقلة صيامه وصلاته !

قال الجاثليق: أفسدت والله علمك، وضعفت أمرك! وما كنت ظننت إلا أنك أعلم أهل الاسلام ! قال الرضا عليه السلام:وكيف ذاك ؟

قال الجاثليق: من قولك إن عيسى كان ضعيفاً قليل الصيام قليل الصلاة وما أفطر عيسى يوماً قط، ولا نام بليل قط، وما زال صائم الدهر، وقائم الليل ! قال الرضا عليه السلام:فلمن كان يصوم ويصلي ؟!

قال فخرس الجاثليق وانقطع !!

قال الرضا عليه السلام:يا نصراني أسألك عن مسألة .

قال: سل فإن كان عندي علمها أجبتك.

قال الرضا عليه السلام: ما أنكرت أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى بإذن الله عز وجل ؟

قال الجاثليق: أنكرت ذلك من أجل أن من أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص ، فهو رب مستحق لأن يعبد.

قال الرضا عليه السلام: فإن اليسع قد صنع مثل صنع عيسى عليه السلام مشى على الماء وأحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، فلم تتخذه أمته رباً ولم يعبده أحد من دون الله عز وجل!
ولقد صنع حزقيل النبي عليه السلام مثل ما صنع عيسى بن مريم ، فأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنة !

ثم التفت الى رأس الجالوت فقال له: يا رأس الجالوت، أتجد هؤلاء في شباب بني إسرائيل في التوراة ، اختارهم بخت نصر من سبي بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس ثم انصرف بهم الى بابل ، فأرسله الله عز وجل إليهم فأحياهم ؟! هذا في التوراة لا يدفعه إلا كافر منكم !

قال رأس الجالوت: قد سمعنا به وعرفناه . قال: صدقت.

ثم قال: يا يهودي خذ عليَّ هذا السفر من التوراة .فتلا عليه السلام علينا من التوراة آيات، فأقبل اليهودي يترجج لقرائته ويتعجب !

ثم أقبل على النصراني فقال: يا نصراني أفهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم ؟
قال: بل كانوا قبله.

فقال الرضا عليه السلام: لقد اجتمعت قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه أن يحيي لهم موتاهم فوجه معهم علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: إذهب الى الجبانة فناد باسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك: يا فلان ويا فلان ويا فلان، يقول لكم محمد رسول الله قوموا بإذن الله عز وجل ، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ! فأقبلت قريش تسألهم عن أمورهم ثم خبروهم أن محمداً بعث نبياً ، فقالوا: وددنا أنا أدركناه فنؤمن به ! ولقد أبرأ

الأكمه والأبرص والمجانين، وكلمه البهايم والطير والجن والشياطين، ولم نتخذه رباً من دون الله عز وجل ، ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم، فمتى اتخذتم عيسى رباً جاز لكم أن تتخذوا اليسع وحزقيل رباً ، لأنهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى بن مريم عليه السلام من إحياء الموتى وغيره . وإن قوماً من بني اسرائيل خرجوا من بلادهم من الطاعون وهم ألوف حذر الموت فأماتهم الله في ساعة واحدة، فعمد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيره ، فلم يزالوا فيها حتى نخرت عظامهم وصاروا رميماً ، فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل فتعجب منهم ، ومن كثرة العظام البالية، فأوحى الله عز وجل إليه: أتحب أن أحييهم لك فتنذرهم؟ قال: نعم يا رب ، فأوحى الله عز وجل إليه: أن ناداهم فقال: أيتها العظام البالية قومي بإذن الله عز وجل، فقاموا أحياء أجمعون ، ينفضون التراب عن رؤوسهم !

ثم إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام حين أخذ الطير فقطعهن قطعاً ، ثم وضع على كل جبل منهن جزءً ، ثم ناداهن فأقبلن سعياً إليه .

ثم موسى بن عمران عليه السلام وأصحابه السبعون الذين اختارهم صاروا معه الى الجبل فقالوا له: إنك قد رأيت الله سبحانه فأرناه ، فقال لهم إني لم أره فقالوا: **لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً** (سورة البقرة:٥٥) فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم وبقي موسى وحيداً فقال: يا رب اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم، وأرجع وحدي فكيف يصدقني قومي بما أخبرهم به ؟! فلو **شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا** (سورة الأعراف:١٥٥) فأحياهم الله عز وجل من بعد موتهم .

وكل شيء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه ، لأن التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قد نطقت به . فإن كان كل من أحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص والمجانين، يتخذ رباً من دون الله، فاتخذ هؤلاء كلهم أرباباً !! ما تقول يا يهودي؟!

فقال الجاثليق: القول قولك ، ولا إله إلا الله.

ثم التفت الى رأس الجالوت فقال: يا يهودي أقبل عليَّ أسألك بالعشر الآيات التي أنزلت على موسى بن عمران عليه السلام هل تجد في التوراة مكتوباً بنبأ محمد صلى الله عليه وآله وأمته: إذا جاءت الامه الأخيرة أتباع راكب البعير يسبحون الرب جداً جداً تسبيحاً جديداً في

الكنائس الجدد، فليفرغ بنو إسرائيل إليهم وإلى ملكهم ، لتطمئن قلوبهم ، فإن بأيديهم سيوفاً ينتقمون بها من الأمم الكافرة في أقطار الأرض ! أهكذا هو في التوراة مكتوب ؟

قال رأس الجالوت: نعم إنا لنجده كذلك.

ثم قال للجاثليق: يا نصراني كيف علمك بكتاب شعيا عليه السلام؟

قال: أعرفه حرفاً حرفاً .

قال لهما: أتعرفان هذا من كلامه: يا قوم إني رأيت صورة راكب الحمار لابساً جلابيب النور، ورأيت راكب البعير ضوؤه مثل ضوء القمر !

فقالا: قد قال ذلك شعيا عليه السلام.

قال الرضا عليه السلام: يا نصراني هل تعرف في الإنجيل قول عيسى عليه السلام: إني ذاهب الى ربكم وربي والبارقليطا جاء هو الذي يشهد لي بالحق كما شهدت ، وهو الذي يفسر لكم كل شئ ، وهو الذي يبدأ فضائح الأمم وهو الذي يكسر عمود الكفر !

فقال الجاثليق: ما ذكرت شيئاً من الإنجيل إلا ونحن مقرون به.

فقال: أتجد هذا في الإنجيل ثابتاً يا جاثليق ؟ قال: نعم.

قال الرضا عليه السلام: يا جاثليق ألا تخبرني عن الإنجيل الأول حين افتقدتموه عند من وجدتموه ؟ ومن وضع لكم هذا الإنجيل؟

فقال له: ما افتقدنا الإنجيل إلا يوماً واحداً حتى وجدناه غضاً طرياً فأخرجه الينا يوحنا ومتى.

فقال له الرضا عليه السلام: ما أقل معرفتك بسنن الإنجيل وعلمائه ؟! فإن كان هذا كما تزعم ، فلم اختلفتم في الإنجيل وإنما وقع الاختلاف في هذا الإنجيل الذي في أياديكم اليوم ، فلو كان على العهد الأول لم تختلفوا فيه ، ولكني مفيدك علم ذلك: إعلم أنه لما افتقد الإنجيل الأول اجتمعت النصارى الى علمائهم فقالوا لهم: قتل عيسى بن مريم عليه السلام وافتقدنا الإنجيل وأنتم العلماء فما عندكم؟ فقال لهم ألوقا ومرقابوس: إن الإنجيل في صدورنا ونحن نخرجه اليكم سفراً سفراً في كل أحد ، فلا تحزنوا عليه ولا تخلوا الكنائس، فإنا سنتلوه عليكم في كل أحد سفراً سفراً ، حتى نجمعه كله. فقعد ألوقا ومرقابوس ويوحنا ومتى، فوضعوا لكم هذا الإنجيل بعد ما افتقدتم الإنجيل الأول، وإنما كان هؤلاء الأربعة

تلاميذ تلاميذ الأولين! أعلمت ذلك ؟

فقال الجاثليق: أما هذا فلم أعلمه وقد علمته الآن ، وبان لي من فضل علمك بالإنجيل وسمعت أشياء مما علمته شهد قلبي أنها حق فاستزدت كثيراً من الفهم.

فقال له الرضا عليه السلام: فكيف شهاده هؤلاء عندك ؟

قال: جائزة، هؤلاء علماء الإنجيل وكلما شهدوا به فهو حق.

قال الرضا عليه السلام للمأمون ومن حضره من أهل بيته ومن غيره: إشهدوا عليه ، قالوا: قد شهدنا.

ثم قال عليه السلام للجاثليق: بحق الإبن وأمه هل تعلم أن متى قال: إن المسيح هو ابن داود بن إبراهيم بن اسحاق بن يعقوب يهوذا بن خضرون، فقال مرقابوس في نسب عيسى مريم: إنه كلمة الله أحلها في جسد الآدمي فصارت إنساناً ، وقال ألوقا: إن عيسى بن مريم عليه السلام وأمه كانا إنسانين من لحم ودم ، فدخل فيها الروح القدس .

ثم إنك تقول من شهادة عيسى على نفسه: حقاً أقول لكم: يا معشر الحواريين إنه لا يصعد الى السماء إلا من نزل منها ، إلا راكب البعير خاتم الأنبياء فإنه يصعد إلى السماء وينزل . فما تقول في هذا القول ؟

قال الجاثليق: هذا قول عيسى لا ننكره.

قال الرضا عليه السلام:فما تقول في شهاده ألوقا ومرقابوس ومتى على عيسى وما نسبوه إليه؟

قال الجاثليق: كذبوا على عيسى.

فقال: الرضا عليه السلام: يا قوم أليس قد زكاهم وشهد أنهم علماء الإنجيل وقولهم حق ؟

فقال الجاثليق: يا عالم المسلمين أحب أن تعفيني من أمر هؤلاء.

قال الرضا عليه السلام: فإنا قد فعلنا . سل يا نصراني عما بدا لك؟

قال الجاثليق: ليسألك غيري فلا وحق المسيح ما ظننت أن في علماء المسلمين مثلك.

فالتفت الرضا عليه السلام الى رأس الجالوت فقال له: تسألني أو أسألك ؟

فقال: بل أسألك ولست أقبل منك حجه إلا من التوراة أو من الإنجيل أو من زبور داود أو بما في صحف إبراهيم وموسى.

قال الرضا عليه السلام: لا تقبل مني حجة إلا بما تنطق به التوراة على لسان موسى بن عمران ،

والإنجيل على لسان عيسى بن مريم ، والزبور على لسان داود.

فقال رأس الجالوت: من أين تثبت نبوه محمد ؟

قال الرضاعليه السلام: شهد بنبوته موسى بن عمران وعيسى بن مريم وداود خليفة الله عز وجل في الأرض . فقال له: ثبت قول موسى بن عمران ؟

فقال له الرضاعليه السلام: هل تعلم يايهودي أن موسى أوصى بني إسرائيل فقال لهم: إنه سيأتيكم نبي من إخوانكم فبه فصدقوا ، ومنه فاسمعوا ؟ فهل تعلم ان لبني اسرائيل إخوة غير ولد إسماعيل؟! إن كنت تعرف قرابة إسرائيل من إسماعيل والسبب الذي بينهما من قبل إبراهيمعليه السلام؟!

فقال رأس الجالوت: هذا قول موسى لا ندفعه.

فقال له الرضاعليه السلام:هل جاءكم من إخوه بني إسرائيل نبي غير محمدصلى الله عليه وآله؟

قال: لا . قال الرضاعليه السلام: أو ليس قد صح هذا عندكم ؟

قال: نعم ، ولكني أحب أن تصححه لي من التوراة.

فقال له الرضاعليه السلام: هل تنكر أن التوراة تقول لكم: جاء النور من قبل طور سيناء ، وأضاء لنا من جبل ساعير ، واستعلن علينا من جبل فاران ؟

قال رأس الجالوت: أعرف هذه الكلمات وما أعرف تفسيرها !

قال الرضاعليه السلام: أنا أخبرك به: أما قوله جاء النور من قبل طور سيناء ، فذلك وحي الله تبارك وتعالى الذي أنزله على جبل طور سيناء . وأما قوله: وأضاء لنا من جبل ساعير ، فهو الجبل الذي أوحى الله عز وجل الى عيسى بن مريمعليه السلام. وأما قوله: واستعلن علينا جبل فاران ، فذلك جبل من جبال مكه بينه وبينها يوم ، وقال شعياء النبيعليه السلامفيما تقول أنت وأصحابك في التوراة رأيت راكبين أضاءت لهم الأرض ، أحدهما على حمار والآخر على جمل ، فمن راكب الحمار ومن راكب الجمل ؟

قال رأس الجالوت: لا أعرفهما فخبرني بهما.

قال: أما راكب الحمار فعيسىعليه السلام، وأما راكب الجمل فمحمد عليه السلامأتنكر هذا من التوراة؟! قال: لا ما أنكره.

ثم قال الرضا: هل تعرف حيقوق النبي؟ قال: نعم إني به لعارف.

قال: فإنه قال: وكتابكم ينطق به جاء الله تعالى بالبيان من جبل فاران وامتلأت السموات من تسبيح أحمد وأمته ، يحمل خيله في البحر كما يحمل في البر ، يأتينا بكتاب جديد بعد خراب بيت المقدس ، يعني بالكتاب الفرقان ! أتعرف هذا وتؤمن به ؟

قال رأس الجالوت: قد قال ذلك حيقوق النبي ولا ننكر قوله.

قال الرضا: فقد قال داود في زبوره وأنت تقرأه: اللهم ابعث مقيم السنة بعد الفترة ، فهل تعرف نبياً أقام السنة بعد الفتره غير محمد؟!

قال رأس الجالوت: هذا قول داود نعرفه ، ولا ننكر ولكن عنى بذلك عيسى وأيامه هي الفترة . قال له الرضا:جهلت أن عيسى لم يخالف السنة وكان موافقاً لسنة التوراة ، حتى رفعه الله إليه ، وفي الإنجيل مكتوب: إن ابن البرة ذاهب والبارقليطا جاء من بعده ، وهو الذي يحفظ الآصار ويفسر لكم شئ ، ويشهد لي كما شهدت له . أنا جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل ! أتؤمن بهذا في الإنجيل؟ قال: نعم . فقال له الرضا: يا رأس الجالوت أسألك عن نبيك موسى بن عمران. فقال: سل.

قال: ما الحجة على أن موسى ثبتت نبوته ؟

قال اليهودي: إنه جاء بما لم يجئ به أحد من الأنبياء قبله.

قال له: مثل ماذا؟ قال:مثل فلق البحر وقلبه العصا حية تسعى، وضربه الحجر فانفجرت منه العيون ، وإخراجه يده بيضاء للناظرين ، وعلاماته لا يقدر الخلق على مثلها.

قال له الرضا: صدقت في أنه كانت حجته على نبوته أنه جاء بما لا يقدر الخلق على مثله. أفليس كل من ادعى أنه نبي ثم جاء بما لا يقدر الخلق على مثله وجب عليكم تصديقه ؟! قال: لا، لأن موسى لم يكن له نظير لمكانه من ربه وقربه منه ولا يجب علينا الإقرار بنبوة من ادعاها حتى يأتي من الأعلام بمثل ما جاء به.

فقال الرضا: فكيف أقررتم بالأنبياء الذين كانوا قبل موسى ولم يفلقوا البحر ، ولم يفجروا من الحجر اثنتي عشره عيناً ، ولم يخرجوا أيديهم مثل إخراج موسى يده بيضاء ، ولم يقلبوا العصا حية تسعى؟ قال اليهودي: قد خبرتك أنه متى ما جاؤوا على نبوتهم من الآيات بما لا يقدر الخلق على مثله ، ولو جاؤا بما يجئ به موسى ، أو كان

على غير ما جاء به موسى وجب تصديقهم.

قال له الرضا عليه السلام: يا رأس الجالوت، فما يمنعك من الإقرار بعيسى بن مريم وقد كان يحيي الموتى ويبرء الأكمه والأبرص ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً باذن الله تعالى؟ قال رأس الجالوت: يقال إنه فعل ذلك ولم نشهده.

قال الرضا عليه السلام: أرايت ما جاء به موسى من الآيات شاهدته ؟ أليس إنما جاءت الأخبار من ثقات أصحاب موسى أنه فعل ذلك ؟ قال: بلى . قال: فكذلك أيضا أتتكم الأخبار المتواترة بما فعل عيسى بن مريم عليه السلام فكيف صدقتم بموسى ولم تصدقوا بعيسى؟

فلم يحر جواباً .

قال الرضا عليه السلام: وكذلك أمر محمد صلى الله عليه وآله وما جاء به ، وأمر كل نبي بعثه الله. ومن آياته أنه كان يتيماً فقيراً راعياً أجيراً ، لم يتعلم كتاباً ولم يختلف الى معلم ، ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء عليهم السلام وأخبارهم حرفاً حرفاً وأخبار من مضى ومن بقى الى يوم القيامة ، ثم كان يخبرهم بأسرارهم وما يعملون في بيوتهم، وجاء بآيات كثيرة لا تحصى.

قال رأس الجالوت: لم يصح عندنا خبر عيسى ولا خبر محمد ، ولا يجوز لنا أن نقر لهما بما لا يصح . قال الرضا عليه السلام: فالشاهد الذي شهد لعيسى ولمحمد صلى الله عليه وآله شاهد زور ؟

فلم يحر جواباً.

ثم دعا بالهربذ الأكبر، فقال له الرضا عليه السلام: أخبرني عن زردهشت الذي تزعم أنه نبي ما حجتك على نبوته ؟

قال: إنه أتى بما لم يأتنا أحد قبله ، ولم نشهده ولكن الأخبار من أسلافنا وردت علينا بأنه أحل لنا ما لم يحله غيره فاتبعناه.

قال عليه السلام: أفليس إنما أتتكم الأخبار فاتبعتموه ؟ قال: بلى.

قال: فكذلك سائر الأمم السالفة أتتهم الأخبار بما أتى به النبيون ، وأتى به موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام فما عذركم في ترك الإقرار لهم إذ كنتم إنما أقررتم بزردهشت من قبل الأخبار المتواترة بأنه جاء بما لم يجئ به غيره ؟ فانقطع الهربذ مكانه.

فقال الرضا عليه السلام: يا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الإسلام وأراد أن يسأل فليسأل غير محتشم . فقام إليه عمران الصابي وكان واحداً من المتكلمين فقال:

يا عالم الناس لولا أنك دعوت الى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل ، فلقد دخلت الكوفة والبصرة والشام والجزيرة ، ولقيت المتكلمين فلم أقع على أحد يثبت لي واحداً ليس غيره قائماً بوحدانيته ، أفتأذن لي أسألك ؟

قال الرضا عليه السلام: إن كان في الجماعة عمران الصابي فأنت هو؟ قال: أنا هو.

قال عليه السلام: سل يا عمران وعليك بالنصفة وإياك والخطل والجور.

فقال: والله يا سيدي ما أريد إلا أن تثبت لي شيئاً أتعلق به فلا أجوزه.

قال عليه السلام: سل عما بدا لك ، فازدحم الناس وانضم بعضهم الى بعض .

فقال عمران الصابي: أخبرني عن الكائن الأول وعما خلق.

فقال له عليه السلام: سألت فافهم ، أما الواحد فلم يزل واحداً كائناً لا شئ معه بلا حدود وأعراض، ولا يزال كذلك ، ثم خلق خلقاً مبتدعاً مختلفاً بأعراض وحدود مختلفة، لا في شئ أقامه ولا في شئ حده ولا على شئ حذاه ومثله له ، فجعل الخلق من بعد ذلك صفوة وغير صفوة ، واختلافاً وائتلافاً ، وألواناً وذوقاً وطعماً ، لا لحاجة كانت منه إلى ذلك ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلا به ، ولا رأى لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصاناً تعقل هذا يا عمران ؟ قال: نعم والله يا سيدي.

قال عليه السلام: واعلم يا عمران أنه لو كان خلق ما خلق لحاجة ، لم يخلق إلا من يستعين به على حاجته ، ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق ، لأن الأعوان كلما كثروا كان صاحبهم أقوى ، والحاجه يا عمران لا يسعها لأنه كان لم يحدث من الخلق شيئاً إلا حدثت به حاجة أخرى ، ولذلك أقول: لم يخلق الخلق لحاجة ، ولكن نقل بالخلق الحوائج بعضهم الى بعض، وفضل بعضهم على بعض ، بلا حاجة منه إلى فضل ، ولا نقمة منه على من أذل ، فلهذا خلق.

قال عمران: يا سيدي هل كان الكائن معلوماً في نفسه عند نفسه ؟

قال الرضا عليه السلام: إنما يكون المعلمة بالشئ لنفي خلافه ، وليكون الشئ نفسه بما نفى عنه موجوداً ، ولم يكن هناك شئ يخالفه فتدعوه الحاجة الى نفي ذلك الشئ عن نفسه بتحديد ما علم منها ، أفهمت يا عمران ؟ قال: نعم والله سيدي فأخبرني بأي شئ علم ما

علم، أبضمير أم بغير ذلك ؟ قال الرضا عليه السلام: أرايت إذا علم بضمير هل يجد بداً من أن يجعل لذلك الضمير حداً تنتهي إليه المعرفة ؟ قال عمران: لا بد من ذلك.

قال الرضا عليه السلام: فما ذلك الضمير ؟! فانقطع ولم يحر جواباً.

قال الرضا عليه السلام: لا بأس إن سألتك عن الضمير نفسه تعرفه بضمير آخر؟ فإن قلت نعم أفسدت عليك قولك ودعواك . يا عمران أليس ينبغي أن تعلم أن الواحد ليس يوصف بضمير، وليس يقال له أكثر من فعل وعمل وصنع ، وليس يتوهم منه مذاهب وتجزية كمذاهب المخلوقين وتجزيتهم ، فاعقل ذلك وابن عليه ما علمت صواباً.

قال عمران:ياسيدي ألاتخبرني حدود خلقه كيف هي، وما معانيها وعلىكم نوع تكون؟

قال: قد سألت فاعلم أن حدود خلقه على ستة أنواع ، ملموس وموزون ومنظور إليه وما لاذوق له وهو الروح، ومنها منظور إليه وليس له وزن ولالمس ولاحس ولالون ولاذوق ، وهو التقدير والأعراض والصور والطول والعرض، ومنها العمل والحركات التي تصنع الأشياء وتعملها وتغيرها من حال الى حال ، وتزيدها وتنقصها. فأما الأعمال والحركات فإنها تنطلق ، لأنه لا وقت لها أكثر من قدر ما يحتاج إليه ، فإذا فرغ من الشئ انطلق بالحركة وبقى الأثر ويجري مجرى الكلام يذهب ويبقى أثره. قال عمران: يا سيدي ألا تخبرني عن الخالق إذا كان واحداً لا شئ غيره ولا شئ معه؟ أليس قد تغير بخلقه الخلق؟

قال له الرضا عليه السلام: قديم لم يتغير عز وجل بخلقه الخلق ، ولكن الخلق يتغير بتغيره .

قال عمران: يا سيدي فبأي شئ عرفناه؟ قال: بغيره . قال: فأي شئ غيره ؟ قال الرضا عليه السلام: مشيته واسمه وصفته وما أشبه ذلك ، وكل ذلك محدث مخلوق مدبر.

قال عمران: يا سيدي فأي شئ هو ؟

قال: هو نور بمعنى أنه هاد خلقه من أهل السماء وأهل الأرض ، وليس لك عليَّ أكثر من توحيدي إياه . قال عمران: يا سيدي أليس قد كان ساكتاً قبل الخلق لا ينطق ثم نطق؟

قال الرضا عليه السلام: لا يكون السكوت إلا عن نطق قبله ، والمثل في ذلك أنه لا يقال للسراج هو ساكت لا ينطق ولا يقال إن السراج ليضئ فيما يريد أن يفعل بنا ، لأن الضوء من السراج ليس بفعل منه ولا كون ، وإنما هو ليس شئ غيره ، فلما استضاء لنا قلنا قد

أضاء لنا حتى استضأنا به ، فبهذا تستبصر أمرك .

قال عمران: يا سيدي فإن الذي كان عندي أن الكائن قد تغير في فعله عن حاله بخلقه الخلق ؟ قال الرضا: أحلت يا عمران في قولك إن الكائن يتغير في وجه من الوجوه حتى يصيب الذات منه ما يغيره ! يا عمران هل تجد النار تغيرها تغير نفسها؟ وهل تجد الحرارة تحرق نفسها ؟ أو هل رأيت بصيراً قط رأى بصره ؟

قال عمران: لم أر هذا إلا أن تخبرني يا سيدي أهو في الخلق ؟ أم الخلق فيه ؟

قال الرضا: أجلُّ يا عمران عن ذلك ، ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه ، تعالى عن ذلك، وساء علمك، ما تعرفه، ولا قوه الا بالله. أخبرني عن المرآة أنت فيها أم هي فيك؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه ، فبأي شئ استدللت بها على نفسك يا عمران ؟

قال: بضوء بيني وبينها.

قال الرضا: هل ترى من ذلك الضوء في المرآة أكثر مما تراه في عينك؟ قال: نعم.

قال الرضا: فأرناه ! فلم يحر جواباً.

قال: فلا أرى النور إلا وقد دلك ودل المرآة على أنفسكما ، من غير أن يكون في واحد منكما . ولهذا أمثال كثيرة غير هذا ، لا يجد الجاهل فيها مقالاً ، ولله المثل الأعلى.

ثم التفت الى المأمون فقال: الصلاة قد حضرت . فقال عمران: يا سيدي لا تقطع عليَّ مسألتي فقد رق قلبي . قال الرضا: نصلي ونعود، فنهض ونهض المأمون فصلى الرضاداخلاً، وصلى الناس خارجاً خلف محمد بن جعفر، ثم خرجا فعاد الرضا إلى مجلسه ودعا بعمران فقال: سل يا عمران .

قال: يا سيدي ألا تخبرني عن الله عز وجل هل يوحد بحقيقة أو يوحد بوصف ؟

قال الرضا: إن الله المبدئ الواحد الكائن الأول ، لم يزل واحداً لا شئ معه ، فرداً لاثانيَ معه ، لا معلوماً ولا مجهولاً ولا محكماً ولا متشابهاً ، ولا مذكوراً ولا منسياً ولا شيئاً يقع عليه اسم شئ من الأشياء غيره ، ولا من وقت كان ، ولا إلى وقت يكون ، ولا بشئ قام ، ولا إلى شئ يقوم ، ولا إلى شئ استند ، ولا في شئ استكن ، وذلك كله قبل الخلق إذ لا شئ غيره ، وما أوقعت عليه من الكل فهى صفات محدثة وترجمة يفهم بها من فهم. واعلم أن الابداع والمشيئة والإراده معناها واحد وأسماؤها ثلاثة ، وكان أول

إبداعه وإرادته ومشيته الحروف التي جعلها أصلا لكل شئ ، ودليلا على كل مدرك ، وفاصلا لكل مشكل ، وبتلك الحروف تفريق كل شئ من اسم حق وباطل ، أو فعل أو مفعول أو معنى أو غير معنى ، وعليها اجتمعت الأمور كلها . ولم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى غير أنفسها تتناهى ، ولا وجود لها لأنها مبدعة بالإبداع.

والنور في هذا الموضع أول فعل الله الذي هو نور السموات والأرض، والحروف هي المفعول بذلك الفعل ، وهي الحروف التي عليها مدار الكلام والعبارات ، كلها من الله عز وجل ، علمها خلقه وهي ثلاثة وثلاثون حرفاً ، فمنها ثمانية وعشرون حرفاً تدل على لغات العربية ، ومن الثمانية والعشرين اثنان وعشرون حرفاً تدل على لغات السريانية والعبرانية، ومنها خمسةأحرف متحرفة في سائر اللغات من العجم والأقاليم. واللغات كلها وهي خمسة أحرف تحرفت من الثمانية والعشرين حرفاً من اللغات ، فصارت الحروف ثلاثة وثلاثين حرفاً ، فأما الخمسة المختلفة ف(يتجحخ) لايجوز ذكرها أكثر مما ذكرناه ، ثم جعل الحروف بعد إحصائها وإحكام عدتها فعلاً منه كقوله عز وجل: **(كُنْ فَيَكُون)**، وكن منه صنع ، وما يكون به المصنوع . فالخلق الأول من الله عز وجل الإبداع لاوزن له ولاحركة ولا سمع ولا لون ولا حس. والخلق الثاني الحروف لاوزن لها ولا لون وهي مسموعة موصوفة غير منظور إليها، والخلق الثالث ما كان من الأنواع كلها محسوساً ملموساً ذا ذوق منظوراً إليه ، والله تبارك وتعالى سابق للإبداع لأنه ليس قبله عز وجل شئ ، ولا كان معه شئ ، والإبداع سابق للحروف ، والحروف لا تدل على غير نفسها.

قال المأمون: وكيف لا تدل على غير أنفسها ؟

قال الرضاعليه السلام: لأن الله تبارك وتعالى لا يجمع منها شيئاً لغير معنى أبداً ، فإذا ألف منها أحرفاً أربعة أو خمسة أو ستة أو أكثر من ذلك أو أقل ، لم يؤلفها بغير معنى ، ولم يكن إلا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شئ . قال عمران: فكيف لنا بمعرفه ذلك ؟

قال الرضاعليه السلام: أما المعرفة فوجه ذلك وبيانه أنك تذكر الحروف إذا لم ترد بها غير نفسها ذكرتها فرداً فقلت: ا ب ت ث ج ح خ ، حتى تأتي على آخرها ، فلم تجد لها معنى غير أنفسها ، وإذا ألفتها وجمعت منها أحرفاً وجعلتها إسماً وصفةً لمعنى ما طلبت ووجه ما عنيت ، كانت دليلةً على معانيها داعيةً الى الموصوف بما أفهمته ؟ قال: نعم.

قال الرضا عليه السلام: واعلم أنه لا يكون صفة لغير موصوف ، ولا اسم لغير معنى ، ولا حد لغير محدود، والصفات والأسماء كلها تدل على الكمال والوجود ، ولا تدل على الإحاطة كما تدل الحدود التي هي التربيع والتثليث والتسديس ، لأن الله عز وجل تدرك معرفته بالصفات والأسماء ، ولا تدرك بالتحديد بالطول والعرض والقلة والكثرة واللون والوزن وما أشبه ذلك ، وليس يحل بالله جل وتقدس شئ من ذلك حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم أنفسهم بالضرورة التي ذكرنا ، ولكن يدل على الله عز وجل بصفاته ويدرك بأسمائه ويستدل عليه بخلقه حتى لا يحتاج في ذلك الطالب المرتاد الى رؤية عين ولا استماع أذن ولا لمس كف ولا إحاطة بقلب . ولو كانت صفاته جل ثناؤه لا تدل عليها أسماؤه لا تدعو إليه والمعلمة من الخلق لا تدركه لمعناه ، كانت العبادة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معناه ، فلولا أن ذلك كذلك لكان المعبود الموحد غير الله ، لأن صفاته وأسماءه غيره ، أفهمت ؟ قال: نعم يا سيدي زدني.

قال الرضا عليه السلام: إياك وقول الجهال من أهل العمى والضلال الذين يزعمون أن الله جل وتقدس موجود في الآخرة للحساب في الثواب والعقاب ، وليس بموجود في الدنيا للطاعة والرجاء ، ولو كان في الوجود لله عز وجل نقص واهتضام ، لم يوجد في الآخرة أبداً ، ولكن القوم تاهوا وعموا وصموا عن الحق ، من حيث لا يعلمون ، وقوله عز وجل: **وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً** (سورة الاسراء:٧٢) يعني أعمى عن الحقائق الموجودة ، وقد علم ذووا الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يكون إلا بما هاهنا ، ومن أخذ علم ذلك برأيه وطلب وجوده وإدراكه عن نفسه دون غيرها ، لم يزدد من علم ذلك إلا بعداً ، لأن الله عز وجل جعل علم ذلك خاصة عند قوم يعقلون ويعلمون ويفهمون.

قال عمران: يا سيدي ألا تخبرني عن الإبداع أخلق هو أم غير خلق؟

قال الرضا عليه السلام: بل خلق ساكن لا يدرك بالسكون ، وإنما صار خلقاً لأنه شئ محدث والله تعالى الذي أحدثه فصار خلقاً له ، وإنما هو الله عز وجل وخلقه لا ثالث بينهما ولا ثالث غيرهما ، فما خلق الله عز وجل لم يعد أن يكون خلقه ، ويكون الخلق ساكناً

ومتحركاً ومختلفاً ومؤتلفاً ومعلوماً ومتشابهاً ، وكل ما وقع عليه حد فهو خلق الله عز وجل . واعلم أن كل ما أوجدتك الحواس فهو معنى مدرك للحواس ، وكل حاسة تدل على ما جعل الله عز وجل لها في إدراكها ، والفهم من القلب بجميع ذلك كله .

واعلم أن الواحد الذي هو قائم بغير تقدير ولا تحديد خلق خلقاً مقدراً بتحديد وتقدير وكان الذي خلق خلقين اثنين التقدير والمقدر ، وليس في كل واحد منهما لون ولا وزن ولا ذوق ، فجعل أحدهما يدرك بالآخر وجعلهما مدركين بنفسهما ، ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره ، للذي أراد من الدلالة على نفسه ، وإثبات وجوده ، فالله تبارك وتعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه ، ولا يعضده ، ولا يكنه ، والخلق يمسك بعضه بعضاً بإذن الله تعالى ومشيئته .

وإنما اختلف الناس في هذا الباب حتى تاهوا وتحيروا وطلبوا الخلاص من الظلمة بالظلمة ، في وصفهم الله تعالى بصفة أنفسهم فازدادوا من الحق بعداً ، ولو وصفوا الله عز وجل بصفاته ووصفوا المخلوقين بصفاتهم لقالوا بالفهم واليقين ، ولما اختلفوا فلما طلبوا من ذلك ما تحيروا فيه ارتكبوا ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم.

قال عمران: يا سيدي أشهد أنه كما وصفت ، ولكن بقيت لي مسألة ؟

قال: سل عما أردت . قال: أسألك عن الحكيم في أي شئ هو؟ وهل يحيط به شئ؟ وهل يتحول من شئ الى شئ؟ أو به حاجه الى شئ ؟

قال الرضاعليه السلام: أخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه، فإنه من أغمض ما يرد على الخلق في مسائلهم ، وليس يفهم المتفاوت عقله العازب حلمه، ولا يعجز عن فهمه أولوا العقل المنصفون . أما أول ذلك فلو كان خلق ما خلق لحاجة منه لجاز لقائل أن يقول: يتحول الى ما خلق لحاجته الى ذلك، ولكنه عز وجل لم يخلق شيئاً لحاجة ، ولم يزل ثابتاً لا في شئ ولا على شئ ، إن الخلق يمسك بعضه بعضاً ، ويدخل بعضه في بعض ويخرج منه ، والله جل وتقدس بقدرته يمسك ذلك كله وليس يدخل في شئ ولا يخرج منه ، ولا يؤده حفظه ، ولا يعجز عن إمساكه، ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلا الله عز وجل ، ومن أطلعه عليه من رسله ، وأهل سره ، والمستحفظين لأمره ، وخزانه

القائمين بشريعته، وإنما أمره كلمح البصر أو هو أقرب، إذا شاء شيئاً فإنما يقول له **(كن فيكون)** بمشيئته وإرادته ، ولا شئ من خلقه أقرب إليه من شئ ، ولا شئ أبعد منه من شئ . أفهمت يا عمران ؟

قال: نعم ياسيدي قد فهمت ، وأشهد أن الله تعالى على ما وصفتَ ووحدتَ ، وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله عبده المبعوث بالهدى ودين الحق ، ثم خر ساجداً نحو القبلة وأسلم.

قال الحسن بن محمد النوفلي: فلما نظر المتكلمون الى كلام عمران الصابي وكان جدلاً لم يقطعه عن حجته أحد منهم قط ، لم يدن من الرضا عليه السلام أحد منهم ، ولم يسألوه عن شئ ، وأمسينا فنهض المأمون والرضا عليه السلام فدخلا ، وانصرف الناس.

وكنت مع جماعه من أصحابنا إذ بعث اليَّ محمد بن جعفر فأتيته فقال لي: يا نوفلي أما رأيت ما جاء به صديقك؟! لا والله ما ظننت أن علي بن موسى الرضا عليه السلام خاض في شئ من هذا قط ، ولا عرفناه أنه كان يتكلم بالمدينة أو يجتمع إليه أصحاب الكلام !

قلت: قد كان الحاج يأتونه فيسألونه عن أشياء من حلالهم وحرامهم فيجيبهم ، وربما كلم من يأتيه بحاجة . فقال محمد بن جعفر: يا أبا محمد إني أخاف عليه أن يحسده عليه هذا الرجل فيسمه ، أو يفعل به بلية ، فأشر عليه بالإمساك عن هذه الأشياء . قلت: إذاً لا يقبل مني ، وما أراد الرجل إلا امتحانه ليعلم هل عنده شئ من علوم آبائه ؟ فقال لي: قل له إن عمك قد كره هذا الباب ، وأحب أن تمسك عن هذه الأشياء لخصال شتى . فلما انقلبت الى منزل الرضا عليه السلام أخبرته بما كان عن عمه محمد بن جعفر فتبسم عليه السلام ثم قال: حفظ الله عمي ما أعرفني به لم كره ذلك؟ يا غلام صر الى عمران الصابي فأتني به . فقلت: جعلت فداك أنا أعرف موضعه ، وهو عند بعض إخواننا من الشيعة ، قال: فلا بأس قربوا إليه دابة ، فصرت الى عمران فأتيته به فرحب به ودعا بكسوة فخلعها عليه ، وحمله ودعا بعشرة آلاف درهم ، فوصله بها .

قلت: جعلت فداك حكيت فعل جدك أمير المؤمنين عليه السلام، قال: هكذا نحب ، ثم دعا بالعشاء فأجلسني عن يمينه وأجلس عمران عن يساره حتى إذا فرغنا ، قال لعمران: إنصرف مصاحباً وبكر علينا ، نطعمك طعام المدينة.

فكان عمران بعد ذلك يجتمع إليه المتكلمون من أصحاب المقالات فيبطل أمرهم ، حتى اجتنبوه ، ووصله المأمون بعشره آلاف درهم ، وأعطاه الفضل مالاً وحمله وولاه صدقات بلخ ، فأصاب الرغائب). انتهى.

○ ○

○ أقول: يظهر أن النوفلي وأبا الصلت الهروي والحسن بن الجهم وأمثالهم من العلماء ، الذين نقلوا مناظرات الإمام الرضا عليه السلام في مجلس المأمون مع أولئك العلماء والفلاسفة وغيرهم ، كانوا كتبوها أو كتبوا منها في المجلس، لأن المناظرة كانت حدثاً وحديث الناس. وقد يكونوا نقلوها من حفظهم ، فإن ما ذكره العلماء في ترجماتهم خاصة النوفلي يدل على أنهم كانوا على درجة عالية من العلم والحفظ والفهم.

ويناسب هنا أن نورد مقطوعتين من مناظرات ذلك المجلس، روتهما مصادر عديدة ، وكذلك مناظرة الإمام عليه السلام في البداء والإرادة مع سليمان المروزي متكلم خراسان في عصره ، ننقل ذلك من كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق أعلى الله مقامه:

○ ○

○ **قال في عيون أخبار الرضا عليه السلام:١٧٠/٢:**

(باب ذكر مجلس آخر للرضا عليه السلام عند المأمون مع أهل الملل والمقالات، وما أجاب به علي بن محمد بن الجهم في عصمة الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين:

حدثنا أحمدبن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عنه، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب ، وعلي بن عبد الله الوراق رضي الله عنهم قالوا: حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثنا القاسم بن محمد البرمكي قال: حدثنا أبو الصلت الهروي قال: لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الاسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر المقالات ، فلم يقم أحد إلا وقد ألزمه حجته كانه ألقم حجراً ، قام إليه علي بن محمد بن الجهم فقال له: يا بن رسول الله أتقول بعصمه الأنبياء عليهم السلام؟ قال عليه السلام: نعم.

قال: فما تعمل في قول الله عز وجل: **وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ** (سورة طه:١٢١) وفي قوله

عز وجل: **وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ** (سورة الانبياء:٨٧) وفي قوله عز وجل في يوسف عليه السلام: **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا** (سورة يوسف:٢٤) وفي قوله عز وجل في داود: **قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ** (سورة ص:٢٤) وقوله تعالى في نبيه محمد صلى الله عليه وآله: **وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ** (سورة الأحزاب:٣٧)

فقال الرضا عليه السلام: ويحك يا علي إتق الله ولاتنسب الى أنبياء الله عليهم السلام الفواحش، ولا تتأول كتاب الله برأيك، فإن الله عز وجل قد قال: **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** (سورة آل عمران: ٧) وأما قوله عز وجل في آدم: **وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى** (سورة طه: ١٢١) فإن الله عز وجل خلق آدم حجة في أرضه وخليفة في بلاده ، لم يخلقه للجنة . وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الأرض وعصمته يجب أن تكون في الأرض لتتم **مقادير أمر الله ، فلما أهبطه الى الأرض وجعله حجة وخليفة عصمه بقوله عز وجل: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** (سورة آل عمران: ٣٣)

وأما قوله عز وجل: **(وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ)** إنما ظن بمعنى استيقن أن الله لن يضيق عليه رزقه، ألا تسمع قول الله عز وجل: **وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ** (سورة الفجر: ١٦) أي ضيق عليه رزقه ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر.

وأما قوله عز وجل في يوسف: **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا** فإنها همت بالمعصية وهم يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما تداخله! فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قوله عز وجل: **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** (سورة يوسف: ٢٤) يعني القتل والزنا . وأما داود عليه السلام فما يقول من قبلكم فيه؟

فقال علي بن محمد بن الجهم: يقولون إن داود عليه السلام كان في محرابه يصلي فتصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون الطيور ، فقطع داود صلاته وقام ليأخذ الطير ، فخرج الطير الى الدار فخرج الطير الى السطح فصعد في طلبه ، فسقط الطير في دار أوريا

بن حنان ، فاطلع داود في أثر الطير بامرأة أوريا تغتسل ، فلما نظر إليها هواها ، وقد أخرج أوريا في بعض غزواته ، فكتب الى صاحبه أن قدم أوريا أمام التابوت ، فقدم فظفر أوريا بالمشركين ، فصعب ذلك على داود ، فكتب إليه ثانية أن قدمه أمام التابوت فقدم فقتل أوريا ، فتزوج داود بامرأته !

قال: فضرب الرضا عليه السلام بيده على جبهته وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ! لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله عليهم السلام الى التهاون بصلاته حتى خرج في أثر الطير ، ثم بالفاحشة ثم بالقتل !

فقال: يا بن رسول الله فما كان خطيئته؟ فقال: ويحك ! إن داود إنما ظن أن ما خلق الله عز وجل خلقاً هو أعلم منه فبعث الله عز وجل إليه الملكين فتسورا المحراب ، فقالا: **خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ. إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ. قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ** (سورة ص:٢٢-٢٤) فعجل داود عليه السلام على المدعى عليه فقال: **قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ** ولم يسأل المدعي البينة على ذلك ، ولم يقبل على المدعى عليه فيقول له: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة رسم الحكم لا ما ذهبتم إليه ! ألا تسمع الله عز وجل يقول: **يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ** (سورة ص: ٢٦).

فقال: يابن رسول الله فما قصته مع أوريا؟ فقال الرضا عليه السلام: إن المرأة في أيام داود عليه السلام كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوج بعده أبداً ، وأول من أباح الله له أن يتزوج بامرأة قتل بعلها كان داود عليه السلام فتزوج بامرأة أوريا لما قتل وانقضت عدتها منه ، فذلك الذي شق على الناس من قبل أوريا .

وأما محمد صلى الله عليه وآله وقول الله عز وجل: **وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ** (سورة الأحزاب:٣٧) فإن الله عز وجل عرف نبيه صلى الله عليه وآله أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في دار الآخرة وأنهن أمهات المؤمنين، وإحداهن من سمى له زينب بنت جحش، وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة، فأخفى إسمها في نفسه ولم يبده لكيلا يقول أحد من المنافقين إنه قال في امرأة في بيت رجل إنها إحدى أزواجه من

أمهات المؤمنين، وخشي قول المنافقين ، فقال الله عز وجل: **(وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)** ، يعني في نفسك. وإن الله عز وجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج حواء من آدم عليه السلام وزينب من رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: **فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً** (سورة الأحزاب:٣٧) ، وفاطمة من علي صلى الله عليهما.

قال: فبكى علي بن محمد بن الجهم وقال: يا بن رسول الله: أنا تائب الى الله عز وجل من أن أنطق في أنبياء الله عليهم السلام بعد يومي إلا بما ذكرته) . انتهى.

○ **وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام:١٥٩/٢:**

(باب في ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي متكلم خراسان عند المأمون في التوحيد: حدثنا أبو محمد جعفر بن علي بن أحمد الفقيه رضي الله عنه قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن علي بن صدقة القمي قال: حدثنا أبو عمرو محمد بن عمرو بن عبد العزيز الأنصاري الكجي قال: حدثني من سمع الحسن بن محمد النوفلي يقول: قدم سليمان المروزي متكلم خراسان على المأمون فأكرمه ووصله ، ثم قال له: ان ابن عمي علي بن موسى الرضا قدم عليَّ من الحجاز وهو يحب الكلام وأصحابه ، فلا عليك أن تصير إلينا يوم التروية لمناظرته.

فقال سليمان: يا أمير المؤمنين إني أكره أن أسأل مثله في مجلسك، في جماعة من بني هاشم ، فينتقض عند القوم إذا كلمني ، ولا يجوز الاستقصاء عليه . قال المأمون: إنما وجهت إليه لمعرفتي بقوتك ، وليس مرادي إلا إن تقطعه عن حجة واحدة فقط.

فقال سليمان: حسبك يا أمير المؤمنين ، إجمع بيني وبينه ، وخلني والذم ، فوجه المأمون الى الرضا عليه السلام فقال: إنه قدم الينا رجل من أهل مروز وهو واحد خراسان من أصحاب الكلام ، فإن خف عليك أن تتجشم المصير الينا فعلت .

فنهض عليه السلام للوضوء وقال لنا: تقدموني وعمران الصابي معنا ، فصرنا الى الباب فأخذ ياسر وخالد بيدي فأدخلاني على المأمون، فلما سلمت قال: أين أخي أبو الحسن أبقاه الله ؟ قلت: خلفته يلبس ثيابه وأمرنا أن نتقدم .ثم قلت: يا أمير المؤمنين إن عمران مولاك

معي وهو على الباب . فقال: ومن عمران ؟ قلت: الصابي الذي أسلم على يدك.

قال: فليدخل، فدخل فرحب به المأمون ثم قال له: يا عمران لم تمت حتى صرت من بني هاشم ! قال: الحمد لله الذي شرفني بكم يا أمير المؤمنين.

فقال له المأمون: يا عمران هذا سليمان المروزي متكلم خراسان.

قال عمران: يا أمير المؤمنين إنه يزعم واحد خراسان في النظر ، وينكر البداء ؟

قال: فلم لا تناظروه ؟ قال عمران: ذلك إليه.

فدخل الرضاعليه السلام فقال: في أي شئ كنتم ؟

قال عمران: يا بن رسول الله هذا سليمان المروزي.

فقال له سليمان: أترضى بأبي الحسن وبقوله فيه؟ فقال عمران: قد رضيت بقول أبي الحسن في البداء على أن يأتيني فيه بحجة أحتج بها على نظرائي من أهل النظر.

قال المأمون: يا أبا الحسن ما تقول فيما تشاجرا فيه ؟

قال عليه السلام: وما أنكرت من البداء يا سليمان، والله عز وجل يقول: **أَوَلا يَذْكُرُ الأَنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً** (سورة مريم:٦٧) ويقول عز وجل: **وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ** (سورة الروم: ٢٧) ويقول: **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** (سورة البقرة:١١٧) ويقول عز وجل: **يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ** (سورة فاطر: ١) ويقول: **وَبَدَأَ خَلْقَ الأَنْسَانِ مِنْ طِينٍ** (سورة السجدة:٧) ويقول: **ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمّىً عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ** (سورة الأنعام: ٢) ويقول عز وجل: **وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ** (سورة التوبة: ١٠٦) . ويقول عز وجل: **وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلا فِي كِتَابٍ** (سورة فاطر: ١١)

قال سليمان: هل رويت فيه من آبائك شيئاً؟ قال: نعم رويت عن أبي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إن لله عز وجل علمين علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إلا هو ، من ذلك يكون البداء ، وعلماً علمه ملائكته ورسله ، فالعلماء من أهل بيت نبيناصلى الله عليه وآله يعلمونه.

قال سليمان: أحب أن تنزعه لي من كتاب الله عز وجل قال: قول الله عز وجل لنبيهصلى الله عليه وآله: **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ** (سورة الذريات: ٥٤) أراد هلاكهم ثم بدا لله تعالى فقال: **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** (سورة الذريات: ٥٥)

قال سليمان: زدني جعلت فداك. قال الرضاعليه السلام: لقد أخبرني أبي عن آبائهعليهم السلامعن رسول اللهصلى الله عليه وآلهقال: إن الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبيائه أن أخبر فلاناً الملك أني متوفيه إلى كذا وكذا ، فأتاه ذلك النبي فأخبره فدعا إلى الملك وهو على سريره حتى سقط من السرير، وقال: يا رب أجلني حتى يشب طفلي وأقضي أمري، فأوحى الله عز وجل إلى ذلك النبي أن أئت فلاناً الملك فأعلمه أني قد أنسأت في أجله وزدت في عمره إلى خمس عشرة سنة. فقال ذلك النبيعليه السلام: يا رب إنك لتعلم أني لم أكذب قط. فأوحى الله عز وجل إليه: إنما أنت عبد مأمور فأبلغه ذلك . والله لا يسأل عما يفعل.

ثم التفت إلى سليمان فقال: أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب قال: أعوذ بالله من ذلك ، وما قالت اليهود ؟

قالعليه السلام: قالت اليهود: **يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ** (سورة المائدة:٦٤) يعنون أن الله تعالى قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئاً . فقال الله عز وجل: **غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا** ولقد سمعت قوماً سألوا أبي موسى بن جعفرعليه السلامعن البداء فقال: وما ينكر الناس من البداء وأن يقف الله قوماً يرجيهم لأمره ؟!

قال سليمان: ألا تخبرني عن **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** في أي شئ أنزلت؟

قالعليه السلام: يا سليمان ليله القدر يقدر الله عز وجل فيها ما يكون من السنة الى السنة من حياة أو موت أو خير أو شر أو رزق ، فما قدره في تلك الليلة فهو من المحتوم.

قال سليمان: الآن قد فهمت جعلت فداك ، فزدني.

قالعليه السلام: يا سليمان إن من الأمور أموراً موقوفة عند الله عز وجل ، يقدم منها ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ما يشاء . يا سليمان إن علياًعليه السلامكان يقول: العلم علمان ، فعلم علمه الله وملائكته ورسله فما علمه ملائكته ورسله فإنه يكون ولا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله . وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه ، يقدم منه ما يشاء. ويؤخر منه ما يشاء ، ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء.

قال سليمان للمأمون: ياأميرالمؤمنين لاأنكر بعد يومي هذا البداء، ولاأكذب به إن شاء الله.

فقال المأمون: يا سليمان سل أبا الحسن عما بدا لك، وعليك بحسن الإستماع والإنصاف

قال سليمان: يا سيدي أسألك ؟ قال الرضاعليه السلام:سل عما بدا لك.

قال: ما تقول فيمن جعل الإرادة إسماً وصفة مثل حي وسميع وبصير وقدير؟

قال الرضاعليه السلام: إنما قلتم حدثت الأشياء واختلفت لأنه شاء وأراد ، ولم تقولوا حدثت الأشياء واختلفت لأنه سميع بصير، فهذا دليل على أنهما ليستا مثل سميع ، ولا بصير ، ولا قدير . قال: سليمان فإنه لم يزل مريداً ؟

قالعليه السلام: يا سليمان فإرادته غيره ؟ قال: نعم . قال: فقد أثبت معه شيئاً غيره لم يزل؟! قال سليمان: ما أثبت ! قال الرضاعليه السلام: أهي محدثة ؟ قال سليمان: لا لا ما هي محدثة !

فصاح به المأمون وقال يا سليمان: مثله يعايا أو يكابر؟! عليك بالإنصاف ، أما ترى من حولك من أهل النظر ؟!

ثم قال: كلمه يا أبا الحسن فإنه متكلم خراسان ، فأعاد عليه المسألة فقال: هي محدثة يا سليمان فإن الشئ إذا لم يكن أزلياً كان محدثاً ، وإذا لم يكن محدثاً كان أزلياً.

قال سليمان: إرادته منه ، كما أن سمعه وبصره وعلمه منه . قال الرضاعليه السلام: فأراد نفسه ؟ قال: لا . قالعليه السلام: فليس المريد مثل السميع والبصير . قال سليمان: إنما أراد نفسه كما سمع نفسه وأبصر نفسه وعلم نفسه . قال الرضاعليه السلام: ما معنى أراد نفسه؟ أراد أن يكون شيئاً وأراد أن يكون حياً أو سميعاً بصيراً أو قديراً ؟ قال: نعم . قال الرضاعليه السلام: أفبإرادته كان ذلك؟ قال سليمان: نعم .قال الرضاعليه السلام: فليس لقولك أراد أن يكون حياً سميعاً بصيراً معنى إذا لم يكن ذلك بإرادته؟ قال سليمان: بلى ، قد كان ذلك بإرادته.

فضحك المأمون ومن حوله .وضحك الرضاعليه السلامثم قال لهم: إرفقوا بمتكلم خراسان. يا سليمان، فقد حال عندكم عن حاله وتغير عنها،وهذا ما لا يوصف الله عز وجل به . فانقطع!!

ثم قال الرضاعليه السلام: يا سليمان أسألك عن مسألة. قال: سل جعلت فداك.

قال: أخبرني عنك وعن أصحابك تكلمون الناس بما تفقهون وتعرفون؟ أو بما لا تفقهون ولا تعرفون؟ قال: بل بما نفقه ونعلم .قال الرضاعليه السلام: فالذي يعلم الناس أن المريد غير الإرادة ، وأن المريد قبل الإرادة ، وأن الفاعل قبل المفعول ، وهذا يبطل

قولكم: إن الإرادة والمريد شئ واحد . قال: جعلت فداك ليس ذلك منه على ما يعرف الناس ولا على ما يفقهون. قال الرضا: فأراكم ادعيتم علم ذلك بلا معرفه وقلتم: الإرادة كالسمع والبصر إذا كان ذلك عندكم على ما لا يعرف ولا يعقل ! فلم يحر جواباً ! ثم قال الرضا: يا سليمان هل يعلم الله جميع ما في الجنة والنار؟ قال سليمان: نعم.

قال: أفيكون ما علم الله تعالى أنه يكون من ذلك ؟ قال: نعم.

قال: فإذا كان حتى لا يبقى منه شئ إلا كان ، أيزيدهم أو يطويه عنهم ؟

قال سليمان: بل يزيدهم.

قال: فأراه في قولك قد زادهم ما لم يكن في علمه أنه يكون.

قال: جعلت فداك فالمريد لا غاية له .قال: فليس يحيط علمه عندكم بما يكون فيهما إذا لم يعرف غاية ذلك، وإذا لم يحط علمه بما يكون فيهما لم يعلم ما يكون فيهما قبل أن يكون! تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً.

قال سليمان: إنما قلت لا يعلمه لأنه لا غاية لهذا ، لأن الله عز وجل وصفهما بالخلود ، وكرهنا أن نجعل لهما انقطاعاً.

قال الرضا: ليس علمه بذلك بموجب لانقطاعه عنهم ، لأنه قد يعلم ذلك ثم يزيدهم ثم لا يقطعه عنهم ، وكذلك قال الله عز وجل في كتابه: **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ** (سورة النساء: ٥٦) وقال لأهل الجنة: **عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ** (سورة هود: ١٠٨) وقال عز وجل: **وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ. لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ** (سورة الواقعة:٣٢-٣٣) فهو عز وجل يعلم ذلك ولا يقطع عنهم الزيادة !

أرأيت ما أكل أهل الجنة وما شربوا ليس يخلف مكانه ؟

قال: بلى. قال: أفيكون يقطع ذلك عنهم وقد أخلف مكانه؟ قال سليمان: لا.

قال: فكذلك كلما يكون فيها إذا ألف مكانه فليس بمقطوع عنهم.

قال سليمان: بلى يقطعه عنهم ولا يزيدهم.

قال الرضا: إذاً يبيد فيها وهذا يا سليمان إبطال الخلود وخلاف الكتاب ، لأن الله عز وجل يقول: **لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** (سورة ق: ٣٥)

ويقول عز وجل: **عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ** ويقول عز وجل: **وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ** (سورة الحجر:٤٨) ويقول عز وجل: **(خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً)** (سورة النساء:٥٧) ويقول عز وجل: **وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ. لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ** (سورة الواقعة:٣٢-٣٣) فلم يحر جوابا !

ثم قال الرضا عليه السلام: يا سليمان، ألا تخبرني عن الإرادة فعل هي أم غير فعل؟ قال: بلى هي فعل. قال عليه السلام: فهي محدثة لأن الفعل كله محدث . قال: ليست بفعل. قال: فمعه غيره لم يزل ؟ قال سليمان: الإرادة هي الإنشاء . قال: يا سليمان هذا الذي عبتموه على ضرار وأصحابه من قولهم: إن كل ما خلق الله عز وجل في سماء أو أرض أو بحر أو بر ، من كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو دابة ، إرادة الله ، وإن إرادة الله تحيا وتموت وتذهب وتأكل وتشرب وتنكح وتلذ وتظلم وتفعل الفواحش وتكفر وتشرك فيبرأ منها ويعاديها ، وهذا حدها . قال سليمان: إنها كالسمع والبصر والعلم.

قال الرضا عليه السلام: قد رجعت الى هذا ثانية فأخبرني عن السمع والبصر والعلم أمصنوع؟ قال سليمان: لا . قال الرضا عليه السلام: فكيف نفيتموه؟ قلتم لم يرد ، ومرةً قلتم أراد ؟! وليست بمفعول له . قال سليمان: إنما ذلك كقولنا مرة علم ومرة لم يعلم.

قال الرضا عليه السلام: ليس ذلك سواء ، لأن نفي المعلوم ليس بنفي العلم ، ونفي المراد نفي الإرادة أن تكون ، لأن الشئ إذا لم يرد لم تكن إراده فقد يكون العلم ثابتاً وإن لم يكن المعلوم بمنزلة البصر ، فقد يكون الإنسان بصيراً وإن لم يكن المبصر، ويكون العلم ثابتاً وإن يكن المعلوم . قال سليمان: إنها مصنوعة.

قال عليه السلام: فهي محدثة ليست كالسمع والبصر لأن السمع والبصر ليسا بمصنوعين وهذه مصنوعة. قال سليمان: إنها صفة من صفاته لم تزل.

قال عليه السلام: فينبغي أن يكون الإنسان لم يزل ، لأن صفته لم تزل ؟!

قال سليمان: لا ، لأنه لم يفعلها . قال الرضا عليه السلام: يا خراساني ما أكثر غلطك! أفليس بإرادته وقوله تكون الأشياء ؟ قال سليمان: لا . قال: فإذا لم تكن بإرادته ولا مشيئته ولا أمره ولا بالمباشرة ، فكيف يكون ذلك ؟ تعالى الله عن ذلك !

فلم يحر جواباً.

ثم قال الرضا عليه السلام: ألا تخبرني عن قول الله عز وجل: **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا**

مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا (سورة الإسراء:١٦) يعني بذلك أنه يحدث إرادة ؟ قال له: نعم.

قال عليه السلام: فإذا حدث إرادة كان قولك إن الارادة هي هو أو شئ منه باطلاً ، لأنه لايكون أن يحدث نفسه ولا يتغير عن حاله ، تعالى الله عن ذلك.

قال سليمان: إنه لم يكن عنى بذلك أنه يحدث إرادة . قال: فما عنى به ؟ قال: عنى فعل الشئ . قال الرضا عليه السلام: ويلك كم تردد في هذه المسالة؟ وقد أخبرتك أن الإرادة محدثة لأن فعل الشئ محدث ؟! قال: فليس لها معنى.

قال الرضا عليه السلام: قد وصف نفسه عندكم حتى وصفها بالإرادة بما لا معنى له ، فإذا لم يكن لها معنى قديم ولا حديث بطل قولكم إن الله عز وجل لم يزل مريداً .

قال سليمان: إنما عنيت أنها فعل من الله تعالى لم يزل.

قال عليه السلام: ألم تعلم أن ما لم يزل لا يكون مفعولاً وقديماً وحديثاً في حالة واحدة؟

فلم يحر جواباً !

قال الرضا عليه السلام: لا بأس أتمم مسألتك . قال سليمان: قلت إن الإرادة صفة من صفاته.

قال: كم تردد أنها صفه من صفاته فصفته محدثة أو لم تزل؟ قال سليمان: محدثة.

قال الرضا عليه السلام: الله أكبر ! فالإراده محدثة وإن كانت صفة من صفاته ، لم تزل ؟!

فلم يردَّ شيئاً !!

قال الرضا عليه السلام: إن ما لم يزل لا يكون مفعولاً.

قال سليمان: ليس الأشياء إرادة ، ولم يرد شيئاً.

قال الرضا عليه السلام: وسوست يا سليمان ، فقد فعل وخلق ما لم يزل خلقه وفعله ، وهذه صفة من لا يدري ما فعل ! تعالى الله عن ذلك !

قال سليمان: يا سيدي فقد أخبرتك أنها كالسمع والبصر والعلم.

قال المأمون: ويلك يا سليمان ! كم هذا الغلط والترداد إقطع وخذ في غيره ، إذ لست تقوى على غير هذا الرد.

قال الرضا عليه السلام: دعه يا أمير المؤمنين لاتقطع عليه مسألته فيجعلها حجة، تكلم يا سليمان. قال: قد أخبرتك أنها كالسمع والبصر والعلم.

قال الرضا عليه السلام: لا بأس ، أخبرني عن معنى هذه ، أمعنى واحد أم معان مختلفة ؟

قال سليمان: معنى واحد . قال الرضا عليه السلام: فمعنى الإرادات كلها معنى واحد؟

قال سليمان: نعم . قال الرضا عليه السلام: فإن كان معناها معنى واحداً كانت إراده القيام إرادة القعود وإراده الحياة إرادة الموت ، إذا كانت إرادته واحدة لم تتقدم بعضها بعضاً ولم يخالف بعضها بعضاً ، وكانت شيئاً واحداً ؟! قال سليمان: إن معناها مختلف.

قال عليه السلام: فأخبرني عن المريد أهو الإرادة أو غيرها ؟ قال سليمان: بل هو الإرادة.

قال الرضا عليه السلام: فالمريد عندكم مختلف إذا كان هو الإرادة ؟! قال: يا سيدي ليس الإرادة المريد . قال عليه السلام: فالإرادة محدثة وإلا فمعه غيره ؟ إفهم وزد في مسألتك .

قال سليمان: فإنها إسم من أسمائه . قال الرضا عليه السلام: هل سمى نفسه بذلك ؟

قال سليمان: لا لم يسم به نفسه بذلك.

قال الرضا عليه السلام: فليس لك أن تسميه بما لم يسم به نفسه.

قال: قد وصف نفسه بأنه مريد .

قال الرضا عليه السلام: ليس صفته نفسه ، إنه مريد إخبار عن أنه أراد ، ولا إخبار عن أن الإرادة اسم من أسمائه. قال سليمان: لأن إرادته علمه.

قال الرضا عليه السلام: يا جاهل ! فإذا علم الشئ فقد أراده ؟! قال سليمان: أجل .

فقال: فإذا لم يرده لم يعلمه؟! قال سليمان: أجل . قال: من أين قلت ذاك؟ وما الدليل على أن إرادته علمه؟ وقد يعلم ما لايريده أبداً ، وذلك قوله عز وجل: **وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** (سورة الاسراء:٨٦) ، فهو يعلم كيف يذهب به وهو لا يذهب به أبداً !

قال سليمان: لأنه قد فرغ من الأمر ، فليس يزيد فيه شيئاً . قال الرضا عليه السلام:هذا قول اليهود فكيف قال تعالى: **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**؟ قال سليمان: إنما عنى بذلك أنه قادر عليه. قال: أفيعد ما لايفي به ؟! فكيف قال: **يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ** (سورة فاطر:١) وقال عز وجل: **يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ** (سورة الرعد:٣٩) وقد فرغ من الأمر؟!

فلم يحر جواباً !

قال الرضا عليه السلام: يا سليمان هل يعلم أن إنساناً يكون ولا يريد أن يخلق إنسانا أبداً وأن

إنساناً يموت اليوم ولا يريد أن يموت اليوم ؟ قال سليمان: نعم.

قال الرضا عليه السلام:فيعلم أنه يكون ما يريد أن يكون ، أو يعلم أنه يكون ما لايريد أن يكون؟

قال: يعلم أنهما يكونان جميعاً.

قال الرضا عليه السلام: إذاً يعلم أن إنساناً حي ميت قائم قاعد عمي بصير ، في حالة واحدة ، وهذا هو المحال ! قال: جعلت فداك فإنه يعلم أنه يكون أحدهما دون الآخر.

قال: لا بأس فأيهما يكون ؟ الذي أراد أن يكون أو الذي لم يرد أن يكون ؟

قال سليمان: الذي أراد أن يكون .

فضحك الرضا عليه السلام والمأمون وأصحاب المقالات.

قال الرضا عليه السلام: غلطت وتركت قولك: إنه يعلم أن إنساناً يموت اليوم وهو لا يريد أن يموت اليوم ، وإنه يخلق خلقاً وإنه لا يريد أن يخلقهم ! وإذا لم يجز العلم عندكم بما لم يرد أن يكون ، فإنما يعلم أن يكون ما أراد أن يكون.

قال سليمان: فإنما قولي إن الإرادة ليست هو ولا غيره.

قال الرضا عليه السلام: يا جاهل! إذا قلت ليست هو فقد جعلتها غيره ، وإذا قلت ليست هي غيره فقد جعلتها هو ! قال سليمان: فهو يعلم كيف يصنع الشئ؟ قال عليه السلام: نعم. قال سليمان: فإن ذلك إثبات للشئ . قال الرضا عليه السلام: أحلت ، لأن الرجل قد يحسن البناء وإن لم يبن ، ويحسن الخياطة وإن لم يخط ويحسن صنعة الشئ وان لم يصنعه أبداً.

ثم قال عليه السلام له: يا سليمان هل تعلم أنه واحد لا شئ معه ؟ قال: نعم.

قال الرضا عليه السلام فيكون ذلك إثباتا للشئ . قال سليمان: ليس يعلم أنه واحد لا شئ معه.

قال الرضا عليه السلام: أفتعلم أنت ذاك؟! قال: نعم.

قال: فأنت يا سليمان إذاً أعلم منه !! قال سليمان: المسألة محال.

قال: محال عندك أنه واحد لا شئ معه، وأنه سميع بصير حكيم قادر. قال: نعم . قال: فكيف أخبر عز وجل أنه واحد حي سميع بصير حكيم قادر عليم خبير وهو لا يعلم ذلك ؟! وهذا رد ما قاله وتكذيبه ، تعالى الله عن ذلك.

ثم قال له الرضا عليه السلام: فكيف يريد صنع ما لا يدري صنعه ولا ما هو ؟ وإذا كان الصانع

لا يدري كيف يصنع الشئ قبل أن يصنعه، فإنما هو متحير تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . قال سليمان: فإن الإرادة القدرة.

قال الرضا عليه السلام: وهو عز وجل يقدر على ما لا يريده أبداً ، ولا بد من ذلك لأنه قال تبارك وتعالى: **وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** (سورة الاسراء: ٨٦) فلوكانت الإرادة هي القدرة كان قد أراد أن يذهب به لقدرته.

فانقطع سليمان !!

فقال المأمون عند ذلك: يا سليمان هذا أعلم هاشمي. ثم تفرق القوم .

قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه: كان المأمون يجلب على الرضا عليه السلام من متكلمي الفرق والأهواء المضلة كل من سمع به حرصاً على انقطاع الرضا عليه السلام عن الحجة مع واحد منهم، وذلك حسداً منه له ولمنزلته من العلم، فكان لايكلمه أحد إلا أقر له بالفضل والتزم الحجة له عليه ، لأن الله تعالى ذكره يأبى إلا أن يعلي كلمته ويتم نوره وينصر حجته ، وهكذا وعد تبارك وتعالى في كتابه فقال: **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** (سورة غافر:٥١) يعني بالذين آمنوا الأئمة الهداة وأتباعهم العارفين بهم والآخذين عنهم بنصرهم بالحجة على مخالفيهم ماداموا في الدنيا ، وكذلك يفعل بهم في الآخرة ، وإن الله عز وجل لا يخلف الميعاد). انتهى.

○ ○

○ وقد ألف عدد من العلماء شروحاً لحديث الإمام الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي، وكذلك حديثه مع عمران الصابي. وقد أوردها صاحب الذريعة الى تصانيف الشيعة رحمه الله، كما في ج١ص٨٨ قال رحمه الله: (إثبات حدوث الإرادة وإبطال أزليتها) وأنها من صفات الفعل لا من صفات الذات، للمولى خليل بن محمد زمان القزويني ، فرغ منه في سنة ١١٤٨ ، أثبت فيه مدعاه بالبراهين العقلية ، وشرح فيه حديث عمران الصابي ، وحديث سليمان المروزي. وفيه تحقيقات لا توجد في غيره، وهو كتاب مبسوط رأيت نسخته عند الفاضل السيد محمد ناصر الحسيني الطهراني بطهران. أوله: رب هب لي سمعاً يسمع آياتك..).

○ ○

○ والظاهر أن سليمان المروزي الذي ناظره الإمام الرضا عليه السلام غير سليمان بن حفص المروزي الشيعي الموثق ، الذي يروي عنه ابن قولويه رحمه الله في كامل الزيارات كما في ص٣٨٠، والكليني رحمه الله في الكافي كما في:٣٢٦/٣ و:٢٨٣/٣ ، والصدوق رحمه الله في العيون كما في: ٢٩٠/١، والفقيه كما في:٣١٠/٣ ، وقال في طريقه إليه:٤٥٨/٤: وماكان فيه عن سليمان بن حفص المروزي فقد رويته عن أبي رضي الله عنه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن سليمان بن حفص المروزي) . انتهى.

وقد جعله السيد الخوئي رحمه الله نفس سليمان ابن حفص، قال في معجم رجال الحديث: ٢٥٤/٩: (٥٤٣٨ - سليمان بن حفص= سليمان المروزي. المروزي... ونقل كلام الصدوق عن سليمان بن حفص الشيعي، قال:(لقي سليمان بن حفص موسى بن جعفروالرضا عليهما السلام جميعاً ولا أدري هذا الخبر عن أيهما هو؟!) . انتهى .

وهو أيضاً غير سليمان بن جعفر المروزي، وسليمان بن داوود المروزي، وهما شيعيان من أصحاب الكاظم والرضا والهادي عليهم السلام.

وقد رجح النمازي رحمه الله في مستدركاته:١٤٦/٤، أن يكون سليمان المروزي هذا هو الذي روى عنه البخاري والنسائي ، وهو ترجيح قوي ، فقد قال ابن ماكولا الكلبايكاني في إكمال الكمال:٤٥٨/٤: (سلمويه: جماعة أشهرهم أبوصالح سليمان بن صالح المروزي صاحب ابن المبارك ، وسليمان بن صدقة التميمي ، وسلمة بن نجم البخاري النحوي) .انتهى.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء:٤٣٣/٩: (١٦١- سلمويه (خ، س) الحافظ المعمر، أبو صالح ، سليمان بن صالح الليثي ، مولاهم المروزي ، صاحب ابن المبارك. عنه: ابن راهويه ، وأحمد بن شبويه وعدة . يقال: عاش مئة سنة). انتهى.

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب:١٧٤/٤: إن عمره جاوز المئة وتوفي قبل سنة ٢١٠ . انتهى . ومواصفاته تقبل الإنطباق على صاحب المناظرة.

○ ○

○ **أما عمران الصابي**، فلم أجد له إلا ترجمات مقتضبة لم تذكر اسم أبيه . وقد عرف

بلقب (الصابي) جماعة ، أقدم من وجدت منهم حنين بن إسحاق العبادي الصابي الطبيب المشهور ، توفي سنة ٢٦٠ ، ويحتمل أن تكون له علاقة بعمران الصابي.

ومنهم ثابت بن قرة الصابي الفلكي توفي سنة ٢٨٨ ، وكان مقرباً عند الخليفة المعتضد ، ونقل كتباً عن اليونانية ، وألف في إثبات عقيدة الصابئة بحياة الأفلاك ، ورد عليه متكلم الشيعة في وقته الحسن بن موسى النوبختي وألف كتباً في رد الفلاسفة ، منها كتاب الرد على ثابت بن قرة. (رجال النجاشي ص٦٣) . ومنهم أبو إسحاق الصابي ابراهيم بن هلال الأديب، الذي رثاه الشريف الرضي رحمه الله، وقد توفي هذا الصابي سنة ٢٨٣ .

٥ ٥

(٥) وردت هذه الكرامة للإمام الكاظم عليه السلام مع الرشيد، وللإمام الهادي عليه السلام مع المتوكل أيضاً . ويلاحظ الباحث أن الحجة على الخلفاء العباسيين تامة كاملة ، فهم من السفاح والمنصور الى المتوكل والمعتز، كانوا يعرفون مقام الأئمة عليهم السلام معرفة جيدة، وأنهم محدثون من ربهم، وأن عندهم علم جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله! لكنهم بسبب خوفهم الوهمي على ملكهم ، قاموا باضطهادهم وسجنهم وقتلهم، حتى قال الشاعر:

والله ما فعلت أميةُ فيهمُ معشارَ ما فعلتْ بنو العباس !

٥ **ففي عيون أخبار الرضا** عليه السلام**:٢/٩٠:** (حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار وسعد بن عبد الله جميعاً ، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن يقطين، عن أخيه الحسين، عن أبيه علي بن يقطين قال: استدعى الرشيد رجلاً يبطل به أمر أبي الحسن موسى بن جعفر صلى الله عليه وآله ويقطعه ويخجله في المسجد ، فانتُدب رجلٌ معزِّم فلما أحضرت المائدة عمل ناموساً على الخبز فكان كلما رام أبو الحسن عليه السلام تناول رغيف من الخبز طار من بين يديه! واستفز من هارون الفرح والضحك لذلك ! فلم يلبث أبو الحسن عليه السلام أن رفع رأسه الى أسد مصور على بعض الستور فقال له: يا أسد خذ عدو الله ! قال: فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع فافترست ذلك المعزم! فخرَّ هارون وندماؤه على وجوههم مغشياً عليهم، فطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوه! فلما أفاقوا من ذلك قال هارون لأبي الحسن عليه السلام:

سألتك بحقي عليك لما سألت الصورة أن ترد الرجل . فقال: إن كانت عصا موسى ردت ما ابتلعته من حبال القوم وعصيهم فإن هذه الصورة ترد ما ابتلعته من هذا الرجل ! فكان ذلك أعمل الآشياء في آفاته نفسه). انتهى.

○ **وفي الخرائج والجرائح:١/٤٠٠:** (ومنها ما روى أبو القاسم بن أبي القاسم البغدادي عن زرافة صاحب المتوكل أنه قال: وقع رجل مشعبذ من ناحية الهند إلى المتوكل يلعب لعب الحقة، ولم ير مثله ، وكان المتوكل لعاباً ، فأراد أن يُخجل علي بن محمد بن الرضا فقال لذلك الرجل: إن أنت أخجلته أعطيتك ألف دينار زكية . قال: تقدم بأن يخبز رقاق خفاف واجعلها على المائدة، وأقعدني إلى جنبه. ففعل وأحضر علي بن محمد عليه السلام للطعام وجعلت له مسورة عن يساره كان عليها صورة أسد وجلس اللاعب الى جانب المسورة ، فمد علي بن محمد يده إلى رقاقة فطيرها ذلك الرجل في الهواء ، ومد يده إلى أخرى فطيرها ، فتضاحك الجميع . فضرب علي بن محمد عليه السلام يده إلى تلك الصورة التي في المسورة، وقال: خذه! فوثبت تلك الصورة من المسورة فابتلعت الرجل ، وعادت في المسورة كما كانت! فتحير الجميع ونهض علي بن محمد عليه السلام فقال له المتوكل:سألتك إلا جلست ورددته. فقال: والله لايرى بعدها ، أتسلط أعداء الله على أولياء الله ؟! وخرج من عنده ، فلم ير الرجل بعد) !

○ **ورواه ابن شهر آشوب في المناقب: ٤١٧/٣**، وقال بعده: قال السوسي:

من صاحب الرشيد والإيوانِ	والسبع والساحر والرغفانِ
إذ طيَّر الخبز على الخوان	وخلف هارون وسادتانِ
وفيهمـــا للسبـــع تمثـالان	فقال قول الحنق الحردانِ
ياسبع خذ ذا الكفر والطغيان	زمجر السبع على المكانِ
وافترس الساحر ذا البهتان	وافتقد السبع عن العيانِ
معجزة للعالـــم الربانـــي	الصادق اللهجة واللسانِ

○ ○

الإمام الرضا عليه السلام سراج الله في خلقه

(بتاريخ ١٠ ذي القعدة ١٤٢١ - ٢٠٠١/٢/٤ - ١٣٧٩/١١/١٦)

بســـم الله الرحمن الرحيم

الوقت ضيق، لكن لابد من التعرض ولو باختصار للمسائل المرتبطة بالأئمة عليهم السلام، فنحن مقصرون وقاصرون في نفس الوقت في معرفة كل واحد من الأئمة عليهم السلام، وفي معرفة مسألة الإمامة عموماً. وعذر القصور مقبول، لكن عذر التقصير غير مقبول. فعلينا في هاتين المسألتين واجب تجاه أنفسنا، وواجب تجاه الناس. وبحث الإمامة بمعناها العام، أو بمعناها الخاص، لا يمكن استيفاؤه في مثل هذا المجلس.

إن واجب شكر المنعم قضية فكرية وفطرية، فلايشك أحد في حسن شكر المنعم ووجوبه، وكذا في قبح كفر المنعم وتحريمه!

والمنعم علينا بالعقل والكتاب والسنة هو الله تعالى، ثم الذي هو حرف الربط بيننا وبينه تعالى، وهو النبي صلى الله عليه وآله، ثم الإمام عليه السلام.

فالله تعالى هو مبدأ النعم كلها، والنبي والأئمة عليهم السلام هم واسطة هذه النعم.

ما هي الإمامة، ومن هو الإمام؟

إنها بحر المعرفة الذي لا قعر له، فالإمامة التي نبحث عنها ليست إمامة

جماعة ، بل هي إمامة العالم وإمامة البشرية ! فلابد أن نفهم ما هو العالم وما هي الإنسانية ، حتى نفهم إمامة الناس في هذا العالم . وكل البحوث في هذا الموضوع- وجزى الله كتابها خيراً وشكر سعيهم - إنما هي على قدر مؤلفيها وكتابها ، وليست على قدر الموضوع ، حتى تكون إجابة وافية على سؤال: ما هي الإمامة ، ومن هو الإمام؟ إن الأفق بينهما بعيد.

على أي حال إن المولود في مثل يوم الغد صلوات الله عليه ، واحد من أئمة العالم العظماء عليهم السلام الذين يتحير فيهم العقل ، ليس تحيراً بمقياس الخطابة بل بمقياس الدليل والبرهان !

للإمام الرضا عليه السلام خمسة عشر لقباً ، ذكر بعضها صاحب البحار رحمه الله ، ولم يذكر البعض الآخر ، وأول لقب ذكره لقب: **سراج الله.** (١)

سراج الله..كلمة تكفي للفقيه المتعمق في فقه الدين ، والحكيم المتعمق في الحكمة ، أن يفكر ماهي الخصائص التي تميز بها الإمام الرضا عليه السلام حتى صار لقبه: **سراج الله في خلقه !**

إن للسراج صفتين: النور والحرارة ، وقد وصف الله تعالى الشمس بأنها سراج ، في قوله: **تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً** (سورة الفرقان: ٦١) كما وصف النبي صلى الله عليه وآله بأنه سراج فقال تعالى: **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً. وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً** . (سورة الأحزاب: ٤٥-٤٦) .

فكما أن منظومة الكون المادي لها سراج هي الشمس تعطيها الضوء والحرارة ، فكذلك المنظومة الإنسانية لها سراج أيضاً !

إني أتحسر لأننا حتى الآن لم نصل الى دقائق القرآن ولطائفه العظيمة ، وأن عمرنا مضى ولم نفهم شيئاً يذكر ! فكم هو عميق هذا الإرتباط بين سراجي

منظومتي الكون والإنسان ، وكم بيَّنَ الله تعالى لنا بذلك من صفات سيد المرسلين عليه السلام ؟! الشمس تعطي الضوء والحرارة ، فتأخذ منها الطبيعة غذاءها ونموها حسب استعدادها، وروح النبي صلى الله عليه وآله تشرق على معادن الناس بالنور وحرارة الحياة، فتأخذ منها نموها وتكاملها حسب استعدادها ! والناس أيضاً معادن كمعادن الذهب والفضة والحديد..الخ.

وهذه الشمس النبوية لم تغب بعد رحيله صلى الله عليه وآله بل تواصلت وتواصل إشراقها وإن حجبتها الغيوم ! والإمام الرضا عليه السلام هو امتداد شمس النبوة في الأرض ، وهو شمس له من بينهم خصوصيته التي أعطاه الله إياها !

والنقطة المهمة هنا إضافة السراج الى اسم(**الله**) تعالى من بين أسمائه الحسنى ، فالإمام الرضا سراج مادي ومعنوي منسوب الى الله تعالى ! وهذا اللقب تعبير كاف لنفهم منه أن مكانة الإمام الرضا عليه السلام في أي أفق ؟!

لقد قرأنا أن الإضافة تكون مغلبة أو مغيرة ، وأن الشئ ما لم يضف يبقى في حد نفسه وعنوانه لا يتجاوزه ، أما إذا أضيف فتصير له حيثيتان واحدة ذات المضاف ، والثانية ما اكتسبه بالإضافة .

ثم يصل الأمر الى المضاف اليه ما هو ؟ ومن هو ؟

والمسألة هنا أن الإمام الرضا عليه السلام بذاته سراج ، يعني أن معدن روحه المقدسة ونفسه القديسة ، منبع للنور والحرارة، فأي نفس مقدسة هذه التي (**يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَو لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**)؟ أما عندما تضاف الى(**الله**) تعالى وتتصل بمنبع (**كُنْ فَيَكُونُ**) فإن صفتها تكون: (**نُورٌ عَلَى نُور يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ**) ، فالإضافة تعطيها نسبةً الى المضاف إليه ، وحيثيةً وجود آخر .

سراج الله.. وطرف الإضافة هنا اسم **الله** ، وليس اسم العليم أو الرحمن أو الوهاب مثلاً ! وخصوصية اسم (**الله**) أنه يجمع الألف اسم من أسماء الله

الحسنى ، وبذلك يكتسب السراج من أشعة الأسماء الألف ! من أشعة العليم والرحمن والرحيم .. الخ. إنه أمر يتحير العقل في تفهمه واستيعابه !

٥ ٥

تُعرف قيمة الكلام من نفس الكلام، وتعرف أيضاً من شخصية قائله، فكيف إذا كانت درجة الكلام بعد كلام الله تعالى وقائله رسول الله صلى الله عليه وآله؟

وهذا الكلام الذي سأذكره قاله رسول الله صلى الله عليه وآله لولده الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام في وصف ولده الإمام علي الرضا عليه السلام..واستيعابه يحتاج الى تفكير طويل ، لكنا نامل في هذه الدقائق أن نفهم منه شيئاً !

قال الإمام الكاظم عليه السلام: (ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وأمير المؤمنين عليه السلام معه ، ومعه خاتمٌ وسيفٌ وعصاً وكتابٌ وعمامة ، فقلت له: ماهذا؟ فقال: أما العمامة فسلطان الله تعالى عز وجل، وأما السيف فعزة الله عز وجل، وأما الكتاب فنور الله عز وجل ، وأما العصا فقوة الله عز وجل ، وأما الخاتم فجامع هذه الأمور . ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله والأمر يخرج الى علي ابنك.... ثم قال أبو الحسن عليه السلام: ثم وصفه لي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: **عليٌّ ابنُك، الذي ينظر بنور الله، ويسمع بتفهيمه، وينطق بحكمته، يصيب ولا يخطئ، ويعلم ولا يجهل، وقد ملئ حكماً وعلماً، وما أقل مقامك معه، إنما هو شئ كأن لم يكن، فإذا رجعت من سفرك فأصلح أمرك، وافرغ مما أردت فإنك منتقل عنه، ومجاور غيره، فاجمع ولدك وأشهد الله عليهم جميعاً، وكفى بالله شهيداً). (٢)**

عليٌّ ابنُك،الذي ينظر بنور الله... إن كل واحدة من هذا الكلمات في صفات الإمام الرضا عليه السلام تحير العقول ! فدققوا فيها وافهموا منها لقب: **سراج الله !**

وأعلى هذه الصفات قوله صلى الله عليه وآله: **يصيب ولا يخطئ، ويعلم ولايجهل**.. فلم يكتف صلى الله عليه وآله بالإثبات حتى ضم اليه النفي، وختمه بصفة بليغة: **وقد ملئ حكماً**

وعلماً ! فهذه الجملة يصعب إدراكها ، لأن من يعرف واقع تكوين الإنسان وأنه (**بناءٌ**) مهما استوعب من العلم لا يمتلئ ، ومهما استوعب من الحكمة والكمالات العملية لا يمتلئ ! وأن الإنسان منهومُ علمٍ لا يشبع ، وطالبُ كمالٍ لا يقنع ، حسب ما يفهمه لنفسه من الكمال !

أما الإنسان الذي يمتلئ علماً فلا من مزيد ، ويمتلئ كمالاً وحكمة فلا من مزيد ، **فهو سراج الله في خلقه ، وهو علي بن موسى الرضا عليه السلام!**

فكيف نتصور أننا قد فهمنا الإمام الرضا عليه السلام ؟!!

○ ○

كيف ندعي أنا عرفنا الإمام الرضا عليه السلام الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله لمن ذكر اسمه: **قل: صلى الله عليه ، قل صلى الله عليه ، قل صلى الله عليه ؟!**

كيف عرفنا أي تربة دفن فيها ، ومن الذي ثوى فيها ، وأي روضة من رياض الجنة في ذلك البستان النبوي العظيم؟!!

قال الصدوق قدس سره في عيون أخبار الرضا عليه السلام:١/٣١٣: (حدثنا أبو علي محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى المعاذي النيسابوري قال: حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن علي البصري المعدل قال: رأى رجل من الصالحين فيما يرى النائم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله من أزور من أولادك؟ فقال صلى الله عليه وآله: **إن من أولادي من أتاني مسموماً، وإن من أولادي من أتاني مقتولاً** ! قال فقلت له: فمن أزور منهم يا رسول الله ، مع تشتت مشاهدهم ، أو قال أماكنهم؟ قال صلى الله عليه وآله: **من هو أقرب منك ، يعني بالمجاورة وهو مدفون بأرض الغربة** . قال: فقلت يا رسول الله تعني الرضا؟ فقال صلى الله عليه وآله:

قل صلى الله عليه ، قل صلى الله عليه ، ثلاثاً) . انتهى

صلى اللّه عليه عدد ما في علم الله ، صلاةً دائمةً بقوام ملك الله.

○ ○

هوامش

(١) في دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري الشيعي ص٣٥٩: (ويكنى أبا الحسن ، والخاص أبا محمد. ولقبه الرضا ، والصابر، والوفي، ونور الهدى ، وسراج الله ، والفاضل ، وقرة عين المؤمنين ، ومكيد الملحدين).

○ **وفي البحار: ١٠/٤٩ عن مناقب ابن شهر آشوب:** وألقابه: سراج الله ، ونور الهدى ، وقرة عين المؤمنين ، ومكيدة الملحدين، كفؤ الملك، وكافي الخلق، ورب السرير، ورب التدبير، والفاضل، والصابر، والوفي، والصديق، والرضي) .

○ وقد وردت صفة(**سراج الله**) للأئمة عليهم السلام في أبيات قالها الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ففي مناقب ابن شهر آشوب:٢٣٤/٣: ثم استوى على فرسه وقال:

أنا ابن عليٍّ الخيرِ من آل هاشمٍ ... كفاني بهذا مفخراً حين أفخرُ
وجدي رسولُ الله أكرمُ خلقه ... ونحن سراج الله في الأرض يزهرُ
وفاطمُ أمي من سلالة أحمد ... وعميَ يدعى ذا الجناحين جعفرُ
وفينا كتاب الله أنزل صادقاً ... وفينا الهدى والوحي بالخير يذكرُ
ونحن أمان الله للخلق كلهم ... نسِرُّ بهذا في الأنام ونَجهرُ
ونحن ولاةالحوض نسقي ولينا ... بكأس رسول الله ما ليس ينكرُ
وشيعتنا في الناس أكرم شيعةٍ ... ومبغضنا يوم القيامة يخسر

انتهى . وقد رويت هذه الأبيات في بعض المصادر بزيادة.

○ ○

(٢) في عيون أخبار الرضا عليه السلام:٣٣/٢: (حدثنا أبي ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد ، ومحمد بن موسى بن المتوكل ، وأحمد بن محمد بن يحيى العطار ، ومحمد بن علي ماجيلويه رضي الله عنهم قالوا: حدثنا محمد بن يحيى العطار عن محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري عبد الله بن محمد الشامي، عن الحسن بن موسى الخشاب،

عن علي بن أسباط ، عن الحسين مولى أبي عبد الله ، عن أبي الحكم ، عن عبد الله بن إبراهيم الجعفري ، عن يزيد بن سليط الزيدي قال: لقينا أبا عبدالله عليه السلام في طريق مكة ونحن جماعة ، فقلت له: بأبي أنت وأمي أنتم الأئمة المطهرون ، والموت لا يعرى أحد منه ، فأحْدِثْ إليَّ شيئاً ألْقيه إلى من يخلفني.

فقال لي: نعم هؤلاء ولدي وهذا سيدهم، وأشار الى ابنه موسى عليه السلام وفيه العلم والحكم والفهم والسخاء والمعرفة بما يحتاج الناس إليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم ، وفيه حسن الخلق ، وحسن الجوار ، وهو باب من أبواب الله تعالى عز وجل ، وفيه أخرى هي خير من هذا كله.

فقال له أبي: وما هي بأبى أنت وأمي؟ قال: يخرج الله منه عز وجل غوث هذه الأمة وغياثها وعلمها ونورها وفهمها وحكمها، وخير مولود وخير ناشئ ، يحقن الله الدماء ويصلح به ذات البين ، ويلم به الشعث ويشعب به الصدع ، ويكسو به العاري ، ويشبع به الجائع ، ويؤمن به الخائف ، وينزل به القطر ، ويأتمر العباد ، خير كهل وخير ناشئ ، يبشر به عشيرته أوان حلمه ، قوله حكم ، وصمته علم ، يبين للناس ما يختلفون فيه .

قال: فقال أبي: بأبي أنت وأمي ، فيكون له ولد بعده ؟ فقال: نعم ، ثم قطع الكلام.

وقال يزيد: ثم لقيت أبا الحسن يعني موسى بن جعفر عليه السلام بعدُ فقلت له: بأبي أنت وأمي إني أريد أن تخبرني بمثل ما أخبرني به أبوك.

قال فقال: كان أبي عليه السلام في زمن ليس هذا مثله.

قال يزيد فقلت: من يرضى منك بهذا فعليه لعنه الله.

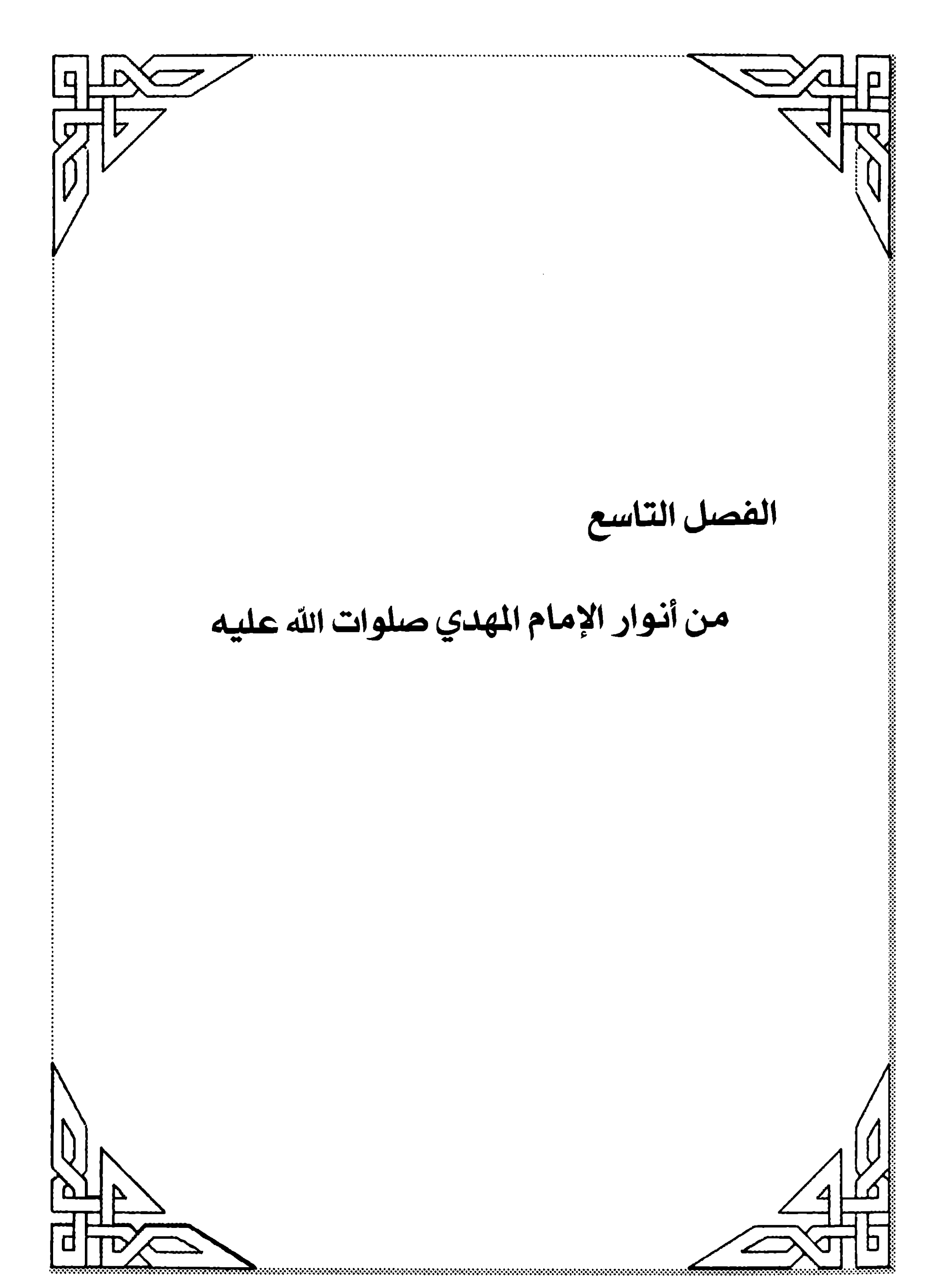
قال: فضحك ثم قال: أخبرك يا باعماره أني خرجت من منزلي فأوصيت في الظاهر الى بنيَّ فأشركتهم مع ابني علي، وأفردته بوصيتي في الباطن، ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وأمير المؤمنين عليه السلام معه ، ومعه خاتمٌ وسيف وعصا وكتاب وعمامة ، فقلت له: ما هذا ؟ فقال: أما العمامة فسلطان الله تعالى عز وجل ، وأما السيف فعزة الله عز وجل ، وأما الكتاب فنور الله عز وجل ، وأما العصا فقوة الله عز وجل ، وأما الخاتم فجامع هذه الأمور . ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله والأمر يخرج إلى علي ابنك.

قال: ثم قال: يا يزيد إنها وديعة عندك فلا تخبر إلا عاقلاً ، أو عبداً امتحن الله قلبه للإيمان ، أو صادقاً . ولا تكفر نعم الله تعالى ، وإن سئلت عن الشهادة فأدِّها ، فإن الله تعالى يقول: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَات إِلَى أَهْلِهَا** (سورة النساء:٥٨)

وقال الله عز وجل: **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ الله** (سورة البقرة:١٤٠)

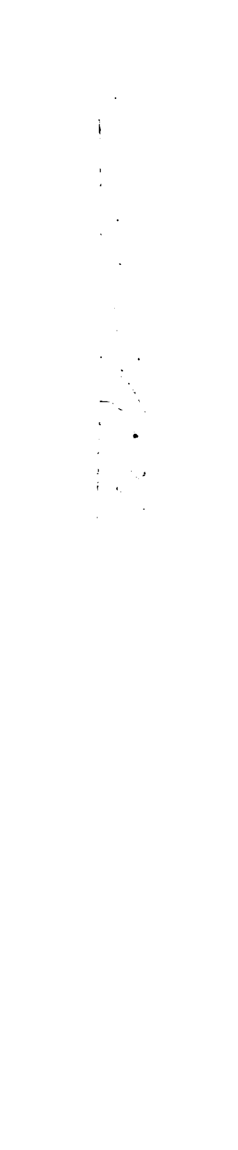
فقلت: والله ما كنت لأفعل هذا أبداً . قال: ثم قال أبو الحسن عليه السلام: ثم وصفه لي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: عليٌّ ابنك ، الذي ينظر بنور الله ، ويسمع بتفهيمه ، وينطق بحكمته ، يصيب ولا يخطئ ، ويعلم ولا يجهل ، وقد ملئ حكماً وعلماً ، وما أقل مقامك معه ، إنما هو شئ كأن لم يكن ، فإذا رجعت من سفرك فأصلح أمرك ، وافرغ مما أردت فإنك منتقل عنه ، ومجاور غيره ، فاجمع ولدك وأشهد الله عليهم جميعاً ، وكفى بالله شهيداً . ثم قال: يايزيد إني أوخذ في هذه السنة، وعليٌّ ابني سمي علي بن أبي طالب عليه السلام وسميٌّ علي بن الحسين عليه السلام أعطيَ فهم الأول وعلمه ، ونصره ورداثه ، وليس له أن يتكلم إلا بعد هارون بأربع سنين ، فإذا مضت أربع سنين فاسأله عما شئت ، يجبك إن شاء الله تعالى) .

○ ○



الفصل التاسع

من أنوار الإمام المهدي صلوات الله عليه



من هو الإمام صاحب الزمان عليه السلام ؟

(بتاريخ ١٤ شعبان ١٤١٨ - ١٩٩٧/١٢/١٥ - ١٣٧٦/٩/٢٤)

بســـم الله الرحمن الرحيم

يوجد سؤالان مهمان:

الأول: من هو صاحب الزمان عليه السلام ؟

والثاني: ما هو طريق الإرتباط به عليه السلام ؟

وللجواب على سؤال من هو؟ لابد أن نحدد الطريق الذي نسلكه للحصول على الجواب ، فطريق معرفته عليه السلام يحتاج الى معرفة !

ذلك أن شخصية المعصوم عليه السلام ذات جنبتين، جنبة بشرية ، وجنبة يتصل بها الإمام بالملأ الأعلى ، وطريق المعرفة لابد أن يكون متناسباً مع المطلوب معرفته ، ووسائلنا في المعرفة لا تصلح لمعرفة هذه الشخصية الفريدة ، فلا علماء الطبيعة ، ولا الفلاسفة ، ولا العرفاء ، ولا الحكماء العاديون ، يستطيعون ذلك ، لأن شخصية المعصوم عليه السلام لا تخضع لوسائلهم في المعرفة.

إن معرفة شخصية الإمام المعصوم عليه السلام وما خصه به الله تعالى ، لا تتيسر إلا لمن وصل الى مقام العصمة ، فهو الحكيم الذي يعرف ما الخبر ، لا الفلاسفة عن طريق فلسفاتهم ونظرياتهم، ولا علماء الطبيعة عن طريق قواعدهم

ووسائلهم ، ولا العرفاء عن طريق عرفانهم وأدلتهم الذوقية! فقط ، من وصل الى مقام العصمة وعاشه ، هو الذي يعرف المعصوم ويعرفنا عليه !

وهكذا لابد لنا للحصول على جواب سؤالنا أن نعرف الإمامة أولاً ما هي؟

ثم نعرف الإمام بشكل عام من هو ؟

ثم ننتقل الى معرفة صاحب الزمان عليه السلام من هو ؟

ومن عيون كلمات المعصومين عليهم السلام في تعريف الإمامة والإمام ، كلام الإمام الرضا عليه السلام. ومن الطبيعي أنا لا نستطيع إكمال البحث في ماهية الإمامة في هذا المجلس ولا في مئة مجلس ، وإنما غرضنا أن نفتح الباب للذين يبذلون جهدهم وأوقاتهم في التفكير في أعمق العلوم الإسلامية كالفقه وأصول الفقه، أن يتوجهوا بتفكيرهم الى علم أصول العقيدة .

لقد عرّف الإمام الرضا عليه السلام الإمامة أولاً، ثم عرف الإمام وبين صفاته ، وتضمن كلامه في الإمامة ثمانية وعشرين مبحثاً ! نتعرض لكلمة واحدة منها في بيان درجة الإمامة ورتبتها في قوس الصعود وسلسلة الموجودات.

قال عليه السلام: (**إن الإمامة أجل قدراً، وأعظم شأناً، وأعلا مكاناً ، وأمنع جانباً ، وأبعد غوراً ، من أن يبلغها الناس بعقولهم ، أو ينالوها بآرائهم ، أو يقيموا إماماً باختيارهم**) ! والمهم للعلماء هو الدراية لا الرواية.

والتعبير الأول للإمام الرضا عليه السلام عن جلالة الإمامة ، ومتعلق الجلالة القدر .

والتعبير الثاني عن عظمتها ، ومتعلق العظمة الشأن.

والتعبير الثالث عن علوها ، ومتعلق العلو المكان.

والتعبير الرابع عن منعتها ، ومتعلق المنعة عزة الجانب.

والتعبير الخامس عن بعد غورها ، ومتعلق الغور العمق !

وفي هذه الأوصاف يتجلى علم الإمام الرضا عليه السلام، وإنما يعرف الإمام بالعلم !
إن من مصائبنا أنا نصرف أوقاتنا في فهم كلمات الشيخ الرئيس ابن سينا وغيره، ولا نصرفها في فهم كلام المعصوم الذي نراه بإشارة واحدة في كلامه يذري مليار عقل كعقل ابن سينا في مهب الريح !

إن كل كلمة من كلماته عليه السلام عالمٌ مواجٌ من العلم! تحتاج الى بذل جهود عقلية لكي تفهم ، ويعرف منها الموضوع والمحمول والمتعلق والمتعلق به ، وبذلك تفهم الإمامة ما هي؟ وهيهات أن تفهم حق فهمها !

في أي مرتبة تقع الإمامة من سلسلة الوجود ؟

أعظم شأناً.. وأبعد غوراً، من أن يبلغها الناس بعقولهم! تأملوا فقط في كلمة (**أبعد غوراً**) لتروا أن الموضوع هنا مثل مناطق الفراغ أو الثقوب السوداء ، التي يتكلم عنها الفلكيون ، والتي كلما وصل اليها شعاع انطفأ، أو نجم تلاشى وفني! إنها محيطٌ بلا نهاية يقف الفكر البشري في ابتدائها ولا يعرف غورها وانتهاءها !

فالإمام الرضا عليه السلام يقول إن شخصية الإمام جهاز رباني ، عميق الغور ، أعظم من أن **يبلغها الناس بعقولهم !! الناس..** كل الناس .. طبيعة الناس !

بعقولهم..كل عقول أصحاب العقول ، بما فيها عقل أفلاطون وعقل أرسطو، وعقل ابن سينا ، وعقل الشيخ الأنصاري ! فكل العقول عندما تصل الى هنا تنطفئ أشعتها ، وتتلاشى قدراتها !

هذه هي الكلمة الأولى..والثانية: **أو يقيموا إماماً باختيارهم أو ينالوها بآرائهم!**
والسؤال هنا: ما هو الدليل على هذا المدعى ؟

علَّل الإمام الرضا عليه السلام عجز الناس عن إدراك الإمامة واختيار الإمام ، بقوله (**إن الإمامة**) وهذه هي العلة ، ثم أورد خمسة عناوين عللها بهذه العلة !

(إن الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبةً ثالثة ، وفضيلةً شرفه بها ، وأشاد بها ذكره ، فقال .....

ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال...فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتى ورثها الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله فقال جل وتعالى....

فكانت له خاصة فقلدها صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله ، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان ، بقوله.....

فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة ، إذ لا نبيَّ بعد محمد صلى الله عليه وآله، فمن أين يختار هؤلاء الجهال؟!).

فالإمامة إذن مقام خص الله به إبراهيم عليه السلام، ولا بد من فهم الذي خص ، والمخصوص، والمخصوص به! فالذي خص بالإمامة هو الله سبحانه، باسمه الجامع لجميع صفات الكمال .

والمخصوص بها إبراهيم عليه السلام، وقد استحق هذا العطاء العظيم بعد أن وصل الى مقام النبوة ، ثم الى مقام الخلة ! ومقام النبوة هنا هو مقام النبوة الإبراهيمية الذي يبدأ بقوله تعالى **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ** (سورةالأنعام:٧٥) فبعد أن رأى إبراهيم باطن الملك والملكوت صار نبياً ، ثم عَبَرَ درجة الملك والملكوت فوصل الى الدرجة الثانية ، درجة الخلة: **وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** (سورة النساء: ١٢٥)

ثم امتحنه الله تعالى بما يمتحن خاصة أنبيائه ، فبلغ مرحلة الإمامة ! قال الله تعالى: **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً .**

قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي؟ قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ . (سورة البقرة: ١٢٤)

وبهذا يتضح أن قول الإمام الرضا عليه السلام في عجز الناس عن درك مقام الإمامة واختيار الإمام ، كلام واضح كالشمس: (**إن الإمامة أجل قدراً ، وأعظم شأناً ، وأعلا مكاناً ، وأمنع جانباً ، وأبعد غوراً، من أن يبلغها الناس بعقولهم ،أو ينالوها بآرائهم ، أو يقيموا إماماً باختيارهم**) !

ونلاحظ هنا أن الإمام عليه السلام لم يستعمل كلمة(**شرَّفه بها**) في النبوة الإبراهيمية والخلة لأنهما صفتان تختصان بإبراهيم من لدن آدم الى عيسى عليه السلام.

حتى إذا وصل الى الإمامة قال: (**وفضيلةً شرفه بها ... ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة**) .

نعم هذه هي الإمامة.. مقام لا يدرك غوره ، خص الله به ابراهيم بعد درجة نبوته الخاصة العالية ، وبعد درجة الخلة لله الخاصة به.. فعندئذ صار أهلاً لأن يشرفه بهذا التشريف ويكون للناس إماماً !

إن الإمامة كلمة مقدسة ، تحمل معنىً عظيماً ، وليست كلمة تلقلق باللسان! فافهموها واعرفوا أين تستعملونها !

إن مشكلة الإنسان كثيراً ما تكون قلة فهمه ، فالذي يفهم يكثر تفكيره وتأمله ويقل منطقه ، ويتقيد بكلماته . أما الذي قليل الفهم فيطلق منطقه وسلوكه بلا دقة، فتكثر سقطاته، ويجر المشكلات والمصائب على نفسه وغيره! فاحرصوا أن تكونوا علماء متعمقين ، دقيقين في استعمال الكلمات ! هذه هي الإمامة مجملاً ، والوقت يمضي ولم نصل الى خيوط شعاع من شمسها ، ولا حبات رمل من ساحلها !

والإمامة هي المبدأ، فما هو المشتق المتلبس بالمبدأ ؟ ما هو الإمام ؟

والبحوث كثيرة، ووقتنا يتسع لقراءة بعض صفاته من كلام الإمام الرضاعليه السلام

(الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد ، ولا يعادله عالم ، ولا يوجد منه بدل ، ولا له مثل ولا نظير ، مخصوص بالفضل كله ، من غير طلب منه له ولا اكتساب ، بل اختصاص من المفضل الوهاب).

إن الفم الذي أطلق هذه الصفات للإمام والذي وهبه الله إياها باستحقاق ، هو عالم آل محمدعليه السلام.

مخصوص بالفضل كله.. بالفضل كله ، وبكل الفضل! والفضل أنواع عديدة، فالعلم فضل ، والعفة فضل ، والغيرة فضل..الخ. وكل واحدة من هذه الفضائل درجاتٌ ومراتب ، فالشجاعة درجات ، والغيرة مراتب ، والعفة مستويات ، والإمام **مخصوص بالفضل كله** ، بأنواع الفضائل وأعلى مراتبها ! فالإطلاق هنا شمولي وقد جاء به الإمامعليه السلام بعد لفظ العموم فشمل به الأعداد والمراتب!

والمهم أن هذا المقام وفضائله الربانية ليست كفضائل الطلب والإكتساب ، بل هي: **اختصاص من المفضل الوهاب ! فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام ، أو يمكنه اختياره؟!** هذا هو الإمامعليه السلام!

○ ○

أما إمام الزمان أرواحنا فداه ، فقد ورد له في مجموع الروايات والزيارات والأدعية الصحيحة ، مئة واثنان وثمانون مقاماً وصفة !

إحدى صفاتهعليه السلام: **(متمٌّ نور الله)** وهي صفة يتحير فيها العقل!

ففي القرآن آيتان مقترنتان ، نزلتا مرتين ، بتغيير في صيغة أولاهما دون الثانية نزلتا أولاً في سورة الصف ، ثم نزلتا في سورة التوبة !

قال تعالى: **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**

هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. (سورة الصف:٨-٩)

وقال تعالى: **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** . (سورة التوبة:٣٢- ٣٣)

ولايتسع الوقت لبيان سبب ترتيب الآيتين بهذا النسق، وارتباطهما، وسبب التغيير في أولاهما، ولماذا قدم كره الكافرين ومقاومتهم على كره المشركين، ولماذا ذكر في سورة الأنفال آية ٨ ، وفي سورة يونس آية ٨٢ كُرْهَ المجرمين ولم يذكر كره فئات أخرى غير الكافرين والمشركين والمجرمين؟! عندما نفهم هاتين الآيتين ، نفهم من هو الإمام الحجة بن الحسن صلوات الله عليه.

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ..فالدين الذي أرسل الله به رسوله صلى الله عليه وآله أكمله بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، أي بالضمان الرباني لاستمرار علم النبوة وتطبيق وحيها! وقد علم الله تعالى وأخبر رسوله صلى الله عليه وآله بأن الأمة سوف تغدر بالإمام بعده فقد قال النبي لعلي: (**إن الأمة ستغدر بك بعدي ، وأنت تعيش على ملتي وتقتل على سنتي، من أحبك أحبني، ومن أبغضك أبغضني، وإن هذه ستخضب من هذا يعني لحيته من رأسه** . صحيح). (مستدرك الحاكم:١٤٢/٣)

علم سبحانه أن الليل سيغشى قبل أن يتجلى النهار فقال: **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى** ! وأخبر تعالى أنهم: **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ**.. ثم أخبر.. **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ** .. فقال سبحانه: **وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ.. وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ** . وقضى تجلي النهار الموعود على يد الإمام المهدي عليه السلام، فكان هو **(متمُّ نور الله تعالى)** !

لقد اكتمل الدين على يد جده المصطفى صلى الله عليه وآله بإمامة جده أمير المؤمنين عليه السلام

لكن هذا الإكتمال لم يتحقق به الهدف الذي هو إتمام النور الإلهي، فجعله الله على يد إمامنا المهدي عليه السلام وخصه الله بأنه: **متم نوره في الأرض!**

إن عمله ودوره عليه السلام هو غاية الغايات ومنتهى النهايات لبعثة نبينا صلى الله عليه وآله وكل الأنبياء عليهم السلام، فهو الجزء الأخير للعلة التامة، وبه يظهر الله دينه على الدين كله، وهو مقام اختصه الله به من بين الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليه وعليهم ، ولا نبي بعد نبينا ، ولا أحد أفضل منه صلى الله عليه وآله.

○ ○

معرفة الإمام المهدي عليه السلام بالنورانية

(بتاريخ: ١٢ شعبان ١٤١٩-١٣٧٧/٩/١١ -١٩٩٨/١٢/٢)

بســم الله الرحمن الرحيم

هذه ليلةٌ ولد فيها المولود السعيد ، والسبب المتصل بين الأرض والسماء ، الإمام المهدي أرواحنا فداه.

إن معرفة الإمام صاحب الزمان عليه السلام نوعان، معرفة لعامة الناس أن يعرفوا إمامهم المفترض الطاعة . ومعرفة خاصة تسمى معرفته بالنورانية ، وينبغي التعرف عليها من الروايات والأدعية والزيارات الصادرة عن الأئمة عليهم السلام والتي هي كنزٌ من المفاهيم الإسلامية والمعارف الإلهية ، غاية الأمر أنها عميقة تحتاج الى فهم ، والفهم يحتاج الى تأمل ومعايشة لمدرسة الوحي الإسلامية.

إن من الأمور الدقيقة العميقة ، القدرة على التفريق بين الكلام الذي مصدره الفكر البشري ، والكلام الذي مصدره مدرسة الوحي الإلهي! وإن جهات الإفتراق بينهما كثيرة وكبيرة من البداية الى النهاية! فالكلام الناشئ من الفكر البشري كالسراج النفطي ، الذي تُشْعِلُ فتيلته حتى يضئ، ويكون نوره ضعيفاً، يرافقه الدخان ، ورائحة النفط ، ولايمكنك فصلهما عنه !

لكن الكلام الصادر من الوحي سراجٌ متصل بنور السماوات والأرض: اللهُ

نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. (سورة النور: ٣٥). ولذا كان كلام الأئمة عليهم السلام بحراً من النور لا نهاية له ! ومع أن وصفه بكلمة بحر غلط ، لكننا مضطرون الى أمثال هذه التعابير ، لعدم وجود غيرها في عالمنا الأرضي !

في الكلام الصادر من الوحي لا مجال لدخان الخطأ ، ولا لدخان الهواء لأنه: **يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ** .

على أن هذا الإمتياز بين هذين الكلامين أو (الفكرين) هو الإمتياز الأصغر !

أما الإمتياز الأكبر فهو أن الفكر الصادر من التفكير البشري مباح لكل وارد ، فأي شخص عنده قدرة تفكير يمكنه أن يفكر وينتج ، لا شرط فيه لطهارة بدن ولاجيب، ولا صفات كمال، ولا جمال! ولذا ترى في قمة الفكر البشري أشخاصاً حتى من الوثنيين والمجوس والزردشتين ، أمثال بهمنيار في مدرسة ابن سينا ! وليس واضحاً ما يؤثره فيهم هذا الفكر !

أما الفكر الناشئ من الوحي الإلهي فليس مباحاً لكل وارد ، بل إن لأهله مواصفات وشروطاً ، هكذا صانه الله تعالى إلا عن أهله ، فاقرأ آخر آية النور: **يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** . فهو علم خاص لمن قرر الله أن يهديه اليه ، وهذا هو المائز الأكبر له عن الفكر البشري العام، الذي يجعل المسافة بينهماأبعد من السماء الى الأرض! ويجعله علماً لأخص الخواص من البشر !

والشاهد على ذلك أن ابن سينا في أواخر حياته ، بعد أن قضى عمره في التفكير البشري ، والتعمق في طرق الإستدلال النظرية ، وتعبت جبهته من الإصطدام بصخور المعرفة.. وصل الى الحقيقة وأعلن مقولة الوحي: **(جل جناب الحق أن يكون شريعة لكل وارد)** !

لقد فهم أن الحكمة الإلهية ليست كالفكر البشري مباحة لكل وارد مهما كانت شخصيته وسلوكه: **قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** . (سورة المائدة:١٥-١٦) فما لم يتبع رضوان ربه ، لا يجد الطريق الى سبل السلام ! وأين تنتهي به سبل السلام ؟ هذا بحث آخر !

○ ○

في هذا اليوم نستفيد من هذا الدعاء لمعرفة الإمام عليه السلام معرفة ابتدائية ، فواظبوا عليه جميعاً وأوصوا الناس أن يقرؤوه بعد صلاة الصبح.

وعندما تقرؤونه وجهوا فكركم القوي الذي توجهونه الى المباحث العلمية العميقة فتفهمونها ، وجهوه الى دقائق هذا الدعاء ولطائفه.

هذا الدعاء كنز معرفة ، وكل أدعية أهل البيت عليهم السلام كذلك ، وقد رواه السيد ابن طاووس وغيره مرسلاً ومسنداً ، وإن كانت مضامينه الغنية تغنيه عن الحاجة الى بحث سنده، فبحث السند كما يعرف أهله ، نحتاج اليه عندما لا يكون عندنا دليل على أن هذا الكلام صادر من أهل بيت الوحي عليهم السلام.

فاستمعوا بدقة لما يقوله: **(اللهم ربَّ النور العظيم، وربَّ الكرسي الرفيع، وربَّ البحر المَسْجُور، ومُنَزِّلَ التوراة والإنجيل والزبور، وربَّ الظلِّ والحَرُور، ومُنزلَ الفرقان العظيم ، وربَّ الملائكة المقربين ، والأنبياء والمرسلين .**

اللهم إني أسالك بوجهك الكريم ، وبنور وجهك المنير ، وبملكك القديم ، يا حي يا قيوم ، أسألك باسمك الذي أشرقت به السماوات والأرضون ، يا حيَّ قبل كل حي ، يا حياً بعد كل حي ، يا حياً لا إله إلا أنت .

اللهم بَلِّغْ مولانا الإمام الهادي المهدي ، القائم بأمر الله ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، في مشارق الأرض ومغاربها ، وسهلها وجبلها ، وبرها وبحرها،

عني وعن والديَّ وعن المؤمنين ، من الصلوات زنة عرش الله ، وعدد كلماته ، وما أحاط به علمه ، وأحصاه كتابه..). (المزار لابن المشهدي ص٦٦٣) **(١)**

فتأمل في تسلسل فقرات الدعاء الى هنا ..

اللهم ربَّ النور العظيم.. بدأ الدعاء بإسم الله تعالى ، وهو الأصل من أربعة أسماء هي أركان من أسماء الله تعالى ، أولها إسم **(الله)** ، وهو اسم الذات الإلهية ، الحاكي عن جميع الأسماء الحسنى والأمثال العليا. وخصوصيات هذا الإسم مهمة ، وللدعاء به دلالات ليست في غيره ، ولا يقبل التوحيد إلا به: **(لا إله إلا الله)**.

والثاني: (الرب) وهو الإسم الحاكي عن ربوبيته التكوينية والتشريعية ، وأفعاله في جميع نشآت الوجود الإمكاني . ولمعرفة عظمة هذا الإسم إقرؤوا مثلاً هذه الآيات من سورة آل عمران: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَاخَلَقْتَ هَذَابَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ . رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ .**

رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ . فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ . (سورة آل عمران: ١٩٠-١٩٥)

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ.. الى آخر الأسرار في اسم **(الرب)** تبارك وتعالى.

بعد هذين الإسمين نصل إلى الإسم الأعظم للذات المقدسة ، الذي باطنه من خزائن أسرار الله تعالى ، والذي ورد في ثلاث آيات من القرآن الكريم:

في مطلع آل عمران: **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ . ألم . أَللهُ لا إِلَهَ إلا هُو اَلْحَيُّ الْقَيُّوم . نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالآنْجِيلَ.**

وفي مطلع آية الكرسي: **اللهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَاخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بِإِذْنِه يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَئْ مِنْ عِلْمِه إلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** . (سورة البقرة: ٢٥٥)

وختامه في سورة طه: **(وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا).**

○ ○

يبدأ دعاء العهد بالدعاء بإسم الله تعالى الجامع لجميع الأسماء الحسنى **(اللهم)** ، ثم يدعو بإسم الرب سبحانه **(اللهم ربَّ النور العظيم)** . ولا يتسع المجال الآن لبيان سلسلة استعمالات اسم **(الرب)** . ونلاحظ أن الدعاء انتهى باسمي **(يا حيُّ يا قيُّوم)** ، فهو يجمع الأركان الأربعة من أسماء الله تعالى.

اللهم ربَّ النور العظيم.. تأملوا هذه الكلمة التي بدأ فيها الدعاء ، وفي ارتباطها بالمدعو له .. فمن هو النور العظيم الذي بدأ الدعاء له بسؤال رب النور العظيم؟

النور العظيم..موضوع عظيم ، لايتسع وقتنا للإفاضة فيه فنكتفي بالإشارة اليه عسى أن يعفو الله تعالى عن ظلمنا له ، ويفتح لنا باباً من الحكمة والمعرفة

لحجته وخليفة العصر والزمان صلوات الله عليه. هذا **النور العظيم** أين يجب أن نبحث عنه؟ هل كما يزعم مخالفونا أن الشيعة يبحثون عنه في السرداب ! مساكين هؤلاء ، لم يعرفوا أن هذا السرداب بيت خليفة الله في أرضه وحجته على عباده ، وأنه مشبع بنور الله العظيم كقلوب المؤمنين !

نحن نستذكر في حرم بيت الإمام المهديعليه السلاموسردابه نور الله العظيم ، ونسعى لأن تتصل قلوبنا بشعاع منه ! ونزوره بقولنا (**السلام عليك يا خليفة الله وخليفة آبائه المهديين ، السلام عليك يا وصي الأوصياء الماضين ، السلام عليك يا حافظ أسرار رَب العالمين**... الى أن نقول: **السلام عليك يا ناظر شجرة طوبى ، وسدرة المنتهى ، السلام عليك يا نور الله الذي لا يُطْفَى**) . **(٢)**

إنه روحي له الفداء ذلك النور الرباني العظيم الذي لا يطفأ . فالذي نبحث عنه صلوات الله عليه ، تبدأ صفاته بخليفة الله تعالى حتى تصل الى نور الله الذي لا يطفأ ولا ينطفئ ! وينتهي سيرنا الى هذا النور الإلهي في سورة الصف وسورة التوبة ، حيث نجد أصل ذلك النور العظيم الذي لا يطفى! قال تعالى: **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** (سورة الصف:٨-٩)

وقال تعالى: **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.** (سورة التوبة:٣٢- ٣٣)

وعندما نرجع الى المفسرين نجد أن الإمام الصادق ، لسان الله الناطقعليه السلام فسرها بالإمام المهدي أرواحنا فداه ، قالعليه السلام: (**لم تخل الأرض منذ كانت من**

حجة عالم، يحيي فيها ما يميتون من الحق ثم تلى هذه الآية: يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَاللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ). (كمال الدين للصدوق ص٢٢١)

وقال عليه السلام في قول الله عز وجل: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، قال: والله ما نزل تأويلها بعد ، ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم عليه السلام. فإذا خرج القائم لم يبق كافر بالله العظيم ولا مشرك بالإمام إلا كره خروجه، حتى أن لو كان كافراً أو مشركاً في بطن صخرة لقالت يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله) ! (كمال الدين ص٦٧٠)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، أظَهَرَ بعد ذلك؟ قالوا: نعم ، قال: كلا ، فوالذي نفسي بيده حتى لا تبقى قرية إلا وينادى فيها بشهادة أن لا إله إلا الله ، بكرة وعشياً). انتهى. (مجمع البيان:٥/٢٨٠) **(٣)**

وبهذا يتضح معنى المعرفة بالنورانية ، وأن الإمام المهدي نور الله الأعظم في أرضه . صلوات الله عليه وعلى آبائه المعصومين.

إن على كل فرد منكم أن يتوجه بفكره وقلبه الى الإمام المهدي أرواحنا فداه، ويسعى لأن يتصل قلبه بشعاعه المبارك ، فلو أن شعاعاً منه مس عقولنا، لأحدث فينا تحولاً كبيراً .

صلوات الله عليك يا مولاي يا صاحب العصر والزمان.. أيُّ وجود خصك الله به ، تعجز عقولنا عن فهمه ، وتعيا ألسنتنا عن وصفه ؟!

لقد جعلك الله نوره ، وعبر عنك بتعبيرين ، فأضافك مرة الى إسمه الظاهر ومرة الى إسمه المضمر فقال تعالى: **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.** فمن الخصائص الذاتية للإضافة أن المضاف يكتسب

معرفته وخصائصه من المضاف إليه ، وكلما كان المضاف اليه أعلى درجة كان حيث التعريف في المضاف أعلى !

وفي الإضافتين المظاهرة والمضمرة بحث عميق ، تكمن فيه معرفة الإمام صاحب الزمان عليه السلام فالإضافة الأولى هي الظاهرة لمرحلة ظهوره : **لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ** ، والثانية المضمرة لمرحلة غيبته عليه السلام: **وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ** ، فهو عليه السلام مظهر إسم الله الظاهر ، ومظهر إسمه الباطن ، فهو نور الله الذي لا يطفى ، وفيه جمع الله الغيب والشهود ، ونحن الآن في عصر غيبته ، حتى يأذن الله بظهور نوره فيه، فيتكئ على ركن الكعبة ويخطب، ويبدأ نور الله مرحلة الظهور المقدسة.

٭ ٭

هذا هو الإمام المهدي أرواحنا فداه ، الذي ظلمناه فلم نعرفه ، ولم نؤد معه الأدب المفروض له .

لو أنكم قرأتم هذا الدعاء كل يوم بعد صلاة الصبح ، وتأملتم في فقراته بدقة ، ثم راقبتم سلوككم اليومي فجعلتم اهتامكم بالإمام المهدي عليه السلام بقدر اهتمام أحدكم بنفسه.. لرأيتم ماذا سيحدث لكم من نور في الفكر والروح !

إن قاعدة : **يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ.** (سورة ابراهيم: ٢٧)، قاعدة ثابتة ، شاملة لأنواع الظلم وصغيره وكبيره: **وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً** . فلا بد أولاً أن نطهر أنفسنا من الظلم لإمام الزمان أرواحنا فداه ، والخطوة الأولى لذلك أن نتذكره في مجالسنا ومحافلنا ودروسنا ، وأن نكون في شهر رمضان في ضيافة الله وضيافته . فاتركوا الحواشي والإضافات من تفكيركم واهتماماتكم ، واهتموا بالأصل والمتن!وهل بلاؤنا ومشكلاتنا وسوء حظنا أفراداً وجماعات ومجتمعاً

إلا بسبب انشغالنا بأنفسنا عن الله تعالى ، وعن وليه وحجته أرواحنا فداه ؟!

إن الإمام المهدي عليه السلام هو السبب بين الأرض والسماء ، والرابط بين الخالق تعالى وخلقه ! وشخصيةٌ كهذه لا يجوز أن يكون منسياً في مجالسكم وتدريسكم ، فليكن ابتداء مجلس أحدكم وختامه بذكر المولى الموعود ونور الله في أرضه صلوات الله عليه ، لعل الله يفتح لي ولك أبواب رحمته ولطفه.

اللهم صل على وليك صاحب الزمان عددَ ما في علمك صلاةَ دائمة بدوام ملكك وسلطانك . اللهم بحق فاطمةَ وأبيها وبعلها وبنيها والسرِّ المستودع فيها اجعلنا من شيعته وأنصاره ، ولا تفرق بيننا وبينه أبداً في الدنيا والآخرة.

والحمد لله رب العالمين.

○ ○

هوامش

(١) في المزار لابن المشهدي رحمه الله ص٦٦٣: (ذكر العهد المأمور به في زمان الغيبة:

روي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: من دعا الى الله أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار قائمنا عليه السلام، فإن مات قبله أخرجه الله تعالى من قبره. وأعطاه الله بكل كلمة ألف حسنة ، ومحا عنه ألف سيئة ، وهو:

(اللهم رب النور العظيم ، ورب الكرسي الرفيع ، ورب البحر المسجور ، ومنزل التوراة والإنجيل والزبور ، ورب الظل والحرور، ومنزل الفرقان العظيم، ورب الملائكة المقربين، والأنبياء والمرسلين .

اللهم إني أسالك بوجهك الكريم ، وبنور وجهك المنير وبملكك القديم ، يا حي يا قيوم ، أسألك باسمك الذي أشرقت به السماوات والأرضون، يا حي قبل كل حي، يا حياً بعد كل حي ، يا حياً لا إله إلا أنت .

اللهم بلغ مولانا الامام الهادي المهدي ، القائم بأمر الله ، صلوات الله عليه وعلى آبائه

الطاهرين، في مشارق الأرض ومغاربها، وسهلها وجبلها، وبرها وبحرها عني وعن والديَّ وعن المؤمنين من الصلوات، زنة عرش الله ، وعدد كلماته ، وما أحاط به علمه ، وأحصاه كتابه .

اللهم إني أجدد له في صبيحة هذا اليوم وما عشت به في أيامي عهداً وعقداً وبيعةً له في عنقي ، لا أحول عنها ولا أزول.

اللهم اجعلني من أنصاره وأعوانه الذابين عنه، المسارعين في حوائجه، الممتثلين لأوامره المحامين عنه ، المستشهدين بين يديه.

اللهم وإن كان الموت الذي جعلته علىعبادك حتماً يحول بيني وبينه فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني ، شاهراً سيفي ، مجرداً قناتي ، ملبياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي .

اللهم أرني طلعته الرشيدة ، وغرته الحميدة ، وأكحل مرهمي بنظرة مني إليه وعجل فرجه ، وسهل مخرجه ، وأوسع منهجه ، واسلك بي محجته ، وأنفذ أمره ، واشدد أزره ، واعمر اللهم به بلادك ، وأحيِ به عبادك ، فإنك قلت وقولك الحق على لسان نبيك محمدصلى الله عليه وآله: **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ** (سورة الروم: ٤١) اللهم فأظهر لنا وليك وابن بنت نبيك ، المسمى باسم نبيك ، حتى لا يظفر بشئ من الباطل إلا دحضه ، ويحق الحق ويحققه .

اللهم واجعله مفزعاً للمظلوم من عبادك ، وناصراً لمن لا يجد ناصراً غيرك ، ومجدداً لما عطل من أحكام كتابك ، ومشيداً لما ورد من أعلام دينك وسنن نبيكصلى الله عليه وآلهواجعله اللهم ممن حصنته من بأس المعتدين .

اللهم وسرَّ نبيك محمداًصلى الله عليه وآلهالطاهرين برؤيته، ومن تبعه على دعوته ، وارحم استكانتنا من بعده .

اللهم اكشف هذه الغمة عن الأمة بحضوره ، وعجل اللهم لنا ظهوره :**إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً** ، برحمتك يا أرحم الراحمين. ثم تضرب يديك ثلاثاً تقول: العجل العجل العجل ، يا صاحب الزمان). انتهى.

ورواه في مستدرك الوسائل:٣٩٣/٥، ورواه في البحار:٩٥/٥٣و٣٢٧، وفي:٢٨٤/٨٣ ،

وفي: ٩١ /٤١ ، قال: (نقل من خط الشيخ محمد بن علي الجبعي، نقلاً من خط الشيخ علي بن السكون قدس الله روحهما ، أخبرني شيخنا وسيدنا السيد الأجل العالم الفقيه جلال الدين أبوالقاسم عبد الحميد بن فخار بن معد بن فخار العلوي الحسيني الموسوي الحائري أطال الله بقاءه قراءة عليه ، وهو يعارضني بأصل سماعه الذي بخط والده رحمه الله المنقول من هذا الفرع في شهور سنة ست وسبعين وستمائة قال: أخبرني والدي رضي الله عنه قال: أخبرني الأجل العالم تاج الدين أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن الدربي أطال الله بقاءه سماعاً من لفظه وقراءة عليه في شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين وخمسمائة ، قال: أخبرني الشيخ الفقيه العالم قوام الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله البحراني الشيباني رحمه الله، قراءة عليه سنة ثلاث وسبعين وخمس مائة ، قال: قرأت على الشيخ أبي محمد الحسن بن علي قال: قرأت هذا العهد على الشيخ علي بن إسماعيل قال: قرأت على الشيخ أبي زكريا يحيى بن كثير ، قال: قرأت على السيد الأجل محمد بن علي القرشي قال: حدثني أحمد بن سعيد بقراءته على الشيخ علي بن الحكم قال: قرأت على الربيع بن محمد المسلي قال: قرأت على أبي عبد الله بن سليمان قال: سمعت سيدنا الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: من دعا إلى الله أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار قائمنا ، وإن مات أخرجه الله إليه من قبره ، وأعطاه الله بكل كلمة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ، وهذا هو العهد...إلى آخر الدعاء، وليس فيه: ثم تضرب بيدك ..الخ.

ثم نقله في البحار:١١٠/٩٩ ، عن مزار ابن المشهدي. وله مصادر أخرى ذكرناه في معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام:١١٨/٤.

أقول: ورد هذا الدعاء بصيغ أخرى ليس فيها هذا الدعاء للإمام المهدي عليه السلام، ففي مصباح المتهجد للشيخ الطوسي رحمه الله ص٢٢٧: (ومما خرج عن صاحب الزمان عليه السلام زيادة في هذا الدعاء ، إلى محمد بن الصلت القمي: **اللهم رب النور العظيم ، ورب الكرسي الرفيع ، ورب البحر المسجور ومنزل التورية والإنجيل ، ورب الظل والحرور ، ومنزل الزبور والقرآن العظيم ، ورب الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين ، أنت إله من في السماء وإله من في الأرض، لا إله فيهما غيرك، وأنت جبار من في السماء وجبار من في الأرض، لا جبار فيهما غيرك ، وأنت خالق من في السماء وخالق من في الأرض،**

لا خالق فيهما غيرك ، وأنت حكم من في السماء وحكم من في الأرض، لا حاكم فيهما غيرك.

اللهم إني أسألك بوجهك الكريم ، وبنور وجهك المشرق ، وملكك القديم، يا حي يا قيوم، أسألك باسمك الذي أشرقت به السموات والأرضون ، وباسمك الذي يصلح عليه الأولون والآخرون ، يا حياً قبل كل حي ، ويا حياً بعد كل حي، ويا حياً حين لا حي ، يا محيي الموتى، ويا حي لا إله إلا أنت يا حي يا قيوم .

أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد ، وارزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب ، رزقاً واسعاً حلالاً طيباً ، وأن تفرج عني كل غم وهم ، وأن تعطيني ما أرجوه وآمله ، إنك على كل شئ قدير) . انتهى.

ورواه السيد ابن طاووس رحمه الله في إقبال الأعمال:١/٢٣٩، قال: (ومن الدعاء المختص بالإفطار في شهر الصيام وما رويناه بإسنادنا إلى المفضل بن عمر رحمه الله قال: قال الصادق عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا الحسن هذا شهر رمضان قد أقبل فاجعل دعاءك قبل فطورك فإن جبرئيل عليه السلام جاءني فقال يا محمد من دعا بهذا الدعاء في شهر رمضان قبل أن يفطر ، استجاب الله تعالى دعاءه وقبل صومه وصلاته ، واستجاب له عشر دعوات، وغفر له ذنبه وفرج همه ونفَّس كربته ، وقضى حوائجه ، وأنجح طلبته ، ورفع عمله مع أعمال النبيين والصديقين ، وجاء يوم القيامة ووجهه أضوأ من القمر ليلة البدر، فقلت: ماهو يا جبرئيل؟ فقال: قل: **اللهم رب النور العظيم، ورب الكرسي الرفيع، ورب البحر المسجور ، ورب الشفع الكبير ، والنور العزيز ، ورب التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم . أنت إله من في السموات وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك ، وأنت جبار من في السموات وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك، أنت ملك من في السموات، وملك من في الأرض ، لا ملك فيهما غيرك ، أسألك باسمك الكبير ، ونور وجهك المنير، وبملكك القديم . يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم ، أسألك باسمك الذي أشرق به كل شئ ، وباسمك الذي أشرقت به السموات والأرض ، وباسمك الذي صلح به الأولون ، وبه يصلح الآخرون. يا حياً**

قبل كل حي ، ويا حياً بعد كل حي ، ويا حي لا إله إلا أنت، صل على محمد وآل محمد ، واغفر لي ذنوبي ، واجعل لي من أمري يسراً وفرجاً قريباً ، وثبتني على دين محمد وآل محمد وعلى هدى محمد وآل محمد، وعلى سنةمحمد وآل محمد، وعليه وعليهم السلام. واجعل عملي في المرفوع المتقبل ، وهب لي كما وهبت لأوليائك وأهل طاعتك ، فإني مؤمن بك ومتوكل عليك منيب إليك ، مع مصيري إليك ، وتجمع لي ولأهلي ولولدي الخير كله ، وتصرف عني وعن ولدي وأهلي الشر كله . أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض، تعطي الخير من تشاء، وتصرفه عمن تشاء ، فامنن عليَّ برحمتك يا أرحم الراحمين .

وهو كما رأيت ليس فيه دعاء للإمام المهدي عليه السلام، وقد رواه في الإقبال أيضاً :٢١٧/٢ ، بتفاوت . وكذا في جمال الأسبوع ص٨٧ ، ورواه غيرهما أيضاً. لكن يبدو أن أصل الدعاء عن الإمام الصادق عليه السلام، ثم روي بدون الدعاء للإمام المهدي عليه السلام وروي معه .

أما وصفه عليه السلام بالنور الأعظم ، فلأنه خاتم أنوار النبي وآله الطاهرين صلى الله عليه وآله.

٥ ٥

(٢) في المزار للشهيد الأول رحمه الله ص٢٠٣: (زيارة سيدناومولانا حجة الله الخلف الصالح أبي القاسم محمد المهدي صاحب الزمان صلوات الله عليه وعلى آبائه ، بسر من رأى: فإذا وصلت إلى حرمه بسر من رأى فاغتسل والبس أطهر شيابك ، وقف على باب حرمه عليه السلام قبل أن تنزل السرداب وزر بهذه الزيارة فقل: السلام عليك ياخليفة الله وخليفة آبائه المهديين . السلام عليك يا وصي الأصياء الماضين . السلام عليك يا بقية الله من الصفوة المنتجبين .السلام عليك يا حافظ أسرار رب العالمين .السلام عليك يا ابن الأوار الظاهرة . السلام عليك يا ابن الأعلام الباهرة . السلام عليك يا ابن العترة الطاهرة . السلام عليك يا معدن العلوم النبوية . السلام عليك يا باب الله الذي لا يؤتي إلا منه . السلام عليك يا سبيل الله الذي من سلك غيره هلك . السلام عليك يا ناظر شجرة طوبى وسدرة المنتهى . السلام عليك يا نور الله الذي لا يطفى . السلام عليك يا حجة الله التي لا تخفى السلام عليك يا حجة الله على من في الأرض والسما . السلام عليك سلام من عرفك بما

عرفك به الله ، ونعتك ببعض نعوتك التي أنت أهلها وفوقها.

أشهد أنك الحجة على من مضى ومن بقي ، وأن حزبك هم الغالبون وأولياءك هم الفائزون ، وأعداءك هم الخاسرون ، وأنك خازن كل علم ، وفاتق كل رتق ، ومحقق كل حق ، ومبطل كل باطل .رضيتك يامولاي إماماً وهادياً وولياً ومرشداً ، لا أبتغي بك بدلاً ولا أتخذ من دونك ولياً.

أشهد أنك الحق الثابت الذي لا عيب فيه ، وأن وعد الله فيك حق ، لا أرتابُ لطول الغيبة وبعد الأمد ، ولا أتحيرُ مع من جهلك وجهل بك. منتظرٌ متوقعٌ لأيامك ، وأنت الشافع الذي لا تنازع ، والولي الذي لا تدافع . ذخرك الله لنصرة الدين وإعزاز المؤمنين ، والإنتقام من الجاحدين المارقين.

أشهد أنه بولايتك تقبل الأعمال وتزكى الأفعال ، وتضاعف الحسنات وتمحى السيئات فمن جاء بولايتك واعترف بإمامتك قبلت أعماله وصدقت أقواله وتضاعفت حسناته ومحيت سيئاته ، ومن عدك عن ولايتك وجهل معرفتك واستبدل بك غيرك أكبه الله على منخره في النار ، ولم يتقبل الله منه عملاً ، ولم يقم له يوم القيمة وزناً.

أُشهد الله وأشهدك يا مولاي بهذا ، ظاهره كباطنه وسره كعلانيته ، وأنت الشاهد على ذلك ، وهو عهدي اليك وميثاقي لدبك ، إذ أنت نظام الدين ويعسوب المتقين وعز الموحدين ، وبذلك أمرني رب العالمين ، لو تطاولت الدهور وتمادت الأعمار لم أزدد فيك إلا يقيناً ولك إلا حباً ، وعليك إلا متكلا ومعتمداً ، ولظهورك إلا متوقعاً ، ومنتظراً لجهادي بين يديك ، ومترقباً فأبذل نفسي ومالي وولدي وأهلي وجميع ماخولني ربي بين يديك ، وأتصرف بين أمرك ونهيك.

مولاي فإن أدركت أيامك الزاهرة وأعلامك الباهرة ، فها أنذا عبدك ، متصرف بين أمرك ونهيك ، أرجو به الشهادة بين يديك ، والفوز لديك.

مولاي فإن أدركني الموت قبل ظهورك ، فإني أتوسل بك وبآبائك الطاهرين إلى الله تعالى، وأساله أن يصلي على محمد وآل محمد، وأن يجعل لي كرّةً في ظهورك، ورجعة في أيامك ، لأبلغ من طاعتك مرادي ، وأشفي من أعدائك فؤادي.

مولاي وقفت في زيارتك موقف الخاطئين النادمين الخائفين من عقاب رب العالمين

وقد اتكلت على شفاعتك ، ورجوت بموالاتك وشفاعتك محو ذنوبي ، وستر عيوبي ومغفرة زللي ، فكن لوليك يا مولاي عند تحقيق أمله ، واسأل الله غفران زلـله، فقد تعلق بحبلك وتمسك بولايتك ، وتبرأ من أعدائك.

اللهم صل على محمد وآل محمد ، وأنجز لوليك ما وعدته.

اللهم أظهر كلمته وأعلِ دعوته ، وانصره على عدوه وعدوك يا رب العالمين.

اللهم صل على محمد وآل محمد وأظهر كلمتك التامة ، ومغيبك في أرضك الخائف المترقب .

اللهم انصره نصراً عزيزاً وافتح له فتحاً قريباً يسيراً . اللهم وأعزَّ به الدين بعد الخمول وأطلِعْ به الحق بعد الأفول، واجْلُ به الظلمة، واكشف به الغمة. اللهم وآمن به البلاد واهد به العباد . اللهم املأ به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، إنك سميع مجيب.

السلام عليك يا ولي الله ، إئذن لوليك في الدخول إلى حرمك ، صلوات الله عليك وعلى آبائك الطاهرين ، ورحمة الله وبركاته.

فإذا نزلت السرداب فقل: السلام على الحق الجديد ، والعالم الذي علمه لا يبيد ، السلام على محيي المؤمنين ، ومبير الكافرين .

السلام على مهدي الأمم ، وجامع الكلم . السلام على خلف السلف ، وصاحب الشرف . السلام على حجة المعبود ، وكلمة المحمود . السلام على معز الأولياء ، ومذل الأعداء . السلام على وارث الأنبياء وخاتم الأوصياء . السلام على الإمام المنتظر والغائب المشتهر . السلام على السيف الشاهر والقمر الزاهر والنور الباهر . السلام على شمس الظلام وبدر التمام . السلام على ربيع الأيتام وفطرة الأنام . السلام على صاحب الصمصام وفلاق الهام . السلام على صاحب الدين المأثور والكتاب المسطور . والسلام على بقية الله في بلاده ، وحجته على عباده ، والمنتهى إليه مواريث الأنبياء ، ولديه موجود آثار الأصفياء . السلام على المؤتمن على السر، والولي للأمر ، والسلام على المهدي الذي وعد الله تعالى به الأمم أن يجمع به الكلم ويلم به الشعث ويملأ به الأرض قسطاً وعدلاً ، ويمكن له وينجز به وعد المؤمنين.

أشهد أنك والأئمة من آبائك أئمتي ومواليَّ في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . أسألك

يا مولاي أن تسأل الله تبارك وتعالى في صلاح شأني ، وقضاء حوائجي وغفران ذنوبي ، والأخذ بيدي في ديني ودنياي وآخرتي ، لي ولكافة إخواني المؤمنين والمؤمنات ، إ نه غفور رحيم).

○ ○

○ **وفي البحار:١١٦/٩٩:** (وقال الشيخ المفيد والشهيد ومؤلف المزار الكبير رحمهم الله في وصف زيارته عليه السلام: فإذا فرغت من زيارة جده وأبيه فقف على باب حرمه فقل: السلام عليك يا خليفة الله وخليفة آبائه المهديين ، السلام عليك يا وصي الأوصياء الماضين ، السلام عليك يا حافظ أسرار رب العالمين ، السلام عليك يا بقية الله من الصفوة المنتجبين ، السلام عليك يا ابن الانوار الزاهرة ، السلام عليك يا ابن الاعلام الباهرة ، السلام عليك يا ابن العترة الطاهرة ، السلام عليك يا معدن العلوم النبوية ، السلام عليك يا باب الله الذي لا يؤتى إلا منه ، السلام عليك يا سبيل الله من سلك غيره هلك ، السلام عليك يا ناظر شجرة طوبى ، وسدرة المنتهى ، السلام عليك يا نور الله الذي لا يطفى ، السلام عليك يا حجة الله التي لا تخفى ، السلام عليك يا حجة الله على من في الأرض والسماء) .

○ ○

(٣) في كمال الدين للصدوق رحمه الله ص٢٢١،عن عمار بن موسى الساباطي ، عن الإمام الصادق عليه السلام: قال: سمعته وهو يقول: لم تخل الأرض منذ كانت من حجة عالم ، يحيي فيها ما يميتون من الحق ، ثم تلى هذه الآية: **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) .**

○ **وفي كمال الدين ص٦٧٠،** عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله (الإمام الصادق عليه السلام) في قول الله عز وجل: **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)** قال: والله ما نزل تأويلها بعد ، ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم عليه السلام. فإذا خرج القائم لم يبق كافر بالله العظيم ولا مشرك بالإمام إلا كره خروجه ، حتى أن لو كان كافراً أو مشركاً في بطن صخرة لقالت يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله) !

○ **وفي مجمع البيان:٥/٢٨٠:** روى العياشي بالإسناد عن عمران بن ميثم ، عن عباية أنه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول: **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** . أظهر بعد ذلك ؟ قالوا: نعم ، قال: كلا فوالذي نفسي بيده حتى لا تبقى قرية إلا وينادى فيها بشهادة أن لا إله إلا الله ، بكرة وعشياً). انتهى. ولم نجده في نسخة العياشي الموجودة.

○ **وفي تأويل الآيات:٢/٦٨٩:** ما رواه أيضاً (محمد بن العباس) عن أحمد بن إدريس ، عن عبد الله بن محمد ، عن صفوان بن يحيى ، عن يعقوب بن شعيب ، عن عمران بن ميثم، عن عباية بن ربعي ، أنه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول:- كما في مجمع البيان ، لكن فيه: **وأن محمداً رسول الله** . ورواه في تفسير الصافي :٢/٣٣٨ ، وفي حلية الأبرار:٢/٦٤٩ وفي تفسير البرهان:٤/٣٢٩ ، وفي المحجة: ص٨٦ ، وفي البحار:٥١/٦٠ ، جميعاً كما في تأويل الآيات .

○ **وفي الكافي:١/٤٣٢** ، عن محمد بن الفضيل ، عن الإمام الكاظم عليه السلام: سألته عن قول الله عز وجل: **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم** ؟ قال: يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم. قلت: والله متم نوره؟ قال: والله متم الإمامة، لقوله عز وجل: **الذين آمنوا بالله ورسوله ولنور الذي أنزلنا** ، فالنور هو الإمام . قلت: **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق** ؟ قال: هو الذي أمر رسوله بالولاية لوصيه والولاية هي دين الحق. قلت: **ليظهره على على الدين كله** ؟ قال: يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم ، قال: يقول الله: والله متم نوره ، ولاية القائم . **ولو كره الكافرون** ، بولاية علي عليه السلام) .ورواه ابن شهر آشوب في المناقب:٣/٨٢، كما في الكافي مختصراً. والبياضي في الصراط المستقيم:٢/٧٤ ، كما في الكافي . وغيرهم.

○ ○

كيف يستحق الإمام مقام الإمامة ؟

(بتاريخ: ١٣ شعبان المعظم ١٤١١ - ١٩٩١/٢/٢٨ - ١٣٦٩/١٢/٩)

بســم الله الرحمن الرحيم

لابد لنا أن نستطرد البحث الى أصول الدين ، لنجبر ما فاتنا من التفسير . فالواجب علينا أن نبني أصول ديننا بناء علمياً عميقاً ، ولا نرضى أن تكون ناقصة !

إن فقرة الدعاء هذه: **اللهم عرفني حجتك، فإنك إن لم تعرفني حجتك، ضللت عن ديني.**(١) كلمة مملوءة بالخطورة ! فمسألة معرفة الحجة لله على خلقه مهمة جداً ، وليست هي كمعرفة العبادات أو المعاملات ، أو معرفة الصحيح والأعم ، والبراءة والإشتغال ! ليست من هذه البحوث التي ندخل فيها بكل قوتنا ! بل ترانا ندخل في بحوث العقائد والإمامة ونحن نرتعش خوفاً ، لأنا لسنا من فرسانها المسلحين ، لكن لابد من الكلام.

اللهم عرفني حجتك.. إن المعرفة الكاملة لحجة الله تعالى فوق مستوانا ! وهي مسألة لم تستوف بحثاً ، وإن كان أعيان علمائنا رضوان الله عليهم وجزاهم الله خيراً قد بذلوا جهوداً كبيرة ولم يقصروا . لكن السر في عظمة المطلب وليس في تقصير الباحثين في مسائل الإمامة!إن عظمة مطالب الإمامة

وعلو مقامها توجب أن لا نتوصل الى أعماقها بسهولة .

ومما يجب التنبيه عليه أن الشرط الأساسي لمعرفة أصول الدين أن يكون مصدرنا فيها القرآن والسنة فقط ، فمن القرآن نأخذ أصولها ومن الروايات فروعها وتفصيلها ، وما سبب الإنحرافات إلا أنا رجعنا في بحوث العقائد إلى غير القرآن والأحاديث.

والإمامة أهم من جميع مسائل البناء العقيدي على الإطلاق ، لأنها المقدمة الموصلة الى الله تعالى! وهذا واضح لكم لأنكم أهل فضل والحمدلله، تعرفون بماذا عُرف الله، وبماذا عُبد الله تعالى ، وتعرفون معنى: **لولانا ما عُرف الله، ولولانا ما عُبد الله** ، **(٢)** وتعرفون أن الإرتباط العلمي والعملي بين العبد وربه يتوقف على توسط الإمامة الكبرى ، فلا معرفة إلا عن طريقها ، ولا عبادة إلا عن طريقها.. فما هي الإمامة ؟

نستعرض آية من القرآن هي أصل المطلب ، ونذكر معناها بالإجمال ، وهي قوله تعالى: **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** . (السجدة:٢٤) ، وفيها أربعة مباحث ، أرجو أن تتأملوا فيها:

المبحث الأول: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ.. فالإمامة أمر مجعول من الله تعالى، لا من السقيفة! والقرآن يعطي هدايته لجميع الناس بالعبارة وبالإشارة ، والعلماء والواعون يفهمون هدايته ، ولا ذنب للقرآن إذا لم يهتد به غلاظ القلوب والأذهان ! وعندما ندرس أصحاب المستويات العالية من العلماء نجد أنهم بعد أن يستكملوا مراحلهم العلمية يعودون الى مطالعة القرآن! ومطالعة القرآن غير هذه القراءة العادية المعروفة .

وهذه الآية في مطلق الإمامة وليست في الإمامة المطلقة ، لأنها في إمامة

عدد من أئمة بني إسرائيل ، ومع ذلك لا يصح فيهم جعل البشر ، بل لا بد فيهم من جعل الله تعالى . وإذا كان هذا حال مطلق الإمامة، فكيف بالإمامة المطلقة بعد خاتم الأنبياء والرسل صلى الله عليه وآله؟!

إن إمامة أئمتنا المعصومين عليهم السلام وإمامة صاحب العصر والزمان أرواحنا فداه إمامة مطلقة ، وليست مطلق إمامة ، والفرق بينهما كبير .

المبحث الثاني: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً.. ومن هنا للتبعيض ، فالذين يصلحون لهذا المنصب الإلهي هم بعض المؤمنين مع الرسل ، وليسوا كلهم.

والمبحث الثالث: في بيان أصل الإمامة.

والمبحث الرابع: في بيان فرع الإمامة . فما هو أصل الإمامة ، وما هو فرعها ؟

أما أصل الإمامة فهو: **لَمَّا صَبَرُوا** . وأما فرعها فهو: **يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**. وهذا هو إعجاز القرآن! فإعجاز الفصاحة والبلاغة فيه إعجاز لفظي ، ولكن إعجازه لكبار المفكرين من العلماء أنه في آية واحدة بل في جزء من آية ، يقدم العجائب ! وهو هنا يوجب على الباحث أن يفهم معنى الصبر أولاً ، ثم يفهم معنى الهداية ، ثم يفهم معنى الأمر في الآية ، ثم يفهم معنى الهداية بالأمر !

أما الصبر فهو في اللغة حبس النفس ، وهو مقولة نسبية متفاوتة المراتب ، أو مشككة بالتعبير المنطقي ، وهو الجذر والطريق لوصول الإنسان الى مستويات عالية من الكمال الإنساني ، فبالصبر وصل كبار الأنبياء والأئمة عليهم السلام الى أن تكون عوالم الكون في قبضة يدهم !

لو كنا نفهم هذا الطريق، لو أن أحداً ربَّانا عليه لما كنا اليوم في مستوانا هذا!

يبدأ الصبر بقلة الكلام ، فانظروا في روايات الحث على قلة الكلام والنهي عن كثرته ! وتعلموا أن تحفظوا أنفسكم بالصبر عن الكلام ، لتروا أثره !

إن كبار المفكرين والعلماء والمرتاضين في جهاد النفس ، إنما بلغوا ما بلغوا بتحقيق شروط في سلوكهم ، من أولها الصمت والسكوت وقلة الكلام !

فالصبر يبدأ بحفظ العين واللسان ، أي بالصبر عن النظر والكلام ، وفي ذلك سر ، وهو أن النقطة التي يبدأ منها فضول النفس هو النظر واللسان!

ثم يتواصل الصبر، الى أن يصل الى الصبر على كل الأمور: الصبر على المشتهيات ، والصبر على المنازعات والمجادلات ، والصبر على المؤلمات والمصائب.. الخ . فإذا تم ذلك فقد تمت ألف باء الصبر ، حتى يصل إلى درجة الصبر عن جميع الدنيا ، ويتحقق لصاحبه حبس النفس عن كل عالم المادة ، ويخرج روحه من كل متعلقاتها .

وإذا تم له ذلك ، وحبس نفسه عن كل عالم المادة ، وما فيه من مال ومقام ولذائذ ، فلم يصل الى درجة الإنسان الكامل أيضاً ! لأن قوله تعالى: **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا** ، يعني أنهم صبروا عن الدنيا وعن البرزخ أيضاً! والبرزخ هنا هو الصور الخيالية ، والصبر عليها يعني محوها من عالم النفس والروح .

فإذا تم له محو عالم الدنيا وعالم البرزخ ، يصل الى المرحلة الثالثة وهي الصبر عن شؤون عالم الآخرة .

فإذا استطاع أن يصبر على الآخرة بكل ما فيها من نعميم ، يكون بذلك محا الدنيا والبرزخ والآخرة من روحه ، وحينئذ يمكنه أن يفرغ نفسه وروحه لله تعالى دون أن يكون له فيه شريك ، ويصل الى درجة **العبد المطلق**.

إن الله تعالى لا يقبل الشريك ، ولا يصح أن تكون الدنيا ولا الآخرة شريكاً له في نفس العبد المطلق. وما لم يمح الإنسان من نفسه وروحه كل الدنيا

والبرزخ والآخرة ، فلايستطيع أن يجمع نفسه ويقدمها لله تعالى ! وكما قال النبي صلى الله عليه وآله: **إن الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ليلة ظلماء.** (وسائل الشيعة- آل البيت:١٦/٢٥٤) **(٣)** وهذا الكلام لم يقله النبي صلى الله عليه وآله لي ولك ، بل قاله لأعيان الإنسانية الذين وصلوا الى هذه المراحل !

وعندما يصل الإنسان الى درجة العبد المطلق يكون كما نقرأ في زيارة الجامعة: **وذلَّ كلُّ شئ لكم ، وأشرقتِ الأرضُ بنوركم.** (العيون:١/٣٠٤) !

كل شئ.. كل ما يصدق عليه أنه شئ في تلك الحضرة ذليل ! وجيرئيل شئ وميكائيل شئ، والكرسي واللوح والقلم، أشياء.. وكلها ذليلة أمام الإمام الحجة بن الحسن صلوات الله عليه !

وذل كل شئ لكم.. لماذا؟ لأنه صار عبداً مطلقاً، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: **يا علي، من خاف الله عز وجل خاف منه كل شئ ، ومن لم يخف الله عز وجل أخافه الله من كل شئ .** (من لايحضره الفقيه:٤/٣٥٧) **(٤)**

وهذه العبودية هي التي قالوا عنها **(العبودية جوهرة كنهها الربوبية)** أي ربوبية للأشياء بالله تعالى.

أرأيتم النتيجة التي ينتهي إليها الصبر ، وكيف يصل الإنسان الذي صبر نفسه في جنب الله تعالى الى مقام العبد المطلق ، ويستحق الإمامة المطلقة؟ فماذا نستطيع أن نقول في مقام الإمام صاحب الزمان عليه السلام ؟أليس الأفضل أن نصمت ونكتفي بذكر اسمه الشريف فقط ؟!

○ ○

لإمامِ العصر وولي الأمر صلوات الله عليه مئةٌ وثمانون صفةً أو لقباً ، ونيفاً ، منها تعرف شخصيته ويعرف مقامه.

فمن صفاته المئة والثمانين أنه: خليفة الله.

ومن صفاته المئة والثمانين أنه: حجة الله .

ومنها أنه: ربانيُّ آيات الله.

ومنها أنه: دليل إرادة الله.

ومنها أنه: مدار الدهر.

ومنها أنه: نور الله المطلق.

ومنها أنه:صاحب السماء.

ومنها أنه: ضياء الله المشرق.

ومنها أنه: الكلمة التامة.

ومنها أنه: الرحمة التي وسعت كل شئ ، نعم ، الرحمة التي وسعت كل شئ ! فهل باستطاعتنا أن نفسر صفة واحدة من هذه المئة والثمانين ؟ أم أنها جميعاً فوق تفسيرنا ؟!

سيدي ، لقد عشنا عمرنا على مائدتك ، وباسمك قدمنا أنفسنا الى الناس ، لكنا عندما نراجع حسابنا ، نجد أننا ما عرفناك ولا عرفنا قدرك ، ولا أدينا تجاهك واجب الإحترام! بل إني أتساءل: كيف سيحاسبنا الله تعالى لأنا أنقصنا من حقك ونزلنا مقامك الى مستوياتنا ؟!

يا من هو الواسطة في فيض نعم الله على خلقه ، يا من جعله الله الذي منه الوجود فاعل ما به الوجود . وحاشاك أن نشركك معه في ذرة من ملكه ، فقد تعلمنا منكم التوحيد والتنزيه والتحميد ، فنحن نشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك: **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.** (سورة لأعراف:٥٤) ونشهد أنك تقول كجدك المصطفى: **لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاضَرّاً إلامَا شَاءَ اللهُ.** (سورة الأعراف: ١٨٨) لكنا نعتقد أن ما استثناه تعالى بقوله **إِلاَّمَا شَاءَ اللهُ**، هو الكثير الكثير ، فقد

جعلكم واسطة فيضه وعطائه لخلقه ، فحيثما كان عطاء إلهي فأنت موجود ، وحيثما كان فعل إلهي فأنت وسيلته.. فالنَّفَسُ الذي نتنفسه من الله تعالى بكم، والنظر الذي ننظر به من الله تعالى بكم ، والخطوة التي نخطوها من الله بكم!
نحن نعتقد أنك لا تملك من نفسك شيئاً ، لكنك تملك بالله عظيم ما ملكك!
فأنتم أهل البيت، وأنت يا إمام العصر: **رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شئ!**
وخير لنا أن نصمت عن مديحكم ونتركه لمن هو أكفأ منا ، فإنما أردنا هذا اليوم أن نفهم أننا مقصرون جاهلون عاجزون ، وأن نطلب العذر لتقصيرنا.

○ ○

نحن بهذا الحديث عنك نعرض أنفسنا أمامك ، لعلك تتفضل علينا بنظرة.
أخبرني أحد الأشخاص الكبار الذين أثق بهم ، أنه سمع أنه توجد رياضة خاصة من يفعلها يستطيع أن يرى واقعة كربلاء كما هي في يومها ! وهذا أمر يتفق مع الكشوف العلمية التي تؤكد أن الأحداث والوقائع في الأرض محفوظة في عالم أثيري خاص، وأنه يمكن للروح أن تتصل بها وتراها !
قال: لكنه لم يمكنه مشاهدة جميع وقائع عاشوراء ، فهناك مقطع نحو ثلاث ساعات غير قابل للمشاهدة لأحد، من حين هوى الإمام الحسين عليه السلام من على ظهرجواده الى أن جمع النبي صلى الله عليه وآله دمه فصعد به وجعله على أسطوانة العرش، فهو يهتز الى يوم القيامة ! هذا المقطع غير قابل للرؤية !
هذا هو الصبر الذي نتجت عنه الإمامة الكبرى ، وهو نفسه صبر صاحب الزمان أرواحنا فداه ، الذي يرى هذا المشهد كل يوم صباحاً ومساء !

إن حياته عليه السلام كلها امتحان، وقد ورد أنه يوجد عنده في البيت الذي يسكن فيه قميص جده الحسين عليه السلام معلقٌ فوق رأسه وهو يراه ، فإذا حان وقت ظهوره يراه قد صار دماً عبيطاً ! (٥)

إن صبره لايشبه صبر أحد من الناس، بسبب سعة علمه ورقة قلبه وشفافية مشاعره عليه السلام! فهو يرى كل مظالم العالم وجناياته ، وهو يرى مظالم جده النبي صلى الله عليه وآله وأجداده الطاهرين عليهم السلام أمام عينيه،ولاشك أنه يتجول في زيارة مشاهدهم المشرفة ، من بيت الله في مكة ، الى قبر جده المصطفى وأجداده المعصومين في المدينة المنورة ، الى قبر جده أمير المؤمنين عليه السلام في النجف، الى قبر جده الحسين في كربلاء ، الى بقية مشاهد المعصومين عليهم السلام، وتتجسد أمام عينيه مظالمهم ومصائبهم !

وهو في ذلك يعيش حياته بقلب حي وإحساس نابض، يعيش بقداسة روح جده أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يتحمل أن يسلب نملة جلب شعيرة ، حتى لو أعطي مقابلها الأقانيم السبعة بما تحت أفلاكها! والذي عنده الموت أهون من أن يرى امرأة مسلمة أو ذمية تسلب حليها، ولا يستطيع أن يدافع عنها! (٦)
فأي صبر هو صبر الإمام المهدي أرواحنا فداه ؟!

○ ○

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا..هذا هو الصبر المطلق الذي يوصل الى الإمامة المطلقة! فما هوالفرق بين مطلق الإمامة ، والإمامة المطلقة؟

إن الإمامة مقولة لها شروط ترتفع درجتها بها حتى تصل طبقاً لنظام العلة والمعلول الى الإمامة المطلقة ، وتكون النسبة بينها وبين مطلق الإمامة كنسبة مطلق الوجود الى الوجود المطلق ، ومطلق العلم الى العلم المطلق ، ومطلق القدرة الى القدرة المطلقة !

فإذا التفتم إلى هذه الفروق عرفتم معنى الرحمة المطلقة التي وصف بها الأئمة عليهم السلام في الزيارات والأدعية، فالرحمة المطلقة هي التي وسعت كل شئ ، ومطلق الرحمة لا تسع كل شئ .

وينبغي هنا أن نعرف أن الآية في الأئمة المختارين من بني إسرائيل ، وهؤلاء ليسوا كأئمتنا عليهم السلام أهل الصبر المطلق والإمامة المطلقة.

فالإمام المهدي صاحب الزمان أرواحنا فداه، صاحب الإمامة المطلقة وليس مطلق إمام ، وهذا يعني أنه صاحب العلم المطلق بتعليم الله تعالى ، والقدرة المطلقة بإقدار الله تعالى ، والرحمة المطلقة بعطاء الله تعالى.

فهو كلمة الله التامة ورحمته الواسعة.. صلوات الله عليه.

○ ○

توجد رواية عن الإمام الرضا عليه السلام يصف فيها الإمام المهدي عليه السلام ينبغي أن نقرأها ، فهي من الغرر التي خص بها الحسن بن محبوب الزراد ، الذي هو من كبار علماء الطائفة ، من أصحاب الإجماع الذين أجمعت الطائفة على تصحيح ما يصح عنهم (٧) ، والأئمة عليهم السلام لا يقولون كل المطالب لكل أحد ، بل يدخرون بعضها لأهلها. قال الحسن بن محبوب رحمه الله قال لي: (**لابد من فتنة صماء صيلم ، تسقط فيها كل بطانة ووليجة ، وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي ، يبكي عليه أهل السماء وأهل الأرض ، وكل حرَّى وحران ، وكل حزين لهفان. ثم قال: بأبي وأمي سميٌّ جدي، شبيهي وشبيه موسى بن عمران ، عليه جيوب النور تتوقد بشعاع ضياء القدس! كم من حرى مؤمنة ، وكم مؤمن متأسف حيران حزين عند فقدان الماء المعين!كأني بهم آيس ما كانوا قد نودوا نداء يسمع من بعد كما يسمع من قرب ، يكون رحمةً على المؤمنين وعذاباً على الكافرين !**) . (العيون:١/٩) (٨)

إن كلام الإمام لا مبالغة فيه فهو عين الواقع ، وأوصافه لهذه الفتنة حقيقية.

بأبي وأمي سميٌّ جدي ، شبيهي وشبيه موسى بن عمران ، عليه جيوب النور تتوقد بشعاع ضياء القدس ! فالإمام الرضا عليه السلام الذي هو شرط قبول الله تعالى

لكلمة التوحيد من عباده، يقول هذا الكلام للحسن بن محبوب الفقيه الجليل! وفي هذا فليفكر العقل الكامل ، وليصل إن استطاع الى أعماقه !

أي جيوب تتوقد على الإمام؟ والجيوب هي طيات قبائه وعباءته وثيابه ، فهي لشدة نوره تتوقد ، لا من النور العادي ، بل من شعاع ضياء القدس ! فإلى أي مرتبة وصل الإمام في اتصاله بنور الأنوار سبحانه ، حتى صارت روحه وبدنه وثيابه تتوقد بشعاع ضياء القدس؟!

إنه نور الله في أرضه الذي قال عنه تعالى: **مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.** (سورة النور:٣٥)

إنه مدار الدهر وناموس العصر.. صلوات الله عليه.

وطريق الوصول إليه بأمرين: **أولهما** ، التقوى ، فإن كتاب الله تعالى(هدىً للمتقين) والإمام كتاب الله الناطق ، هدىً للمتقين أيضاً . والتقوى من إنسان بحسبه ، ومنكم بحسبكم.

وثانيهما ، التمسك بأهل بيت العصمة والطهارة، وأن تجعلوا إمام الزمان عليه السلام أمام نظركم ، لتكونوا مشمولين لنظره ولطفه . فإن أردتم أن تكونوا موضع لطفه ، وأن توصلوا الناس به ، فلا بد أن تحققوا هذين الشرطين.

وأوصيكم بأمرين يقربانكم من الله تعالى وحجته صلوات الله عليه:

الأول، أن لا تنسوا ظلامة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، هذه الظلامة التي يذكرها الإمام صباحاً ومساء ويتألم لها ويذوب لها فؤاده ، فقد هجموا على بيتها نهاراً جهاراً ، وأوصت أن يدفنوها ليلاً سراً.

والثاني، أن تحافظوا على إحياء عاشوراء وتحفظوا مقام سيد الشهداء عليه السلام.

○ ○

هوامش

(١) **في الكافي:١/٣٣٧**: (علي بن إبراهيم، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن عبدالله بن موسى عن عبد الله بن بكير ، عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن للغلام غيبة قبل أن يقوم ، قال: قلت ولم ؟ قال: يخاف وأومأ بيده إلى بطنه ، ثم قال: يا زرارة وهو المنتظر ، وهو الذي يشك في ولادته ، منهم من يقول: مات أبوه بلا خلف! ومنهم من يقول: حَمْل ، ومنهم من يقول: إنه ولد قبل موت أبيه بسنتين ، وهو المنتظر غير أن الله عزوجل يحب أن يمتحن الشيعة ، فعند ذلك يرتاب المبطلون يا زرارة .
قال: قلت: جعلت فداك إن أدركت ذلك الزمان أي شئ أعمل؟ قال: يا زرارة إذا أدركت هذا الزمان فادع بهذا الدعاء: **اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ، اللهم عرفني رسولك ، فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك ، اللهم عرفني حجتك ، فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني.**

ثم قال: يا زرارة لابد من قتل غلام بالمدينة ، قلت: جعلت فداك أليس يقتله جيش السفياني؟ قال: لا، ولكن يقتله جيش آل بني فلان ، يجئ حتى يدخل المدينة ، فيأخذ الغلام فيقتله ، فإذا قتله بغياً وعدواناً وظلماً لا يمهلون ، فعند ذلك توقع الفرج إن شاء الله). (راجع مصباح المتهجد للطوسي ص٤١٢)

○ **وفي كمال الدين للصدوق رحمه الله ص٥١٢**: (الدعاء في غيبة القائم عليه السلام: حدثنا أبو محمد الحسين بن أحمد المكتب قال: حدثنا أبو علي بن همام بهذا الدعاء ، وذكر أن الشيخ العمري قدس الله روحه أملاه عليه وأمره أن يدعو به وهو الدعاء في غيبة القائم عليه السلام: **اللهم عرفني نفسك ، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك ، اللهم عرفني نبيك فإنك إن لم تعرفني نبيك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني ، اللهم لا تمتني ميتة جاهلية ، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني.**

أللهم فكما هديتني بولاية من فرضت طاعته علي من ولاة أمرك بعد رسولك صلى الله عليه وآله حتى

واليت ولاة أمرك أمير المؤمنين والحسن و الحسين وعلياً ومحمداً وجعفراً وموسى وعلياً ومحمداً وعلياً وعلياً والحسن والحجة القائم المهدي صلوات الله عليهم أجمعين.

اللهم فثبتني على دينك واستعملني بطاعتك ، ولين قلبي لولي أمرك ، وعافني مما امتحنت به خلقك ، وثبتني على طاعة ولي أمرك الذي سترته عن خلقك ، فبإذنك غاب عن بريتك ، وأمرك ينتظر ، وأنت العالم غير معلم بالوقت الذي فيه صلاح أمر وليك في الإذن له بإظهار أمره وكشف ستره ، فصبرني على ذلك حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت ، ولا أكشف عما سترته ، ولا أبحث عما كتمته ، ولا أنازعك في تدبيرك ، ولا أقول لمَ وكيفَ ، وما بال ولي الأمر لايظهر وقد امتلأت الأرض من الجور ؟ وأفوض أموري كلها إليك .

أللهم إني أسألك أن تريني ولي أمرك ظاهراً نافذاً لأمرك ، مع علمي بأن لك السلطان ، والقدرة والبرهان والحجة والمشيئة والإرادة ، والحول والقوة ، فافعل ذلك بي وبجميع المؤمنين ، حتى ننظر إلى وليك صلواتك عليه وآله ظاهر المقالة ، واضح الدلالة ، هادياً من الضلالة ، شافياً من الجهالة . أبرزْ يا رب مشاهده ، وثبت قواعده ، واجعلنا ممن تقر عينه برؤيته، وأقمنا بخدمته ، وتوفنا على ملته ، واحشرنا في زمرته.

أللهم أعذه من شر جميع ما خلقت وبرأت وذرأت وأنشأت وصورت ، واحفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته ، بحفظك الذي لا يضيع من حفظته به ، واحفظ فيه رسولك ووصي رسولك . اللهم ومد في عمره ، وزد في أجله وأعنه على ما أوليته واسترعيته ، وزد في كرامتك له ، فإنه الهادي والمهتدي والقائم المهدي ، الطاهر التقي النقي الزكي ، والرضي المرضي ، الصابر المجتهد الشكور .

أللهم ولا تسلبنا اليقين لطول الأمد في غيبته وانقطاع خبره عنا، ولا تنسنا ذكره وانتظاره، والايمان وقوة اليقين في ظهوره ، والدعاء له والصلاة عليه، حتى لايقنطنا طول غيبته من ظهوره وقيامه ، ويكون يقيننا في ذلك كيقيننا في قيام رسولك صلواتك عليه وآله ، وما جاء به من وحيك وتنزيلك ، وقوِّ قلوبنا على الايمان به حتى تسلك بنا على يده منهاج الهدى ، والحجة العظمى ، والطريقة الوسطى ، وقونا على طاعته ، وثبتنا على متابعته ،

واجعلنا في حزبه وأعوانه وأنصاره ، والراضين بفعله ، ولا تسلبنا ذلك في حياتنا ولا عند وفاتنا ، حتى تتوفانا ونحن على ذلك غير شاكين ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مكذبين .

أللهم عجل فرجه وأيده بالنصر ، وانصر ناصريه ، واخذل خاذليه ، ودمر على من نصب له وكذب به ، وأظهر به الحق ، وأمت به الباطل ، واستنقذ به عبادك المؤمنين من الذل ، وأنعش به البلاد ، واقتل به جبابرة الكفر ، واقصم به رؤوس الضلالة ، وذلل به الجبارين والكافرين، وأبِرْ به المنافقين والناكثين وجميع المخالفين والملحدين، في مشارق الارض ومغاربها، وبرها وبحرها ، وسهلها وجبلها ، حتى لا تدع منهم دياراً ، ولا تبقي لهم آثاراً ، وتطهر منهم بلادك، واشف منهم صدور عبادك، وجدد به ما امتحى من دينك، وأصلح به مابدل من حكمك، وغير من سنتك،حتى يعود دينك به وعلى يديه غضاً جديداً صحيحاً، لا عوج فيه ولا بدعة معه ، حتى تطفئ بعدله نيران الكافرين، فإنه عبدك الذي استخلصته لنفسك وارتضيته لنصرة نبيك، واصطفيته بعلمك، وعصمته من الذنوب، وبرأته من العيوب، وأطلعته على الغيوب، وأنعمت عليه وطهرته من الرجس ونقيته من الدنس.

أللهم فصل عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين ، وعلى شيعتهم المنتجبين ، وبلغهم من آمالهم أفضل ما يأملون ، واجعل ذلك منا خالصاً من كل شك وشبهة ورياء وسمعة ، حتى لا نريد به غيرك ، ولا نطلب به إلا وجهك.

أللهم إنا نشكو إليك فقد نبينا ، وغيبة ولينا ، وشدة الزمان علينا ، ووقوع الفتن ، وتظاهر الأعداء ، وكثرة عدونا ، وقلة عددنا . اللهم ففرج ذلك بفتح منك تعجله ، ونصر منك تعزه ، وإمام عدل تظهره . إله الحق رب العالمين .

أللهم إنا نسألك أن تأذن لوليك في إظهار عدلك في عبادك ، وقتل أعدائك في بلادك، حتى لا تدع للجور يا رب دعامة إلا قصمتها ، ولا بنيةً إلا أفنيتها ، ولا قوةً إلا أوهنتها ، ولا ركناً إلا هددته، ولا حداً إلا فللته ، ولا سلاحاً إلا أكللته ، ولا رايةً إلا نكستها ، ولا شجاعاً إلا قتلته ، ولا جيشاً إلا خذلته ، وارمهم يا رب بحجرك الدامغ ، واضربهم بسيفك القاطع ، وببأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين ، وعذب أعداءك وأعداء دينك وأعداء رسولك بيد وليك وأيدي عبادك المؤمنين.

أللهم اكف وليك وحجتك في أرضك هول عدوه ، وكد من كاده ، وامكر من مكر به ، واجعل دائرة السوء على من أراد به سوءً ، واقطع عنه مادتهم ، وارعب له قلوبهم ، وزلزل له أقدامهم، وخذهم جهرة وبغتة،وشدد عليهم عقابك،واخزهم في عبادك، والعنهم في بلادك ، وأسكنهم أسفل نارك ، وأحط بهم أشد عذابك ، وأصلهم ناراً واحش قبور موتاهم ناراً ، وأصلهم حر نارك ، فإنهم أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، وأذلوا عبادك.

أللهم وأحي بوليك القرآن ، وأرنا نوره سرمداً لا ظلمة فيه ، وأحيِ به القلوب الميتة ، واشف به الصدور الوغرة ، واجمع به الأهواء المختلفة على الحق ، وأقم به الحدود المعطلة ، والأحكام المهملة ، حتى لا يبقى حق إلا ظهر ، ولا عدلٌ إلا زهر ، واجعلنا يا رب من أعوانه ومقوي سلطانه والمؤتمرين لأمره، والراضين بفعله، والمسلمين لأحكامه ، وممن لا حاجة له به إلى التقية من خلقك . أنت يا رب الذي تكشف السوء وتجيب المضطر إذا دعاك ، وتنجي من الكرب العظيم ، فاكشف يا رب الضر عن وليك ، واجعله خليفة في أرضك كما ضمنت له .

أللهم ولا تجعلني من خصماء آل محمد، ولا تجعلني من أعداء آل محمد، ولا تجعلني من أهل الحنق والغيظ على آل محمد ، فإني أعوذ بك من ذلك فأعذني ، وأستجير بك فأجرني .

أللهم صل على محمد وآل محمد ، واجعلني بهم فائزاً عندك في الدنيا والآخرة ومن المقربين) . انتهى.

○ ○

(٢) في بصائر الدرجات ص٨١: (أحمد بن موسى، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن علي بن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير ، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نحن ولاة أمر الله وخَزَنَةُ علم الله ، وعَيْبة وحي الله ، وأهل دين الله ، وعلينا نزل كتاب الله ، وبنا عبد الله ، ولولانا ما عُرِفَ الله ، ونحن ورثة نبي الله صلى الله عليه وآله، وعترته) .

○ **وفي بصائر الدرجات ص١٢٥:** (حدثنا أحمد عن الحسين بن راشد ، عن موسى بن القسم ، عن علي بن جعفر عن أخيه قال: قال أبو عبد الله: إن الله خلقنا فأحسن خلقنا

وصورنا فأحسن صورنا ، فجعلنا خُزَّانَهُ في سمواته وأرضه ، ولولانا ما عُرف الله) .

○ **وفي بصائر الدرجات ص١٢٥:** (حدثنا علي بن محمد ، عن القسم بن محمد ، عن سليمان بن داود المنقري ، عن سفيان بن موسى ، عن سدير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول: نحن خزان الله في الدنيا والآخرة وشيعتنا خزاننا ، ولولانا ما عُرف الله).

○ ○

(٣) في وسائل الشيعة (آل البيت):٢٥٤/١٦: (علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبيه، عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله: إن الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ليلة ظلماء؟ قال: كان المؤمنون يسبون ما يعبد المشركون من دون الله ، وكان المشركون يسبون ما يعبد المؤمنون ، فنهى الله عن سب آلهتهم لكي لايسب الكفار إلاه المؤمنين، فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لايعلمون فقال:**وَلاتَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ**. (سورة الأنعام: ١٠٨)

○ **وفي الخصال ص١٣٦:** (حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه ، قال حدثنا محمد بن الحسن الصفار ، عن الحسن بن موسى الخشاب ، عن يزيد بن إسحاق شعر ، عن عباس بن يزيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت: إن هؤلاء العوام يزعمون أن الشرك أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء على المسح الأسود ؟ فقال: لا يكون العبد مشركاً حتى يصلي لغير الله ، أو يذبح لغير الله ، أو يدعو لغير الله عز وجل . لم تعط هذه الأمة أقل من ثلاث).

○ **وفي معاني الأخبار ص٣٧٩:** (حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار ، عن يعقوب بن يزيد ، عن محمد بن أبي عمير ، عن عبد الحميد بن أبي العلاء قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الشرك أخفى من دبيب النمل . وقال: منه تحويل الخاتم ليذكر الحاجة ، وشبه هذا !) .

○ **وفي الخرائج والجرائح:٦٨٨/٢:** (ومنها ما قال أبو هاشم: سمعته يقول: من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل: ليتني لا أؤاخذ إلا بهذا ! فقلت في نفسي: إن هذا لهو الدقيق ،

وينبغي للرجل أن يتفقد من نفسه كل شئ . فقال: صدقت يا أبا هاشم إلزم ما حدثتك به نفسك، فإن الشرك في الناس أخفى من دبيب النمل على الصفا ، أو قال: الذر على الصفا، في الليله الظلماء) .

○ **وفي مصنف ابن أبي شيبة:٨٨/٧** : من خطبة للنبي صلى الله عليه وآله قال: (أيها الناس ، إتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل ، فقال له من شاء أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم) .

○ ○

(٤) في من لا يحضره الفقيه:٣٥٧/٤: (يا علي من خاف الله عز وجل خاف منه كل شئ ، ومن لم يخف الله عز وجل ، أخافه الله من كل شئ) .

○ **وفي بحار الأنوار:٢٧٠/٧٥:** عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: من أخرجه الله من ذل المعاصي إلى عز التقوى أغناه الله بلا مال وأعزه بلا عشيرة ، وآنسه بلا بشر ، ومن خاف الله خاف منه كل شئ ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شئ ، ومن رضي من الله باليسير من المعاش رضي الله عنه باليسير من العمل ، ومن لم يستح من طلب الحلال وقنع به ، خفت مؤونته ونعم أهله ، ومن زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه وأنطق به لسانه ، وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار السلام) .

○ **وفي الجواهر السنية للحر العاملي ص٣٦١:** (وروى الحافظ البرسي قال: ورد في الحديث القدسي عن الرب العلي أنه يقول: عبدي أطعني أجعلك مثلي: أنا حي لا أموت، أجعلك حياً لا تموت ، أنا غني لا أفتقر ، أجعلك غنياً لا تفتقر . أنا مهما أشاء يكون ، أجعلك مهما تشاء يكون) .

○ **وفي شجرة طوبى للحائري:٣٣/١:** (قال الله عز من قائل: عبدي أطعني حتى أجعلك مثلي أقول للشئ كن فيكون تقول للشئ كن فيكون ، وفي الخبر العبودية جوهرة كنهها الربوبية ، ولهذا ترى الأنبياء والأولياء والحجج ، سيما أشرفهم وسيدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصيائه عليهم السلام لمَّا أطاعوا الله عز وجل أطاعهم كل شئ حتى البهائم والحيوانات).

○ ○

(٥) لم أجد الرواية التي ذكرها الأستاذ مد ظله ، ووجدت شبيهاً لها في غيبة النعماني: /٢٤٣، عن يعقوب بن شعيب، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال له: (ألا أريك قميص القائم الذي يقوم عليه؟ فقلت بلى، قال: فدعا بقمطر ففتحه وأخرج منه قميص كرابيس فنشره ، فإذا في كمه الأيسر دم ، فقال: هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وآله الذي عليه دم يوم ضربت رباعيته، وفيه يقوم القائم، فقبلت الدم ووضعته على وجهي ، ثم طواه أبو عبد الله عليه السلام ورفعه) .

○ ○

(٦) **في نهج البلاغة** عليه السلام:٦٨/١: (ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا ، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات عليكم وملكت عليكم الأوطان ! وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار ، وقد قتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها ، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعائها، ماتمتنع منه إلا بالإسترجاع والإسترحام! ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلاً منهم كَلْمٌ ولا أريق لهم دم ! فلو أن امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً . فيا عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم !).

○ **وفي نهج البلاغة:٢١٨/٢**: (وأعجب من ذلك طارقٌ طرقنا بملفوفة في وعائها ، ومعجونة شنئتها ، كأنما عجنت بريق حية أو قيئها ، فقلت أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك محرم علينا أهل البيت؟!. فقال لا ذا ولا ذاك ، ولكنها هدية . فقلت هبلتك الهبول ، أعن دين الله أتيتني لتخدعني ، أمختبط أنت أم ذو جنة أم تهجر ؟! والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت ! وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها! ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لاتبقى؟! نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين) .

○ ○

(٧) **قال الشيخ البهائي رحمه الله في الحبل المتين ص٧** : (في معرفة من اجتمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنهم وهم على ما حكاه الكشي ثمانية عشر رجلاً ، ستة منهم من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وهم: زرارة ، ومعروف بن خربوذ ، وبريد العجلي، وأبو نصر الأسدي ، والفضيل بن يسار ، ومحمد بن مسلم . وقال بعضهم أبو بصير ليث المرادي مكان أبي نصر الأسدي ، وستة منهم من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وهم: جميل بن دراج ، وعبد الله بن مسكان ، وعبد الله بن بكير ، وحماد بن عثمان ، وأبان بن عثمان. وزعم بعضهم أن أفقه هؤلاء جميل بن دراج .

وستة منهم من أصحاب أبي ابراهيم وأبي الحسن عليهما السلام وهم: يونس بن عبد الرحمن ، وصفوان بن يحيى بياع السابري ، ومحمد بن أبي عمير ، وعبد الله بن المغيرة ، والحسن بن محبوب ، وأحمد بن محمد بن أبي نصر.

وقال بعضهم مكان الحسن فضالة بن أيوب. وقال بعضهم: مكان فضالة عثمان بن عيسى. وأفقه هؤلاء يونس بن عبد الرحمن ، وصفوان بن يحيى).

○ ○

(٨) **في عيون أخبار الرضا عليه السلام:٩/١** : (حدثنا أبي رضي الله عنه قال: حدثنا عبد الله بن جعفر بن جامع الحميري ، عن أحمد بن هلال العبرتائي ، عن الحسن بن محبوب ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال قال لي: لا بد من فتنة صماء صيلم تسقط فيها كل بطانة ووليجة، وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي،يبكي عليه أهل السماء وأهل الأرض، وكل حرّى وحران ، وكل حزين لهفان ، ثم قال: بأبي وأمي سمي جدي ، شبيهي وشبيه موسى بن عمران عليه السلام عليه جيوب النور تتوقد بشعاع ضياء القدس ! كم من حرى مؤمنة وكم مؤمن متأسف حيران حزين عند فقدان الماء المعين ! كأني بهم آيس ما كانوا قد نودوا نداء يسمع من بعد كما يسمع من قرب ، يكون رحمةً على المؤمنين وعذاباً على الكافرين !) . ورواه في الإمامة والتبصرة ص١١٤ .

○ ○

مولد الإمام المهدي عليه السلام

(بتاريخ: ١٤ شعبان ١٤١٥- ٧٣/١٠/٢٦ - ١٩٩٥/١/١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

ورد في دعاء هذه الليلة: **(اللهم بحق ليلتنا ومولودها ، وحجتك وموعودها التي قرنتَ إلى فضلها فضلك، فتمت كلمتك صدقاً وعدلاً ، لا مبدل لكلماتك، ولا معقب لآياتك. نورك المتألق ، وضياؤك المشرق ، والعلَمُ النور ، في طخياء الديجور، الغائب المستور ، جل مولده ، وكرم محتده ، والملائكة شهده..) (١)**

وتعبير: **جل مولده**، في وصف هذه الليلة يكشف لنا عن جلالة المولود . وقد ورد حديث في جلالة المولد يكشف عن الجلالة الخاصة للمولود أيضاً: **(عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: إن في الليلة التي يولد فيها الإمام ، لا يولد مولود إلا كان مؤمناً ، وإن ولد في أرض الشرك نقله الله إلى الإيمان ببركة الإمام) .** (أمالي الطوسي ص٤١٢)

وفي رواية البحار نقلاً عن خط الشهيد الثاني قدس سره: (إن الليلة التي يولد فيها القائم..الخ.) (البحارج٥١/٢٨) **(٢)**

فالمسألة فوق قدرتنا على التعقل ، والذي يمكننا أن نقوله إن كلام أهل البيت عليهم السلام يتطلب فهماً خاصاً وذوقاً خاصاً لاستيعابه، وهي قدرة لا تحصل

بالجهد الفكري ، بل بإفاضة الله تعالى على من يشاء من عباده !

من أعيان علماء الشيعة المشهورين محمد بن عبدالله بن جعفر الحميري رحمه الله وله مسائل أرسلها الى الحجة صلوات الله عليه بواسطة السفراء ، وأجابه عليها ، وقد رواها النجاشي والطوسي رحمهما الله .(فهرس النجاشي ص٣٥٤) .

قال الحميري رحمه الله:(**خرج التوقيع من الناحية المقدسة حرسها الله بعد المسائل: بسم الله الرحمن الرحيم . لا لأمره تعقلون ، ولا من أوليائه تقبلون ، حكمة بالغة فما تغني النذر عن قوم لا يؤمنون.**

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

إذا أردتم التوجه بنا إلى الله وإلينا ، فقولوا كما قال الله تعالى: سلام على آل يس . السلام عليك يا داعي الله ورباني آياته ..الخ.). (٣)

والمهم هنا فهم الحديث وتذوقه ، وإدراك لطائفه ، وملامسة رقائقه.

لا لأمره تعقلون ولامن أوليائه تقبلون.. عبارة غنية، مليئة بالمعاني، لأن خلاصة مشكلة البشر أنهم لا يتعقلون أمر الله تعالى ، ولا يقبلون من أوليائه ! ومجئ هذه العبارة في أول كلامه عليه السلام له دلالات ، فهي مفتاح الباب ! وهي تشير الى قوله تعالى:**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ.** (سورة ق: ٣٧) وموضوعهما واحد ، وهو أن البشر لكي يصلوا إلى وعي الحقائق وبلوغ المقامات العالية ، أمامهم طريقان لا ثالث لهما: فإما أن يدركوا بعقولهم أمر الله تعالى وأهدافه وأسراره في خلقه ، وهيهات هيهات أن تدرك عقول البشر ما هو فوق طاقتها وأعلى من مستواها ؟! جل حناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد ، وجلت أسراره أن يبلغها عامة الناس !

فلم يبق إلا أن يقبلوا من أوليائه الذين وصلوا بلطفه الى تعقل أمره ، وصاروا معدن علمه ، ومخزن أسراره .

لقد انفتح الباب إذن لمن أراد الطريق! فما دمنا لا نستطيع نفهم أسرار الكون والحياة والآخرة ، فما علينا إلا أن نقبل من أولياء الله الذين تفضل الله بهم علينا ليعلمونا ويوجهونا .

ثم قال عليه السلام مرشداً الى الطريق الثاني: **إذا أردتم التوجه بنا إلى الله وإلينا فقولوا..** وهي جملة عميقة محيرة، لأن معنى التوجه بنا الى الله تعالى واضحة، فقد علمنا النبي وأهل بيته صلى الله عليه وآله كيف نتوجه بهم الى تعالى، قال الإمام الباقر عليه السلام: **إذا أردت أمراً تسأله ربك ، فتوضأ وأحسن الوضوء ثم صل ركعتين وعظم الله وصل على النبي صلى الله عليه وآله وقل بعد التسليم: اللهم إني أسألك بأنك ملك، وأنك على كل شئ قدير مقتدر، وبأنك ما تشاء من أمر يكون، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة . يامحمد يارسول الله إني أتوجه بك إلى الله ربك وربي لينجح لي طلبتي. اللهم بنبيك أنجح لي طلبتي بمحمد. ثم سل حاجتك).** (الكافي:٣ /٤٧٨).

وفي التهذيب:١٠١/٦: **(اللهم إني لو وجدت شفعاء أقرب اليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار لجعلتهم شفعائي ، فبحقهم الذي أوجبت لهم عليك أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقهم ...) (٤)**

لكن المحير في كلام الإمام عليه السلام قوله: **إذا أردتم التوجه بنا إلى الله وإلينا !**

فما معنى التوجه بهم عليهم السلام الى الله وإليهم؟! ما معنى هذه الكلمة الصادرة من ذلك الإمام المطلق، والقديس الأعلى،الذي مقامه فوق اللوح والقلم والكرسي والعرش ؟! أحاول فيما يتسع الوقت أن نفهم شيئاً من هذه الكلمة:

تعرفون أن الله تعالى قال في كتابه: **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ.** (سورة غافر: ٦٠) فالدعاء يستتبع

الإجابة لا محالة ، ولاتتخلف عنه، فلماذا لانرى استجابة أكثر أدعية الداعين؟!

الجواب: أن الدعاء لم يتحقق ، فلو تحققت:**ادْعُونِي** ، لتحققت: **أَسْتَجِبْ لَكُمْ** لا محالة ! فكيف يتحقق الدعاء ؟

إن الحكمة مبثوثة في الكتاب والسنة، وقد بين الله تعالى شرط تحقق الدعاء بقوله: **أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**.(سورة النمل:٦٢)، فهذه الآية تشرح آية: **إدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ، وتدلنا على أنه ليست كل دعاء دعاءً لله تعالى ، فدعوته سبحانه تتحقق عندما تصدر من صاحبها فتخرق الحجب بين الداعي وبين الله تعالى، وخرق الحجب لايتم إلا بالإضطرار،وبه تكون الإجابة قطعية. ولو أن شخصاً تحققت منه الحالة التي تحصل للمضطر ، ولو لم يكن مضطراً عملياً ، لكانت استجابة دعائه قطعية أيضاً ، وهو أيضاً من نوع الإضطرار . وعلينا أن نفهم آيات القرآن ، وكلام حَمَلَة القرآن عليهم السلام.

نعم ، إن من القطعيات المسلَّمة أن الإنسان المضطر ، كالذي يكون منقطعاً في صحراء ، أو يضل الطريق في مكان خطر ، أو يتوجه إليه خطر من شئ فتحصل عنده حالة المضطر المنقطع ، ويلتجئ الى الله تعالى ويدعوه يا الله.. فإن دعاءه يخرق الحجب ، ويستجيب له الله تعالى قطعاً ! ولا فرق بين أن يكون هذا الإنسان شيعياً أو سنياً ، بل لا فرق بين أن يكون مسلماً أو كافراً ! وكذلك الأمر فيمن انقطع الى أولياء الله وحججه صلوات الله عليهم ، فلو أن مضطراً منقطعاً نادى: يا أبا صالح المهدي أدركني، فلا بد أن يستجيب الله له ، لأنه سبيل الله الأعظم وصراطه الأقوم ، والله تعالى هو نور السماوات والأرض الذي منه الوجود ، والإمام المهدي هو نور الله الذي به الوجود. والطلب ممن

به جعل الله به الوجود ، هو ثاني الطلب من صاحب الوجود عز وجل ، الذي منه كل الوجود سبحانه ، فحكم الطلب فيهما واحد .

هذا هو الأمر الأول عن تأثير الإضطرار .

أما الأمر الثاني، فهو أن المضطر قد يكون مضطراً الى جاه أو مال أو أمر دنيوي أو أخروي ، وكل هؤلاء يستجاب لهم فيما اضطروا إليه عند انقطاعهم ودعائهم. لكن في هؤلاء المضطرين أناسٌ ليسوا مضطرين الى دنياً ولا إلى آخرة ، بل مضطرون الى الله تعالى ، ولا يعرفون غيره ، ولا يشعرون بغيره ! فهؤلاء يصلون الى المقام الذي قال عنه الإمام الحسين عليه السلام في دعائه:**ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك، لقد خاب من رضي دونك بدلاً، ولقد خسر من بغي عنك متحولاً،كيف يرجى سواك وأنت ماقطعت الإحسان، وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الإمتنان).** (البحار:٩٥/٢٢٦) (٥)

فهؤلاء وجدوا الله تعالى ولم (يجدوا) غيره ، وبذلك يحصلون على كل شئ .

ونفس الكلام يقال بالنسبة إلى المضطر إلى ولي الله الأعظم صلوات الله عليه، فلو اضطر اليه لشئ من الدنيا أو الآخرة ، وتوسل به الى الله منقطعاً ، فسوف يحصل على نظرة وعناية منه يكون بها تلبية حاجته.

لكن هذه الحاجات تشبه حاجات الأطفال بالنسبة الى حاجة المضطر إلى نفس ولي الله الأعظم صلوات الله عليه ، ومن كانت حاجته من ربه نفس الإمام عليه السلام، فذلك سيحظى به ويكون في مرتبة: **وما الذي فقد من وجدك؟!** وعند ذلك يكون تعامل الإمام عليه السلام معه كما يقولون عن الإكسير.

يقولون إن الإكسير إذا مس أي شئ تحول الى مادة أطلقوا عليها اسم الكبريت الأحمر ، والكبريت الأحمر إذا مس أي مادة تحولت الى الذهب

الخالص ! فهنا ثلاث مراحل ، كما أن في الإضطرار الى الإمام عليه السلام والوصول إليه ثلاث مراحل وثلاثة مقامات . ولا يتسع الوقت لشرح هذه المقامات.

○ ○

على أي حال يقول عليه السلام طبق ما نقله المجلسي رحمه الله في المزار: **إذا أردتم التوجه بنا إلى الله وإلينا، فقولوا كما قال الله تعالى: سلامٌ على آل يس. .الخ.).**
فما معنى العبارة الأولى:**سلامٌ على آل يس؟**

للقرآن قلب ، ولقلبه قلب هو سورة ياسين ، وقلب سورة ياسين ، أي قلب قلب القرآن كلمتان هما قوله تعالى:**سَلامٌ قَوْلاًمِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ.** (سورة يس: ٥٨) و: **سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ** . (سورة الصافات:١٣٠) ، كلمتان: سلام في الأول ، وياسين في الآخر.

يا حسرةً على هذه الأمة حيث لم تمكن أهل بيت نبيها صلى الله عليه وآله أن يفسروا لها كتاب الله تعالى! يا حسرةً على بيت الوحي والعلم النبوي ، هاجموه وسدوا بابه ، ومنعوا فم الإمامة أن ينطق !

تذكرت قول الإمام الرضا عليه السلام عن افتتاح الأذان بكلمة **(الله أكبر)** وختامه بكلمة **(لا إله إلا الله)** ليكون اسم الله تعالى في الإفتتاح والختام ! (٦) وهو يتصل بموضوعنا: **سلامٌ على آل يس**، وفي هذه العبارة إعجاز لا يدركه إلا أهله ، عندما تجمع سين سلام مع سين ياسين، من الأول الى الآخر . ذلك أن لحرف السين من بين الحروف الأبجدية خصوصية في حساب الجُمَّل ، هي تعادل الزُبُّر فيه مع البينات ، والزبُّر هي الحروف ، والبينات هي الحروف الناتجة من تلفظ الحروف .

مثلاً حرف الشين زُبُره (ش) وبيناته أي حروفه التي تظهر في لفظه ولا

تظهر في كتابته (ي ، ن) ولا تعادل في حساب الجمل بينها ، لأن الشين (٣٠٠) والياء (١٠) والنون (٥٠) والمجموع (٦٠) فلا تعادل بينها.

أما السين فزبُره (س) وهي بحساب الجمل (٦٠) وبيناتها ياء ونون ، وجمعهما (٦٠) أيضاً ، فقد تعادلت زبُرُ هذا الحرف مع بيناته ، وبذلك تميز على كل حروف الأبجدية . (٧) .

وقد جاءت السين مرة في: **سلام**، وهو من أسماء الذات المقدسة سبحانه وتعالى ، ومرة في اسم الفعل ياسين في قوله تعالى: (**يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**) وسينها مأخوذة من سين: **سلام**.

وهنا سين أخرى مضمرة بالإضافة الى السينين الظاهرتين ، وهي سين القلب السليم في قوله تعالى:**يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ. إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**. (سورة الشعراء: ٨٨-٨٩)، فعندما يقول القلب السليم: **سلام على آل ياسين،** فقد تم الأمر! وكما لا يتيسر الوصول الى الله تعالى إلا بقلب سليم ، وإلا بواسطة: **لأمره تعقلون، ومن أوليائه تقبلون،** فكذلك لايتيسر الوصول الى سبيل الله عليه السلام إلا بقلب سليم ، فهم عليهم السلام وجه الله الفاني فيه .

وهنا نفهم لماذا قال عليه السلام: **فقولوا كما قال الله تعالى: سلامٌ على آل يس.**

○ ○

أختم الحديث بقصة ذات دلالة ، أنقلها عن صاحبها بواسطة واحدة ، فقد كان لنا أستاذ في مشهد قبل سفري الى النجف ، له درس خصوصي لعدد من الطلبة، وكنت يومها كماً أنا اليوم في عداد صغار الطلبة ، وكان الدكتور صاحب القصة يحضر ذلك الدرس، ولم أسمعها منه بل سمعتها من المرحوم الشيخ علي أكبر النهاوندي، وكذا من المرحوم الشيخ علي أكبر نوغاني ، وقد سمعاها من صاحبها ، وأذكر لكم هنا خلاصتها ، قال ذلك الدكتور :

كنت في غزو روسيا لإيران ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، أعمل قريباً من الجبهة طبيباً جراحاً ، وذات يوم جاءني شخص وقال لي:أصابتني رصاصة فأجْرِ لي عمليةً الآن، واستخرجها . قلت له: العملية ليس شيئاً بسيطاً ، لابد أن يحضر طبيب التخدير ويعطيك المخدر. قال: لا تنتظر المخدر، جئ بوسائلك وأجر لي عملية الآن .

فرأيت نفسي أتحرك لتنفيذ أمره كالمُسَيَّر بإرادته ، فأحضرت وسائلي وتمدد هو وقال: بسم الله النور، بسم الله النور، ثم تلفظ بإخفات بكلمتين أو ثلاث ، فرأيته نام كأنه بدن بلا روح ! عرفت أنه رجل له قدرة على خلع روحه وتجريدها من بدنه ، فقلت في نفسي لقد وجدت كنزاً !

وما أن أتممت العملية ولم تكن صغيرة ، وأكملت خياطة الجرح حتى رأيته حرك شفتيه بهدوء وأعاد نفس الكلمات ، وجلس !

فسألته وتحدثت معه حتى عرفت أن له ارتباطاً بصاحب الزمان صلوات الله عليه ، فسألته هل رأيته؟ فقال: هيهات ، هيهات! وهل أنا بمستوى من يراه ويتحدث معه؟! أين أنا منه ؟!

قلت له: إذن ما هو عملك؟ قال: أنا مأمور أن أتواجد هنا !

قلت له:أليس للمولى عناية بنا؟ ماذا يلاقي المسلمون من هذا الجيش الروسي والآذربيجاني من مصائب لا تحتمل ! فنظر اليَّ ، ثم قال: ليرحلوا .. وغاب عني ! فقط قال هذه الكلمة ، وغاب عني !

وفي ذلك اليوم عصراً وصلت برقية من مركز القيادة الروسية بالإنسحاب الفوري ، وأخذ الجيش الروسي والآذري بالإنسحاب من فورهم !

يومها عرفت أني وجدت ما أبحث عنه! فهمت أن الشخص من أصحاب

الإمام المهدي روحي فداه وأنه يملك شعاعاً من تلك الإرادة الربانية القاهرة فهو يقول: **ليرحلوا** ، فيرحلون !

قال الدكتور: قلت له هل رأيته نفسه ؟ قال: لا، هيهات... أنا ارتباطي بسبعة أشخاص ، هم يرونه . فأين مقامه صلوات الله عليه ؟ وفي أي درجة ومرتبة ذلك الإكسير الأعظم ؟ الذي يتصل به سبعة أشخاص فيكونون كالكبريت الأحمر ، ويملكون هم ومن يتصل بهم من تلاميذهم ، ما شاء الله من اسمه الأعظم ؟!

وا أسفاه أنا لم نعرفك يا مولاي ، ولم نعرف قدرك وحرمتك، أين أنت الآن؟ فانظر إلينا بلطفك فإن لم يكن عند الحاضرين ما يقربنا منك ، فقد وضعنا على رؤوسنا شعار خدمتك ، واستجرنا بقبر عمتك فاطمة بنت موسى بن جعفرعليه السلام. **اللهم صل وسلم على وليك، وخليفتك، وحجتك، وكلمتك التامة في أرضك.**

إقرؤوا القرآن لتعرفوا معنى الكلمة التامة ، أنظروا الى عيسىعليه السلامالى أي مقام وصل: **إِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِوكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالأَنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ** . (سورة المائدة:١١٠) وإنما بلغ ذلك لأنه صار كلمة الله تعالى: **إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** . (سورة آل عمران:٤٥) .

أما الكلمة التامة التي هي فوق ذلك فليست مقام عيسى المسيح عليه السلام بل هي مقام الإمام المهدي عليه السلام (**وكلمتك التامة في أرضك..**) فهذه من صفاته عليه السلام في الدعاء بعد زيارة السلام على آل ياسين .

أما بماذا تتم الكلمة فاقرؤوا قوله تعالى: **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَالسَّمِيعُ الْعَلِيمُ.**(سورة الأنعام:١١٥) فتمام الكلمة الإلهية يكون **بمنتهى الصدق** الذي هو نهاية الحكمة النظرية، **وبمنتهى العدل** الذي هو نهاية الحكمة العملية . فعندما يبلغ الإنسان منتهى درجات الصدق والفقه ، تنكشف لقلبه المقدس كل الحقائق . وعندما يبلغ منتهى درجات **العدل** يكون **كلمة الله التامة** ، ويكون مولود هذه الليلة.. **جل مولده .**

○ ○

هوامش

(١) **في مصباح المتهجد للشيخ الطوسي** رحمه الله **ص٨٤٢**: (ويستحب أن يدعى فيها بهذا الدعاء: (**اللهم بحق ليلتنا ومولودها ، وحجتك وموعودها ، التي قرنت إلى فضلها فضلك ، فتمت كلمتك صدقاً وعدلاً ، لا مبدل لكلماتك ، ولا معقب لآياتك ، نورك المتألق ، وضياؤك المشرق ، والعلم النور في طخياء الديجور ، الغائب المستور ، جل مولده، وكرم محتده، والملائكة شهده، والله ناصره ومؤيده، إذا آن ميعاده، والملائكة أمداده ، سيف الله الذي لا ينبو ، ونوره الذي لا يخبو ، وذو الحلم الذي لا يصبو ، مدار الدهر ونواميس العصر ، وولاة الأمر ، والمنزل عليهم ما يتنزل في ليلة القدر ، وأصحاب الحشر والنشر، تراجمة وحيه ، وولاة أمره ونهيه.**

اللهم فصل على خاتمهم وقائمهم ، المستور عن عوالمهم ، وأدرك بنا أيامه وظهوره وقيامه ، واجعلنا من أنصاره، واقرن ثارنا بثاره ، واكتبنا في أعوانه وخلصائه

وأحينا في دولته ناعمين ، وبصحبته غانمين ، وبحقه قائمين ، ومن السوء سالمين ؟ يا أرحم الراحمين) .

٥ ٥

(٢) في أمالي الطوسي رحمه الله ص٤١٢: (أخبرنا محمد بن محمد قال: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، عن أبيه ، عن سعد بن عبد الله ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن موسى بن طلحة ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير ، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: إن في الليلة التي يولد فيها الإمام لا يولد مولود إلا كان مؤمناً ، وإن ولد في أرض الشرك نقله الله إلى الايمان ببركة الامام) .

٥ **وفي بحار الأنوار:٢٨/٥١:** (نقل من خط الشهيد عن الصادق عليه السلام قال: إن الليلة التي يولد فيها القائم عليه السلام لا يولد فيها مولود إلا كان مؤمناً ، وإن ولد في أرض الشرك نقله الله إلى الايمان ببركة الإمام عليه السلام).

٥ ٥

(٣) في الإحتجاج:٣١٥/٢: (وعن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري أنه قال: خرج التوقيع من الناحية المقدسة حرسها الله، بعد المسائل: بسم الله الرحمن الرحيم ، لا لأمره تعقلون ، ولا من أوليائه تقبلون ، حكمةٌ بالغةٌ فما تغني النذر عن قوم لا يؤمنون . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

إذا أردتم التوجه بنا إلى الله وإلينا ، فقولوا كما قال الله تعالى: سلامٌ على آل يس . السلام عليك يا داعي الله ورباني آياته . السلام عليك يا باب الله وديان دينه . السلام عليك يا خليفة الله وناصر حقه . السلام عليك يا حجة الله ودليل إرادته . السلام عليك يا تالي كتاب الله وترجمانه . السلام عليك يا بقية الله في أرضه ...الخ.).

وقد تقدم في الفصل الثاني ، مع الدعاء الذي بعد الزيارة .

٥ ٥

(٤) في الكافي:٥٤٤/٢: (كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من قال هذا القول كان مع محمد وآل محمد إذا قام قبل أن يستفتح الصلاة: **اللهم إني أتوجه إليك بمحمد وآل**

محمد ، وأقدمهم بين يدي صلاتي ، وأتقرب بهم إليك ، فاجعلني بهم وجيهاً في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين ، مَنَنْتَ عليَّ بمعرفتهم ، فاختم لي بطاعتهم ومعرفتهم وولايتهم فإنها السعادة ، فاختم لي بها ، فإنك على كل شئ قدير).

○ **وفي الكافي أيضاً:٥٥٢/٢:** (محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي داود ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إني ذو عيال وعليَّ دَيْنٌ وقد اشتدت حالي، فعلمني دعاء أدعو الله عز وجل به ليرزقني ما أقضي به ديني ، وأستعين به على عيالي ، **فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عبد الله توضأ وأسبغ وضوءك ، ثم صل ركعتين تتم الركوع والسجود ثم قل: يا ماجد يا واحد يا كريم يا دائم ، أتوجه إليك بمحمد نبيك نبي الرحمة . يامحمد يا رسول الله إني أتوجه بك إلى الله ربك وربي ورب كل شئ أن يصلي على محمد وأهل بيته ، وأسألك نفحة كريمة من نفحاتك وفتحاً يسيراً ورزقاً واسعاً ألمُّ به شعثي ، وأقضي به ديني ، وأستعين به على عيالي) .**

○ **وفي من لايحضره الفقيه:٤٨٣/١: (قال الصادق عليه السلام: إذا أردت أن تقوم إلى صلاة الليل فقل: اللهم إني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة وآله وأقدمهم بين يدي حوائجي فاجعلني بهم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ، اللهم ارحمني بهم ولا تعذبني بهم واهدني بهم ولا تضلني بهم، وارزقني بهم ولا تحرمني بهم ، واقض لي حوائجي للدنيا والآخرة ، إنك على كل شئ قدير ، وبكل شئ عليم .**

○ **وفي الإغاثة للسقاف ص٢٠:** (ومن هذا الباب جاء في الحديث الصحيح أن الأعمى استغاث برسول الله صلى الله عليه وآله أن يدعو الله له في رد بصره ، فلم يدع له ، وإنما علمه التوسل والإستغاثة بجاهه صلى الله عليه وآله في الدعاء المسنون المشهور الذي فيه: اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة – وهذا توسل– يا محمد إني أتوجه بك الله في حاجتي لتقضى – وهذه استغاثة صريحة – وخصوصاً أن النبي لم يخص هذا الدعاء بحياته فقط، مع أنه حيٌّ في قبره كما أخبر ، وجاءنا في الحديث الصحيح ، وعلماء الأمة ذكروا هذا الحديث

في أبواب صلاة الحاجة من مصنفاتهم ولم يقل أحد منهم إياكم أن تدعو به فإنه شرك ! وليس التوسل عبادة للمتوسل به إلى الله ، فقد علم رسول الله (ص) الأعمى أن يقول: (اللهم إني أتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى..) الحديث ، وهو صحيح مشهور بين أهل العلم، رواه الترمذي:٥٦٩/٥، والبيهقي في دلائل النبوة:١٦٦/٦- ١٦٨، والحاكم:٣١٣/١) ، وصححه على شرطهما ، وأقره الذهبي وغيرهم ، بأسانيد صحيحة) .

○ **وفي رفع المنارة للحافظ الممدوح ص١٥:** (وذكر أثراً فيه التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم لفظه: اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك وربي يرحمني مما بي .

قال ابن تيمية: فهذا الدعاء ونحوه روى أنه دعا به السلف ، ونقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروزي التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء . اهـ

وهذا هو نص عبارة أحمد بن حنبل فقال في منسك المروزي بعد كلام ما نصه: وسل الله حاجتك متوسلاً إليه بنبيه صلى الله عليه وسلم تُقْضَ من الله عزوجل.اهـ. هكذا ذكره ابن تيمية في الرد على الأخنائي ص١٦٨.

والتوسل به صلىالله عليه وسلم معتمد في المذاهب ومرغوب فيه، نص على ذلك الأئمة الأعلام ، وكتب التفسير والحديث والخصائص ودلائل النبوة والفقه ، طافحة بأدلة ذلك بدون تحريم ، وهي بكثرة .

وقد أكثر ابن تيمية من بحث النوع الثاني من التوسل في مصنفاته قائلاً بمنعه ، وقلده وردد صدى كلامه آخرون ! ويحسن ذكر كلام ابن تيمية مع بيان ما فيه ، واقتصاري على كلامه فقط هو الأولى لأن من تشبث بكلامه لا يزيد عن كونه متشبعاً من موائده دائراً في فلكه ، والله المستعان.).

○ ○

(٥) في بحار الأنوار:٢١٦/٩٥: (ومن الدعوات المشرفة في يوم عرفة دعاء مولانا الحسين بن علي صلوات الله عليه: الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع، ولا لعطائه مانع، ولا

كصنعه صنع صانع ، وهو الجواد الواسع ، فطر أجناس البدائع ، وأتقن بحكمته الصنائع ... الى آخره، وهو دعاء طويل. وفيه ص٢٢٦: (ماذا وجد من فقدك، وماالذي فقد من وجدك لقد خاب من رضي دونك بدلاً ، ولقد خسر من بغى عنك متحولاً ، كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان ، وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الإمتنان).

○ **وفي بحار الأنوار:٢١٤/٩٥:** (وقال الكفعمي في حاشية البلد الأمين المذكور على أول هذا الدعاء: وذكر السيد الحسيب النسيب رضي الدين علي بن طاووس قدس الله روحه في كتاب مصباح الزائر قال: روى بشر وبشير الأسديان أن الحسين بن علي بن أبي طالب صلى الله عليه خرج عشية عرفة يومئذ من فسطاطه ، متذللاً خاشعاً فجعل يمشي هوناً هوناً حتى وقف هو وجماعة من أهل بيته وولده ومواليه في ميسرة الجبل مستقبل البيت، ثم رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين ، ثم قال: الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع... الخ.

○ ○

(٦) في وسائل الشيعة (آل البيت):٤١٨/٥: (عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: إنما أمر الناس بالأذان لعلل كثيرة ، منها أن يكون تذكيراً للناس ، وتنبيهاً للغافل ، وتعريفاً لمن جهل الوقت واشتغل عنه، ويكون المؤذن بذلك داعياً إلى عبادة الخالق، ومرغباً فيها ، مقراً له بالتوحيد ، مجاهراً بالإيمان معلناً بالإسلام ، مؤذناً لمن ينساها . وإنما يقال له مؤذن ، لأنه يؤذن بالأذان بالصلاة.

وإنما بدأ فيه بالتكبير وختم بالتهليل، لأن الله عز وجل أراد أن يكون الإبتداء بذكره واسمه ، واسم الله في التكبير في أول الحرف ، وفي التهليل في آخره) .

ورواه في من لا يحضره الفقيه:٢٩٩/١

○ ○

(٧) قال الشيخ عباس بن نخي في كتاب مقتطفات ولائية: (الزُبُر: الحرف الأول من الإسم الحرفي (والإسم الحرفي هو الكلمة التي يتلفظ بها كل من الحروف الأبجدية: نحو ألف ، باء...)، ويسمى ما خلا الحرف الأول من حروف الإسم الحرفي (البينات) ،

فعلى سبيل المثال: أول حروف كلمة (محمد) هو الميم ، وأول لفظه الميم (الميم) أي (م) تسمى (الزبر) ويطلق على حروفها التالية وهي (ي) و (م): (البينات) . وفي اصطلاح (علم الجفر) يطلق على تلفظ حروف الزبر والبينات (بسط التلفظ) أو (البسط الباطني) و (السبط الظاهري).

وعلى سبيل المثال إذا تلفظنا (محمد) بأسماء حروفه وهي: ميم ، حاء ، ميم ، دال، يكون مجموع حروف المتحصلة: م ي م ، ح ا ، م ي م ، د ال.

○**وقال أيضاً**: حساب الأبجدية يعني حساب الأحرف الهجائية المجموعة في الترتيب الأبجدي (مقابل الترتيب الألفبائي) (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ) ، ويقال له (حساب الجُمَّل) ، حيث لكل حرف معادل رقمي حسب الجدول التالي:

ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل	م	ن
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠

س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

○ ○

وأشرقت الأرض بنور الإمام المهدي عليه السلام

(بتاريخ: ١٤ شعبان المعظم ١٤١٦- ١٩٩٧/١/٦ - ١٣٧٤/١٠/١٦)

بســم الله الرحمن الرحيم

إن قضيتنا الأساسية هي قضية هذه الليلة ومولودها الحجة بن الحسن صلوات الله عليه . لكنا نشير الى هذه الضائقة الإقتصادية التي تمر بطلبة العلوم الدينية ، وما ينتج عنها من مشكلات معيشية ، تجعل بعض الطلبة تفتر هممهم عن طلب العلم .

ينبغي لهؤلاء أن يعرفوا أي نعمة خصهم بها الله تعالى، وأي ألطاف أولاهم؟! فإن أعظم النعم هو إحياء النفوس التي قال الله تعالى عنها: **وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً** . (سورة المائدة:٣٢)

جاء رجل إلى الإمام الحسن عليه السلام بهدية فقال له: **أيما أحب اليك، أن أرد عليك بدلها عشرين ضعفاً ، عشرين ألف درهم، أو أفتح لك باباً من العلم تقهر فلاناً الناصبي في قريتك ، تنقذ به ضعفاء أهل قريتك ؟ إن أحسنت الإختيار جمعت لك الأمرين ، وإن أسأت الإختيار خيرتك لتأخذ أيهما شئت؟!**

فقال: يا ابن رسول الله فثوابي في قهري ذلك الناصب واستنقاذي لأولئك الضعفاء من يده ، قدره عشرون ألف درهم ؟

قال: **بل أكثر من الدنيا عشرين ألف ألف مرة .**

قال: يا بن رسول الله فكيف أختار الأدْوَن ؟! بل أختار الأفضل ، الكلمة التي أقهر بها عدو الله وأذوده عن أوليائه .

فقال الحسن بن علي صلى الله عليه وآله: **قد أحسنت الإختيار،** وعلمه الكلمة وأعطاه عشرين ألف درهم ، فذهب فأفحم الرجل ، فاتصل خبره به فقال له حين حضر معه: **يا عبدالله ما ربح أحد مثل ربحك، ولااكتسب أحد من الأوداء مثل ما اكتسبت: مودة الله أولاً، ومودة محمد وعلي ثانياً، ومودة الطيبين من آلهما ثالثاً، ومودة ملائكة الله تعالى المقربين رابعاً ، ومودة إخوانك المؤمنين خامساً . واكتسبت بعدد كل مؤمن وكافر ماهو أفضل من الدنيا ألف مرة ، فهنيئاً لك هنيئاً**).

(الإحتجاج :١١/١ والبحار :٢ /٨ وتفسير العسكري ص٣٤٧)

هذه هي قيمة إحياء النفس بالمفهوم القرآني .

والمهم أن نعرف بماذا يتم إحياء النفوس حتى نحيي أنفسنا وأنفس غيرنا ؟

هذا شهر رمضان يقبل علينا ، ونفوس الناس تتهيأ فيه لتلقي الفيض والعطاء الإلهي ، لمجاهدتهم نوازع الشهوات . وأهم واجباتكم أنتم طبقة العلماء والفضلاء ، أن تستفيدوا من هذه الفرصة في إحياء نفوس الناس: **وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً !** وإن من أهم مصاديق إحياء الأنفس تعريفها بعقائد الإسلام خاصة إمام زمانها عليه السلام، وذلك للحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **(من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية). (١)**

فإحياء النفوس في عصرنا معرفته وتعريف الناس به، وإيجاد الإرتباط بين

أيتام آل محمد صلى الله عليه وآله وبين هذا الأب المحجوب الغائب عن الأنظار عليه السلام فإن الإرتباط بالله تعالى لا يتحقق إلا عن طريق الإرتباط بهم عليهم السلام . الإرتباط بمن **منه الوجود** لا يتحقق إلا بالإرتباط بمن **به الوجود !**

وعندما نريد التعرف على شخصيته عليه السلام وما تحتويه وما يحيط بها ، تقف محركات عقولنا عن العمل ، وكيف لا ، والإمام الرضا عليه السلام يقول في وصفه : (**بأبي وأمي سميُّ جدي ، شبيهي وشبيه موسى بن عمران ، عليه جيوب النور تتوقد بشعاع ضياء القدس!**) . (العيون :٩/١ ، وقد تقدم بكامله). إنها الأوصاف تحير العقل. وقد ورد في صفة المسيح عليه السلام أن عليه جلابيب النور ، ففي مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع علماء النصارى: (**ثم قال للجاثليق: يا نصراني كيف علمك بكتاب شعيا عليه السلام؟ قال: أعرفه حرفاً حرفاً . قال لهما: أتعرفان هذا من كلامه: يا قوم إني رأيت صورة راكب الحمار لابساً جلابيب النور ، ورأيت راكب البعير ضوؤه مثل ضوء القمر ؟**

فقالا: قد قال ذلك شعيا عليه السلام. قال الرضا عليه السلام: يا نصراني هل تعرف في الإنجيل قول عيسى عليه السلام: إني ذاهب الى ربكم وربي والبارقليطا جاءٍ ، هو الذي يشهد لي بالحق كما شهدت...) . (عيون أخبار الرضا عليه السلام :١٤٥/٢)

لكن وصف الإمام المهدي عليه السلام أبلغ من ذلك: (**عليه جيوب النور تتوقد بشعاع ضياء القدس!**) ، ومع ذلك فلا نستطيع أن نعرف حقيقة جلابيب النور على نبي الله عيسى ، وجيوب النور على الإمام المهدي صلى الله عليه!

إن أحاديث أهل البيت عليهم السلام جواهر مكنونة ، لم نعرف الى الآن كنوزها في معرفة الله تعالى ، ومعرفة وسائط فيضه وعطائه عليهم السلام ! ونيل هذه الكنوز أمر صعب ، لا يحصل بالبحث والتعمق الفكري كما هو الحال في بقية العلوم، بل هو عطاء يختص به الله من يشاء من عباده .

إن معرفة ولي الله الأعظم عليه السلام تحتاج الى أن يشمر خواص العلماء الأتقياء الذين اشتغلوا سنين طويلة في معالجة المسائل الفكرية ، ويدرسوا تعابير المعصومين عليهم السلام الواردة في الأدعية والزيارات ، ويستخرجوا من كنوزها !
كم قرأنا هذه العبارة في دعاء الندبة: **بنفسي أنتَ من عقيدِ عزٍ لا يُسَامَى**، لكن مهما فكرنا فيها لوعي معناها لكان قليلاً! فمامعنى **(عقيد العز)** ومن أي دوحة تفرع، والى أين بلغت رفعة هذا الفرع بحيث **(لا يُسَامى)** ، هكذا بصيغة المطلق المبني للمجهول ! فلا يمكن لفضل ولا شرف ولا منقبة ، أن تسامي مقامه الشريف عليه السلام!

○ ○

إن للإمام المهدي صلوات الله عليه صفات مشتركة مع غيره من المعصومين عليهم السلام، وصفات خاصة به، ويكفي أن نقرأ قوله تعالى: **وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** (سورة الزمر:٦٩) . فظاهر الآية عن مشهد من يوم القيامة ، لكن هل تشرق الأرض قبل ذلك بهذا النور الرباني، وهل للآية معنى آخر؟ بلى ، فقد ذكر المفيد في الإرشاد، والشيخ الطوسي، والشيخ الصدوق، وعظيم الطائفة الفضل بن شاذان النيشابوري، وعلي بن إبراهيم القمي أعلى الله مقامهم ، روايات في تفسيرها. قال القمي رحمه الله:٢٥٣/٢(حدثنا محمد بن أبي عبدالله عليه السلام قال: حدثنا جعفر بن محمد قال: حدثني القاسم بن الربيع قال: حدثني صباح المدائني قال: حدثنا المفضل بن عمر أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول في قوله: **وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**: رب الأرض يعني إمام الأرض، فقلت: فإذا خرج يكون ماذا ؟ قال: **إذاً يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزئون بنور الإمام**)!! (٢)

الآن تشرق الأرض بنور الشمس ، لكن سيأتي يوم قبل يوم القيامة تشرق بنور الله عز وجل من نور وليه وحجته عليه السلام!

وقوله عليه السلام: إذاً يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزئون بنور الإمام ، سواء تعبيراً حقيقياً أو رمزياً ، فهو يكشف عن حقيقة عظيمة هي أن الإمام المهدي عليه السلام سرٌّ رباني كبير، وأنه عندما يحضر من عالم الغيب إلى عالم الشهود تقوم أشعة بدنه وجيوب النور التي خصه الله بها ، مقام نور الشمس والقمر! كما أن أشعة نفسه المباركة تشرق على البشر فتخرج معادن الإنسانية من القوة إلى الفعل، والناس كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله معادن كمعادن الذهب والفضة! فكيف نستطيع معرفة شخصية من هذا النوع ؟

○ ○

كان لرسول الله صلى الله عليه وآله درعان، وهما من جملة مواريث النبوة عند الأئمة عليهم السلام، وأحد الدرعين علامة الإمامة العامة ، وقد كان الأئمة عليهم السلام يلبسونها فتستوي عليهم ، لأن من علامات الإمام أن تستوي عليه درع رسول الله عليه السلام ! (**وإذا لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت عليه وفقاً، وإذا لبسها غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبراً**). (الكافي:١/٣٨٨) **(٣)**

هذه هي الدرع الأولى، أما الثانية فهي خاصة للمهدي القائم عليه السلام ولا تستوي إلا عليه ! قال الإمام الصادق عليه السلام: (**ومن صار إليه السلاح منا أوتي الإمامة، ولقد لبس أبي درع رسول الله فخطت على الأرض خطيطاً، ولبستها أنا فكانت وكانت، وقائمنا من إذا لبسها ملأها إن شاء الله**) . (بصائر الدرجات ص١٩٥) فهي درع جعلها الله آيةً خاصةً لخاتم الأنبياء رسول الله صلى الله عليه وآله وخاتم الأوصياء الإمام المهدي عليه السلام! ولا تستوي على غيرهما حتى على أمير المؤمنين عليه السلام أفضل الأولين والآخرين بعد النبي صلى الله عليه وآله!

ذلك أن أعظم مدارين وتسلسلين في دائرة الوجود هما النبوة والإمامة ، وختم مدار النبوة برسول الله صلى الله عليه وآله، وختم الإمامة بالإمام المهدي عليه السلام، فلا تعجب إذا كانت بعض الصفات تختص به عليه السلام ويشترك فيها مع جده رسول الله صلى الله عليه وآله. وهناك نقطة هي أن النبي صلى الله عليه وآله هو (**الخاتم.لما سبق ، والفاتح لما استقبل**) (٤) فالنبي صلى الله عليه وآله خاتم لكل المراحل السابقة ، وفاتح لمرحلة جديدة مستقبلة ، أما صاحب الزمان عليه السلام فهو الخاتم المطلق !

ومن هنا كان من صفاته عليه السلام أنه (**المنتهى إليه مواريث الأنبياء ، ولديه آثار الأصفياء**). المزار للشهيد الأول رحمه الله ص٢٠٣ ، فهو نقطة نهاية المطاف في دائرة النبوة والإمامة ، وعلى يده يحقق الله ثمراتها ، وفيه يجمع الله ما شاء من ألطافه الخاصة التي وزعها في أنبيائه وأوليائه،ماكان أعطاه الى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، فيجمعها في خاتم الحجج ومحقق أهداف الأنبياء عليهم السلام !

هذا هو الإمام صاحب الزمان صلوات الله عليه ! الذي تحار فيه العقول كلما اقتربت فراشاتها من وهج سراجه !

إن معرفته تحتاج الى إذن رباني خاص: **وَمَا تَشَاءُونَ إلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.** (سورة التكوير:٢٩)، ولذا كان علينا أن نطلب من الله تعالى أن يعرفنا إياه عليه السلام: **اللهم عرفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك ، اللهم عرفني حجتك، فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عنْ ديني.** الكافي ج١ص٣٣٧ فلو كانت معرفته مسألة بسيطة لما احتاجت الى هذا التضرع ! بل هي من النعم التي تحتاج إلى رحمة وإذن رباني خاص !

إن الذي نملكه أن نداوم ليلاً نهاراً على ذكر الله تعالى ثم ذكره عليه السلام، وذكره

من ذكر الله تعالى ، فافتتحوا أيامكم واختموها بذكر اسمه الشريف ، واذكروه في مجالسكم ومحافلكم حيثما كنتم، لعله يتعطف علينا بنظرة مما أعطاه الله ، وإن النظرة منه لتغير عالماً بأكمله !

○ ○

سيدي يا حجة الله في أرضه.. أيٌّ شخصية ربانية أنت ؟وما الذي ضمته جوانحك من أسرار الله تعالى؟ أيها الكتاب المستور، ياصاحب الدين المأثور! **(سلام الله وتحياته وصلواته على مولاي صاحب الزمان، صاحب الضياء والنور والدين المأثور ، واللواء المشهور ، والكتاب المنشور ، وصاحب الدهور والعصور) (٥)**

أنت الكتاب المسطور فِي رَق مَنشُور ، والنور على النور ، وحامل سر الله المستور في قلبك الطاهر ، المستسر عن قلوب الجميع !

إقرؤوا هذه الأدعية والزيارات لتعرفوا سعة سلطان الله الذي أعطاه لوليه وحجته صاحب الزمان أرواحنا له الفداء ، في أحدها: **(السلام عليك يا حجة على من في الأرض والسماء)**! (تقدم من البحار:١١٦/٩٩) وفي أحدها:**(أشهد أنك الحجة على من مضى وعلى من بقي)**!(تقدم بكامله من المزار للشهيد الأول رحمه الله ص٢٠٣) ولا يتسع الوقت لشرح معنى كونه عليه السلام حجة على من مضى ومن بقي !

○ ○

إن الإمام المهدي وجه الله تعالى ، لكن أي وجه لله هو عليه السلام؟ نقرأ في دعاء الندبة: **أين وجه الله الذي يتوجه اليه الأولياء،** ولفهم هذه الكلمة العميقة ينبغي أن نعرف هؤلاء الأولياء الذين يتوسلون الى الله تعالى بوجهه الذي هو الإمام المهدي عليه السلام فلنقرأ من صفتهم في القرآن:**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي**

الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ الله ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . (سورة يونس:٦٢-٦٤) ، فلا بد أن يبلغوا هذه الدرجة العالية حتى يكونوا أهلاً لشرف التوسل الى الله بحجته الإمام المهدي عليه السلام! روحي وأرواح العالمين لك الفداء من جوهرة مخزونة بالأسرار..طالما جهلناك وانشغلنا بغيرك عنك، وابتعدنا بأفكارنا عنك! وسنبقى بعيدين ما لم تعطف علينا بنظرة ، كما عطفت على ذلك الرجل الحلي ، فعَمَرَ الله قلبه بحبكم أهل البيت ، فهل تكون قلوبنا كقلبه ونفوز منك بنظرة تكون إكسيراً لقلوبنا !

ذلك المؤمن لم يكن يطيق أن يسمع أو يتذكر ظلامة الصديقة الكبرى الزهراء عليها السلام حتى يندفع في ذكر مثالب ظالميها . كان لا يستطيع أن يتصور كيف هاجموا بيت الزهراء عليها السلام وضربوها وكسروا ضلعها .

كان يفقد صبره كلما تصور أن الظلامة وصلت الى أن الزهراء عليها السلام عاشت بقية عمرها بعد أبيها صلى الله عليه وآله تعاني من ذلك اليوم ، حتى نحلت وصار جسمها كالخيال ، هيكلاً من جلد وعظام ، وأوصت أن يواروها في قبرها ليلاً حتى لا يشارك ظالموها في تشييعها ! فكان ينطلق لسانه في مثالب قاتليها !

وصل خبره إلى الوالي ، فأمر بالقبض عليه وتعذيبه ، فضربوه حتى كسروا جميع أسنانه وقطعوا لسانه ، فقال بعضهم لبعض كفى! فثقبوا أنفه وربطوا فيه خيطاً ، وطافوا به في الأسواق ليكون عبرة لغيره ! ثم أخذوه الى بيته جنازة وألقوه في داره ، وانصرفوا !

وفي اليوم الثاني تفاجأ الجميع عندما رأوه يصلي سليماً معافىً لا أثر فيه لشئ مما حدث له ! بل كان حيوياً مشرق الوجه كأنه شاب رغم شيخوخته !

سألوه عما حدث له فقال: عندما رموا بي هنا عرفت أني في آخر ساعة من

عمري ، فقد شاهدت الموت بأم عيني ! أردت أن أنادي مولاي الحجة بن الحسن عليه السلام فلم أستطع ، فناديته بقلبي **(يا صاحب الزمان)** وإذا به جالسٌ إلى جنبي ، فنظر اليَّ نظرةً ووضع يده على جسمي وقال لي: إنهض واسع في تحصيل قوت عيالك ! فنهضت كما تروني أحسن مما كنت !

ما الذي حدث ، وكيف التأمت جراحه ، وصار له لسان بدل لسانه ، وعادت اليه أسنانه، والتأمت جروحه؟! وصار وجهه العادي المتجعد وجهاً جميلاً مشرقاً ؟! أي إكسير هذا الذي صنع كل ذلك بمسحة واحدة ، على مكان واحد من بدن ذلك المؤمن ؟!

إن الإكسير من خواصه على ما يذكرون أنه يحدث انقلاباً في ماهية الأشياء، لكنه انقلاب محدود ! لا يصل الى هذا الإنقلاب الجذري !

نعم لقد حصل ذلك ، وهذا ما يمكن أن يحصل لك إذا خطوت الى المولى خطوة واستحقيت منه نظرة ، تحدث انقلاباً في عالم ملكك وملكوتك !

قال ذلك المؤمن: نظر اليَّ نظرة ، ثم وضع يده على بدني وقال: قُمْ ، واسْعَ إلى رزقك ، وكِدَّ على عيالك ! فلم يكن من الضروري أن يمسح بيده على بقية جراح بدنه ، فتلك اليد: يد ولي الله ، يد الله تعالى.

صلى الله عليك . صلى الله عليك ،صلى الله عليك عدد ما في علم الله ، صلاة دائمة بدوام ملك الله تعالى . اللهم صل على محمد وآل محمد.

○ ○

هوامش

(١) قال الصدوق رحمه الله في كمال الدين:٤٠٩/٢: (حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق رضي الله عنه قال: حدثني أبو علي بن همام قال: سمعت محمد بن عثمان العمري قدس الله روحه يقول: سمعت أبي يقول سئل أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنا عنده عن الخبر الذي روي عن آبائه عليهم السلام: إن الأرض لاتخلو من حجة لله على خلقه إلى يوم القيامة وإن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، فقال: إن هذا حق كما أن النهار حق ، فقيل له: يا ابن رسول الله فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال: إبني محمد هو الامام والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية ، أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون ويهلك فيها المبطلون ، ويكذب فيها الوقاتون ، ثم يخرج فكأني أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة).

○ **وروى البرقي في المحاسن:١٥٣/١:** (عنه (أحمد بن أبي عبد الله البرقي) عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى الحلبي ، عن بشير الدهان قال قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية ،ثم قال: فعليكم بالطاعة، قد رأيتم أصحاب علي، وأنتم تأتمون بمن لايعذر الناس بجهالته، لنا كرائم القرآن، ونحن أقوام افترض الله طاعتنا ، ولنا الأنفال ولنا صفو المال).

○ **وروى في ص١٥٤:** عنه (أحمد بن عبد الله البرقي) عن أبيه ، عن النضر ، عن يحيى الحلبي، عن حسين بن أبي العلاء قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات ليس له إمام مات ميتة جاهلية، فقال: نعم، لو أن الناس تبعوا علي بن الحسين عليه السلام وتركوا عبد الملك بن مروان اهتدوا . فقلنا: من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية ميتة كفر ؟ فقال: لا ، ميتة ضلال).

○ ○

○ **أما المصادر السنية فروت الحديث بتغييرات عديدة ،** فبعضهم أبقى فيه لفظ الإمام لكن حذف معرفة الإمام وجعلها بيعة الإمام ، كما في مسند الطيالسي ص١٢٥٩، عن ابن

عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية ، ومن نزع يداً من طاعة جاء يوم القيامة لا حجة له).

○ وبهذا التعديل في الحديث النبوي استطاع معاوية ابن أبي سفيان أن يستغل الحديث ويجعله دعوة الى بيعته ، كما في صحيح ابن حبان:٤٩/٧: عن معاوية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية) .

○ **وبعضهم جعله حديثاً موجهاً ضد من يخرج على (الإمام)** حتى لو كان جائراً ! كما في معجم الطبراني الكبير:٣٥٠/١٠ (عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من فارق جماعة المسلمين قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ، ومن مات ليس عليه إمام فميتته جاهلية ، ومن مات تحت راية عمية يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتلته جاهلية).

○ **أما إمام هؤلاء الرواة فهو البخاري،** قال في صحيحه :٨٧/٨: (عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية. ورواه أيضاً في نفس الصفحة بعدة روايات . ورواه أيضاً في:١٠٥/٨ ، ورواه مسلم:٢١/٦، والبيهقي في سننه:١٥٦/٨ و:٢٣٤/١٠ ، وأحمد في مسنده:٢٩٧/١ و٣١٠ ، ونحوه في :٢ /٧٠ و٩٣ و١٢٣ و/٤٤٥ وفي:٤٤٦/٣ ..الخ.

○ ○

(٢) في عيون أخبار الرضا عليه السلام:١٤٥/٢: (ثم قال للجاثليق: يا نصراني كيف علمك بكتاب شعيا عليه السلام؟ قال: أعرفه حرفاً حرفاً. قال لهما: أتعرفان هذا من كلامه: يا قوم أني رأيت صورة راكب الحمار لابساً جلابيب النور ، ورأيت راكب البعير ضوؤه مثل ضوء القمر ؟ فقالا: قد قال ذلك شعيا عليه السلام. قال الرضا عليه السلام: يا نصراني هل تعرف في الإنجيل قول عيسى عليه السلام: إني ذاهب الى ربكم وربي ، والبار قليطا جاء ، هو الذي يشهد لي بالحق كما شهدتموه، والذي يفسر لكم كل شئ، وهو الذي يبدأ فضائح الأمم، وهو الذي يكسر عمود الكفر . فقال الجاثليق: ما ذكرت شيئاً من الإنجيل إلا ونحن مقرون به !) . ورواه الصدوق رحمه الله في التوحيد / ٤٢٤

(٣) في من لايحضره الفقيه للصدوق:٤١٨/٤: (وروى أحمد بن محمد بن سعيد الكوفى قال: حدثنا على بن الحسن بن فضال ، عن أبيه ، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا قال: للإمام علامات:

يكون أعلم الناس، وأحكم الناس ، وأتقى الناس ، وأحلم الناس ، وأشجع الناس وأسخى الناس ، وأعبد الناس ، ويولد مختوناً ، ويكون مطهراً ، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه، ولا يكون له ظل ، وإذا وقع على الأرض من بطن أمه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يحتلم، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ويكون محدثاً، ويستوي عليه درع رسول الله، ولا يرى له بول ولا غائط ، لأن الله عزوجل قد وكل الأرض بابتلاع ما يخرج منه ، وتكون رائحته أطيب من رائحة المسك، ويكون أولى بالناس منهم بأنفسهم، وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم ، ويكون أشد الناس تواضعاً لله جل ذكره ، ويكون آخذ الناس بما يأمر به ، وأكف الناس عما ينهى عنه ، ويكون دعاؤه مستجاباً حتى أنه لو دعا على صخرة لانشقت بنصفين، ويكون عنده سلاح رسول الله، وسيفه ذو الفقار ، ويكون عنده صحيفة يكون فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة ، وصحيفة فيها أسماء أعدائه إلى يوم القيامة، وتكون عنده الجامعة وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم، ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر: إهاب ماعز وإهاب كبش ، فيهما جميع العلوم حتى أرش الخدش وحتى الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة، ويكون عنده مصحف فاطمة). ورواه في معاني الأخبارص١٠٢

○ **وفي الكافي للكليني:١/٣٨٨:** (علي بن محمد ، عن بعض أصحابنا ، عن ابن أبي عمير ، عن حريز ، عن زرارة ، عن أبي جعفر قال: للإمام عشر علامات: يولد مطهراً ، مختوناً ، وإذا وقع على الأرض وقع على راحته رافعةً صوته بالشهادتين ، ولا يجنب ، وتنام عينه ولاينام قلبه، ولا يتثاءب ولايتمطى، ويرى من خلفه كما يرى من أمامه، ونجوه كرائحة المسك والأرض موكلة بستره وابتلاعه ، وإذا لبس درع رسول الله كانت عليه وفقاً ، وإذا لبسها غيره من الناس طويلهم وقصيرهم زادت عليه شبراً ، وهو مُحَدَّثٌ إلى أن تنقضي أيامه).

○ **وفي الكافي:٢٣٢/١** من حديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال:(وإن عندي لسيف رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن عندي لراية رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه ولامته ومغفره ، فإن كانا صادقين فما علامة في درع رسول الله عليه السلام؟ وإن عندي لراية رسول الله صلى الله عليه وآله المغلبة ، وإن عندي ألواح موسى وعصاه ، وإن عندي لخاتم سليمان بن داود ، وإن عندي الطست الذي كان موسى يقرب به القربان ، وإن عندي الإسم الذي كان رسول الله عليه السلام إذا وضعه بين المسلمين والمشركين لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشابة ، وإن عندي لمثل الذي جاءت به الملائكة .

ومثل السلاح فينا كمثل التابوت في بني إسرائيل ، في أي أهل بيت وجد التابوت على أبوابهم أوتوا النبوة ، ومن صار إليه السلاح منا أوتي الإمامة ، ولقد لبس أبي درع رسول الله صلى الله عليه وآله فخطت على الأرض خطيطاً ، ولبستها أنا فكانت وكانت ، وقائمنا من إذا لبسها ملأها إن شاء الله) . وروا في بصائر الدرجات ص١٩٥ بنحوه.

○ **وفي بصائر الدرجات للصفار رحمه الله ص٢٠٦:** (حدثنا ابراهيم بن محمد، عن الحسين بن موسى الخشاب، عن محسن بن محمد، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لبس أبي درع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات الفضول،فخطت، ولبست أنا فكان وكان). ورواه في الكافي:٢٣٤/١ ، وفيه " ولبستها أنا ففضلت" .

○ **وفي الكافي:٣٣١/٨** ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (درع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات الفضول لها حلقتان من ورق في مقدمها وحلقتان من ورق في مؤخرها ، وقال: لبسها علي عليه السلام يوم الجمل).

○ **وفي كامل الزيارات ص٢٣٣،** قال:(حدثني الحسين بن محمد بن عامر ، عن أحمد بن إسحاق بن سعد ، عن سعدان بن مسلم ، عن عمر بن أبان ، عن أبان بن تغلب ، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كأني بالقائم على نجف الكوفة وقد لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله فينتفض هو بها فتستدير عليه ، فيغشيها بخداجة من إستبرق ، ويركب فرساً أدهم بين عينيه شمراخ ، فينتفض به انتفاضة لا يبقى أهل بلد إلا وهم يرون إنه معهم في بلادهم ،

فينشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله عمودها من عمود العرش وسائرها من نصر الله ، لا يهوي بها إلى شئ أبدا إلا هتكه الله . فإذا هزها لم يبق مؤمن إلا صار قلبه كزبر الحديد ، ويعطي المؤمن قوة أربعين رجلاً ، ولا يبقى مؤمن إلا دخلت عليه تلك الفرحة في قبره ، وذلك حين يتزاورون في قبورهم ويتباشرون بقيام القائم ! فينحط عليه ثلاث عشر آلاف ملك وثلاثمائة وثلاث عشر ملكاً .

قلت: كل هؤلاء الملائكة ، قال: نعم الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة ، والذين كانوا مع ابراهيم عليه السلام حين ألقي في النار ، والذين كانوا مع موسى عليه السلام حين فلق البحر لبني اسرائيل، والذين كانوا مع عيسى عليه السلام حين رفعه الله إليه ، وأربعة آلاف ملك مع النبي صلى الله عليه وآله مسومين ، وألف مردفين ، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملائكة بدريين ، وأربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين عليه السلام فلم يؤذن لهم في القتال . فهم عند قبره شعث غبر يبكونه الى يوم القيامة ، ورئيسهم ملك يقال له: منصور ، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا يودعه مودع إلا شيعوه ، ولايمرض مريض إلا عادوه ، ولا يموت ميت إلا صلوا على جنازته ، واستغفروا له بعد موته ، وكل هؤلاء في الأرض ينتظرون قيام القائم عليه السلام إلى وقت خروجه !).

○ ○

(٤)في كامل الزيارات لجعفر بن محمد بن قولويه رحمه الله ص٩٧ ، من زيارة النبي صلى الله عليه وآله: السلام من الله والسلام على محمد أمين الله على وحيه وعزائم أمره ، ومعدن الوحي والتنزيل ، والخاتم لما سبق ، والفاتح لما استقبل ، والمهيمن على ذلك كله ، والشاهد على الخلق ، السراج المنير ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

○ **وفي الكافي: ٥٧٢/٤**: (السلام على رسول الله ، السلام على أمين الله على وحيه وعزائم أمره ، الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل ، والمهيمن على ذلك كله ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته) . وراجع مصباح المتهجد ص٧٤١.

○ ○

(٥) في مصباح الزائر: ص٣١٢، (في زيارة مولانا صاحب الأمر صلوات الله عليه وما

يلحق بذلك ، إذا أردت زيارته صلوات الله عليه وسلامه فليكن ذلك بعد زيارة العسكريين عليهما السلام، فإذا فرغت من العمل هناك ، وبلغت من زيارتهما هناك فامض إلى السرداب المقدس وقف على بابه ، وقل... ثم تنزل مقدماً رجلك اليمنى وتقول: بسم الله وبالله ، وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وكبر الله واحمده وسبحه وهلله ، فإذا استقررت فيه فقف مستقبل القبلة وقل:

سلام الله وبركاته وتحياته وصلواته على مولاي صاحب الزمان ، صاحب الضياء والنور ، والدين المأثور، واللواء المشهور، والكتاب المنشور ، وصاحب الدهور والعصور ، وخلف الحسن ، الإمام المؤتمن ، والقائم المعتمد ، والمنصور المؤيد، والكهف والعضد، عماد الاسلام ، وركن الأنام ، ومفتاح الكلام ، وولي الأحكام ، وشمس الظلام ؛ وبدر التمام ، ونضرة الأيام ، وصاحب الصمصام ، وفلاق الهام، والبحر القمقام ، والسيد الهمام، وحجة الخصام ، وباب المقام ، ليوم القيام ، والسلام على مفرج الكربات ، وخواض الغمرات، ومنفس الحسرات ، وبقية الله في أرضه، وصاحب فرضه، وحجته على خلقه،وعيبة علمه، وموضع صدقه، والمنتهي إليه مواريث الأنبياء، ولديه موجود آثار الأوصياء، وحجة الله وابن رسوله ، والقيم مقامه، وولي أمر الله، ورحمة الله وبركاته. اللهم كما انتجبته لعلمك، واصطفيته لحكمك ، وخصصته بمعرفتك ، وجللته بكرامتك ، وغشيته برحمتك، وربيته بنعمتك، وغذيته بحكمتك، واخترته لنفسك، واجتبيته لبأسك، وارتضيته لقدسك ، وجعلته هاديا لمن شئت من خلقك ، وديان الدين بعدلك ، وفصل القضايا بين عبادك..)

ورواه في البحار :١٠٢/ ٨٣

○ ○

كيف نعرف الإمام المهدي عليه السلام ونعرفه للناس ؟

(بتاريخ: ١٤ شعبان ١٤١٢- ١٩٩٢/٢/١٩ - ١٣٧٠/١١/٣٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

هل عرفنا صاحب الزمان أرواحنا فداه كما يجب ، حتى نتكلم فيه ونعرفه للناس؟ أم نحن أول الأصناف العشرة الذين قال عنهم أمير المؤمنين عليه السلام: **(عشرة يعنتون أنفسهم وغيرهم: ذو العلم القليل يتكلف أن يعلم الناس كثيراً ، والرجل الحليم ذو العلم الكثير ليس بذي فطنة**...الخ.) (١)

نحن نردد هذه الكلمة العظيمة لأمير المؤمنين عليه السلام، لكن قلما نعمل بها ! فلماذا ترانا لا نتعب من الكلام فيما نقوله للناس ، مع علمنا القليل ؟

يجب أن نعترف بأنا أنانيون نحب أنفسنا، وقد نعبدها ، ولذا لا نشعر بالتعب !

وسبب أنانيتنا أننا لا نعترف بجهلنا في هذا الموضوع وذاك وذلك ! فنُدخل أنفسنا فيه ، ونقول فيه بغير علم ، فنُتعب أنفسنا ونُتعب الناس !

نعم ، نحن نعرف عن صاحب الزمان أرواحنا فداه ، أنه موجود . وأنه الإمام الثاني عشر من أئمة أهل بيت النبوة الطاهرين عليهم السلام ، وأنه الموعود على لسان جده سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، المذخور لتنفيذ هدف رب العالمين بأن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملؤوها ظلماً وجوراً.

لكني لا أقصد المعرفة الواجبة على كل المكلفين ، بل أقصد تعريف شخصيته تعريفاً علمياً يكون جامعاً مانعاً . وبهذا المعنى فأنا لا أعرف عنه شيئاً ! وأقصد نفسي دونكم لأني لا علم لي بكم .

لكنا مع ذلك نتكلم في معرفته صلوات الله عليه ، لأنه نوع من التقرب والتوسل به إلى الله تعالى ، فذكر أهل البيت عليهم السلام ذكر لله عز وجل ، وإلا فنحن لسنا أهلاً لنكون من خدام خدامهم.

من أين لنا أن نستطيع تعريف صاحب الزمان صلوات الله عليه ، ونحن نقرأ في زيارة الناحية المقدسة: **السلام عليك سلام من عرفك بما عرَّفك الله به ونعتك.** (٢)

وهذا يعني أنا لا يمكننا أن ندعي معرفته وتعريفه ، فما نقوله لا يصلح أن يكون تعريفاً له، بل تعريفه فقط ما عرفه الله تعالى به، فهو التعريف الصحيح، وغيره منا كلام ملؤه الغلط !

سلام من عرفك بما عرَّفك الله به ونعتك.. فبماذا عرَّفه الله تعالى ؟

عرَّفه الله بما رواه الشيخ الطوسي قدس الله نفسه الزكية، في مصباح المتهجد ، قال قدس سره: (ويستحب أن يدعى فيها بهذا الدعاء:

اللهم بحق ليلتنا ومولودها، وحجتك وموعودها، التي قرنت إلى فضلها فضلك، فتمت كلمتك صدقاً وعدلاً ، لا مبدل لكلماتك ، ولا معقب لآياتك، نورك المتألق، وضياؤك المشرق ، والعلم النور في طخياء الديجور ، الغائب المستور، جل مولده، وكرم محتده، والملائكة شهده، والله ناصره ومؤيده، إذا آن ميعاده، والملائكة أمداده ، سيف الله الذي لا ينبو، ونوره الذي لا يخبو، وذو الحلم الذي لا يصبو) (٣)

نورك المتألق، وضياؤك المشرق..فأي عالم هذا من عوالم الله عز وجل ، الذي لا نصل اليه؟ وأي جهاز رباني هذا ، الذي لا نستطيع أن ندركه؟!

بحق ليلتنا ومولودها...التي قرنت إلى فضلها فضلك..

أيُّ فضل قُرِنَ الى أيِّ فضل ؟! فصاحب الزمان صلوات الله عليه هو فضل الله العزيز الحكيم ، ذي العزة والمجد والعطاء.. قرنه إلى فضل ليلة النصف من شعبان.. فما حقيقة هذين الفضلين وما معنى اقترانهما ؟!

هذه العبارات لم أستطع تفسيرها، ولا أستطيع الآن أن أعبر عما فهمته منها !

لذا أتركها إلى عبارة أخرى من زيارة الناحية المقدسة التي فيها: **سلام من عرفك بما عرَّفك الله به** ، وفيها هذه العبارة: **السلام عليك يا ناظر شجرة طوبى وسدرة المنتهى!**

إن قدرة الإنسان على الخيال أوسع من قدرته على الرؤية بالبصر بكثير ، فلاحظوا الى أي مدى يصل بصركم وما تراه أعينكم ، ثم إلى أي مدى يبلغ خيالكم ؟! طبعاً الفارق بينهما كبير . وبهذه النسبة يكون الفرق بين ما يبلغه الخيال وما يبلغه العقل! فالعقول تدرك المجردات التي لا يدركها الخيال ! فعقولنا مثلاً تدرك ما وراء الفضاء ، لكن خيالنا لا يدركه إلا فضاء ! وتدرك العدم ، ولا يدركه خيالنا إلا وجوداً !

فهل سمعتم بشخص ينظر من الأرض إلى الجنة وإلى شجرة طوبي ، وإلى سدرة المنهتى؟! إنه الإمام صاحب الزمان أزواحنا فداه !

السلام عليك يا ناظر شجرة طوبى وسدرة المنتهى.. فإذا كان نظره عليه السلام يصل إلى شجرة طوبى وسدرة المنتهى ، فإلى أين يصل تصوره ، وإلى أين يصل إدراك عقله الشريف؟! هنا نعرف لماذا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام!

فإن حدود علم جبرئيل عليه السلام وقدرته على الإدراك تقف عند سدرة المنهتى ، ففي المناقب من حديث ابن عباس عن المعراج: **فلما بلغ إلى سدرة المنتهى فانتهى إلى الحجب فقال جبرئيل: تقدم يارسول الله ليس لي أجوز هذا المكان ولو دنوتُ أنملةً لاحترقت!** . (المناقب لابن شهر آشوب:١/١٥٥).

بل لا بد أن نقول إن جبرئيل لا يستطيع أن يصل الى حيث وصل الإمام المهدي عليه السلام، الذي يصل مدى نظره إلى سدرة المنتهى ، فيكون جبرئيل تحت نظره، فضلاً عن قدرة تصوره، ثم قدرة تعقله صلوات الله عليه، فكيف يمكننا أن نعرّف الإمام المهدي عليه السلام بغير هذا التعريف: **السلام عليك يا ناظر شجرة طوبى وسدرة المنتهى، السلام عليك يا نور الله الذي لا يطفى.**

إنه نور الله الذي لا يطفأ ، ففيه اجتمعت كل المعرفة وكل العلوم روحي فداه! وقد يتصور بعضهم أن هذه الأبحاث لا فائدة فيها ، لكنه لا يلتفت الى أن مشكلاتنا جاءت من تنقيصنا لمقام النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين من عترته الطاهرين عليهم السلام، ولأنا لم نقدرهم حق قدرهم، ولم نعطهم حقهم ومقامهم الذي أعطاه الله لهم، فتخيلناهم في مقامات دنيا، بل صادرنا أحياناً مقاماتهم لأنفسنا! مع أن الذين ينقصونهم مقاماتهم ولو درجة واحدة ، فضلاً عمن يصادرونها ويدعونها لأنفسهم، ينطبق عليهم قول الله تعالى:**كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ.** سورة المطففين:١٥،

وهذه هي خسارة الأبد، وعذاب الكمد !

○ ○

وعبارة أخرى في نفس زيارة الناحية هذه تقول:**أشهد أنك الحجة...وأنك خازن كل علم ، وفاتق كل رتق ، ومحقق كل حق ، ومبطل كل باطل..** فهذه

مقامات أربعة لصاحب الزمان صلوات الله عليه ، تتعلق بما أعطاه الله من العلم والقدرة . ومن الصعب علينا أن نتصور معانيها :

خازن كل علم ، بهذا الشمول وبأصرح أدوات التعميم !

وكذلك تصور الصفات الأربع التي تتعلق بالقدرة التي أعطاه الله إياها ، وهي فوق ما أعطى لعيسى بن مريم عليه السلام من إحياء الموتى بإذنه وغيرها !

فالإمام المهدي عليه السلام بإشارة منه بالمشيئة الربانية التي تستمد من**(كن فيكون) فاتقُ كل رتق، وراتق كل فتق..** فهو الهادم لكل باطل ، والباني لكل حق ، في عالمي المادة والمعنى. وهو المحق لجميع الحقوق المتروكة والمجهولة ، ومبطل الباطل الظاهر والمخفي !

إنها مقامات فوق تصورنا وعرفنا المحدود كما ذكرنا . ولا عجبَ ما دام الله تعالى قد جعله خاتم دينه ، وبقيته المذخورة لإصلاح أرضه ، والمحقق لهدف أنبيائه عليهم السلام، وجمع فيه الكرامات والكمالات التي وزعها في غيره !

سأل أحدهم الإمام الصادق عليه السلام عن الإمام المهدي عليه السلام إذا ظهر كيف يسلمون عليه؟ فقال: يقولون السلام عليك يا بقية الله ، ثم قرأ: **بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** . (سورة هود: ٨٦) **(٤)**

فهو عليه السلام بقية الله، الذي انتهت إليه مواريث الأنبياء عليهم السلام والموجود لديه آثار الأصفياء ، فهو قِطافةٌ منهم جميعاً ، وعصارةٌ لهم جميعاً ، وخلاصةُ عطر استخلصها الله من عطور العالم ، وجعلها في زجاجة نورانية ، فكانت الإمام المهدي أرواحنا فداه . صلوات الله عليك.يا بقية الله في أرضه.

فكيف يمكن لنا أن ندعي أننا ننتسب إلى هذه الشخصية العظيمة ، وأننا من خدامه أو خدام خدامه صلوات الله عليه وعليهم؟! لكنه هو الكريم سليل الأمجاد الكرماء ، نأمل ببركة دم جده الحسين عليه السلام أن ينظر إلينا نظرة رضاً ،

تشملنا بها رحمة ربنا عز وجل ، وإلا فنحن لا شئ ، وليس في أعمالنا ما يقربنا إلى هذا العالم العلوي من العلم والقدرة الإلهية !

نقل المجلسي رحمه الله من كتاب السلطان المفرج عن أهل الإيمان ، قضية عجيبة فيها كلمة من الإمام عليه السلام تفتح أبواباً من المعرفة، قال المجلسي رحمه الله: (ومن ذلك ما نقله عن بعض أصحابنا الصالحين من خطه المبارك ما صورته: عن محيي الدين الإربلي أنه حضر عند أبيه ومعه رجل ، فنعس فوقعت عمامته عن رأسه ، فبدت في رأسه ضربة هائلة فسأله عنها فقال له: هي من صفين ! فقيل له: وكيف ذلك ووقعة صفين قديمة ؟! فقال: كنت مسافراً إلى مصر فصاحبني إنسان من غزة ، فلما كنا في بعض الطريق تذاكرنا وقعة صفين ، فقال لي الرجل: لو كنت في أيام صفين لرويت سيفي من علي وأصحابه ! فقلت: لو كنت في أيام صفين لرويت سيفي من معاوية وأصحابه ! وها أنا وأنت من أصحاب علي عليه السلام ومعاوية لعنه الله فاعتركناعركة عظيمة، واضطربنا فما أحسست بنفسي إلا مرمياً لما بي .

فبينما أنا كذلك وإذا بإنسان يوقظني بطرف رمحه ، ففتحت عيني فنزل إليَّ ومسح الضربة فتلاءمت ، فقال: إلبَثْ هنا ، ثم غاب قليلاً وعاد ومعه رأس مخاصمي مقطوعاً والدواب معه ، فقال لي: هذا رأس عدوك ، وأنت نصرتنا فنصرناك: **وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** . فقلت من أنت؟ فقال: فلان بن فلان ، يعني صاحب الأمر عليه السلام، ثم قال لي: وإذا سئلت عن هذه الضربة ، فقل ضربتها في صفين !) . (البحار:٧٥/٥٢)

والأمر هنا يتصل بمعرفة الإمامة، فقد ربط الإمام عليه السلام قوله: نصرتنا فنصرناك ، بقوله تعالى: **وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ**، لأن نصرة أهل البت عليهم السلام نصرةٌ لله

تعالى، فقد نصر هذا المؤمن الله تعالى ضد الناصبي عدو الله ! والذي نصره على الناصبي ليس الإمام المهدي عليه السلام بل الله تعالى، مثل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** . (سورة الأنفال:١٧)

فلم تكن القدرة في يد الإمام المهدي عليه السلام التي لمست جرحه فشفي من فوره قدرة بشرية ، بل قدرة ربانية جرت على يد الإمام المهدي عليه السلام، لكن ذلك يحتاج الى رقي فكري لإدراكه وتعقله.

إن القدرة التي جعلها الله تعالى في الإمام المهدي عليه السلام أعظم من القدرة التي جعلها في يد نبيه موسى عليه السلام: **وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ**. (الأعراف:١٠٨)

فقد كان موسى عليه السلام ينزع يده من تحت إبطه فتضئ للناظرين بإذن الله ، ويمسح بها فتشفي الأعمى والمريض بإذن الله ، ولكن السر الإلهي الذي في يد الإمام المهدي عليه السلام أعظم وأعم ، بل لا تقاس يده بيد موسى عليه السلام لأن ملك محمد وآله أعظم مما أوتي الأنبياء عليهم السلام! فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال لجابر بن عبد الله: **نعم يا جابر إن ملكنا أعظم من ملك سليمان بن داود ، وسلطاننا أعظم من سلطانه.** (البحار :٣٠٦/٢٧) .**(٥)**

○ ○

عن أبان بن تغلب، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه عندما يظهر الإمام المهدي عليه السلام: **(فينشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله عمودها من عمود العرش وسائرها من نصر الله ، لا يهوي بها الى شئ أبداً إلا هتكه الله، فإذا هزها لم يبق مؤمن إلا صار قلبه كزبر الحديد ، ويعطى المؤمن قوة أربعين رجلاً ، ولا يبقى مؤمن إلا دخلت عليه تلك الفرحة في قبره، وذلك حين يتزاورون في قبورهم ويتباشرون بقيام القائم، فينحط عليه ثلاث عشر آلاف ملك وثلاثمائة وثلاث عشر ملكاً .**

قلت: كل هؤلاء الملائكة؟ قال: نعم ، الذين كانوا مع نوح في السفينة ، والذين كانوا مع إبراهيم حين ألقي في النار، والذين كانوا مع موسى حين فلق البحر لبني اسرائيل، والذين كانوامع عيسى حين رفعه الله إليه، وأربعة آلاف ملك مع النبي صلى الله عليه وآله مسومين، وألف مردفين، وثلاثمائة وثلاثة عشرملائكة بدريين، وأربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين عليه السلام فلم يؤذن لهم في القتال ...) .

إن حضور هؤلاء الملائكة من زمن نوح عليه السلام إلى عاشوراء الحسين عليه السلام **(ولا يوم كيومك يا أبا عبد الله)** له دلالات مهمة ، منها تسلسل قضية الصراع في الأرض بين الهدى الإلهي والضلال البشري ، وحضور الملائكة الشهود والأنصار في ختامه على يد الإمام المهدي عليه السلام!

وهذا الإنسان الذي يحشد له الله تعالى هذه القوة ، ويربطه بهذه الأمجاد ، لا يمكن تعريفه إلا بالقول: **نورك المتألق ، وضياؤك المشرق ، والعلم النور في طخياء الديجور ، الغائب المستور ، جل مولده ، وكرم محتده ، والملائكة شهده ، والله ناصره ومؤيده . (٦)**

○ ○

والمهم في الموضوع: ماذا يجب علينا أن نعمل ؟

أولاً ، يجب علينا نحن فئة طلبة العلم والعلماء أن ندرك أنه لا يمكننا أن نقوم بعمل مفيد إلا بتوفيق الله تعالى ، فلابد أن نترك الإدعاء بأننا شئ ، ونتوجه إليه عز وجل أن ينظر الينا نظرة رحيمة يجعلنا بها مقبولين عنده وعند رسوله وآله صلى الله عليه وآله.علينا أن لا ندعي أننا أصحاب أهل البيت عليهم السلام وأصحاب الإمام المهدي وجنوده أرواحنا فداه ! بل لا أدعي أني باسط يديه بالوصيد في أعتاب صرحهم الرباني المشيد ، وإنما نحن سائلون عند فنائهم !

مولاي يا صاحب الزمان ، إن الله تعالى يقول:**وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ**، ونحن سائلون على بابك. ويقول عز وجل: **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ** ، ونحن أيتامكم أهل البيت ، لأنا منقطعون عنكم..فمن أيتم منا ، ومن أكدى ؟! صلوات الله عليكم.

وثانياً، أن نعرف أن الحق ما حققه أهل البيت عليهم السلام ، والباطل ما أبطلوه **(فالحق ما رضيتموه، والباطل ما سخطتموه)**. فمادمنا نعتقد بإمامتهم وعصمتهم عليهم السلام، فعندما يصل إلينا ما أحقوه وما أبطلوه ، فقد انتهى الأمر ، ووجب على العقل أن يُسْلِم ويُسَلِّم ، لأن الكلام في مقابلهم غلط! ولا مجال لقول هكذا أرى وهكذا أفهم! فما أراه وما أفهمه مقابل هؤلاء عليهم السلام فضول القول! إن عقائدنا من ناحية نظرية تتلخص في كلمتين فقط: **فالحق ما رضيتموه والباطل ما سخطتموه** . كما أن عملنا يتلخص في كلمتين أيضاً: **المعروف ما أمرتم به والمنكر ما نهيتم عنه.**

اللهم صل على محمد وآل محمد.

○ ○

هوامش

(١) في الخصال للصدوق رحمه الله ص٤٣٧: (حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى العطار رضي الله عنه قال: حدثنا أبي، وسعيد بن عبد الله قالا: حدثنا أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان ، عن موسى بن بكر ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام، عن أبيه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: عشرة يفتنون أنفسهم وغيرهم: ذو العلم القليل يتكلف أن يعلم الناس كثيراً . والرجل الحليم ذو العلم الكثير ليس بذي فطنة . والذي يطلب ما لا يدرك ولا ينبغي له. والكاد غير المتئد.

والمتئد الذي ليس له مع تؤدته علم . وعالم غير مريد للصلاح . ومريد للصلاح وليس

بعالم . والعالم يحب الدنيا . والرحيم بالناس يبخل بما عنده.
وطالب العلم يجادل فيه من هو أعلم ، فإذا علمه لم يقبل منه).

○ ○

(٢) في المزار لابن المشهدي رحمه الله ص٥٨٦: (زيارة أخرى له عليه السلام:إذا وصلت إلىحرمه بسر من رأى فاغتسل والبس أطهر ثيابك، وقف على باب حرمه عليه السلام قبل أن تنزل السرداب ، وزر بهذه الزيارة وقل: السلام عليك يا خليفة الله وخليفة آبائه المهديين . السلام عليك يا وصي الأوصياء الماضين . السلام عليك يا حافظ أسرار رب العالمين . السلام عليك يا بقية الله من الصفوة المنتجبين ... إلى آخرها . وقد تقدمت برواية أخرى من المزار لابن المشهدي رحمه الله في موضوع (معرفة الإمام المهدي عليه السلام بالنورانية).

○ ○

(٣) في مصباح المتهجد للشيخ الطوسي رحمه الله ص٨٤٢: ويستحب أن يدعى فيها بهذا الدعاء: (اللهم بحق ليلتنا ومولودها، وحجتك وموعودها ، التي قرنت إلى فضلها فضلك، فتمت كلمتك صدقاً وعدلاً ، لا مبدل لكلماتك ، ولا معقب لآياتك ، نورك المتألق ، وضياؤك المشرق ، والعلم النور في طخياء الديجور ، الغائب المستور ، جل مولده ، وكرم محتده ، والملائكة شهده ، والله ناصره ومؤيده ، إذا آن ميعاده ، والملائكة أمداده ، سيف الله الذي لا ينبو ، ونوره الذي لا يخبو ، وذو الحلم الذي لا يصبو، مدار الدهر ونواميس العصر ، وولاة الأمر ، والمنزل عليهم ما يتنزل في ليلة القدر ، وأصحاب الحشر والنشر، تراجمة وحيه ، وولاة أمره ونهيه .

اللهم فصل على خاتمهم وقائمهم، المستورعن عوالمهم، وأدرك بنا أيامه وظهوره وقيامه،واجعلنا من أنصاره، واقرن ثارنا بثاره،واكتبنا في أعوانه وخلصائه، وأحينا في دولته ناعمين، وبصحبته غانمين، وبحقه قائمين ، ومن السوء سالمين؟ ياأرحم الراحمين).

○ ○

(٤) في الكافي:٤١١/١: (محمد بن يحيى ، عن جعفر بن محمد قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم الدينوري ، عن عمر بن زاهر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله رجل عن القائم

يسلم عليه بإمرة المؤمنين؟ قال: لا ، ذاك إسمٌ سمى الله به أمير المؤمنين عليه السلام، لم يسم به أحد قبله ولا يتسمى به بعده إلا كافر. قلت: جعلت فداك كيف يسلم عليه؟ قال: يقولون: السلام عليك يا بقية الله ، ثم قرأ: بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين) .

○ ○

(٥) في بصائر الدرجات للصفار رحمه الله ص٤٢٩، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (إن ذا القرنين قد خير السحابين فاختار الذلول ، وذخر لصاحبكم الصعب . قال قلت وما الصعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة أو برق فصاحبكم يركبه ! أما إنه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السموات السبع والأرضين السبع ، خمس عوامر ، واثنتان خرابان !) .

○ **وعن الإمام الصادق عليه السلام**: (إن الله خير ذا القرنين السحابين الذلول والصعب فاختار الذلول ، وهو ما ليس فيه برق ولا رعد ، ولو اختار الصعب لم يكن له ذلك لأن الله ادخره للقائم عليه السلام) .

○ **وفي الكافي**:٤٧١/١: (عن أبي بكر الحضرمي قال: لما حمل أبو جعفر عليه السلام إلى الشام إلى هشام بن عبد الملك وصار ببابه قال لأصحابه ومن كان بحضرته من بني أمية: إذا رأيتموني قد وبخت محمد بن علي ثم رأيتموني قد سكت ، فليقبل عليه كل رجل منكم فليوبخه . ثم أمر أن يؤذن له فلما دخل عليه أبو جعفر عليه السلام قال بيده: السلام عليكم فعمهم جميعاً بالسلام ثم جلس ، فازداد هشام عليه حنقاً بتركه السلام عليه بالخلافة وجلوسه بغير إذن ، فأقبل يوبخه ويقول فيما يقول له: يا محمد بن علي لا يزال الرجل منكم قد شق عصا المسلمين ودعا إلى نفسه وزعم أنه الإمام سفهاً وقلة علم ، ووبخه بما أراد أن يوبخه ، فلما سكت أقبل عليه القوم رجل بعد رجل يوبخه حتى انقضى آخرهم ، فلما سكت القوم نهض عليه السلام قائماً ثم قال: أيها الناس أين تذهبون وأين يراد بكم ، بنا هدى الله أولكم وبنا يختم آخركم ، فإن يكن لكم ملك معجل فإن لنا ملكا مؤجلا وليس بعد ملكنا ملك لأنا أهل العاقبة يقول الله عز وجل: **وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** . فأمر به إلى الحبس فلما صار إلى الحبس تكلم فلم يبق في الحبس رجل إلا ترشفه وحن إليه ، فجاء

صاحب الحبس إلى هشام فقال: يا أمير المؤمنين إني خائف عليك من أهل الشام أن يحولوا بينك وبين مجلسك هذا ، ثم أخبره بخبره ، فأمر به فحمل على البريد هو وأصحابه ليردوا إلى المدينة ، وأمر أن لا تخرج لهم الأسواق ، وحال بينهم وبين الطعام والشراب ، فساروا ثلاثاً لا يجدون طعاماً ولا شراباً حتى انتهوا إلى مَدْيَن فأغلق باب المدينة دونهم ، فشكا أصحابه الجوع والعطش قال: فصعد جبلاً يشرف عليهم فقال بأعلى صوته: يا أهل المدينة الظالم أهلها أنا بقية الله ، يقول الله: **بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ** (سورة هود:٨٦)،

قال: وكان فيهم شيخ كبير فأتاهم فقال لهم: يا قوم هذه والله دعوة شعيب النبي ، والله لئن لم تخرجوا إلى هذا الرجل بالأسواق لتؤخذن من فوقكم ومن تحت أرجلكم فصدقوني في هذه المرة وأطيعوني وكذبوني فيما تستأنفون ، فإني لكم ناصح ، قال: فبادروا فأخرجوا إلى محمد بن علي وأصحابه الأسواق ، فبلغ هشام بن عبد الملك خبر الشيخ ، فبعث إليه فحمله فلم يدر ما صنع به).

○ **وفي الكافي:٨/٢١٠**: (عن أبي بصير قال: كنت مع أبي جعفر عليه السلام جالساً في المسجد إذ أقبل داود بن علي ، وسليمان بن خالد ، وأبو جعفر عبد الله بن محمد أبو الدوانيق ، فقعدوا ناحية من المسجد فقيل لهم: هذا محمد بن علي جالس ، فقام إليه داود بن علي وسليمان بن خالد ، وقعد أبو الدوانيق مكانه حتى سلموا على أبي جعفر عليه السلام فقال لهم أبو جعفر: ما منع جباركم من أن يأتيني ؟! فعذَّروه عنده ، فقال عند ذلك أبو جعفر: أما والله لا تذهب الليالي والأيام حتى يملك ما بين قطريها ، ثم ليطأن الرجال عقبه ، ثم لتذلن له رقاب الرجال ، ثم ليملكن ملكاً شديداً ، فقال له داود بن علي: وإن ملكنا قبل ملككم؟ قال: نعم يا داود إن ملككم قبل ملكنا وسلطانكم قبل سلطاننا ....الخ).

○ ○

(٦) في كامل الزيارات لابن قولويه رحمه الله ص٢٣٣: (حدثني الحسين بن محمد بن عامر، عن أحمد بن إسحاق بن سعد ، عن سعدان بن مسلم ، عن عمر بن أبان ، عن أبان بن تغلب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كأني بالقائم عليه السلام على نجف الكوفة وقد لبس درع

رسول الله صلى الله عليه وآله فينتفض هو بها فتستدير عليه فيغشيها بخداجة من إستبرق ، ويركب فرساً أدهم بين عينيه شمراخ ، فينتفض به انتفاضة ، لا يبقى أهل بلد إلا وهم يرون أنه معهم في بلادهم ، فينشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله عمودها من عمود العرش وسائرها من نصر الله ، لا يهوي بها إلى شئ أبداً إلا هتكه الله . فإذا هزها لم يبق مؤمن إلا صار قلبه كزبر الحديد ، ويعطى المؤمن قوة أربعين رجلاً ، ولا يبقى مؤمن إلا دخلت عليه تلك الفرحة في قبره ، وذلك حين يتزاورون في قبورهم ويتباشرون بقيام القائم ، فينحط عليه ثلاث عشر آلاف ملك وثلاثمائة وثلاث عشر ملكاً .

قلت: كل هؤلاء الملائكة ؟ قال: نعم ، الذين كانوا مع نوح في السفينة ، والذين كانوا مع إبراهيم حين ألقي في النار، والذين كانوا مع موسى حين فلق البحر لبني إسرائيل، والذين كانوا مع عيسى حين رفعه الله إليه ، وأربعة آلاف ملك مع النبي صلى الله عليه وآله مسومين ، وألف مردفين ، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملائكة بدريين ، وأربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين عليه السلام فلم يؤذن لهم في القتال، فهم عند قبره شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة، ورئيسهم ملك يقال له: منصور ، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه ، ولا يودعه مودع إلا شيعوه، ولا يمرض مريض إلا عادوه ، ولا يموت ميت إلا صلوا على جنازته واستغفرواله بعد موته. وكل هؤلاءفي الأرض ينتظرون قيام القائم عليه السلام الى وقت خروجه).

○ **وفي كامل الزيارات ص٣٥٢:** (حدثني محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد ، عن محمد بن الحسن الصفار ، عن الحسن بن علي بن عبد الله بن المغيرة ، عن العباس بن عامر ، عن أبان، عن أبي حمزة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله وكل بقبر الحسين عليه السلام أربعة آلاف ملك شعثاً غبراً ، فلم يزل يبكونه من طلوع الفجر إلى زوال الشمس ، فإذا زالت الشمس هبط أربعة آلاف ملك وصعد أربعة آلاف ملك ، فلم يزل يبكونه حتى يطلع الفجر ويشهدون لمن زاره ويشيعونه إلى أهله ، ويعودونه إذا مرض ، ويصلون عليه إذا مات) .

○ **وفي كامل الزيارات ص٣٥٣:** (.حدثني محمد بن جعفر ، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، عن موسى بن سعدان ، عن عبد الله بن القاسم ، عن عمر بن أبان الكلبي ،

عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: هبط أربعة آلاف ملك يريدون القتال مع الحسين عليه السلام فلم يؤذن لهم في القتال، فرجعوا في الإستيذان، فهبطوا وقد قتل الحسين عليه السلام فهم عند قبره شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة ، رئيسهم ملك يقال له منصور ، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه ، ولا يودعه مودع إلا شيعوه ، ولا يمرض مريض إلا عادوه ، ولا يموت إلا صلوا على جنازته واستغفروا له بعد موته . وكل هؤلاء في الأرض ينتظرون قيام القائم عليه السلام).

○ **وفي كمال الدين للصدوق رحمه الله ص٦٧١**: (وبهذا الإسناد ، عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كأني أنظر إلى القائم عليه السلام على ظهر النجف ، فإذا استوى على ظهر النجف ركب فرساً أدهم أبلق بين عينيه شمراخ ، ثم ينتفض به فرسه فلا يبقى أهل بلدة إلا وهم يظنون أنه معهم في بلادهم ، فإذا نشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله انحط إليه ثلاثة عشر ألف ملك وثلاثة عشر ملكاً كلهم ينتظر القائم عليه السلام، وهم الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة، والذين كانوا مع إبراهيم الخليل عليه السلام حيث ألقي في النار ، وكانوا مع عيسى عليه السلام حيث رفع، وأربعة آلاف مسومين ومردفين، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً يوم بدر ، وأربعة آلاف ملك الذين هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي صلوات الله عليهما فلم يؤذن لهم فصعدوا في الإستيذان، وهبطوا وقد قتل الحسين عليه السلام فهم شعث غبر يبكون عند قبر الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة . وما بين قبر الحسين عليه السلام إلى السماء مختلف الملائكة) .

○ **وفي غيبة النعماني: ص٣٠٩**: (أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا علي بن الحسن التيملي قال: حدثنا الحسن ومحمد ابنا علي بن يوسف ، عن سعدان بن مسلم ، عن عمر بن أبان الكلبي ، عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: - كما في رواية كامل الزيارات الأولى بتفاوت يسير ، وفيه: ..عليه خوخة من استبرق.. انتفضت به حتى تستدير عليه ، ثم يركب فرساً أبلق أدهم.. شمراخ بين.. قلت: مخبوءة أو يؤتى بها ؟ قال: بل يأتيه بها جبرئيل.. يهبط تسعة آلاف ملك.. صعدوا إلى السماء.. فهبطوا إلى الأرض وقد قتل..) .

○ **وفي: ص٣١٠** (أخبرنا عبد الواحد بن عبد الله بن يونس قال: حدثنا محمد بن جعفر

القرشي قال: حدثنا أبو جعفر الهمداني قال: حدثنا موسى بن سعدان ، عن عبد الله بن القاسم الحضرمي ، عن عمر بن أبان الكلبي ، عن أبان بن تغلب قال: **قال أبو عبدالله عليه السلام:** - كما في رواية كامل الزيارات الأولى بتفاوت ، وفيه: .. إذا استوى على ظهر النجف لبس.. الأبيض.. أدهم أبلق.. من عمد عرش الله.. قلت: أمخبوٌّ هي أم يؤتى بها؟ قال: بل يأتي بها جبرئيل عليه السلام.. أشد من زبر الحديد..مؤمن ميت..فرجعوا في الإستيمار..).

○ **وفي دلائل الإمامة ص٢٤٣-** كما في رواية النعماني الثانية بتفاوت ، بسنده إلى أبان بن تغلب ، عن أبي عبد الله عليه السلام: -

○ **وفي العدد القوية صـ٧٤** - أوله، كما في رواية كامل الزيارات الأولى بتفاوت ، مرسلاً عن الصادق عليه السلام.

○ **وفي إثبات الهداة:٤٩٣/٣** - ملخصاً ، عن كمال الدين .

○ **وفي:ص٥٣١/٥٣٠-** ملخصاً ، عن رواية كامل الزيارات الأولى ، وقال: ورواه ابن طاووس في مصباح الزائر نقلاً عن مزار ابن قولويه ، مثله .

○ **وفي البحار:٦٩/١١-** عن النعماني ملخصاً . وفي:٣٣٩/١٤ - بعضه ، عن كمال الدين . وفي:٤٥ /٢٢٦- بعضه ، عن رواية كامل الزيارات الثانية . وفي:٣٢٥/٥٢- عن كمال الدين وفي: ص٣٢٨ - عن رواية كامل الزيارات الأولى ، وأشار إلى مثله عن روايتي النعماني . وفي: ص٣٩١ - عن العدد القوية .

○ ○

الإمام المهدي عليه السلام في حديث اللوح

(بتاريخ: ١٣ شعبان ١٤١٤- ١٩٩٤/١/٢٦ - ١٣٧٢/١١/٦)

بســم الله الرحمن الرحيم

طلب مني بعض الأفاضل أن أتكلم في موضوع يتعلق بولادة الإمام المهدي عليه السلام. ولعل بعضهم يتصورأني مقل في الكلام في هذه الأمور العقيدية وأنه يجب أن أتكلم أكثر ، لكن القضية ليست من عالم البخل والكرم ، بل لأني على يقين بأن مسائل المعصومين صلوات الله عليهم فوق تصورنا وإدراكنا.. فسبب قلة الكلام هو القصور والجهل والعجز ! وعندما أتكلم أحسب ذلك من باب الضرورة ، وباب ما لايدرك كله لا يترك كله .

الحمد لله أنكم بلغتم درجة من العلم تستطيعون فيها أن ترجعوا الى آيات القرآن وروايات النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام وتتأملوا فيها ، وتستخرجوا منها المطالب والدقائق ، فاشكروا ربكم على هذه النعمة ، واشكروه على نعمة قبلها هي أنكم دونتم أسماءكم في خدام الإمام المهدي عليه السلام وهي نعمة لا تستطيعون شكرها !

والمهم أن تعملوا على أن تدون أسماؤكم في التأمل والتعمق في روايات أهل البيت عليهم السلام التي وزانها وزان القرآن ، فهي تعبير معصوم له أبعاد ، وظاهر

وباطن، لأنها صادرة ممن أعطاهم الله تعالى إحاطة خاصة بالوجود ، فكلامهم يصدر عن هذه الإحاطة ، وليس كمن يحيط بالقليل ويتكلم الكثير !

إن كلماتهم صلوات الله عليهم تخاطب الناس كل الناس في كل العصور ، ولذا صار فيها علم للعامة والخاصة ، وهو ما نعبر عنه بأنها للعامة عبارات وللخاصة إشارات !

وأحاديثهم عليهم السلام متفاوتة المستويات، تبعاً للموضوع أو لنقل الراوي بالمعنى وغير ذلك من الأسباب.. وبعضها يبلغ بمطالبه الراقية مقاماً من الرفعة يحير العقول ، ومن ذلك **حديث اللوح** الذي يرويه الكليني أعلى الله مقامه في الكافي ، وعندما ترجعون اليه أنتم ستجدون أنه بلغ عند أبي بصير أنه قال لعبد الرحمن بن سالم: **لو لم تسمع في دهرك إلا هذا الحديث لكفاك ، فصنه إلا عن أهله) ! وهذا هو:**

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال أبي لجابر بن عبد الله الأنصاري إن لي إليك حاجة فمتى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟ فقال له جابر:أي الأوقات أحببته ، فخلا به في بعض الأيام فقال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وما أخبرتك به أمي أنه في ذلك اللوح مكتوب؟فقال جابر: أشهد بالله أني دخلت على أمك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فهنيتها بولادةالحسين، ورأيت في يديها لوحاً أخضر، ظننت أنه من زمرد ، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه لون الشمس فقلت لها: بأبي وأمي يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا لوحٌ أهداه الله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيه إسم أبي وإسم بعلي وإسم ابني وإسم الأوصياء من ولدي وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك .

قال جابر فأعطتنيه أمك فاطمة عليها السلام فقرأته واستنسخته .

فقال له أبي: فهل لك يا جابر أن تعرضه علي؟ قال: نعم ، فمشى معه أبي إلى منزل جابر فأخرج صحيفة من رق فقال: يا جابر أنظر في كتابك لأقرأ عليك.

فنظر جابر في نسخته فقرأه أبي ، فما خالف حرف حرفاً ، فقال جابر:

فأشهد بالله أني هكذا رأيته في اللوح مكتوباً . بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه ونوره وسفيره وحجابه ودليله نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين. عظِّم يا محمد أسمائي ، واشكر نعمائي ولا تجحد آلائي، إني أنا الله لاإله إلا أنا ، قاصم الجبارين ، ومديل المظلومين، وديان الدين. إني أنا الله لاإله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي، عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، فإياي فاعبد ، وعليَّ فتوكل . إني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه وانقضت مدته إلا جعلت له وصياً، وإني فضلتك على الأنبياء وفضلت وصيك على الأوصياء ، وأكرمتك بشبليك وسبطيك حسن وحسين ، فجعلت حسناً معدن علمي ، بعد انقضاء مدة أبيه . وجعلت حسيناً خازن وحيي، وأكرمته بالشهادة ، وختمت له بالسعادة ، فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة ، جعلت كلمتي التامة معه وحجتي البالغة عنده ، بعترته أثيب وأعاقب ، أولهم علي سيد العابدين وزين أوليائي الماضين ، وابنه شبه جده المحمود محمد، الباقر علمي ، والمعدن لحكمتي . سيهلك المرتابون في جعفر ، الراد عليه كالراد عليَّ ، حقَّ القول مني لأكرمنَّ مثوى جعفر ، ولأسرنَّه في أشياعه وأنصاره وأوليائه.

أتيحت بعده لموسى فتنة عمياء حندس، لأن خيط فرضي لا ينقطع ، وحجتي لا تخفى، وإن أوليائي يسقون بالكأس الأوفى، من جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي ، ومن غير آية من كتابي فقد افترى عليَّ .

ويلٌ للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي في علي وليي وناصري ، ومن أضع عليه أعباء النبوة ، وأمتحنه بالاضطلاع بها ، يقتله عفريت مستكبر، يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح ، إلى جنب شر خلقي .

حق القول مني لأسرنه بمحمد ابنه ، وخليفته من بعده ، ووارث علمه ، فهو معدن علمي ، وموضع سري ، وحجتي على خلقي ، لا يؤمن عبد به إلا جعلت الجنة مثواه ، وشفَّعته في سبعين من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار.

وأختم بالسعادة لابنه علي وليي وناصري ، والشاهد في خلقي، وأميني على وحيي . أخرج منه الداعي إلى سبيلي ، والخازن لعلمي ، الحسن .

وأكمل ذلك بابنه (م ح م د)رحمةً للعالمين، عليه كمال موسى ، وبهاء عيسى، وصبر أيوب ، فيذل أوليائي في زمانه ، وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم ، فيقتلون ويحرقون ، ويكونون خائفين مرعوبين وجلين ، تصبغ الأرض بدمائهم ، ويفشو الويل والرنا في نسائهم ، أولئك أوليائي حقاً ، بهم أدفع كل فتنة عمياء حندس، وبهم أكشف الزلازل وأدفع الآصار والأغلال، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون.

قال عبد الرحمن بن سالم: قال أبو بصير: لو لم تسمع في دهرك إلا هذا الحديث لكفاك ، فصنه إلا عن أهله). انتهى.(الكافي ج١ص٥٢٧ وقد تقدم في الفصل السادس).

هذا لوحٌ أهداه الله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله....وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك..

يتضح بذلك أن شأن نزول هذا اللوح مناسبة ولادة الإمام الحسين عليه السلام وأن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله قد أخبرا الزهراء عليها السلام في اليوم الأول لولادته بما سيجري عليه ، وكان لابد من إخبارها بذلك !

والإمام الحسين عليه السلام له جاذبية خاصة في القلوب بمجرد ذكر اسمه: **إن للحسين محبة مكنونة في قلوب المؤمنين،** فكيف لشخصه ولطفولته في قلب أمه الزهراء عليها السلام ؟!

وكيف يكون حالها عندما عرفت أن طفلها هذا الذي هو في يومه الأول ، سيقطع رأسه غريباً فريداً عطشاناً على شاطئ الفرات ؟!

هنا يتجلى مقام فاطمة عليها السلام عند الله تعالى ، وهنا يحين موعد البشارة الإلهية للرسول صلى الله عليه وآله ولها بالأئمة المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام وبدورهم في هذه الأمة ، إلى مهديهم المذخور لإصلاح العالم عليه السلام.

فقالت: هذا لوحٌ أهداه الله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيه إسم أبي وإسم بعلي وإسم ابني وإسم الأوصياء من ولدي، وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك !

هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه...

فقد جمع بين اسم العزة واسم الحكمة ، وهو بحث نكتفي بالإشارة إليه ، ونواصل القراءة لنتعرف على هذا الكتاب ممن ؟ إلى من ؟

لاحظوا عناوين المخاطِب والمخاطَب !

المخاطِب هو: **الله ، العزيز ، الحكيم .**

والمخاطَب هو: **نبيه ، ونوره ، وسفيره ، وحجابه ، ودليله .**

وفي كل واحد من هذه العناوين بحث لا يتسع له وقتنا ، فقط أرجو أن تتأملوا في كلمة **(نوره)** ، ففي آخر آية النور: **يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (سورة النور: ٣٥)

ومما أريد الإشارة إليه أن من يدقق في الحديث القدسي يلاحظ **أولاً** ، أنه ذكر أسماء الأئمة عليهم السلام جميعاً مع أهم خصائص كل منهم ، وهو مطابق لما

صح عندنا من ذكرهم في التوراة والإنجيل قبل تحريفهما بعددهم وأسمائهم، وقد بقي نص في التوراة بعد تحريفها يذكر عددهم ! قال ابن كثير في البداية والنهاية: ٦/٢٨٠: (وفي التوراة التي بأيدي أهل الكتاب ما معناه: **أن الله تعالى** بشر إبراهيم بإسماعيل وأنه ينميه ويكثره ويجعل من ذريته اثني عشر عظيماً). انتهى.

ويقصد ابن كثير ما في التوراة الفعلية- العهد القديم والجديد: :٢٥/١- طبعة مجمع الكنائس الشرقية، في سفر التكوين، الإصحاح السابع عشر، قال: (١٨ - **وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك . ١٩- فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحق ، وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده . ٢٠ - وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً . اثني عشر رئيساً يلد ، وأجعله أمة كبيرة. ٢١- ولكن عهدي أقيمه مع إسحق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت، في السنة الآتية**).

وقد ترجمها كعب الأحبار (اثني عشر قيِّماً) وترجمها بعضهم (اثني عشر إماماً).. فالنص موجود في التوراة ، وفي مصادر السنة والشيعة ، وهو مؤيد لبشارة نبينا صلى الله عليه وآله.

ونلاحظ ثانياً، أنه لم يذكر في الحديث القدسي من أصحاب الأئمة عليهم السلام وشيعتهم إلا أصحاب الإمام الصادق عليه السلام في ثلاث كلمات: **حق القول مني لأكرمن مثوى جعفر ، ولأسرنه في أشياعه وأنصاره وأوليائه.**

لكن عندما يصل الكلام الى الإمام المهدي عليه السلام في آخر حديث اللوح، يفصل الله الكلام عن أوليائه عليه السلام ويعبر عنهم بأنهم أولياء الله تعالى! فيقول عز وجل: (**وأكمل ذلك بابنه (م ح م د) رحمة للعالمين، عليه كمال موسى ،**

وبهاء عيسى، وصبر أيوب، فيذل أوليائي في زمانه..الخ.لاحظوا أنه تعالى نسب أصحاب الإمام الصادق عليه السلام حملة أحاديث أهل البيت عليهم السلام بعد الفتن الشديدة التي لاقاها الشيعة ، ونسبهم الى الإمام الصادق عليه السلام: **لأكرمن مثوى جعفر ولأسرنه في أشياعه وأنصاره وأوليائه** ، لكنه تكلم عن أصحاب المهدي عليه السلام فنسبهم الى نفسه فقال(**أوليائي**) ثم تكلم عن إذلال الطغاة لهم وتقتيلهم وتشريدهم...الى أن قال: **أولئك أوليائي حقاً** ! وأرجو ان أوفق للحديث عن فرق أهل عصر الغيبة عن أهل عصر الحضور.

ونلاحظ هنا ، أن حديثه تعالى عن الإمام المهدي عليه السلام جاء بشكل حديث عن أصحابه والمؤمنين في زمنه! فلماذا قال: **بهم أدفع كل فتنة عمياء حندس، وبهم أكشف الزلازل، وأدفع الآصار والأغلال،** ولم يقل **(به)** ؟ كأنه تعالى يقول إن وجود وليي المهدي أعلى من أن أقول به أدفع الفتن والزلازل ، فهذه أدفعها بخدامه وأصحابه! وهو محورهم وسيدهم والقدرات التي أعطيناه إياها أعظم من ذلك !

إن ما أنقله عن المرحوم السيد جمال الدين الخونساري المعروف بصاحب روضات الجنات ، وهو من أكابر علمائنا قدس سره يوضح المطلب ، فقد أوصى أن يعد له قبر خارج أصفهان ، مع أن في المدينة مقبرة تاريخية يرغب المؤمنون أن يدفنوا فيها، لأنها مليئة بالعلماء والصالحين، ولما سألوه عن السبب سكت، فألحوا عليه حتى قال لهم: كان لي صديق تاجر أثق بصدقه وتدينه وقد أصر عليَّ أن أكون وصيه فقبلت رغم أني لا أقبل الوصية عن أحد، ونقل لي رحمه الله هذه القصة: قال: ذهبت إلى حج بيت الله الحرام عن طريق العراق حتى أفوز بزيارة الأئمة عليهم السلام في ذهابي ورجوعي ، وعندما وصلت إلى النجف كان عندي

رسالة بحوالة فأردت أن أستلمها يوم حركة القافلة ، فتأخرت إلى المغرب ، وجئت لألتحق بالقافلة فوجدتها قد خرجت وأقفلوا باب سور النجف ، فبتُّ في تلك الليلة داخل السور ، وخرجت أول الصبح مسرعاً لألتحق بالقافلة ، ولكنني كلما مشيت في الصحراء لم أجدها ! فرجعت إلى النجف متحيراً فوجدت باب السور قد أغلق أيضاً ، فبتُّ خارج السور !

وفي وسط الليل رأيت فجأة شخصاً درويشاً عليه ثياب رثة ، قال لي: أنت البارحة تخلفت عن القافلة ، فلماذا تركت صلاة الليل؟! إنهض وتعالى معي ! فخطوت معه أقداماً فرأيت شخصاً جليلاً فنظر إلينا وقال للدرويش: خذه إلى مكة ! فقال لي الدرويش: إذهب وتعال في الوقت الفلاني ، فذهبت وعدت إليه في الوقت الذي عينه فقال لي: إمش خلفي وضع قدمك مكان قدمي ! وتقدم أمامي ولم يمش إلا بضع خطوات حتى رأيت نفسي صرت في مكة ! فأراد أن يودعني فقلت له: كم تتفضل عليَّ إذا أكملت جميلك وأرجعتني بعد الحج إلى النجف ، فقَبِل وواعدني في يوم ومكان !

وبعد أن أكملت مناسكي قصدت المكان فوجدته ، فقال لي كما قال أولاً: إمش خلفي وضع قدمك مكان قدمي ، وبعد خطوات رأيت أني صرت في النجف ! فقال لي: لا تقل لرفقائك، قل لهم جئت مع أحدهم ووصلنا قبلكم. ثم قال لي: لي إليك حاجة. قلت: أنا حاضر ، ما هي ؟ قال: سأقولها لك في أصفهان . وعدت إلى أصفهان حتى كان يوم رأيت فيه صاحبي الدرويش بين الحمالين في سوق أصفهان، فجاءني وقال لي: أنا ذلك الشخص الذي أوصلتك الى مكة ، وهذا وقت حاجتي التي وعدتني بها! قلت نعم فما هي؟ قال: أناأسكن في المكان الفلاني، وفي اليوم الفلاني أموت، فتعال إلى مكاني،

وفي صندوقي ثمانية توامين ، فاصرفها على تكفيني ودفني وادفني وأخذني الى المحل الذي اختاره قبراً فدلني عليه ، وقال إدفنني هنا !

قال صاحب روضات الجنات رحمه الله: هذا هو المكان الذي اختاره ذلك الولي اخترته أنا لأدفن فيه !

إن هذا مستوى الخادم من أصحابه عليه السلام! وإذا كان خدامه يقومون بعمل آصف بن برخيا ، فكيف به هو صلوات الله عليه ؟!

○ ○

وا حسرتنا على عمرنا الذي قضيناه ، ولم نعرف ماذا عملنا فيه ، وعمن ابتعدنا ؟ فكم نذكره حتى يذكرنا ؟ وكم عملنا له حتى يجازينا ؟!

ذلك الإمام الذي يصفه الله تعالى بأنه خاتم الأئمة عليهم السلام **وتكملتهم** ورحمة **للعالمين ، عليه كمال موسى ، وبهاء عيسى ، وصبر أيوب !**

رحمةً للعالمين.. لم يقلها سبحانه لأحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله: **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** . (سورة الأنبياء: ١٠٧) ، ولشخص آخر هو صاحب الزمان عليه السلام!

ولا يمكننا أن نفهم معنى: **رَحْمَةً لِلْعَالَمِين،** إلا إذا فهمنا معنى: **الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ، فبعدها إسمان من أسماء الله الحسنى: **الرَّحْمَنِ الرَّحِيم** ، والسبب في ذلك أن ربوبية عوالم الوجود من عوالم الملك والملكوت ، لها لب ولها قشر، سنة الله في مخلوقاته: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَاب.** (سورة آل عمران:١٩٠) ، **فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون.** (سورة يس:٨٣) ، أما القشر الذي هو **عالم الملك،** فيحتاج الى ربوبية وتربية بواسطة إسم **الرحمن** ليسير نحو تكامله . وأما اللب الذي هو **عالم الملكوت** ، فيحتاج الى ربوبية بإسم **الرحيم،** ليبلغ كماله.

إن القرآن معجزة لكافة الناس ، وهو معجزة بالأخص للذين يفهمون! فهم الذين يدركون أن كمال البشرية لايتحقق إلا بالقرآن الذي نزل على قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وآله. وأن الذي يجمع مظهر الإسمين معاً: **الرحمن الرحيم، هما** شخصان في الوجود: خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وخاتم الوصيين الإمام المهدي عليه السلام!

هذا هو مقام الحجة بن الحسن أرواحنا فداه ، وإنما يعرفه الإنسان إذا وصل مستوى يؤهله لمعرفة:**رحمة للعالمين،** ويصل الى مخ الحكمة والعلم ، فيفهم أنه حيثما ذهب في مناطق الوجود وتعقل أن الفاعل الذي **منه الوجود** هو ذات الخالق المقدس عز وجل ، فإن **ما به الوجود** في كل العوالم ، هو حجة الله على خلقه الحجة بن الحسن صلوات الله عليه.

هذه سعة ولاية الإمام المهدي عليه السلام، وهذه عظمة مقامه أرواحنا له الفداء !

إرجعوا الى روايات أهل البيت عليهم السلام واقرؤوا نصوصها وافهموا منها ، وعرِّفوا الناس ما فهمتم من مقام النبي وآله صلى الله عليه وآله خاصة الإمام المهدي عليه السلام، فلا مظلوم في عصرنا مثله !

هذا الوجود المقدس الذي لو لم يخلقه الله تعالى لما ختم عهده في اللوح إلى نبيه صلى الله عليه وآله بوصفٍ صار به ثاني نبيه فقال عنه: **رحمة للعالمين!**

○ ○

أما صفات الإمام الأخرى في عهد اللوح فهي: **عليه كمال موسى، وبهاء عيسى وصبر أيوب** عليه السلام، ولا يتسع الوقت لنبين كمال موسى وبهاء عيسى ، ونشير إلى صبر أيوب الذي هو مثل في صبر الأنبياء عليهم السلام، فهل رأيت أصبر من إنسان كشف له الحجاب فهو يرى الأمور على واقعها ولو بعد عصرها ، يزور قبر جدته الصديقة الكبرى فتتجسد له ظلاماتها ، ويرى الضلع الكسير ، والجسم العليل!

ويزور قبر جده موسى بن جعفر فيرى ساقه المرضوضة من حلق القيود ، وبدنه الناحل المسموم !

ويزور جده علي بن موسى الرضا فيرى وجهه الذي غيره السم ، ويرى في النجف ضربة السيف على مفرق جده !

ثم يعرج على كربلاء فيرى ذلك البدن التريب الذي لم تستطع الملائكة أن تنظر إليه وتراه ! نعم إن عليه صبر أيوب.. صبر أيوب عليه السلام!

○ ○

اللهم إنا مقصرون . اللهم إنا قاصرن. اللهم بالحرمة التي لوليك الحجة عندك ، هذه الحرمة الرفيعة التي أنزلتها مع جبرئيل في عهدك لنبيك ، المكتوب على لوح من عندك ، وبينت فيه مقام أولياء الإمام المهدي عليه السلام، وأنك تدفع بهم البلاء والفتن ، وجعلت مقامه في درجة عليا فوق مقامهم.. أن تعفو عنا ، وتشمل حالنا نحن الفقراء بنظرة منه في هذا اليوم .

اللهم إن ما نطلبه منك، بالحق الذي لك عليه والحرمة التي لك عنده ، والحق الذي جعلته له عليه ، والحرمة التي جعلتها له .. أن تجعله ينظر الينا ويرفع يده بالدعاء لنا .

○ ○

شمس النبي ﷺ تتجلى بالإمام المهدي عليه السلام

(بتاريخ: ١٤ شعبان ١٤٢١- ١١/١١/٢٠٠٠ - ١٣٧٩/٨/٢١)

بســم الله الرحمن الرحيم

بمناسبة هذه الليلة التي هي أفضل الليالي بعد ليلة القدر ، نتوجه جميعاً الى ولي نعمة العالم صلوات الله عليه: **اللهم بحق هذه الليلة ومولودها...**

روى علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، عن أحمد بن إدريس الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار ، عن محمد بن أبي عمير الأزدي ، عن حماد بن عثمان الناب ، عن محمد بن مسلم الثقفي ، عن الإمام باقر العلوم عليه السلام في قول الله عز وجل: **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى؟** قال: **النهار هو القائم منا أهل البيت ، إذا قام غلب دولة الباطل. والقرآن ضرب فيه الأمثال للناس، وخاطب الله نبيه به ونحن ، فليس يعلمه غيرنا)** .

والرواية من ناحية السند صحيحة ، فسندها ستة من أعاظم مشايخ المحدثين رضوان الله عليهم ، فعلي بن إبراهيم شيخ القميين ، وأحمد بن إدريس الأشعري من مشايخ الحديث الثقات ، وكذا محمد بن عبد الجبار ، وأما محمد بن أبي عمير الأزدي فقد أجمعت الطائفة وعملت بمسانيده ومراسيله، وبعده حماد بن عثمان الناب ، وبعده محمد بن مسلم ، وهؤلاء

الثلاثة من أصحاب الإجماع الذين أجمعت الطائفة على تصحيح ما يصح عنهم . وتمتاز هذه الرواية أيضاً بأن راويها محمد بن مسلم الثقفي رحمه الله أحد الأربعة الذين هم بنص الإمام عليه السلام أمناء الله على حلاله وحرامه ، وأوتاد الأرض ، وأركان الدين ! فهذه الخصوصيات في السند قلما تجتمع في رواية.

أما من ناحية الدراية فلا تكفي هذه الفرصة إلا لقطرات من بحرها :

ولكي يكتمل فهمنا لقوله تعالى في سورة الليل:**وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى**، ينبغي أن نقارنها بسورة الشمس: **وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا..** فالبدء في سورة الشمس من الشمس إلى النهار، والبدء هنا من الليل إلى النهار! والنهار هناك **يجلّي** الشمس بالتفعيل ، أما هنا فهو **يتجلى** ، بالتفعل !

وفي قول الإمام الباقر عليه السلام:**والقرآن ضرب فيه الأمثال للناس، وخاطب الله نبيه به ونحن ، فليس يعلمه غيرنا**، مطالب عميقة خفية.

فما هي تلك التجلية ، وهذا التجلي ، ولماذا التعدي هنا واللزوم هناك ؟

وما هي تلك الشمس ، وذلك النهار ؟

ما هو تفسير ذلك ، وما هو تأويله ، وهدفه الذي يرمي إليه ؟!

إن الشمس في المنظومة الشمسية هي المحور، وهي مشعل الحياة، وعملها أنها تنمي بأشعتها الطاقات الكامنة في الموجودات الأرضية ، وتوصلها إلى كمالها المناسب لها .

أما منظومة العالم الكبير فهي منظومة محيرة ، لم يفهمها إلا الخواص من أولي الألباب ، ولها لب ولها قشر ، أي أنها تنقسم إلى عالم ظاهري وعالم باطني ، وقد أشار إلى كليهما القرآن.

وباطن العالم له منظومة أيضاً ، فمنظومة الملكوت توازي منظومة الملك .

وشمس هذه المنظومة ومحورها ذات نبينا الأعظم محمد صلى الله عليه وآله بحكم برهان العقل والنقل ، فمقام خاتمية الأنبياء عليه السلام هو مقام الإنسان الأول الذي لا ثاني له ، وثانيه إنما هو وجود تنزيلي ، أما الوجود الحقيقي فهو منحصر بفرد لا يتثنى ولا يتكرر ، وهو نبينا محمد صلى الله عليه وآله. وهو آية الإسم الواحد والأحد عز وجل، لم يكن له ثان ولا يكون ، وهو قوله تعالى: **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا**. ونسبة الوجود التنزيلي إليه صلى الله عليه وآله نسبة القمر إلى الشمس، وهو معنى قوله تعالى:**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ ... وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**. (سورة آل عمران:٦١)، وهو معنى قوله عليه السلام: **أنا أديب ربي، وعلي أديبي**. ومعنى قول الله تعالى:**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا**.

إن بناء السورتين ، والإنتقاء الرباني لألفاظهما ، والعلاقة الجدلية بينهما، كل واحد منها يتضمن أسراراً عظيمة تبهر العقول! وكم أتأسف لأنا لم نفهم القرآن كما يجب ، ولا أدينا حق بحوثه.

إن انبساط نور الشمس في ضحاها يعني انبساط نور النبي صلى الله عليه وآله في عالم الملكوت ، والنهار إذا جلاها يعني تجلي خاتمية النبوة بخاتمية الإمامة بالإمام المهدي عليه السلام! وهي إشارة قرآنية كافية لأن تدرك مقام الإمام المهدي عليه السلام فأي سر فيه صلوات الله عليه أوجب التعبير في هذا الصحيح من الدرجة الأولى الذي لا شك في صدوره عن منبع الوحي، بأنه هو المقصود بقوله تعالى: **وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى**؟!

إنه صلوات الله عليه قوس النهار في منظومة عالم الملكوت ، الذي لا يفهم أحد حقيقة دوره وتأثيره الآن في منظومة عالم الملكوت ، ولماذا ادخره الله تعالى وجعل دوره في آخر الزمان ؟ وماذا سيحقق على يده عند ظهوره الموعود ؟! إنها حقائق كبيرة ثابتة ، ومذهلة !

فكروا في قوله تعالى: **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا. وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا.** فمن الذي يجلي شمس خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله ويظهرها ؟

قال بعض المفسرين إنها الأرض أو الظلمة ، فهي التي تجلي الشمس !

لكن السياق وأصالة عدم التقدير يدلان على أن الذي يجليها هو النهار، فهو الإمام المهدي خاتم الأئمة عليهم السلام، الذي يجلي شمس خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله!

○ ○

هل ترانا عرفنا الإمام صاحب الزمان أرواحنا فداه ؟!

إن ما نصل إليه من قشور في معرفة شخصيته المقدسة ، إنما هو على قدر فهمنا ، وليس على قدر شخصيته ! فأنَّى لنا أن نفهم الذي يمثل شمس خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله في منظومة عالم الملكوت ، ويجليها في ظهوره الموعود بوعد ربه ؟! وعالم الملكوت أعم من عالم الدنيا والبرزخ والآخرة !

إنه صلوات الله عليه هو الذي يجلي شمس نبوة نبينا صلى الله عليه وآله التي مقدماتها نبوات الأنبياء عليهم السلام، وينشر ضحاها على كل عوالم الوجود! ففي نظام العالم يوجد خاتمان لا أكثر ، أولهما خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله والثاني خاتم الأوصياء والحجج عليهم السلام!

السلام عليك يا مولاي يا صاحب الزمان ، يا من قبل مجيئه لا يتم بسط نور شمس الخاتمية.. السلام على الحق الجلي ، والنهار إذا جلاها: **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً** . (سورة الإسراء:٨١)

أنت الذي أنزل الله تعالى في حقه: **وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ.** (الزمر: ٦٩) ،

أنت الذي ذخرك الله تعالى ليسرَّ بظهورك جميع الأنبياء عليهم السلام، وينهي معاناتهم ، ويختم محنتهم ، ويحقق على يدك ثمرة بعثاتهم: **وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا.**

وأنت الذي على يدك يتنجز ضحى بعثة جدك المصطفى صلى الله عليه وآله وضحى شمسه المقدسة ، ويتحقق الغرض من خلق البشر والعالم.

○ ○

إقرؤوا عن الإمام صاحب الزمان عليه السلام واعرفوه وعرّفوا الناس به ، فكلكم ولله الحمد فضلاء ، وكثير منكم علماء من مستوى جيد ، فواجبكم استخراج جواهر المعرفة من كلمات المعصومين صلوات الله عليهم، وإيصالها الى أيتام الإمام صاحب الزمان عليه السلام الذين هم في عصر الغيبة متعطشون حيارى ! عرفوا هذه الجواهر لأصحابها الموالين ، عرفوهم على مواليهم عليهم السلام !

○ ○

لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله اسمان إسم في السماء **(أحمد)** وإسم في الأرض **(محمد)** وهذان الإسمان وضعهما الله تعالى له ، ولم يجمعا في العالم إلا في الحجة بن الحسن عليه السلام!

هذا بابٌ ، والباب الثاني أن أحداً لم يجمع بين إسم النبي صلى الله عليه وآله وكنيته إلا الحجة بن الحسن عليه السلام، فإسمه اسم خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وكنيته أبو القاسم . ومضافاً الى هذا فقد جمع كنى الأئمة المعصومين كلها عليهم السلام، ولهذا معنى بليغ. فانظروا إلى أحاديث المعراج ، حيث رأى النبي صلى الله عليه وآله من ملكوت الله ما رأى ! وعندما رأى أنوار الأئمة الإثني عشر من عترته عليهم السلام رأى نور المهدي من بينهم يتلألأ كأنه كوكب دري ، فقال: يا رب من هؤلاء ومن هذا ؟ قال: يا محمد هم الأئمة بعدك المطهرون من صلبك ، وهو الحجة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويشفي صدور قوم مؤمنين . **(٢)**

ونظراً لضيق الوقت نكتفي بقول النبي صلى الله عليه وآله في خطبته يوم الغدير ، عندما رفع بيد علي عليه السلام وأبلغ الأمة إمامته من بعده ، وأتم عليهم الحجة فقال: **ألا من**

كنت مولاه فهذا علي مولاه . وأوصى الأمة بعدة وصايا وافتتحها كلها بـ (ألا) التي هي أداة تنبيه ، ومن هذه الوصايا تنبيهه على مقام الإمام المهدي عليه السلام، فقد قال صلى الله عليه وآله: **ألا إن خاتم الأئمة المهدي ...**

ألا إنه خيرة الله ومختاره .

ألا إنه وارث كل علم والمحيط به.

ألا إنه المخبر عن ربه عز وجل والمنبه بأمر إيمانه .

ألا إنه الرشيد السديد . ألا إنه المفوض إليه . ألا إنه قد بشر به من سلف بين يديه. ألا إنه الباقي حجة ولا حجة بعده ولا حق إلا معه، ولا نور إلا عنده . ألا إنه لا غالب له ولا منصور عليه. ألا وإنه ولي الله في أرضه ، وحكمه في خلقه، وأمينه في سره وعلانيته . (الإحتجاج ج١ص٦١) (٣)

لاحظوا قوله صلى الله عليه وآله في هذه الخطبة: ألا إنه وارث كل علم والمحيط به... وقوله صلى الله عليه وآله: ألا إنه الباقي حجة ولا حجة بعده ولا حق إلا معه ، ولا نور إلا عنده... لتعرفوا كيف يتحقق به: **(وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاهَا)**.

والأهم من ذلك أن صفة الرحمة للعالمين منحصرة بالنبي صلى الله عليه وآله: **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ، وقد وصف الله تعالى بها الإمام المهدي عليه السلام في حديث اللوح القدسي: **وأكمل ذلك بابنه (م ح م د) رحمة للعالمين ، عليه كمال موسى ، وبهاء عيسى ، وصبر أيوب)** ! وهو أعلى مقام يعطيه الله تعالى لخاتم الأوصياء عليه السلام خص به خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله.

إن واجبكم أيها الفضلاء أن تتعرفوا على مقامات الإمام المهدي عليه السلام وتعرّفوا أيتام آل محمد صلى الله عليه وآله على ما عرفتموه منها ، لأن معرفتها الكاملة غير ممكنة. فبعملنا في تحصيل الفقه وتحصيل معرفة النبي وآله المعصومين صلى الله عليه وآله،

وفي تبليغ الناس أحكام الحلال والحرام، وتعليمهم مقامات النبي وآله صلى الله عليه وآله، نأمل أن نكون محل نظر صاحب الزمان ورعايته عليه السلام، إن شاء الله.

○ ○

هوامش

(١)**في تفسير القمي:٤٢٥/٢:** (أخبرنا أحمد بن إدريس قال: حدثنا محمد بن عبد الجبار، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، عن محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفر (الامام الباقر عليه السلام) عن قول الله عز وجل: **والليل إذا يغشى؟** قال: الليل في هذا الموضع فلان ، غشي أمير المؤمنين في دولته التي جرت له عليه وأمير المؤمنين عليه السلام يصبر في دولتهم حتى تنقضي . قال: **والنهار إذا تجلى،** قال: النهار هو القائم عليه السلام منا أهل البيت ، إذا قام غلب دولته الباطل. والقرآن ضرب فيه الأمثال للناس ، وخاطب الله نبيه به ونحن ، فليس يعلمه غيرنا) . وعنه في البحار:٧١/٢٤

○ **وفي تأويل الآيات:٨٠٧/٢ في قوله تعالى: والليل إذا يغشى:** (جاء مرفوعاً عن عمرو بن شمر ، عن جابر بن يزيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: والليل إذا يغشى ، قال: دولة إبليس إلى يوم القيامة ، والنهار إذا تجلى: وهو القائم عليه السلام إذا قام) . وعنه في البحار:٣٩٨/٢٤

○ ○

(٢) في كفاية الأثر للخزاز القمي رحمه الله ص٦٩: (حدثنا أبو الحسن علي بن الحسن بن محمد ، قال حدثنا أبو محمد هارون بن موسى رضي الله عنه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، قال حدثني أبوعلي محمد بن همام، قال حدثني عامر بن كثير البصري ، قال حدثني الحسن بن محمد بن أبي شعيب الحراني ، قال حدثنا مسكين بن بكير أبو بسطام ، عن سعد بن الحجاج ، عن هشام بن زيد ، عن أنس بن مالك ، قال هارون: وحدثنا حيدر بن محمد بن نعيم السمرقندي، قال حدثني أبو النصر محمد بن مسعود العياشي، عن يوسف بن المشحت البصري ، قال حدثنا إسحاق بن الحارث ، قال

حدثنا محمد بن البشار ، عن محمد بن جعفر، قال حدثنا شعبة ، عن هشام بن يزيد، عن أنس بن مالك قال: كنت أنا وأبو ذر وسلمان وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم عند النبي صلى الله عليه وآله ودخل الحسن والحسين عليهما السلام فقبلهما رسول الله صلى الله عليه وآله، وقام أبوذر فانكب عليهما وقبل أيديهما ، ثم رجع فقعد معنا، فقلنا له سراً: رأيت رجلاً شيخاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم إلى صبيين من بني هاشم فينكب عليهما ويقبل أيديهما . فقال: نعم لو سمعتم ما سمعت فيهما من رسول الله صلى الله عليه وآله لفعلتم بهما أكثر مما فعلت. قلنا: وماذا سمعت يا أبا ذر؟ قال: سمعته يقول لعلي ولهما: يا علي والله لو أن رجلا صلى وصام حتي يصير كالشن البالي إذا ما نفع صلاته وصومه إلا بحبكم . يا علي من توسل إلى الله بحبكم فحق على الله أن لا يرده . يا علي من أحبكم وتمسك بكم فقد تمسك بالعروة الوثقى . قال: ثم قام أبو ذر وخرج، وتقدمنا إلى رسول الله عليه السلام فقلنا: يا رسول الله أخبرنا أبو ذر عنك بكيت وكيت . قال: صدق أبو ذر ، صدق والله ، ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر . قال: ثم قال عليه السلام خلقني الله تبارك وتعالى وأهل بيتي من نور واحد قبل أن يخلق آدم بسبعة آلاف عام ، ثم نقلنا إلى صلب آدم ، ثم نقلنا من صلبه في أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات . فقلت: يا رسول الله فأين كنتم وعلى أي مثال كنتم ؟ قال: كنا أشباحاً من نور تحت العرش نسبح الله تعالى ونمجده، ثم قال عليه السلام: لما عرج بي إلى السماء وبلغت سدرة المنتهى ودعني جبرئيل عليه السلام فقلت: حبيبي جبرئيل أفي هذا المقام تفارقني . فقال: يا محمد اني لا أجوز هذا الموضع فتحترق أجنحتي . ثم زج بي في النور ماشاءالله، فأوحى الله إلي: يا محمد إني اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها فجعلتك نبيا ، ثم اطلعت ثانيا فاخترت منها علياً فجعلته وصيك ووارث علمك والإمام بعدك ، وأخرج من أصلابكما الذرية الطاهرة والأئمة المعصومين خزان علمي، فلولاكم ما خلقت الدنيا ولا الآخرة ولا الجنة ولا النار .

يا محمد أتحب أن تراهم ؟ قلت: نعم يا رب . فنوديت: يا محمد ارفع رأسك ، فرفعت رأسي فإذا أنا بأنوار علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن ابن علي والحجة يتلألأ من بينهم كأنه كوكب دري . فقلت: يا رب من هؤلاء ومن هذا ؟

قال: يا محمد هم الأئمة بعدك المطهرون من صلبك ، وهو الحجة الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويشفي صدور قوم مؤمنين .

قلنا: بآبائنا وأمهاتنا أنت يا رسول الله لقد قلت عجباً . فقال صلى الله عليه وآله: وأعجب من هذا أن قوماً يسمعون مني هذا ثم يرجعون على أعقابهم بعد إذ هداهم الله ، ويؤذوني فيهم ، لا أنالهم الله شفاعتي) .

○ **وفي المحكم والمتشابه ص٢٥:** (قال أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني في كتابه في تفسير القرآن: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة قال: حدثنا جعفر بن أحمد بن يوسف بن يعقوب الجعفي ، عن إسماعيل بن مهران ، عن الحسين بن علي بن أبي حمزة ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن جابر قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول:(في حديث طويل عن أنواع آيات القرآن تضمن مجموعة أسئلة لأمير المؤمنين عليه السلام عن آيات القرآن وأحكامه، منها سؤال عن أقسام النور في القرآن، وعن قوله تعالى:**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (سورة النور:٣٥)، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: (فالمشكاة رسول الله صلى الله عليه وآله والمصباح الوصي، والأوصياء عليهم السلام والزجاجة فاطمة ، والشجرة المباركة رسول الله صلى الله عليه وآله والكوكب الدري القائم المنتظر عليه السلام الذي يملأ الأرض عدلاً) . وهو في البحار :٣/٩٣ ، عن المحكم والمتشابه.

○ **وفي الطبراني الكبير:١٢٠/٨**:(حدثنا علي بن سعيدالرازي ثنا علي بن الحسين، ثنا عنبة بن أبي صغيرة ، ثنا الأوزاعي، عن سليمان بن حبيب قال: سمعت أبا أمامة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سيكون بينكم وبين الروم أربع هدن ، يوم الرابعة على يد رجل من أهل هرقل يدوم سبع سنين . فقال له رجل من عبد القيس يقال له المستورد بن خيلان: يا رسول الله من إمام الناس يومئذ؟ قال: المهدي من ولدي إبن أربعين سنةكأن وجهه كوكب دري، في خده الأيمن خال أسود، عليه عباءتان (قطوانيتان) كأنه من رجال بني إسرائيل، يملك عشرين سنة، يستخرج الكنوزويفتح مدائن الشرك). انتهى.

○ وقد ورد هذا الوصف للإمام المهدي عليه السلام في أحاديث أخرى كما في عيون أخبار الرضا عليه السلام:٦٠/٢ ، وكمال الدين وتمام النعمة ص٢٥٢ ، وكفاية الأثر ص١٣٦، وص ١٨٥، والغيبة للطوسي ص١٤٧ .. وغيرها.

○ ○

(٣) في الإحتجاج:٦١/١: (حدثني السيد العالم العابد أبو جعفر مهدي بن أبي حرب الحسيني المرعشي رضي الله عنه قال: أخبرنا الشيخ أبو علي الحسن بن الشيخ السعيد أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي رضي الله عنه قال: أخبرني الشيخ السعيد الوالد أبو جعفر قدس الله روحه قال: أخبرني جماعة عن أبي محمد هارن بن موسى التلعكبري قال: أخبرنا أبو علي محمد بن همام قال: أخبرنا علي السوري قال: أخبرنا أبو محمد العلوي من ولد الأفطس ، وكان من عباد الله الصالحين ، قال: حدثنا محمد بن موسى الهمداني قال: حدثنا محمد بن خالد الطيالسي قال: حدثنا سيف بن عميرة ، وصالح بن عقبة، جميعاً عن قيس بن سمعان، عن علقمة بن محمد الحضرمي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال:

حج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة وقد بلغ جميع الشرايع قومه غير الحج والولاية ، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا محمد ان الله جل اسمه يقرؤك السلام ويقول لك: إني لم أقبض نبياً من أنبيائي ولا رسولاً من رسلي إلا بعد إكمال ديني وتأكيد حجتي، وقد بقي عليك من ذاك فريضتان مما تحتاج أن تبلغهما قومك: فريضة الحج ، وفريضة الولاية والخلافة من بعدك ، فإني لم أخل أرضي من حجة ولن أخليها أبداً ، فإن الله جل ثناؤه يأمرك أن تبلغ قومك الحج وتحج ويحج معك من استطاع إليه سبيلاً من أهل الحضر والأطراف والأعراب وتعلمهم من معالم حجهم مثل ما علمتهم من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وتوقفهم من ذلك على مثال الذي أوقفتهم عليه من جميع ما بلغتهم من الشرائع .

فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله في الناس: ألا إن رسول الله يريد الحج وأن يعلمكم من ذلك مثل الذي علمكم من شرائع دينكم ويوقفكم من ذاك على ما أوقفكم عليه من غيره فخرج صلى الله عليه وآله وخرج معه الناس وأصغوا إليه لينظروا ما يصنع فيصنعوا مثله ، فحج بهم وبلغ من حج مع رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان

أو يزيدون على نحو عدد أصحاب موسى السبعين ألفاً الذين أخذ عليهم بيعة هارون ، فنكثوا واتبعوا العجل والسامري ، وكذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله البيعة لعلي بالخلافة على عدد أصحاب موسى فنكثوا البيعة واتبعوا العجل والسامري سنة بسنة ومثلاً بمثل...(من حديث طويل فيه خطبة النبي صلى الله عليه وآله في الغدير وهي خطبة بليغة طويلة ننقل منها فقرات ، منها ما يتصل بالإمام المهدي عليه السلام) قال صلى الله عليه وآله :

معاشر الناس: إنه آخر مقام أقومه في هذا المشهد فاسمعوا وأطيعوا وانقادوا لأمر ربكم ، فإن الله عز وجل هو مولاكم وإلهكم ثم من دونه محمد وليكم القائم المخاطب لكم ، ثم من بعدي علي وليكم وإمامكم بأمر ربكم ، ثم الإمامة في ذريتي من ولده إلى يوم تلقون الله ورسوله ، لا حلال إلا ما أحله الله ولا حرام إلا ما حرمه الله ، عرفني الحلال والحرام وأنا أفضيت بما علمني ربي من كتابه وحلاله وحرامه إليه .

معاشر الناس: إن علياً والطيبين من ولدي هم الثقل الأصغر ، والقرآن الثقل الأكبر ، فكل واحد منبئ عن صاحبه وموافق له ، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، هم أمناء الله في خلقه وحكماؤه في أرضه ، ألا وقد أديت ، ألا وقد بلغت . ألا وقد أسمعت ، ألا وقد أوضحت ، ألا وإن الله عز وجل قال وأنا قلت عن الله عز وجل ، ألا إنه ليس أمير المؤمنين غير أخي هذا ولا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره .

ثم ضرب بيده إلى عضده فرفعه ، وكان منذ أول ما صعد رسول الله عليه السلام شال علياً حتى صارت رجله مع ركبة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال:

معاشر الناس: هذا علي أخي ووصيي وواعي علمي وخليفتي على أمتي وعلى تفسير كتاب الله عز وجل والداعي إليه والعامل بما يرضاه والمحارب لأعدائه والموالي على طاعته والناهي عن معصيته ...

معاشر الناس: النور من الله عز وجل فيَّ مسلوكٌ ثم في علي، ثم في النسل منه إلى القائم المهدي الذي يأخذ بحق الله وبكل حق هو لنا ، لأن الله عز وجل قد جعلنا حجة على المقصرين والمعاندين والمخالفين والخائنين والآثمين والظالمين من جميع العالمين.

معاشر الناس: أنذركم أني رسول الله قد خلت من قبلي الرسل أفإن مت أو قتلت

انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ، ألا وإن عليا هو الموصوف بالصبر والشكر ثم من بعده ولدي من صلبه .

معاشر الناس: إنه سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون .

معاشر الناس: إني أدعها إمامة ووراثة في عقبي إلى يوم القيامة ، وقد بلغت ما أمرت بتبليغه حجة على كل حاضر وغائب ...

معاشر الناس: النور من الله عز وجل في مسلوك ، ثم في علي ، ثم في النسل منه إلى القائم المهدي الذي يأخذ بحق الله وبكل حق هو لنا ، لأن الله عز وجل قد جعلنا حجة على المقصرين والمعاندين والمخالفين والخائنين والآثمين والظالمين من جميع العالمين. ألا إن خاتم الأئمة منا القائم المهدي، ألا إنه الظاهر على الدين. ألا إنه المنتقم من الظالمين. ألا إنه فاتح الحصون وهادمها . ألا إنه قاتل كل قبيلة من أهل الشرك. ألا إنه مدرك بكل ثار لأولياء الله . ألا إنه الناصر لدين الله . ألا إنه الغراف في بحر عميق. ألا إنه يسم كل ذي فضل بفضله ، وكل ذي جهل بجهله . ألا إنه خيرة الله ومختاره. ألا إنه وارث كل علم والمحيط به . ألا إنه المخبر عن ربه عز وجل والمنبه بأمر إيمانه. ألا إنه الرشيد السديد . ألا إنه المفوض إليه . ألا إنه قد بشر به من سلف بين يديه. ألا إنه الباقي حجة ولا حجة بعده ولا حق إلا معه ، ولا نور إلا عنده . ألا إنه لا غالب له ولا منصور عليه . ألا وإنه ولي الله في أرضه ، وحكمه في خلقه ، وأمينه في سره وعلانيته . ألا إن الحلال والحرام أكثر من أن أحصيهما وأعرفهما ، فآمر بالحلال وأنهى عن الحرام في مقام واحد ، فأمرت أن آخذ البيعة منكم والصفقة لكم بقبول ما جئت به عن الله عز وجل في علي أمير المؤمنين والأئمة من بعده ، الذين هم مني ومنه ، أئمة قائمة منهم المهدي إلى يوم القيامة الذي يقضي بالحق) . انتهى . ورواه الفتال النيسابوري رحمه الله في روضة الواعظين ص٩٤ ، وعنه في البحار البحار:٢١١/٣٧.

۞ ۞

أصحاب الإمام المهدي عليه السلام إخوان للنبي صلى الله عليه وآله

(بتاريخ: ١٤ شعبان ١٤٢٠- ١٩٩٩/١١/٢٣ – ١٣٧٨/٩/٢)

بســم الله الرحمن الرحيم

في ليلة ولادة ولي العصر ، وصاحب الأمر ، المؤتمن على غيب الله تعالى وسره ، نتوسل بما يسر الله من القول في حقه ، أرواحنا فداه .

إن بعض الكلمات الواردة في حقه عليه السلام يصعب فهمها وتصور أعماقها ، كالفقرة التي في دعاء الندبة: **بنفسي أنتَ من عقيدِ عزٍ لا يُسَامَى** ، يعني أعطاك الله تعالى مقاماً بلغت به أوج عزة لا يستطيع أحد أن يصل إليه أو يساميه . وفهم هذه الجملة يتوقف على فهم ماهي الإمامة، ومن هو الإمام المهدي عليه السلام الذي تختم به ؟

كان العالم كله ينتظر وجود آدم وبنيه عليه السلام، ذلك الذي يحمل سر قوله تعالى: **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ** . (سورة البقرة:٣٠) .

وكان كل بني آدم ينتظرون نبوات الأنبياء ورسالات الرسل عليهم السلام، لأنها مُعَلِّمة الآدميين ومربيتهم ، وطريقهم إلى بلوغ كمالهم.

وكانت كل النبوات والرسالات تنتظر خاتم الأنبياء والرسل صلى الله عليه وآله، لأن تربية

الإنسانية ووصولها الى أوجها إنما تتحقق وتبلغ ثمراتها برسالته صلى الله عليه وآله.

لكن الأمر العظيم أن خاتمة الرسالات كانت تتطلع إلى الإمام المهدي عليه السلام خاتم الأئمة عليهم السلام، ومحقق أهداف الرسالة الخاتمة !

فإن فهمت هذا ، فهمت من هو إمام العصر والزمان صلوات الله عليه !

سئل الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير قوله تعالى: **الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ؟ **فقال:** المتقون شيعة علي عليه السلام، والغيب فهو الحجة الغائب ، وشاهد ذلك قول الله عز وجل: **وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لله فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ** . (كمال الدين:٢/٣٤٠) (١)

وعندما يستدل الإمام الصادق عليه السلام فعلى نوابغ البشرية أن يشغّلوا أفكارهم ويتأملوا في أعماق كلامه! فقد استدل هنا بقوله تعالى:**وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ**..الخ. ومعناه أن نزول الآية من الله تعالى أمر محقق ، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يتنظرها: **فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**! وأن هذه الآية المنتظرة من الغيب المختص بالله تعالى: **فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لله**.

وعلى هذا فخاتم الأنبياء ، الشخص الأول في العالم ، وعصارة الخلقة والبعثة صلى الله عليه وآله، مأمور بأن يعدهم بآية غيب الله التي ستتحقق على يد ولده الموعود عليه السلام ويقول لهم: **إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ** !!

إن وجود العالم من بدوه إلى ختمه كان ينتظر وجود النبي صلى الله عليه وآله، وهو ينتظر مهديه الموعود عليه السلام!

هذا هو الإمام المهدي ، الذي يوجد فيه كل ما ضيعه العالم !

هو الذي تتطلع إليه الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى النبي الخاتم صلى الله عليه وآله!

إنه المقام الكبير والمنزلة العظيمة بنص صحيح السند لا شبهة فيه ، فرسول الله صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء وسيد الرسل ينتظر حفيده الموعود المهدي عليه السلام ويتمنى لقاء أصحابه فيقول وددت لو رأيت إخواني ! أو يقول: آه شوقاً إلى إخواني ! قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال: أنتم أصحابي وإخواني الذين لم يأتوا بعد ! فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟
فقال: أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ، ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض. ألا لَـيـُذادنَّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال! أناديهم ألا هلمَّ فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول: سحقاً سحقاً!
(صحيح مسلم:١/١٥٠، وراجع المحاسن للبرقي:١/١٧٣) . **(٢)**
هكذا فاعرفوا صاحب الزمان ، وهكذا عرِّفوه للناس !

○ ○

وهذا شهر رمضان قد أقبل إليكم ، شهر الله تعالى ، وشهر القرآن: **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ.**
شهر إمام الزمان عليه السلام الذي تنزل عليه ملائكة ليلة القدر: **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ .لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ.**
تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ.. تعبير محلّى بـ (أل) للدلالة على جنس الملك والملكوت .
وتتنزل معها الروح ، التي هي في كفة وجميع الملائكة في كفة !
نعم ، تتنزل بكل أمر على ولي الأمر !

لا تصرفوا أوقاتكم في هذا الشهر بما لا طائل فيه ، إصرفوها فقط في ذكر الله تعالى ، لأن الشهر شهر الله ، وفي القرآن ، لأن الشهر شهر القرآن ، والقسم

الثالث لإمام الزمان عليه السلام، فاعملوا في هذا الشهر لكي تدوَّنَ أسماؤكم في سجله عليه السلام.

أتركوا خدمة زيد وعمرو! فهل تجعلون أنفسكم خدماً لمن ينسى نفسه وشخصيته ويفقد توازنه عند أقل قدرة يملكها ؟!

كونوا خداماً لمن يمسك الله به السماء أن تقع على الأرض !

إعرفوا قدر شخصياتكم ، ولا تبيعوها بثمن بخس دراهم معدودة !

بيعوا أنفسكم لله تعالى، للقرآن ، لصاحب الزمان عليه السلام، وكيف يمكن للإنسان أن يكون عاشقاً لله تعالى ، مع عشقه لغيره؟! أو عاشقاً لصاحب الزمان مع عشقه لغيره ؟!

مزاج عشق ، بس مشكل پسند است　　　قبول عشق برطاق بلند است

ترجمته: من صفات العشق أن فيه شمماً ، يتعزز في قبول من ينتسب إليه !

فلا تجعلوا العدم شريكاً للوجود ، ولا تخلطوا المعدوم بالموجود !

لا تدخلوا الظلمات بالنور ، واحبسوا أنفسكم على صاحب الزمان عليه السلام، فقد قال الإمام الباقر عليه السلام لعبد الحميد الواسطي: **يا عبد الحميد أترى من حبس نفسه على الله عز وجل لا يجعل الله له مخرجاً ؟ بلى والله ليجعلن الله له مخرجاً، رحم الله عبداً حبس نفسه علينا ، رحم الله عبداً أحيا أمرنا.**

قال قلت: فإن متُّ قبل أن أدرك القائم ؟ قال: القائل منكم أن لو أدركت قائم آل محمد نصرته كان كالمقارع بين يديه بسيفه ، لا بل كالشهيد معه) . (٣)

رحم الله عبداً أحيا أمرنا..إذا سرتم خطوة في هذا الطريق فأنتم مخلصون ولستم(مشركين). فاقتصروا على كلمتين:**من منه الوجود** الحي القيوم سبحانه. **ومن به الوجود** وهو صاحب الزمان أرواحنا فداه . فغيرهما ليس شيئاً يذكر .

فإن حبستم أنفسكم عليهما ، فقد تكونون من أهل هذا الحديث الشريف:

في بصائر الدرجات للصفار رحمه الله ص١٠٤: (حدثنا العباس بن معروف ، عن حماد بن عيسى ، عن أبي الجارود عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: **اللهم لَقِّني إخواني مرتين، فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقال: لا ، إنكم أصحابي، وإخواني قوم في آخر الزمان آمنوا بي ولم يروني، لقد عرفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم ، لأحدهم أشد بقية على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء ، أو كالقابض على جمر الغضا! أولئك مصابيح الدجى ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة**).

والعباس بن معروف موثق بتوثيق النجاشي، عن حماد بن عيسى ، أحد الذين أجمعت الطائفة على تصحيح ما يصح عنه ، عن أبي الجارود ، الموثق بتوثيق المفيد ، عن أبي بصير ، أحد أركان الأرض والأوتاد الأربعة.

اللهم لقني إخواني.. قالها النبي صلى الله عليه وآله مرتين لا مرة واحدة ! قالها الذي نَفَسُهُ ، ونَظْرته ، وكلمته ، تعدل عالم الوجود! **فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقال: لا، إنكم أصحابي.** فأنتم فقط بمستوى الأصحاب أما الإخوان فغيركم !

روحي لك الفداء يا صاحب الزمان، من أنت أيها الرباني حتى بلغ تلاميذك الذين ربيتهم ، وخدامك الذين يتشرفون بخدمتك، درجة أن يحسبوا إخواناً للنبي صلى الله عليه وآله، فيتمنى لقاءهم والحديث معهم ؟!

أي سرٍّ كامنٍ في شخصك، أودعتَ منه فيهم ، يا غيب الله المكنون ، وسره

المرموز ؟! (**وإخواني قوم من آخر الزمان آمنوا بي ولم يروني، لقد عرفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم ، من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم ! لأحدهم أشد بقية على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء أو كالقابض على جمر الغضا . أولئك مصابيح الدجى ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة**).

ما هذا المعدن وهذه التربية التي جعلتهم أصلب في دينهم ممن يمسك جريدة شوك القتاد فيخرطها بيده في الليل دون أن يرى أين يصيبه شوكها ، أو كالذي يمسك بيديه جمراً شديد الحرارة ، غير مكترث باحتراق يده ؟!

وما هذه الدرجة من الإيمان التي جعلت النبي صلى الله عليه وآله يتشوق إلى لقائهم؟! فأخبره الله تعالى بأسمائهم وأسماء آبائهم ، قبل ولادتهم بقرون ؟!

هؤلاء هم عصارة العالم وثمرات النبوة والإمامة ، الذين ربتهم غيبة الإمام عليه السلام ورباهم الإمام عليه السلام في غيبته، الذين صبروا وعَبَرُوا الإمتحانات الإلهية حتى وصلوا إلى مقام الأخوّة لرسول الله صلى الله عليه وآله وهي درجة عظيمة تلي درجة المعصومين عليهم السلام، وإن لم تصل إلى درجة المؤاخاة لأمير المؤمنين عليه السلام.

هؤلاء الذين وصلوا بصبرهم ، وبحبسهم أنفسهم على الله ورسوله وحجته إلى هذا المستوى الرفيع !

وكذلك هو عصر الغيبة عصر بلاء وامتحان ، وإخراج للجواهر الكامنة إلى عالم الفعلية ، بأنواع من الإبتلاء والإمتحان !

في الإمامة والتبصرة ص١٣٠: (عن عبد الرحمن بن سيابة ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: **كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدى ولا علم؟ يتبرأ بعضكم من بعض؟! فعند ذلك تميزون، وتمحصون، وتغربلون، وعند ذلك اختلاف السيفين وإمارة من أول النهار ، وقتل وخلع من آخر النهار**) .

فعند ذلك تميزون.. وهذه هي المرحلة الأولى ، مرحلة الفرز وتمييز الخبيث من الطيب !

والثانية: **تمحصون** ، كتمحيص المعدن ، كالذهب عندما يصهر وتضاف إليه مواد لإخراج ثفالته .

والثالثة: **تغربلون** ، كغربلة الحنطة لاستخراج زوانها ، وحبها الضعيف الذي يسقط من الغربال !

وفي رواية الشيخ الطوسي رحمه الله أن الإمام عندما وصل إلى المرحلة الثالثة التي هي الغربلة ، قالها ثلاثاً (**لا يكون فرجنا حتى تغربلوا ثم تغربلوا ثم تغربلوا ، يقولها ثلاثاً ، حتى يذهب الله تعالى الكدر ويبقى الصفو**) . وهو يعني أن خلط الأوراق في المؤمنين وغربلتهم قرب الظهور ، تحصل ثلاث مرات! (٤)

وتكون الغربلة الثالثة أصعبها (**إنه لا بد من أن تكون فتنة يسقط فيها كل بطانة ووليجة ، حتى يسقط فيها من يشق الشعر بشعرتين ، حتى لا يبقى إلا نحن وشيعتنا**) .

هذا هو الطريق ، وهذا هو المسار الذي ينتظره رسول الله صلى الله عليه وآله في أمته ! وهذا هو التكامل الذي سنه الله تعالى بقوانينه في ابتلاء الأمم والأنبياء والأئمة عليهم السلام، حتى تصل شجرة البشرية إلى ثمرتها في دولة العدل الإلهي !

إنها من أسرار الغيبة التي قدرها الله تعالى لخاتم الأئمة من عترة نبيه صلى الله عليه وآله وجمع فيها غيبات أنبيائه كلهم عليهم السلام.

وهذا هو الغائب الذي جعله الله مظهراً لغيبه ومظهراً لشهادته ، فهو في غيبته في مقام غيب الغيوب، فإذا جاء وقت ظهوره جعله الله مظهراً للشهادة (**محق كل حق، ومبطل كل باطل**) ! فأي قدرة يعطيه إياها حتى يستطيع أن

يحق بيده كل حق ، ويبطل بيده كل باطل ، بالعموم الوضعي لهذه الكلمة.

o o

صلوات الله عليك يا منتهى الآمال (**المنتهى إليه مواريث الأنبياء ، ولديه موجود آثار الأصفياء ، المؤتمن على الصدق ، والولي للأمر...**

إقرؤوا عن واحد من مواريث الأنبياء عليهم السلام حتى تعرفوا ما خبرها؟! أحدها قوله تعالى: **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائكَة إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ . وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائكَة فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.** (سورة البقرة:٣٠-٣١)

ثم تصل إلى صحف آدم وإدريس ونوح، وقميص إبراهيم ، وعصا موسى، وخاتم سليمان ، وعليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب.. حتى تصل إلى مواريث محمد صلى الله عليه وآله من القرآن كمانزل، وتفسيره وتأويله، والجفر والجامعة ومصحف فاطمة ، وسلاح النبي صلى الله عليه وآله بمعجزاته ، ودرعه الخاصة ، ورايته العقاب، وعمامته سلطان الله، وسيفه قدرةالله..والأهم من ذلك من صفاته عليه السلام: أنه المؤتمن على سر الله الأعظم! (**السلام عليك يا حافظ أسرار رب العالمين، السلام عليك يا حافظ أسرار رب العالمين**) .

يا ابن رسول الله ، نحن ظلمناك ، ظلمناكم أهل البيت ، فكل ما عندنا منكم ، وبيمنكم رزق الورى ، وبوجودكم ثبتت الأرض والسماء ..

لقد وضعنا على رؤوسنا شعار خدمتك ، لكنا خدمنا الآخرين أكثر مما خدمناك ، بل أسأنا إليك !

غير أن كرمكم أهل البيت لا منتهى له، فليشملنا عفوكم لما مضى ، ولتشملنا عنايتكم لنكون مقبولين عند الله في خدمتكم فيما بقي من عمرنا .

إنا نأمل أن تشملنا منك نظرة عناية ، من نظراتك التي تحول عالماً بكامله ! فأنت الذي به **أَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا**، فماذا يكون لو أزلت ظلماتنا بإشراقة نورك؟ وأنت الذي قال الله تعالى عنه: **إعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**، فأحيِ هذ القلوب بما أعطاك الله.

اللهم صل على خليفتك وحجتك ، عددَ ما في علمك ، صلاةً دائمةً بدوام ملكك ، واجعلنا من أعوانه وأنصاره ، وأشياعه وأتباعه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

○ ○

هوامش

(١) **في كمال الدين:٣٤٠/٢:** (حدثنا علي بن أحمد بن محمد الدقاق رضي الله عنه قال: حدثنا أحمد بن أبي عبد الله الكوفي قال: حدثنا موسى بن عمران النخعي ، عن عمه الحسين بن يزيد ، عن علي بن أبي حمزة ، عن يحيى بن أبي القاسم قال: سألت الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل:(ا.ل.م. **ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**) قال عليه السلام: المتقون: شيعة علي عليه السلام، والغيب: فهو الحجة الغائب ، وشاهد ذلك قول الله عز وجل: (**وَيَقُولُونَ لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ للهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**). انتهى.

○ **وفي تأويل الآيات:٣١/١:** (قال علي بن إبراهيم رحمه الله ، عن أبيه ، عن محمد بن أبي عمير، عن جميل بن صالح ، عن المفضل، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: آلم ، وكل حرف في القرآن مقطعة،من حروف اسم الله الأعظم الذي يؤلفه الرسول والإمام عليه السلام فيدعو به فيجاب. قال قلت قوله: **ذَلِكَ الْكِتَابُ لارَيْبَ فِيهِ**؟ فقال: الكتاب أمير المؤمنين لا شك فيه إنه إمام هدى للمتقين فالآيتان لشيعتنا ، هم المتقون الذين يؤمنون الغيب ،

وهو البعث والنشور ، وقيام القائم والرجعة).

○ ○

(٢) **في بصائر الدرجات ص١٠٤:** (حدثنا العباس بن معروف عن حماد بن عيسى عن أبي الجارود عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: اللهم لقني إخواني مرتين ، فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟فقال: لا إنكم أصحابي، وإخواني قوم من آخر الزمان آمنوا بي ولم يروني، لقد عرفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم، من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم ، لأحدهم أشد بقية على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء ، أو كالقابض على جمر الغضا. أولئك مصابيح الدجى ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة).

○ **وفي صحيح مسلم النيسابوري:١/١٥٠:** (وددت أنا قد رأينا إخواننا. قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد. فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ، ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض ، ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال! أناديهم ألا هلمَّ ، فيقال إنهم قد بدلوا بعدك! فأقول سحقاً سحقاً !). ورواه أحمد في مسنده:٢/٣٠٠ وص٤٠٨ ، والبيهقي في سننه:١/٨٣ و:٤/٧٨ ، وابن حبان:٣/٣٢١ ، ومجمع الزوائد:١٠/٦٦ وغيرهم بدون نقيصة ، لكن رواه النسائي في سننه:١/٩٣ ، بدون ذم الصحابة في آخره !

○ ○

(٣) **في المحاسن للبرقي:١/١٧٣:** (عنه ، عن ابن فضال ، عن علي بن عقبة ، عن عمر بن أبان الكلبي ، عن عبد الحميد الواسطي ، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله، والله لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الأمر حتى أوشك الرجل منا يسأل في يديه !

فقال: يا عبدالحميد أترى من حبس نفسه على الله لا يجعل الله له مخرجاً؟ بلى والله ليجعلن الله له مخرجاً ، رحم الله عبداً حبس نفسه علينا ، رحم الله عبدا أحيا أمرنا . قال فقلت: فإن مت قبل أن أدرك القائم؟ فقال: القائل منكم: إن أدركت القائم من آل محمد

نصرته كالمقارع معه بسيفه . والشهيد معه له شهادتان) . ورواه في كمال الدين ص٦٤٤، وعنه في البحار:١٢٦/٥٢

○ ○

(٤) في الإمامة والتبصرة ص١٣٠: (سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم ، عن الحسين بن المختار القلانسي ، عن عبد الرحمن بن سيابة ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدى ولا علم ؟ يتبرأ بعضكم من بعض ؟ فعند ذلك تميزون وتمحصون وتغربلون ، وعند ذلك اختلاف السيفين ، وإمارة أول من النهار ، وقتل وخلع من آخر النهار) .

○ **ورواه في الإمامة والتبصرة ص١٣٠،** عن سعد بن عبد الله عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم ، عن الحسين بن المختار القلانسي ، عن عبد الرحمن بن سيابة ، عن أبي عبد الله عليه السلام، وفي كمال الدين ص٣٤٨ .. وغيرهم.

○ **وفي الغيبة للطوسي ص٣٣٩:** (وروي عن جابر الجعفي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام متى يكون فرجكم ؟ فقال: هيهات هيهات لا يكون فرجنا حتى تغربلوا ثم تغربلوا ثم تغربلوا ، يقولها ثلاثاً ، حتى يذهب الله تعالى الكدر ويبقى الصفو) .

○ **وفي قرب الإسناد ص٣٦٩:** (وقال: من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت ، إن الصمت باب من أبواب الحكمة ، إن الصمت يكسب المحبة وهو دليل على الخير . وكان جعفر عليه السلام يقول: والله لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تميزون وتمحصون ، ثم يذهب من كل عشرة شئ ولا يبقى منكم إلا نزر ، ثم تلا هذه الآية: **(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ)**.

○ **وفي الكافي:٣٧٠/١:** (علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن سليمان بن صالح رفعه عن أبي جعفر عليه السلام قال قال: إن حديثكم هذا لتشمئز منه قلوب الرجال ، فمن أقرَّ به فزيدوه ، ومن أنكره فذروه ، إنه لا بد من أن يكون فتنة يسقط فيها كل

بطانة ووليجة، حتى يسقط فيها من يشق الشعر بشعرتين، حتى لا يبقى إلا نحن وشيعتنا).
ورواه النعماني رحمه الله في الغيبة ص٢٠٢، وفي بصائر الدرجات ص٤٣

○ **وفي الكافي:١/٣٧٠:** (محمد بن يحيى والحسن بن محمد ، عن جعفر بن محمد ، عن القاسم بن إسماعيل الأنباري، عن الحسن بن علي عن أبي المغرا، عن ابن أبي يعفور قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ويلٌ لطغاة العرب ، من أمر قد اقترب! قلت: جعلت فداك كم مع القائم من العرب؟ قال: نفر يسير ، قلت: والله إن من يصف هذا الأمر منهم لكثير ، قال: لا بد للناس من أن يمحصوا ويميزوا ويغربلوا ، ويستخرج في الغربال خلق كثير) . ورواه الطبري رحمه الله في دلائل الإمامة ص٤٥٦ ، والنعماني رحمه الله في كتاب الغيبة ص٢٠٤ ، وغيرهم .

○ **وفي الكافي:٨/٦٧:** (علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب عن علي بن رئاب ويعقوب السراج ، عن أبي عبد الله عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام لما بويع بعد مقتل عثمان صعد المنبر فقال: الحمد لله الذي علا فاستعلى ، ودنا فتعالى ، وارتفع فوق كل منظر ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، خاتم النبيين، وحجة الله على العالمين ، مصدقاً للرسل الأولين ، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، فصلى الله وملائكته عليه وعلى آله .

ألا وإن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه عليه السلام والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطن سوطة القدر ، حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم ، وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا . والله ما كتمت وشمة ، ولا كذبت كذبة ، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم.

ألا وإن الخطايا خيل شمس ، حمل عليها أهلها وخلعت لجمها ، فتقحمت بهم في النار ! ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها وأعطوا أزمتها فأوردتهم الجنة وفتحت لهم أبوابها ووجدوا ريحها وطيبها وقيل لهم: **ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ** ، ألا وقد سبقني إلى هذا الأمر من لم أشركه فيه ، ومن لم أهبه له ، ومن ليست له منه نوبة إلا بنبي يبعث ! ألا ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله، أشرف منه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم .

حق وباطل ولكل أهل ، فلئن أمر الباطل لقديماً فعل ، ولئن قل الحق فلربما ولعل،

ولقلما أدبر شئ فأقبل ، ولئن رد عليكم أمركم إنكم سعداء ! وما عليَّ إلا الجهد ! وإني لأخشى أن تكونوا على فترة ملتم عني ميلة كنتم فيها عندي غير محمودي الرأي ، ولو أشاء لقلت . عفا الله عما سلف ، سبق فيه الرجلان وقام الثالث كالغراب همه بطنه ، ويله لو قص جناحاه وقطع رأسه كان خيراً له ، شغل عن الجنة والنار أمامه ، ثلاثة وإثنان خمسة ليس لهم سادس: ملك يطير بجناحيه ونبي أخذ الله بضبعيه وساع مجتهد وطالب يرجوا ومقصر في النار ، اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة عليها يأتي الكتاب وآثار النبوة ، هلك من ادعى وخاب من افترى . إن الله أدب هذه الأمة بالسيف والسوط ، وليس لأحد عند الإمام فيهما هوادة ، فاستتروا في بيوتكم ، وأصلحوا ذات بينكم ، والتوبة من ورائكم . من أبدى صفحته للحق هلك) .

٥ ٥

الإمام المهدي عليه السلام باب الله الذي لايؤتى إلا منه

(بتاريخ: ١٢ شعبان ١٤٢٢- ٢٠٠١/١٠/٢٩ - ١٣٨٠/٨/٩)

بســم الله الرحمن الرحيم

بما أن شهر رمضان أقبل ، فإن عليكم جميعاً واجب التبليغ بعد التفقه ، خاصة في هذا العصر ، امتثالاً لقوله تعالى:**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ.** (سورة التوبة:١٢٢)

إن الحاجة إلى التبليغ والإنذار في زماننا لا تحتاج إلى بيان ، فقد كثر إلقاء الشبهات، ومحاولات تضعيف مباني العقائد المقدسة، فوجب على كل طالب علم انتسب إلى صاحب الزمان عليه السلام أن يبذل جهده في أداء واجبه.

شهر رمضان شهر الله تعالى ، وكل ما هو موجود وكل ما هناك فهو من الله ، وعند الله ، وإلى الله.. وفي هذا الكلام لا مثلَ ، ولا شبيهَ ، ولا نظير .

ترى كيف ينال ما عند الله تعالى؟

إن الذي يريد منكم أن يدعو الناس في شهر رمضان إلى الله تعالى لينالوا ما عنده ، يجب أن يعرف طريق الدعوة إلى الله عز وجل.

لقد قلتم كثيراً وتقولون كثيراً، ولم تحصلوا على النتيجة المطلوبة في الناس! فلا بد أن تعرفوا السبب والمشكلة ، لا بد من معرفة الداء ، ثم معرفة الدواء .. لماذا لا يؤثر الكلام ونشاطات التوعية في الناس؟! السبب أن لكل قفل مفتاحاً ولكل بيت باباً ، ونحن ضيعنا الباب ، ولم نعرف المفتاح !

نقل الشيخ المفيد والشهيد وصاحب المزار الكبير أعلى الله مقامهم ، هذه الزيارة ، وكل عبارة منها مَعْلَم هداية ، إحدى فقراتها تقول: **السلام عليك يا باب الله الذي لا يؤتى إلا منه.** (المزار للشهيد الأول رحمه الله ص٢٠٣) **(١)**

يكفي لأهل التعمق أن يتأملوا في هذه العبارة ، ففيها نفي وإثبات ، وفي نفيها حصر مطلبي ! أولاً ، ماذا يعني باب الله؟ من هذا الذي أتى الله به إلى هذا العالم في مثل غد ؟ تاريخ ولادته (ن. و. ر.) واسمه في القرآن نور ، وصفته في الأحاديث: نور الأنوار !

باب الله الذي لا يؤتى إلا منه.. والتعبير بباب الله تعالى، ليس خطأ ولا مبالغة فإن فقه أحاديث أهل البيت عليهم السلام هو الفقه الأكبر.

باب الله.. أضيف الباب إلى هذا الإسم الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العليا ! فباب الله يعني: باب الرحمن ، وباب الرحيم ، وباب العليم ، وباب الحكيم ، وباب الباسط ، وباب الرازق.. وتمام الألف خصوصية وخصوصية المنحصرة في ذاته المقدسة ، والتي لا تنال إلا عن هذا الطريق.

إذا أردتم أن تعرفوا الناس على الله تبارك وتعالى ، فعرفوهم على وليه وحجته وباب معرفته ، الإمام صاحب الزمان أرواحنا فداه ، وأينما عقدتم مجلساً، في مدينة أو قرية، فنوروا مجلسكم بذكره وإسمه الشريف ، ووجهوا القلوب إليه صلوات الله عليه ، وافتتحوا مجلسكم بزيارة آل ياسين: **سلام**

على آل ياسين. فمعرفة الله تعالى لا يمكن أن تحصل إلا عن طريق معرفتهم صلوات الله عليهم . **اللهم صلى على محمد وآل محمد.**

باب الله.. بهذه الدقة في التعبير ، والإستثناء المفيد للحصر القطعي ، وتأكيده بالنفي ، وبلفظ **يؤتى** المطلق المبني للمجهول ، الذي يعني أن كل آت في كل مكان في كل مقام ، من جبرئيل في الملأ الأعلى ، إلى الإنسان العادي على كرتنا الأرضية ، إنما يأتي ببركتهم صلوات الله عليهم .

○ ○

قيل الكثير في الإمام المهدي عليه السلام، وما قيل وما سيقال ، إنما هو ألف باء في سفر مقام قائم آل محمد صلوات الله عليه.

وما قيمة ما قيل ويقال أمام قول الله تعالى لنبيه في الإمام المهدي في حديث المعراج: **وبالقائم منكم أعمر أرضي بتسبيحي وتهليلي وتقديسي وتكبيري وتمجيدي، وبه أطهر الأرض من أعدائي وأورثها أوليائي، وبه أجعل كلمة الذين كفروا بي السفلى وكلمتي العليا، وبه أحيي عبادي وبلادي بعلمي ، وله أظهر الكنوز والذخائر بمشيئتي، وإياه أظهر على الأسرار والضمائر بإرادتي، وأمده بملائكتي لتؤيده على إنفاذ أمري وإعلان ديني، ذلك وليي حقاً، ومهديُّ عبادي صدقاً**). (٢) فتأملوا مَن هو القائل؟ الله عز وجل . ومَن المخاطب ؟! سيد الكائنات والشخص الأول في العالم صلى الله عليه وآله. ومَن هو موضوع الكلام ؟! الإمام المهدي الموعود أرواحنا فداه.

وتأملوا متى كان زمان الخطاب؟ **سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَى بعَبْده لَيْلاً منَ الْمَسْجد الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجد الأَقْصَى الَّذي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لنُريَهُ منْ آيَاتنَا إِنَّهُ هُوَ السَّميعُ الْبَصيرُ** . وأينَ كانَ مكان الخطاب؟: **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى** (سورة النجم:٨-٩) ، حيث لا يصل إليه ملك مقرب ولا نبي مرسل !

إن هذا المديح الإلهي يشتمل على عشرة مطالب ، يعلم عمقها قائلها تبارك وتعالى ، ويفهمها سيد رسله الذي خاطبه بها صلى الله عليه وآله، أما نحن فإن استطعنا أن نعالج بأفهامنا عبارة واحدة منها فهو أمر كبير! وأنى لنا بأعماقها وحقائقها ولطائفها ؟!

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: **وبالقائم منكم أعمر أرضي بتسبيحي وتهليلي وتقديسي وتكبيري وتمجيدي** ، وهذا هو المطلب الأول المتعلق بالله تعالى ، والذي يخشع عنده الفهم والعقل! فإن المعارف الإلهية عدة كلمات تتلخص بـ **(سبوح ، قدوس ، لا إله إلا الله ، الله أكبر).**

وعندما أراد الله تعالى أن يخلق آدم عليه السلام أخبر الملائكة: **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ.** (سورة البقرة:٣٠)

أما السر الذي قال عنه تعالى: **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ** ، فقد بينه لمن يفهم أسراره فقال لنبيه صلى الله عليه وآله في معراجه:**وبالقائم منكم أعمر أرضي بتسبيحي وتهليلي وتقديسي وتكبيري وتمجيدي**. وبذلك تعرف مقام ذلك الشخص العظيم الذي به يعمر الله أرضه بذكره! هذا هو المطلب المرتبط بالإمام المهدي عليه السلام مما يتعلق بالله تعالى وتقديسه .

والمطلب الثاني: وبه أطهر الأرض من أعدائي وأورثها أوليائي. ففي عالم الخلق خطان صعودي ونزولي، أولياء الله وأعداؤه.وغرض الله تعالى من خلق الإمام المهدي عليه السلام هذا الجوهر الفريد في مخلوقاته ، إعمار الأرض بتنزيهه وتقديسه ، هذا ما يتعلق بذاته المقدسة ، وأن يطهرها **به** من أعدائه ، وأن يورثها **به** لأوليائه !

والمطلب الثالث: وبه أجعل كلمة الذين كفروا بي السفلى وكلمتي العليا.

سبحان الله، من هو الإمام المهدي؟ وماذا أودع في شخصيته من قدرة وأسرار حتى صار تحقق علو كلمته العليا **به**؟! وتحقق سفول كلمة الكفر السفلى **به**؟!

والمطلب الرابع: وبه أحيي عبادي وبلادي بعلمي. ولا يتسع الوقت لشرح هذه الفقرة ، لكنا نلاحظ أنه تعالى استعمل إلى هنا لفظ (**بِهِ**) ، ثم استعمل لفظ (**له وإياه**) ، والله يعلم ماذا قال الله تعالى في هذه الباء واللام ، وماذا فهم منهما النبي صلى الله عليه وآله. والله يعلم أي يوم سيكون ذلك اليوم الذي سيظهر فيه ما قاله الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله عن وليه المهدي صلوات الله عليه ؟!

إن العلماء الحكماء القرآنيون وحدهم يفهمون معنى: **وله أظهر الكنوز والذخائر بمشيئتي** ، وليس الحكماء بالفلسفة اليونانية أو الغربية !

إنها كل الذخائر المعنوية والمادية ، ذخائر عالم الملك والملكوت ، وكنوزهما ومكنوناتهما ، يظهرها الله لوليه وحجته المهدي عليه السلام! فأين منها ذخائر الأكاسرة والقياصرة والفراعنة ، وملوك الأرض وأغنياؤها ؟! إنها ذخائر الأنبياء والأوصياء ودفائن السفراء عليهم السلام، يجمعها الله ويظهرها له !

وإياه أظهر على الأسرار والضمائر بإرادتي.والسر والواحد منها لا ينهض بتحمله العالم كله ، فكيف بجمعها؟! فأي قلب قلب الإمام المهدي عليه السلام الذي يتحمل أسرار رب العالمين عز وجل؟! نعم هذا هو إمام الزمان أرواحنا فداه!

وأمده بملائكتي لتؤيده على إنفاذ أمري وإعلان ديني.. وإنفاذ أمر الله تعالى يعني به قوله تعالى:**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**. (سورة يس: ٨٢)

فخزانة ذلك الأمر قلب صاحب الزمان عليه السلام!

ذلك وليي حقاً.. وصفة حقاً هنا لا بد أن تتناسب مع قائلها وموضوعها !

ومهديٌ عبادي صدقاً.. أي هو المهدي من عبادي بالهداية الخاصة الكاملة !

لقد بدأ كلام الله تعالى عن وليه المهدي باسم(**القائم**)وختم باسم (**المهدي**) وكلاهما من ألقابه الخاصة عليه السلام ولهما دلالات ، وفيهما أسرار !

وهذا الحديث الذي رواه الشيخ الطوسي رحمه الله في كتاب الغيبة ، يفسر معنى لقب المهدي عليه السلام وعسى أن نتوفق في فرصة أخرى لشرحه وفهم بعض لطائفه وإشاراته، فقد سأل أحدهم الإمام الصادق عليه السلام:**لأي شئ سمي المهدي؟ قال: لأنه يهدي إلى كل أمر خفي، وسمي القائم لأنه يقوم بعدما يموت ، إنه يقوم بأمر عظيم . (٣)**

يهدي إلى كل أمر خفي..وكل أداة عموم ، وأول خفي على البشر الله تعالى: **كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف**.(رسائل الكركي:١٥٩/٣) (٤) فهو يشمل كل أمر خفي من أعلى الوجود إلى أدناه ، فهو هاد في كل هذه الدائرة ! وهذا البعد العلمي لشخصيته عليه السلام.

أما معنى قيامه عليه السلام فنكتفي بقول الإمام الصادق عليه السلام: **إنه يقوم بأمر عظيم !**

هذا هو صاحب الزمان، وولي العصر، وصاحب الأمر، وقطب الوجود، وقوس العالم !

وختام الكلام ، وعصارة هذه النص الشريف: أن كل ما جاء به الأنبياء عليهم السلام من آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله، وكل ما حمله وتحمله الأوصياء من شيث إلى أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام ، فإنما تتحقق فعليتها ويتجلى ظهورها علمياً وعملياً بظهور الإمام المهدي أرواحنا فداه.

اللهم صل وسلم على وليك صاحب الزمان وخليفة الرحمان

عددَ ما في علمك ، صلاةَ دائمة بدوام ملكك وسلطانك.

هوامش

(١)في المزار للشهيد الأول رحمه الله ص٢٠٣: (زيارة سيدنا ومولانا حجة الله الخلف الصالح أبي القاسم محمد المهدي صاحب الزمان صلوات الله عليه وعلى آبائه ، بسر من رأى: فإذا وصلت إلى حرمه بسر من رأى فاغتسل والبس أطهر شيابك ، وقف على باب حرمه عليه السلام قبل أن تنزل السرداب وزر بهذه الزيارة فقل:

السلام عليك يا خليفة الله وخليفة آبائه المهديين. السلام عليك يا وصي الأوصياء الماضين . السلام عليك يا بقية الله من الصفوة المنتجبين . السلام عليك يا حافظ أسرار رب العالمين .السلام عليك يا ابن الأنوار الظاهرة . السلام عليك يا ابن الأعلام الباهرة . السلام عليك يا ابن العترة الطاهرة . السلام عليك يا معدن العلوم النبوية . السلام عليك يا باب الله الذي لا يؤتى إلا منه . السلام عليك يا سبيل الله الذي من سلك غيره هلك . السلام عليك يا ناظر شجرة طوبى وسدرة المنتهى . السلام عليك يا نور الله الذي لا يطفى..الخ. وقد تقدمت الزيارة في موضوع معرفة الإمام المهدي عليه السلام بالنورانية.

○ ○

(٢) في أمالي الصدوق رحمه الله ص ٧٣١: (حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه ، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، عن موسى بن عمران النخعي ، عن عمه الحسين بن يزيد النوفلي ، عن علي بن سالم ، عن أبيه ، عن أبي حمزة الثمالي ،عن سعد الخفاف ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن عبد الله بن عباس ، قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): لما عرج بي إلى السماء السابعة ومنها إلى سدرة المنتهى ، ومن السدرة إلى حجب النور، ناداني ربي جل جلاله: يا محمد ، أنت عبدي وأنا ربك ، فلي فاخضع ، وإيايَ فاعبد ، وعليَّ فتوكل ، وبي فثق ، فإني قد رضيت بك عبداً وحبيباً ورسولاً ونبياً ، وبأخيك علي خليفةً وباباً ، فهو حجتي على عبادي ، وإمام لخلقي ، به يعرف أوليائي من أعدائي ، وبه يميز حزب الشيطان من حزبي، وبه يقام ديني ، وتحفظ حدودي ، وتنفذ أحكامي ، وبك

وبه وبالأئمة من ولده أرحم عبادي وإمائي، وبالقائم منكم أعمر أرضي بتسبيحي وتهليلي وتقديسي وتكبيري وتمجيدي، وبه أطهر الأرض من أعدائي وأورثها أوليائي ، وبه أجعل كلمة الذين كفروا بي السفلى وكلمتي العليا ، وبه أحيي عبادي وبلادي بعلمي، وله أظهر الكنوز والذخائر بمشيئتي ، وإياه أظهر على الأسرار والضمائر بإرادتي وأمده بملائكتي لتؤيده على إنفاذ أمري وإعلان ديني، ذلك وليي حقاً ، ومهديُّ عبادي صدقاً) . (وعنه في البحار:٣٤١/١٨ ، و: ١٢٨/٢٣، و:٦٦/٥١)

○ ○

(٣) في الغيبة الشيخ الطوسي رحمه الله ص٤٧١: (عنه ، عن موسى بن سعدان ، عن عبد الله بن القاسم الحضرمي ، عن أبي سعيد الخراساني قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المهدي والقائم واحد؟ فقال: نعم . فقلت: لأي شئ سمي المهدي؟ قال: لأنه يهدي إلى كل أمر خفي ، وسمي القائم لأنه يقوم بعدما يموت ، إنه يقوم بأمر عظيم) . انتهى .

ومعنى قوله (لأنه يقوم بعدما يموت) أن غيابه عليه السلام عند الناس كموته ، أو موت ذكره .

○ **وفي علل الشرائع:١٦١/١:** (حدثنا أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله عن الحسن بن علي الكوفي ، عن عبد الله بن المغيرة عن سفيان بن عبد المؤمن الأنصاري ، عن عمرو بن شمر، عن جابر قال: أقبل رجل إلى أبي جعفر عليه السلام وأنا حاضر فقال: رحمك الله إقبض هذه الخمسمائة درهم فضعها في موضعها فإنها زكاة مالي، فقال له أبو جعفر عليه السلام: بل خذها أنت فضعها في جيرانك والأيتام والمساكين ، وفي إخوانك من المسلمين، إنما يكون هذا إذا قام قائمنا فإنه يقسم بالسوية ويعدل في خلق الرحمن ، البر منهم والفاجر ، فمن أطاعه فقد أطاع الله ، ومن عصاه فقد عصى الله ، فإنما سمي المهدي لأنه يهدي لأمر خفي ، يستخرج التوراة وسائر كتب الله من غار بأنطاكية، فيحكم بين أهل التوراة بالتوراة ، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل ، وبين أهل الزبور بالزبور ، وبين أهل الفرقان بالفرقان ، وتجمع إليه أموال الدنيا كلها ما في بطن الأرض وظهرها ، فيقول للناس تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام وسفكتم فيه الدماء ، وركبتم فيه محارم الله ، فيعطي شيئاً لم يعط أحدا كان قبله . قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وهو رجل مني إسمه

كاسمي يحفظني الله فيه ويعمل بسنتي ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ونوراً ، بعدما تمتلئ ظلماً وجوراً وسوءاً – وشراً –) . انتهى . ورواه النعماني في كتاب الغيبة ص٢٣٧

○ **وفي الخرائج والجرائح للراوندي:٨٦٢/٢:** (وعن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبي جميلة المفضل بن صالح ، عن جابر بن يزيد قلت لأبي جعفر عليه السلام: لأي شئ سمي المهدي ؟ قال: لأنه يهدي لأمر خفي ، يبعث إلى الرجل من أصحابه لا يعرف له ذنب فيقتله).

○ **وفي مصنف عبد الرزاق:٣٧٢/١١:** (أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر عن مطر ، قال كعب: إنما سمي المهدي لأنه يهدي لأمر قد خفي، قال: ويستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها أنطاكية) .

○ **وفي البحار:٣٩٠/٥٢:** (عن الإمام الباقر عليه السلام قال: إنما سمي المهدي لأنه يهدي إلى أمر خفي ، حتى أنه يبعث إلى رجل لا يعلم الناس له ذنبا فيقتله ، حتى أن أحدهم يتكلم في بيته فيخاف أن يشهد عليه الجدار)

○ ○

(٤)لم أجد سنداً للحديث القدسي المشهور على الألسن: (كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخق لكي أعرف) . ويظهر أن الأستاذ يقبله، وكذاعدد من علماء الشيعة والسنة الذين ذكروه وارتضوه ، وبعضهم نسبه إلى الله تعالى على أنه حديث قدسي ، كالمحقق الكركي رحمه الله في رسائله:١٥٩/٣، قال:(ويؤيد ذلك الحديث القدسي (كنت كنزا مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأن أعرف). وابن أبي جمهور رحمه الله في غوالي اللئالي:٥٥/١، والمجلسي رحمه الله في البحار:١٩٩/٨٤و٣٤٤، والسبزواري رحمه الله في شرح الأسماء الحسنى:٣٧/١ ، قال (ومن الخفيات مقام الخفى من مقامات النفس مقام الخفا المشار إليه بقوله: كنت كنزاً مخفيا فأجبت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف)

وكذلك الآمدي من علماء السنة في الإحكام:١٣/١، قال: (قال عليه السلام حكاية عن ربه: كنت كنزاً لم أعرف ، فخلقت خلقاً لأعرف به) وغيرهم . وقد أنكره بعضهم.

○ ○

الحكمة: طاعة الله ومعرفة الامام عليه السلام

(بتاريخ: ١٤ شعبان ١٤١٧- ١٩٩٦/١٢/٢٥ – ١٣٧٥/١٠/٥)

بســم الله الرحمن الرحيم

ينبغي أن نعرف أن شهر رمضان ربيع تحيا فيه القلوب الميتة ، وتصير أرضية مستعدة لتقبل بذور المعرفة الدينية ، والأحكام الشرعية.

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ.. وللنفوس فيه استعداد خاص ، فإلى ماذا ندعوها ؟ وبأي طريقة ندعوها ؟

لقد دلنا القرآن والحديث المعتبر على ذلك فقال تعالى: **أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**. (سورة النحل:١٢٥)

فالدعوة يجب أن تكون إلى سبيل الرب تعالى ، وأن تكون بالحكمة ، فما هي سبيل الرب؟ وما هي الحكمة؟ هنا ينبغي أن الإلتفات إلى أن الذاتي الذي لا يتناهى في الكمال والجمال عز وجل قال: **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ**. (سورة البقرة: ٢٦٩)

فكشف لنا أن الحكمة لا تعطى لكل أحد ، بل لأشخاص خاصين مختارين اختياراً ! وأفهمنا سبحانه أنه هو الذي الكثير عنده قليل ، قد وصف القليل من

الحكمة بأنه خير كثير: **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً !**

أما ما هي الحكمة ، فإن المرجع في تفسير كلام الله تعالى ، هم تراجمة وحيه عزوجل، المفسرون الشرعيون لكلامه، وهذه الرواية الشريفة في الكافي (1:185/1) صحيحة السند ، فهي عن علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس، عن أيوب بن الحر ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل: **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**؟ فقال عليه السلام: طاعة الله ومعرفة الامام . (١)

مجلسنا ليس مجلس خطابة ، فأنتم والحمد لله علماء قم ، والمهم في مثل هذا الموضوع أن نتعرف على فقه الآية والرواية ، ونتأمل بدقة ماذا يستفاد من الكتاب والسنة؟ الحكمة هي قوله تعالى: **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ.** (سورة الجمعة:٢)

إن دقة النظر في فقه القرآن والحديث يجب أن تأخذ في اعتبارها أن بعثة جميع الأنبياء من آدم الى الخاتم عليهم السلام تبدأ بتلاوة الآيات وتنتهي بالحكمة.

إن فهم حديث الإمام الصادق عليه السلام يتوقف على فهم تلك الحكمة التي تنتهي إليها بعثة الأنبياء عليهم السلام، وتلك الحكمة التي أمر الله نبيه أن يدعو الناس بها ، وتلك الحكمة التي لا يؤتيها الله لكل أحد ، بل لمن يشاء ويختار من عباده ، وتلك الحكمة التي من يؤتى منها قليلاً فقد أوتي خيراً كثيراً.

إن تلك الحكمة التي لها مبدأ ومنتهى ، فمبدؤها طاعة الله عز وجل ، ومنتهاها معرفة الإمام عليه السلام! فأي خط هذا الذي أوله الله تعالى ، وختامه خاتم الأوصياء ، المنتهي إليه مواريث الأنبياء عليهم السلام!

مهما فكرنا في هذه الحقيقة فهو قليل ، فإن نتيجتها أن كل التكوين

والتشريع يبدأ بنقطة وينتهي بنقطة . يبدأ بذات القدوس المتعال عز وجل ، وينتهي بإمام العصر والزمان أرواحنا فداه !

ليس هذا الكلام خطابياً بل هو عين البرهان ، غاية الأمر أن بعض الناس مصابون بهبوط في مستوى العلم والفكر ، وقد وصل إدراك حواسهم الى حد من الضعف بحيث لم يصلوا إلى الآن إلى أن عالم الطبيعة وما وراءه يتلخص في كلمتين: **من منه الوجود ، ومن به الوجود.**

إن هذه الحقيقة هي التي ينص عليها هذا الحديث الشريف ! فالحكمة تبدأ من الله تعالى ، وتنتهي بوليه الأعظم صلوات الله عليه، وهذا هو ما قلناه مراراً: **ما منه الوجود ، وما به الوجود** ، وشرحه لا يتسع له مجلسنا هذا.

ما يتسع له المجال اليوم فهم هذا الحديث الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام قال: **من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية ، ومن مات وهو عارف لإمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر ، ومن مات و هو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم في فسطاطه.** (الكافي:١/٣٧١) **(٢).** فليتأمل أصحاب الفكر في هذا الحديث: **من مات وهو عارف لإمامه..** فإنه بهذه المعرفة يصل إلى الإمام النقطة النهائية في الوجود ، ويكون معه في فسطاطه أي في خيمة الإمام الخاصة ؟! هذه معرفة الإمام عليه السلام!

وهذه المعرفة تحتاج إلى أصول ثلاثة ، نشرع في بيانها ما اتسع الوقت !

فالموضوع هو إمام الزمان عليه السلام وفي هذه الكلمة عنوان ومعنون ، معنون بجنبة عمومية وجنبة خصوصية . فعندما يعرف الإنسان إمام زمانه ، تحصل له بالدرجة الأولى معرفة الإمامة ما هي ، ثم معرفة من هو الإمام بعنوانه العام ، ثم من هو إمام الزمان بصفة خاصة.

أما ما هي الإمامة ؟ فهي مفهوم سام في علوه ، بحيث لا يمكن للإنسان أن يعرف معنى كلمة الله العليا ما هي ، إلا إذا يعرف الإمامة: **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**. (سورة البقرة:١٢٤) وقد ورد في تفسير هذه الآية من أحاديث الأئمة عليهم السلام كلمات بليغة عميقة، وكلماتهم عليهم السلام ذات أفق عال ، مهما تعمق الفكر في غورها فإنما يصل إلى رشح من فياض فراتها! فقد قالوا إن إبراهيم صلى الله عليه وآله عبر أربع مراحل وامتحانات حتى وصل إلى الإمامة ! قال الإمام الصادق عليه السلام: **إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً ، وإن الله اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً ، وإن الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً ، وإن الله اتخذه خليلاً قبل أن يجعله إماماً ، فلما جمع له الأشياء قال: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً، قال فمن عظمها في عين إبراهيم قال: وَمِنْ ذُرِّيَّتِي؟ قال: قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ. قال: لا يكون السفيه إمام التقي!** (الكافي:١٧٥/١) **(٣)**

والإتخاذ الإلهي في مرحلة العبودية والنبوة والرسالة، **والجعل** الإلهي في مرحلة الإمامة ، يحتاج إلى بحث مفصل ! وكذلك درجات العبودية والنبوة والرسالة ، وينبغي أن تتأملوا في التعبير في تركيبه ومادته وهيئته.

وقد ورد في تعليل اتخاذ الله لإبراهيم خليلاً أنه لم يسأل مخلوقاً قط! فكروا في هذا السمو الإنساني، وإلى أي درجة وصل هذا الشخص الثاني في سلسلة النبوة صلى الله عليه وآله وأنه في حياته لم يسأل أحداً إلا الله تعالى . هذا في تعامله مع الله تعالى ، أما في تعامله مع الخلق ، فلم يسأله أحد وقال له: لا !

إن كلام الإمام الصادق عليه السلام يعني أن إبراهيم صلى الله عليه وآله عندما تمت فيه جنبة تعامله مع الحق ومع الخلق ، ووصل إلى تلك النقطة العالية من السمو ، في ذلك الوقت قال له الله تعالى: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً** !

هذه هي الإمامة ! فلا تنقصوا هذا المنصب الرباني قدره، ولا تخونوا السنن الإلهية، ولا تمدوا أيديكم إلى الأسرار الربوبية، وإن شهر رمضان شهر توضيح الإمامة للناس، وشهر تعريف الإمام للناس، فعرفوا الناس بمقام الإمامة العظيم!

هذا عن الإمامة ، فمن هو ذلك الإمام الذي فُصِّلَتْ له هذه الحُلَّة؟ أقرأ لكم متن الحديث الشريف فقط بدون شرح ، فلم يبق معنا وقت:

(لأن الله تبارك وتعالى نصب الإمام علماً لخلقه ، وجعله حجةً على أهل مواده وعالمه، وألبسه الله تاج الوقار، وغشاه من نور الجبار ، يمد بسبب إلى السماء ، ولتنقطع عنه مواده، ولا ينال ما عند الله إلا بجهة أسبابه ، ولا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفته)(الكافي:١/٢٠٣)

إن خصائص الإمام عليه السلام تصل إلى أربعين خصوصية، أحدها:

ألبسه الله تاج الوقار.. فأي تاجٍ تاجُ الوقار هذا الذي على رأس الإمام؟ الذي يتوِّجهُ به الله تعالى وحده لا شريك له ، بدون وساطة أحد من الملائكة ولا من البشر ، حتى خير خلق الله تعالى وسيد المرسلين صلى الله عليه وآله!

فلا حق لأحد من المخلوقات في اختيار الإمام عليه السلام ومن يختاره هو ذات القدوس تبارك وتعالى !

وغشَّاهُ من نور الجبار.. فهذا الهيكل القدسي مغشّىً بنور يتوقف فهمه على فهم سورة النور ! التي سميت بسورة النور لوجود آيتين فيها عن النور الإلهي في الأرض! قال الله تعالى: **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ**

عَلِيمٌ. فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ. (سورة النور:٣٥-٣٦) فهذا النور الرباني في هذه البيوت المقدسة ، بيوت الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، التي أذن أن ترفع ، وأمر أن تحب وتطاع .

ومن خصائص إمام زماننا صلوات الله عليه ماورد في كلام للإمام الرضا عليه السلام قال: **(بأبي وأمي سميُّ جدي، شبيهي وشبيه موسى بن عمران ، عليه جيوب النور تتوقد بشعاع ضياء القدس . كم من حرى مؤمنة ، وكم مؤمن متأسف حيران حزين عند فقدان الماء المعين . كأني بهم آيس ما كانوا قد نودوا نداء يسمع من بعد كما يسمع من قرب ، يكون رحمةً على المؤمنين وعذاباً على الكافرين) .**

عليه جيوب النور تتوقد بشعاع ضياء القدس.. تعبير بليغ عجيب يشير إلى قوله تعالى:**الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.** (سورة النور:٣٥)

وقد ورد في صفة المسيح عليه السلام تعبير جلابيب النور بدل جيوب النور ، ففي مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع علماء النصارى **(قال للجاثليق: يا نصراني كيف علمك بكتاب شعيا عليه السلام؟ قال: أعرفه حرفاً حرفاً. قال لهما: أتعرفان هذا من كلامه: يا قوم إني رأيت صورة راكب الحمار لابساً جلابيب النور ، ورأيت راكب البعير ضوؤه مثل ضوء القمر).** (عيون أخبار الرضا عليه السلام:١٤٥/٢)

كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام وصف الإمام المهدي عليه السلام بالكوكب الدري قال: **(المشكاة رسول الله صلى الله عليه وآله والمصباح الوصي والأوصياء ، والزجاجة فاطمة، والشجرة المباركة رسول الله صلى الله عليه وآله، والكوكب الدري القائم المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً)** .(المحكم والمتشابه ص٢٥)

وعن الإمام الكاظم عليه السلام في تفسير قوله تعالى: **لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**، قال: يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم ، قال يقول الله: **وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**، نوره ولاية القائم. (الكافي: ٣٢/١)

إن أعلى الكلمات في الوصف كلمة **(النور)** لأن الله تعالى وصف بها نفسه فقال: **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**، ثم وصف فيها النبي والإمام فقال: **مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ.**
فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ.. وختام هذه البيوت وأفضلها بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، ونوره الذي فيه هو الإمام المهدي عليه السلام.
يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ..أضافه الله تعالى إلى اسمه بضمير الغيب، وفيه دلالة خاصة، تشير إلى الترابط بين غيب الله وغيبة وليه التي خصه بها في طولها وامتحاناتها ، فاستحق أن يضاف اسمه إلى غيب: **هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**، غيب الغيوب تبارك وتعالى! فهو عليه السلام النور المضاف إلى ضمير هو في قل هو الله أحد !

○ ○

هذا هو إمام الزمان أرواحنا فداه ، شمس الله المشرقة على هذا العالم وإن ظللها السحاب . الغائب الحاضر المشغول في عبادته وعمله مع جنود الله .
الذي يأتمر الخضر بأمره ، ويتعلم منه العلم اللدني !
أين هو الآن ؟ أين يقف بين يدي ربه أو يجلس ؟!
أينما كان روحي فداه.. فهناك قلب هذا العالم !
هناك حقائق كل الأسماء الحسنى والكلمات العليا !
هناك الذي عليه جلابيب النور، وعليه جيوب النور تتوقد بشعاع ضياء القدس.
يا من بيده عصا آدم، وفي إصبعه خاتم سليمان ، وعلى بدنه قميص إبراهيم الذي منعه من النار .

عَلِيمٌ. فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ. (سورة النور:٣٥-٣٦) فهذا النور الرباني في هذه البيوت المقدسة ، بيوت الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، التي أذن أن ترفع ، وأمر أن تحب وتطاع .

ومن خصائص إمام زماننا صلوات الله عليه ماورد في كلام للإمام الرضا عليه السلام قال: **(بأبي وأمي سميٌّ جدي، شبيهي وشبيه موسى بن عمران ، عليه جيوب النور تتوقد بشعاع ضياء القدس . كم من حرى مؤمنة ، وكم مؤمن متأسف حيران حزين عند فقدان الماء المعين . كأني بهم آيس ما كانوا قد نودوا نداء يسمع من بعد كما يسمع من قرب ، يكون رحمةً على المؤمنين وعذاباً على الكافرين) .**

عليه جيوب النور تتوقد بشعاع ضياء القدس.. تعبير بليغ عجيب يشير إلى قوله تعالى:**الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.** (سورة النور:٣٥)

وقد ورد في صفة المسيح عليه السلام تعبير جلابيب النور بدل جيوب النور ، ففي مناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع علماء النصارى **(قال للجاثليق: يا نصراني كيف علمك بكتاب شعيا عليه السلام؟ قال: أعرفه حرفاً حرفاً. قال لهما: أتعرفان هذا من كلامه: يا قوم إني رأيت صورة راكب الحمار لابساً جلابيب النور ، ورأيت راكب البعير ضوؤه مثل ضوء القمر).** (عيون أخبار الرضا عليه السلام:١٤٥/٢)

كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام وصف الإمام المهدي عليه السلام بالكوكب الدري قال: **(المشكاة رسول الله صلى الله عليه وآله والمصباح الوصي والأوصياء ، والزجاجة فاطمة، والشجرة المباركة رسول الله صلى الله عليه وآله، والكوكب الدري القائم المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً)** .(المحكم والمتشابه ص٢٥)

وعن الإمام الكاظم عليه السلام في تفسير قوله تعالى: **لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ، قال: يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم ، قال يقول الله: **وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ، نوره ولاية القائم. (الكافي: ٣٢/١)

إن أعلى الكلمات في الوصف كلمة (النور) لأن الله تعالى وصف بها نفسه فقال: **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**، ثم وصف فيها النبي والإمام فقال: **مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ. فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ**.. وختام هذه البيوت وأفضلها بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، ونوره الذي فيه هو الإمام المهدي عليه السلام.

يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ..أضافه الله تعالى إلى اسمه بضمير الغيب، وفيه دلالة خاصة، تشير إلى الترابط بين غيب الله وغيبة وليه التي خصه بها في طولها وامتحاناتها ، فاستحق أن يضاف اسمه إلى غيب: **هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ، غيب الغيوب تبارك وتعالى! فهو عليه السلام النور المضاف إلى ضمير هو في قل هو الله أحد !

٭ ٭

هذا هو إمام الزمان أرواحنا فداه ، شمس الله المشرقة على هذا العالم وإن ظللها السحاب . الغائب الحاضر المشغول في عبادته وعمله مع جنود الله .

الذي يأتمر الخضر بأمره ، ويتعلم منه العلم اللدني !

أين هو الآن ؟ أين يقف بين يدي ربه أو يجلس ؟!

أينما كان روحي فداه.. فهناك قلب هذا العالم !

هناك حقائق كل الأسماء الحسنى والكلمات العليا !

هناك الذي عليه جلابيب النور، وعليه جيوب النور تتوقد بشعاع ضياء القدس.

يا من بيده عصا آدم، وفي إصبعه خاتم سليمان ، وعلى بدنه قميص إبراهيم الذي منعه من النار .

يا من عنده جبة النبي صلى الله عليه وآله المضمخة بدمه الطاهر يوم أحد.

يا من بيده قميص سيد الشهداء الحسين عليه السلام الذي استشهد فيه في كربلاء.

يا من إليه انتهت مواريث الأنبياء ، ولديه آثار الأولياء.

يا من يخاطب العالم عندما يتكئ على الكعبة بين الركن والمقام ، فيقول: من أراد أن ينظر إلى محمد وعلي فلينظر اليَّ !

يا بقية الله في أرضه ، يا ولي الله وحجته على خلقه.. أنظر إلينا نظرة رعاية ليكتب الله أسماءنا في سجل مواليك ، ويجعل همنا في هذا الشهر المبارك أينما كنا ، كلمتين: **طاعة الله ومعرفة الإمام.**

○ ○

هوامش

(١) **في الكافي:١٨٥/١:** (علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن أيوب بن الحر ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : **وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً؟** فقال: طاعة الله ومعرفة الإمام). ورواه في المحاسن: ١٤٨/١ وفي شرح الأخبار :٥٧٨/٣ ، والحسني في تأويل الآيات:٩٧/١)

○ ○

(٢)**في المحاسن:١٥٥/١:** (عنه، عن أبيه ، عن علي بن النعمان ، عن محمد بن مروان، عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من مات وليس له إمام فموته ميتة جاهلية ، ولا يعذر الناس حتى يعرفوا إمامهم ، ومن مات وهو عارف لإمامه لايضره تقدم هذا الأمر أو تأخر ، ومن مات عارفاً لإمامه كان كمن هو مع القائم في فسطاطه) .

○ **وفي الكافي:٣٧١/١:** (عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن النعمان، عن محمد بن مروان ، عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية ، ومن مات وهو عارف لإمامه لم يضره ، تقدم هذا

الأمر أو تأخر ومن مات و هو عارف لإمامه ، كان كمن هو مع القائم في فسطاطه).
ورواه النعماني في كتاب الغيبة ص ٣٣٠

○ **وفي المحاسن:١٧٤/١:** (عنه، عن علي بن النعمان ، قال: حدثني إسحاق بن عمار وغيره، عن الفيض بن مختار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كمن هو مع القائم في فسطاطه ، قال: ثم مكث هنيئة ، ثم قال: لا ، بل كمن قارع معه بسيفه ، ثم قال: لا والله إلا كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله) .

○ **وفي الإمامة والتبصرة ص١٢٢:** (سعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميري جميعاً، عن إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن خالد، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد صلى الله عليه وآله يقول:من مات منتظراً لهذا الأمر كان كمن كان مع القائم في فسطاطه، لا، بل كان كالضارب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف).
ورواه في كمال الدين ص٣٣٨ والقاضي النعمان في شرح الأخبار:٥٧١/٣

○ **وفي الغيبة للطوسي رحمه الله ص٤٥٩:**(عنه، عن ابن فضال، عن ثعلبة بن ميمون قال: أعرف إمامك فإنك إذا عرفته لم يضرك تقدم هذا الامر أو تأخر ، ومن عرف إمامه ثم مات قبل أن يرى هذا الأمر ثم خرج القائم عليه السلام كان له من الأجر كمن كان مع القائم في فسطاطه) .

○ ○

(٣) في الكافي:١٧٥/١: (محمد بن الحسن ، عمن ذكره ، عن محمد بن خالد ، عن محمد بن سنان ، عن زيد الشحام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً ، وإن الله اتخذه نبياً قبل أن يتخذه رسولاً ، وإن الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً ، وإن الله اتخذه خليلاً قبل أن يجعله إماماً ، فلما جمع له الأشياء **قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً** ، قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: **قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي**؟ قال: **قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** . قال: لا يكون السفيه إمام التقي).

○ **وفي الكافي:١٤٦/٨:** (يحيى الحلبي، عن بشير الكناسي قال: سمعت أبا عبدالله(عليه السلام) يقول: وصلتم وقطع الناس ، وأحببتم وأبغض الناس ، وعرفتم وأنكر الناس ، وهو الحق ، إن الله اتخذ محمداً صلى الله عليه وآله عبداً قبل أن يتخذه نبياً ، وإن علياً عليه السلام كان عبداً ناصحاً لله عز

وجل فنصحه، وأحب الله عز وجل فأحبه، إن حقنا في كتاب الله بيِّن ، لنا صفو الأموال ولنا الأنفال ، وإنا قومٌ فرض الله عز وجل طاعتنا ، وإنكم تأتمون بمن لا يعذر الناس بجهالته . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية ، عليكم بالطاعة فقد رأيتم أصحاب علي عليه السلام.

ثم قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في مرضه الذي توفي فيه: أدعوا لي خليلي ، فأرسلتا إلى أبويهما ، فلما جاءا أعرض بوجهه وقال: ادعوا لي خليلي، فقالا: قد رآنا لو أرادنا لكلمنا ، فأرسلتا إلى علي عليه السلام فلما جاء أكب عليه يحدثه ويحدثه حتى إذا فرغ لقياه فقالا: ما حدثك؟ فقال: حدثني بألف باب من العلم يفتح كل باب إلى ألف باب) .

○ ○

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين .

فهرس الموضوعات

○ ○